خزانة

التواريخ النجدية

جمع وترتيب وتصحيح سماحة الشيخ

عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام
عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين

الجزء السابع

ويشتمل على:

١- مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود.

خِزانة
التَّواريخ النّجديّة

خِزانة التَّواريخ النّجديّة

جمع وترتيب وتصحيح

سماحة الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام

عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين

الطبعة الأولى

الجزء السابع

ويشتمل على:

١- مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود



مطالع السعود
في تاريخ نجد وآل سعود

تأليف

الشيخ مقبل بن عبد العزيز بن مقبل الذكير

(١٣٠٠ ــ ١٣٦٣هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تاريخ الذكير

الأستاذ البحّاثة: مقبل بن عبد العزيز الذكير، درس أول دراسته في المدارس النظامية في الكويت، وأدرك في علم الحساب وحسن خطه جدًا. وصار له ولع كبير في القراءة الحرة، وكانت الصحف والمجلات في البلاد العربية لا سيما في مصر، على مستوى رفيع من جمال الأسلوب، وحسن العرض، وجودة الأفكار، فكان المؤلف ــ مقبل **الذكير** ــ منهمكًا في القراءة في الكتب الأدبية والتاريخية وغيرها، مما رَبَّى عنده ملكة الأسلوب الإنشائي الجميل.

فشرع في كتابة التواريخ النجدية، وصار يبسط فيها الفكرة والحادثة بالتحليل والتعليل، وإعطاء الموضوع حقه من التحقيق.

فصنف تاريخه «مطالع السعود في أخبار نجد وآل سعود» بمسَوَّدَة يكثر فيها كتابة العناوين بدون موضوع. ثم إنَّه عاد إليه وبَيَّضه، واختفت تلك المبيضة، ولم يبق إلاَّ المسودة. فبحثنا عن المبيضة فحدثت عن صفة خفائها بروايتين:

* الرواية الأولى: حدثني صالح بن إبراهيم بن علي الخويط من أهل عنيزة فقال: كنت موظفًا في محل ـ تجارة ـ عند محمد بن حمد آل القاضي في البحرين فسافر محمد بن حمد القاضي المذكور إلى بغداد وقت الحكومة الملكية زمن ولاية الملك غازي بن فيصل، فصودرت النسخة من محمد القاضي في مطار بغداد ولم تعد.

* الرواية الأخرى: حدثني خالي صالح بن منصور آل أبا الخيل، فقال: كان لي صحبة قوية مع المؤلف «مقبل بن عبد العزيز الذكير» وكنت في الأحساء زمن إدارته لمالية الأحساء، فجاء خطاب من الملك عبد العزيز يطلب منه الكتاب فبعثه إليه ولم يعد.

والكتاب غير مرغوب فيه عند الملك عبد العزيز، لأن فيه مدحًا لبعض أفراد آل رشيد، ووقت طلبه لم يمض على استيلاء الملك عبد العزيز على حائل إلاَّ نحو أربع سنوات، وأرجح أن الروايتين صحيحتان، لأن الراويين ثقتان، ومطلعان على مجريات الأحوال، ولأنه لا يبعد أن مقبلاً بيض الكتاب مرتين.

والراويان ثقتان جدًا وصفة نقلهما عن صفة اختفاء مبيضة الكتاب صريحة واضحة.

ولا مانع أن يكون الكتاب له مبيضتان فذهبتا بباتين الطريقتين، والله أعلم.

ثم إننا عثرنا على مبيضة لمقبل بن عبد العزيز الذكير تحت عنوان «العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية» وهذه المبيضة عُثر عليها في (مكتبة الدراسات العليا)، جامعة بغداد ـ كلية الآداب. فلعلها هي المبيضة التي صودرت في مطار بغداد من محمد بن حمد القاضي.

وهذه المبيضة ليس فيها فراغات، ولكنّها ناقصة عن المسودة من النصف، من القرن التاسع الهجري.

أما المبيضة فلم تبدأ إلاّ من ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتنتهي المبيضة عام ١٣١٥هـ.

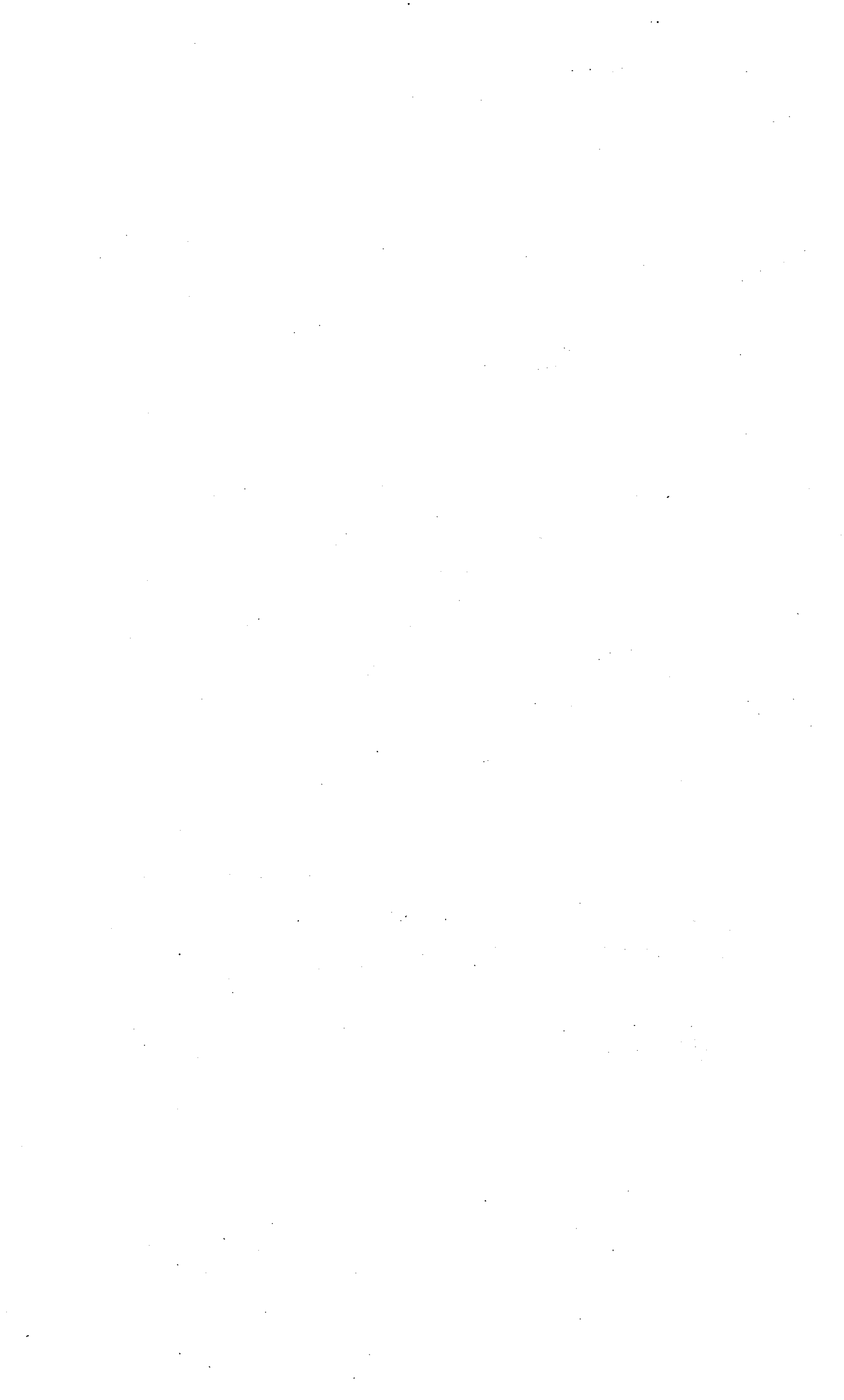
أما المسودة فلم تنته إلاّ في عام ١٣٣٧هـ، فألحقنا الزيادتين من المسودة، وحذفنا من أحدهما ما اتفقا على تدوينه.

وبهذا كمل لنا تاريخ الأستاذ المؤرخ مقبل بن عبد العزيز الذكير تحت اسم «مطالع السعود في أخبار نجد وآل سعود».

رحمه الله تعالى.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام



ترجمة المؤرخ

الشيخ مقبل بن عبد العزيز بن مقبل الذكير

(١٣٠٠هـ ـــ ١٣٦٣هـ)

الشيخ مقبل بن عبد العزيز بن مقبل بن عبد العزيز بن مقبل بن ماجد آل ذكير، و (ذكير) لقب على (مقبل) الذي في منتهى هذا النسب.

أخبرني أحد أعيان أسرة (آل ذكير) أن مقبلاً جدّ الأسرة كان في أول شبابه مصاحبًا جماعة من أعيان مدينة عنيزة، فكان نشيطًا في خدمة رفقته في السفر، وسريع الحركة في قضاء حاجاتهم السفرية من السقي وإحضار الحطب والطبخ وغير ذلك فقالوا: هذا الشاب (ذكير) فلحقه هذا اللقب، وصارت أسرته لا تعرفه إلاّ به.

وللمترجَم ابن عم لأبيه اسمه (مقبل بن عبد الرحمن الذكير) له شهرة بتجارته الواسعة وإحسانه وكرمه، يسمى (فخر التجار)، طَبَع كثيرًا من المراجع الهامة، منها: (كشاف القناع) وعلى هامشه (شرح منتهى الإرادات)، كما طبع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، و (إعلام الموقعين)، و (حادي الأرواح).. وغيرها من الكتب السلفية المفيدة.

ويشتبه على بعض الناس هذا بصاحب الترجمة، فيخلطون هذا

بيذا، وهما اثنان في عصر واحد، وفي بلد واحد ـ أيضًا ـ فنشأتهما في مدينة عنيزة، وتجارتهما في (البحرين) فصاحب الترجمة (مقبل بن عبد العزيز)، والتاجر الشهير (مقبل بن عبد الرحمن)، ومقبل بن عبد الرحمن أسنّ من مقبل بن عبد العزيز، وهو خاله.

وآل ذكير من قبيلة (عتيبة) الكبيرة الشهيرة، وقبيلة عتيبة أصلها (هوزان)، فآل ذكير من بطن (الأساعدة) أحد بطون (الروقة).

وكانت مساكن (الأساعدة) في وادي أرهاط وادٍ عظيم كثير العيون كثير النخيل، يقع شمالي شرق مكة المكرمة بنحو مائتي كيلو؛ وسيول هذا الوادي تنحدر إلى مزارع خليص وبلاد سليم.

يحده من الجهة الشمالية بلاد سليم، ويحده من الجهة الجنوبية قرية مدركة، ويحده من الشرق ميقات (ذات عرق) المشهورة بالضريبة، ويحده من الغرب وادي غوارة، ولا تزال عقارات الأساعدة فيه.

وقد حصل بينهم وبين جيرانهم من بطون الروقة فتن، فنزحوا من (وادي أرهاط) ونزلوا القرى الواقعة بين القصيم وسدير، فبعضهم سكن الأسياح، وبعضهم سكن شعيب سمنان، وأكثرهم سكنوا الزلفى، واستوطنوا تلك الأمكنة.

وآل ذكير كانوا يقيمون في الأسياح فانتقلوا منها إلى مدينة عنيزة فصاروا أسرة كبيرة، وفيها:

١ ـ آل سلمان.

٢ ـ آل ذكير.

٣ ـ آل راشد.

٤ ــ آل محاميد.

٥ ــ آل بداح.

٦ ــ آل شائع.

٧ ــ آل رشيد.

٨ ــ آل فهيد.

٩ ــ آل عثمان.

١٠ ــ آل عبد الكريم.

١١ ــ آل صالح.

١٢ ــ آل علي.

وغير هذه الأسر ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن، وأقرب هذه الأسر نسبًا إلى (آل ذكير) هم (آل محاميد)، سكان (شعيب سنان).

وكانت أسرة (الذكير) يقيمون في الأسياح فانتقل جدهم إلى الزبير، ومن الزبير انتقلوا إلى عنيزة.

مكانة هذه الأسرة الاجتماعية

لا شك أن آل ذكير من أكبر الأسر في مدينة عنيزة، وفيهم أعيان، ولهم عقار وأملاك وثروة، ولهم تجارة واسعة جدًا في العراق، فكان بيت (الذكران) في البصرة من أكبر البيوت التجارية، ولهم شهرة واسعة.

أما أعيانهم فمنهم:

١ ــ مقبل بن عبد الرحمن الذكير، وبيوته التجارية في جدة وفي البصرة وفي البحرين حيث محل إقامته، وطبع كثيرًا من الكتب النافعة،

وأسس جمعية في البحرين ضد التبشير المسيحي الذي كان منتشرًا في زمنه في الخليج.

ولمّا أسن استقر في بلدة ـ عنيزة ـ حتى توفي فيها عام ١٣٤١هـ.

٢ ـ يحيى بن عبد الرحمن الذكير ـ أخو الذي قبله صاحب جاه كبير وثراء، بنى بعض المساجد في عنيزة، وتوفي في عنيزة في العام الذي توفي فيه أخوه مقبل (١٣٤١هـ).

٣ ـ سليمان وحمد أبناء محمد بن عبد الرحمن الذكير، لهم تجارة واسعة جدًا في البصرة وغيرها، فكان أشهر بيت تجاري في العراق هو بيت الذكران، ولهم عقار في العراق كثير جدًا.

٤ ـ أبناء صالح بن صالح بن محمد بن مقبل آل ذكير، لهم تجارة وشهرة في البصرة.

٥ ـ عبد الرحمن بن مقبل الذكير ـ من أعيان مدينة عنيزة، وصاحب أوليات في بلده:

فهو أول من جاء بالكهرباء فأنار بيته والمساجد القريبة منه.

وأول من أتى بالراديو إلى عنيزة.

وأول من أتى بالدراجات (باي سكل).

وأول من استعمل الآلة الكاتبة فيها.

فالآلات المخترعة الحديثة، هو أول من جلبها واستعملها في بيته.

وكان بيته مفتوحًا دائمًا، وكثيرًا ما يجتمع عنده الرجال وقت إذاعة الأخبار في الحرب العالمية الثانية، حيث لا يوجد راديو إلاَّ عنده.

وكان هو أمير حاج عنيزة الرجالي المسمى (الركيب).

وقد توفي، وخلف أبناء نجباء صار بعضهم أطباء.

٦ ــ عبد المحسن بن يحيى الذكير: وهو مشهور بالكرم والوفاء، وهو ممدوح الشاعر عبد المحسن بن صالح، فقد أشاد بذكره، وأصفاه مدحه بقصائد جياد موجودة في ديوانه الشعبي المطبوع.

وفي الأسرة غير هؤلاء من الأعيان، فهم أسرة رفيعة.

مولده

وُلد المترجم الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير العام ١٣٠٠هـ في المدينة المنورة في زيارة من أهله لها، ونشأ في وطنه ووطن أهله عنيزة، وتعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة والحساب، وصار لديه خط جميل، سليم في غالبه من الأخطاء الإملائية.

قال في تاريخه: إنه سافر مع خاله مقبل بن عبد الرحمن الذكير من عنيزة إلى الكويت، ووصل إليها في ٢٥/ ٤/ ١٣١٣هـ وعمره في الرابعة عشر، فأبقاه خاله في بيت الشيخ يوسف بن إبراهيم لتعلم الكتابة، وكان في معية أولاد آل ابن إبراهيم، وكان قرينه وزميله مصطفى بن الشيخ يوسف، وكان يخرج معهم إلى القنص والنزهة في ضواحي الكويت[1].

---

(١) الشيخ يوسف آل إبراهيم هو عميد بيتهم التجاري الكبير الذي في البصرة وله فروع في الهند وغيرها، ونسبهم أنهم من آل عنقري من بني سعد بن تميم، وأصل بلدهم في نجد بلدة ثرمداء، ولهم تجارة وثراء واسع جدًا. وقد عاد مبارك الصباح وحاول الإطاحة بأمارته ولكنه لم ينجح في ذلك. والآن ضعفت أحوالهم وتفرقوا. اهـ. (المؤلف).

لكن صار في زمن قدومه الكويت الشقاق والخلاف الذي وقع بين مبارك الصباح وأخويه محمد وجراح، والذي انتهى بقتل مبارك لأخويه المذكورين، وكان الشيخ يوسف آل إبراهيم له يد كبيرة، ومشاركة في وجود هذا الخلاف، لعلاقة صهر مع محمد آل صباح، وبعد مقتلهما غادر الكويت ليدبر المكائد لمبارك الذي فتك بأخويه.

أما مقبل الذكير فإنه بعد قفل بيت الشيخ يوسف آل إبراهيم في الكويت، سافر إلى البحرين، ونزل في بيت خاله مقبل العبد الرحمن الذكير، مواصلاً تعليمه، وكان بيت خاله في البحرين بالرغم من أنه بيت تجاري كبير، إلاّ أنه أيضًا ناد علمي وأدبي، يقصده العلماء والأدباء، لا سيما الدعاة الذين ندبهم رحمه الله ليكافحوا التنصير.

ثم إن المترجم صار كاتبًا عند بعض تجار البحرين، لأنه بصير في مسك الدفاتر التجارية.

وفي عام ١٣٤٣هـ عين الملك عبد العزيز بن سعود المترجم مديرًا لمالية الأحساء، فقام بتنظيم الشؤون المالية، ورتب دفاترها وسجلاتها، واستعان على عمله هذا بعدد من الشباب الكويتي الذين عرف خبرتهم وكفاءتهم، وأسند إليهم أقسام المالية، فترتبت أعمالها على أحسن ما يرام، حتى استقال برغبته منهم، وعين بدله الشيخ محمد الطويل أحد أعيان جدة، وذلك عام ١٣٤٩هـ.

دراسته

دخل كتاتيب منظمة تعنى بقراءة القرآن قراءة مجودة، وتعنى بتحسين الخط وإجادته، كما تعني بالحساب بقواعده الأربع وكسورهن، ثم طريقة

مسك الدفاتر التجارية، وتلقين الطلاب مبادىء الأدب بحفظ بعض نصوصه من شعر ونثر.

وقد دخلها في مدينة عنيزة وفي البحرين واستفاد منها، أما إقامته ودراسته في الكويت فهي قليلة، بعد هذا اتجه إلى القراءة الحرة، وأكثر ما يقرأ في التاريخ وفي الأدب، ويكثر من مطالعة ومتابعة المجلات الأدبية، من أمثال الهلال والرسالة والكاتب المصري، والمقتطف وغيرها، تلك المجلات التي كانت تصدر زمن شبابه في مصر، ويكتب فيها كتاب كبار من أمثال طه حسين والعقاد والمازني وأحمد أمين والزيات والرافعي وقرنائهم من ذوي الأقلام الرفيعة، وكانت تلك المجلات تنشر لكبار الشعراء من أمثال شوقي وحافظ في مصر، والزهاوي والرصافي في العراق وغيرهم.

هذه القراءة المتواصلة المفيدة كونت لديه ثقافة في النواحي التاريخية والأدبية، ونمت موهبته الإنشائية، حتى صار يجيد التعبير عما لديه من هذه المواضيع بسهولة ويسر، ويعرضها أمام القارىء عرضًا حسنًا.

وإلا فهو لم يدرس دراسة منظمة في جامعة، كما أنه لم يجلس عند العلماء في حلقاتهم العلمية، ولذا تجد اللحن في عبارته بجانب حسن اللفظ والسبك فيها.

مؤلفات المترجم

١ ــ له معجم للبلدان ينقل فيه عن معجم البلدان لياقوت الحموي، ثم يضيف إليه ما عنده من معلومات خاصة أو معلومات جديدة عن الموضع.

وهو مخطوط في مكتبة معهد الآداب الشرقية في جامعة بغداد، وعندي صورة منه، وهو بخط لمؤلف.

٢ ـ تاريخه المتداول، وهو مسودة لتاريخ بيضه، ولكن المبيضة فقدت.

وتاريخ هذه المسودة بخط المؤلف أنها كانت موجودة عند عبد العزيز المحمد الحمد القاضي، المقيم في عنيزة وصاحب القصيدة العنيزية.

فلما ولي الشيخ سليمان بن عبيد قضاء عنيزة طلبها من عبد العزيز المذكور، فبقيت عنده، واستعرتها أنا كاتب هذه الأسطر عبد الله العبد الرحمن البسام من الشيخ سليمان بن عبيد، وكلفت من نسخها لي، ثم أعدتها إلى الشيخ سليمان، فوضعها في حجرته التي في المسعى؛ فاحترقت مع كتبه في أحداث الحرم التي كان سببها جهيمان وعصابته.

والنسخة الأصلية التي احترقت هي بخط المؤلف، ويكثر فيها البياض بوضع عناوين لم يكتب تحتها ولكنه كملها وبيضها بعد ذلك ثم فقدت.

تقييم التاريخ المسودة

أرى أن المؤلف لم يأت بجديد إلاّ في بعض المواضع التي في بلدة عنيزة، ففيها بعض التفصيلات، وإبراز أسماء بعض الشخصيات، ولكن الجديد في هذه المسودة أنه عرض المواضيع عرضًا جميلاً في كثير من مواضعه، وعلل بعض الحوادث تعليلاً مقبولاً، وأنه منصف في روايته، فلم يتحيز لطائفة دون طائفة، وإنما يعنى بخدمة الحادثة التاريخية في حقيقتها، فيبرزها إبرازًا حسنًا.

وقد اكتسب هذا العرض الجيد من إدمان قراءته للكتب الأدبية والمجلات الرفيعة الأسلوب، فصار عنده هذا الأسلوب اللذيذ، بخلاف غيره من مؤرخي نجد فإنهم يوردون الخبر جافًا حافًا، لأنه ليس لديه الملكة الإنشائية التي يستطيعون بها التعبير والتعليل والله الموفق.

وفاته

حين ذهب المترجم إلى البحرين، واستقر فيه فتح محلاً تجاريًا في اللؤلؤ، ولم يزل فيه حتى توفي في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام ١٣٦٣هـ. رحمه الله تعالى، آمين.

وخلف ثلاثة أبناء، هم حسب سنهم: عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد المحسن.

مقبل العبد العزيز[١]

عبد العزيز[٢] — عبد الرحمن[٢] — عبد المحسن[٢]

مقبل[٣] — يوسف[٣] — محمد[٣]

خالد[٤] — أحمد[٤] — وليد[٤] — ابن[٥]

❊ ❊ ❊

---

(١) المترجم.

(٢) هؤلاء أبناؤه الثلاثة، وقد ماتوا فلم يبق لصلبه إلاَّ بعض بناته.

(٣) هؤلاء أحفاد المترجم من ابنه عبد العزيز، ويقيمون في الرياض الآن.

(٤) هؤلاء أحفاد المترجم من ابنه عبد الرحمن، ويقيمون في البحرين الآن.

(٥) هذا حفيده من قبل ابنه عبد المحسن، ولم أعرف اسمه، مع العلم أن ابن المترجم عبد المحسن دكتور طب.

هؤلاء هم ذريته من الأبناء، وله بنات لهن أولاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

نكتب هذه المقدمة لإيضاح الحالة العامة في نجد، في الوقت الذي نريد أن نتكلم عن حوادثه الغامضة، ليعلم القارىء مقدار الصعوبات التي تعترض كل من يحاول أن يكتب عن تاريخ نجد القديم. فقد كانت بتلك الوقت إمارات متفرقة منككة الأوصال، لا يربطها إلاّ جامعة المصلحة المشتركة حين الحاجة فقط فكل بلد أو قرية مستقلة عن الأخرى في أعمالها وفي حوادثها وكانت الغزوات بينهم متبادلة، لا لسبيل التوسع والامتلاك وتوحيد الكلمة وجمعها، بل للتشفي والانتقام، مما أخر حالة نجد قرونًا متطاولة، وهي في حالة البداوة، وكان نفوذ هؤلاء الأمراء يضيق ويتسع تبعًا لمقدرة الأمير وشخصيته.

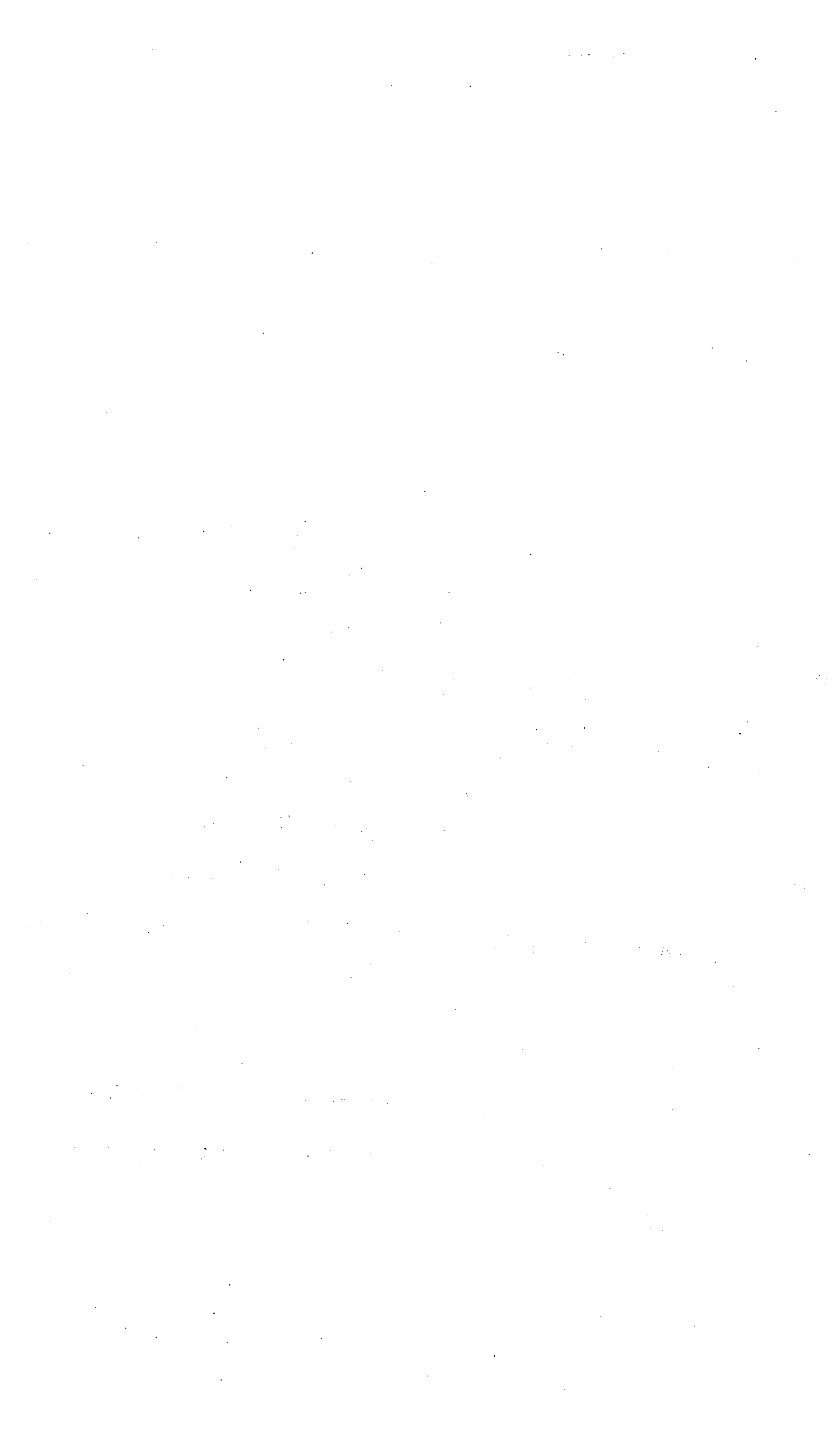
وقد حاولت أن أجمع شتات حوادث نجد، وأصل قديمها بحديثها، فبحثت في كتب التواريخ العامة، لعلي أجد فيها ما ينير لي الطريق، ويساعدني على تكوين شبه تاريخ متصل، ولو كان ناقصًا. فرجعت منها

كما بدأت، وذهبت محاولاتي أدراج الرياح، لأنه قد ثبت لدي أن تاريخ نجد قد انفصل عن التاريخ العام في أيام بني أمية، حينما كثرت الفتوحات، واتسعت رقعة الممالك الإسلامية، وانتقلت العاصمة من الحجاز إلى الشام.

* * *

الجزء الأول

الحالة العامة في نجد في القرون الثلاثة التي تقدمت فيها النهضة الإصلاحية



نبذ في حوادث نجد
بالثلاثة قرون المذكورة

ذكرنا في خطبة الكتاب، وفي المقدمة بعض الإيضاح عن الحالة السياسية العامة، وذكرنا ما هي فيه من تفكك الروابط، واختلاف الكلمة، والنزعات والمنازعات، والحروب الناشئة عن الأحقاد والضغائن التي أوجدها الجهل، وغذاها التعصب. وقد أوضحنا في الخطبة والمقدمة عدم وجود المصادر التي نستمد منها ونعتمد عليها، وإنما ما لا يدرك كله لا يترك جله، فقد اعتمدنا أن نبتدىء في هذا التاريخ في القرن التاسع هجرية، معتمدين في ذلك على ما ورد في سوابق [تاريخ بن بشر] وعلى معلومات خاصة تحصلنا عليها من بعض مؤرخي القصيم، فمزجنا بعضها ببعض بالرغم من غموضها، لأنها أشبه بالرموز، فإذا ذكروا حادثة قتل أو قتال، قالوا: وفي هذه السنة قتل فلان أو حصل قتال بين آل فلان وآل فلان، ولا يذكرون الأسباب ولا النتائج، مما يجعل مهمة المؤرخ بغاية من الصعوبة.

وقد نتوسع في شرح بعض الحوادث ويندرج البعض الآخر كما وجدناه، على حسب ما عندنا من المعلومات عن ذلك.

وبما أنه لم يتصدى أحد لهذا الموضوع فقد رأيت من المفيد أن أجمع هذه النبذ وجعلها كمقدمة للتاريخ، وأن أضيف إليها بعض تراجم الأشخاص البارزين ممن له أثر في مجر التاريخ القديم من أمراء وشعراء وعلماء لتكون الفائدة أتم.

تأسيس بلد الدرعية

في منتصف القرن التاسع الهجرية، قدم مانع المريدي من بلدهم القديمة ــ المسماة بالدرعية ــ عند القطيف على ابن عمه علي بن درع صاحب (حجر اليمامة والجزعة)، المعروفين قرب بلد الرياض، فأكرم وفادته وأعطاه (المليبد) و (غصيبة) المعروفين في الدرعية، وكانتا من نواحي ملك علي بن درع، فاستقر مانعًا فيهما هو وبنوه وعمّروهما واتسع بالعمارة والغرس في نواحيهما.

ومانعًا هذا هو جد آل مقرن الأعلا، وتوارثها بنوه من بعده كما يأتي تفصيل ذلك عند كلامنا على نبضة نجد الإصلاحية [إنشاء الله].

تأسيس بلد العينة

في السنة المذكورة أي ٨٥٠ سنة بالوقت الذي تأسست فيه الدرعية اشترى حسن بن طوق جد آل معمر أهل العينة من آل يزيد ما كان في ملكهم، يحدها جنوبًا ما فوق المليبيد وغصيبه، من سمحه والوصيل إلى الأبكين، الجبلين المعروفين، إلى بلد الجبيلة شرقًا، إلى موضع حريملاء شمالاً. وكان مسكن حسن يومئذٍ في بلد ملهم.

وأهلها من بني يشكر ابن بكر ابن وائل وحسن ابن طوق من بني

سعد بن يزيد مناة ابن تميم، فحصل بينه وبينهم مغاضبة، وكان ذو ثروة فاشترى الموضع المذكور، فانتقل من ملهم إليه، وأسس بلد العيينة واستوطنها وتأمرها، وتداولتها ذريته من بعده، فنشأت الدرعية والعيينة بوقت واحد، ولكن العيينة سبقت الدرعية بالقوة والعمران، حتى كانت المدينة الأولى في نجد، وتبوأت المركز الأول في نجد، ولم تزل كذلك إلى أواسط القرن الثاني عشر، فإنها فقدت منزلتها بعد وفاة أميرها عبد الله بن محمد بن معمر المشهور، فاحتلت الدرعية مركزها واستلمت قيادة زمام النهضة التي وحدت فيها كلمة نجد، وكادت توحّد كلمة الجزيرة بأسرها، تحت راية واحدة، كما سيأتي توضيحه بموضعه في الكتاب.

بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

حكّام الأحساء

قبل أن نشرع في ذكر الحوادث لا بد أن نلم بشيء من تاريخ الأحساء بوجه الأجمال، لأن ليس لدينا تفاصيل عن ذلك، لعدم وجود تواريخ مختصة بذلك. فقد كانت إمارة الأحساء بالصدر الأول من الإسلام كغيرها من بلدان المسلمين، ولمّا انتقلت الخلافة إلى الشام أيام بني أمية، أضيفت إمارة الأحساء إلى إمارة المدينة، ثم إلى إمارة العراق، ولم تزل كذلك صدرًا في خلافة بني العباس. ولمّا خرج القرامطة في أواخر القرن الثالث استولوا عليها وعلى القطيف، وبقيت تحت حكمهم إلى أواخر القرن الرابع — حتى طردهم منها عبد الله بن علي العيوني من بني ثعلبة، وساعده على ذلك بنو سليم وبنو عقيل، واستقل بإمارة الأحساء

والقطيف، فأراد خلفاءه مشاركته، فاستعان ببني عقيل على سليم حتى أخرجوهم من الأحساء، ودخلوا إلى مصر فأقام بها بعض وسار البعض إلى إفريقيا في بلاد المغرب وذلك في منتصف القرن الخامس، ثم بعد مدة اختلف بنو تغلب وبنو عقيل فقلبت بنو تغلب على بني عقيل وطردوهم من الأحساء، فسافروا إلى العراق، وملكوا الكوفة والبلاد والغرابة، وتغلبوا على الجزيرة والموصل. وملكوا تلك البلاد مدة ليست قليلة، ثم غلبهم عليها السلجوقيون. ومنهم كان المقلد وقرداش وقريش وابنه مسلم المشهور، ذكرهم ووقائعهم في كتب التاريخ، فلما غلبوا على ملكهم في العراق تحولوا عنها في أوائل القرن السابع إلى مواطنهم الأولى في الأحساء فوجدوا بني تغلب قد ضعف أمرهم فغلبوهم على الأحساء والقطيف بعد حروب كثيرة ـ فاستتب الأمر فيها لبني عقيل يتوارثونه أبًا عن جد إلى أن أخذها الترك من أيديهم كما سيأتي.

أجود بن زامل

وكانت الإمارة في أوائل القرن العاشر لأجود بن زامل الجبري العقيلي العامري، وكان مقره في قرية المنيزلة المعروفة، الآن في الأحساء وقصره في غربي القرية الموجودة الآن لم تزل آثارها موجودة لهذا العهد، ولم نقف على شيء من أخبارهم على قرب عهدها، بسبب عدم العناية في تاريخ البلاد. ولهذا كانت أيام ولايات بنو تغلب وبنو عقيل مجهولة، والحديث عنها يدخل بحكم الخرافات، كما هو في أخبار بني هلال. وقد بسطنا الكلام في هذا الخصوص في كتابنا (المعجم) عند كلامنا على الأحساء ولم نذكر به إلاّ ما ثبت لدينا من مصادر موثوقة وعزونا كل شيء

إلى مصدره، فمن أراد زيادة الإيضاح فاليراجع بموضعه من الكتاب المذكور.

قال ابن بشر: وفي سنة ٩١٢هـ حج أجود بن زامل شيخ الأحساء ونواحيه في جمع يزيدون على ثلاثين ألفًا، ولم نقف على من خلفه بعد وفاته.

قضاة أجود بن زامل

فقد ذكر بن بشر: أن قضاة أجود بن زامل ستة، وهم:

القاضي ابن القاضي علي بن زيد وهو قاضي أجود ابن زامل الخاص، والقاضي عبد القادر بن بريد المشرفي، والقاضي منصور بن مصيح وعبد الرحمن بن مصيح، والقاضي أحمد بن نيروز بن بسام، وسلطان بن ريس بن مخاس. كل هؤلاء في مدخلة أجود بن زامل.

منيع ابن سالم

الجندي المجهول ــ أو **الكريم المجهول**.

ومنيع بن سالم هذا، هو: ممدوح راشد الخلاوي، الشاعر المشهور الذي خصه بمدحه ورثاه بمراثي كثيرة، حتى قيل: إن الخلاوي قل أن تجد له شعرًا إلاّ في منيع بن سالم، وكان هذا فيما يظهر لنا أنه كريمًا جوادًا، غمر الخلاوي في إحسانه، وكان له فوق ذلك مخصصات سنوية عند منيع بن سالم.

والراجح لدينا أن منيع هذا من بني عقيل، ولعله آخر أمرائهم في الأحساء الذي أخذ الترك منه الأحساء والقطيف، لأن في بعض أشعار

الخلاوي ما يدل على وقوع نكبة في منيع قبل وفاته. ولعلنا نورد بعض الشواهد من أشعار الخلاوي. وقولنا هذا لا يستند على أساس صحيح، وإنما هو من بعض الظنون، لأننا اجتهدنا أن نلم بشخصية منيع بن سالم. ومن أي قبيلة فلم نجد خبرًا صحيحًا نعتمد عليه، ونأذن لمن عنده علم في ذلك أن يصحح الخبر على الحقيقة، (ثم ثبت عندي أن الخلاوي عاش في أول القرن الثاني عشر).

خروج الشريف حسن بن أبي نمي إلى العارض

وفي سنة ٩٥٨هـ: أسست بلد بريدة.

قال العصامي في «تاريخه»: وفي سنة ٩٨٦هـ سار الشريف حسن بن أبي نمي إلى نجد، وحاصر معكال المعروف في الرياض، ومعه من الجنود نحو خمسون ألفًا، وطال مقامه فيها، وقتل فيها رجالاً ونهب أموالاً وأسر منهم أناس من رؤسائهم، وسار بهم إلى مكة وحبسهم، وأقاموا في الحبس سنة، ثم أذعنوا لمطالبه. وطلبوا منه أن يطلق أسراهم ويلزموا بأن يسلموا له مبلغًا معينًا من المال، فأطلقهم، وأمرّ فيهم محمد بن فضل، ثم انتقضوا عليه فجهز عليهم سنة ٩٨٩هـ وسار إليهم بجيش كثيف ومدافع كبار.

خروج الشريف حسن المذكور إلى الخرج

وقصد ناحية الخرج وحارب أهلها، ففتح مدنًا وحصونًا تعرف بالبديع والسلمية واليمامة، ومواضع في شوامخ الجبال، ثم عيّن من رؤسائه في ضبطها أمور اقترحها وشرطها، وعاد راجعًا.

مصادقة بني خالد للشريف حسن

فلما بلغ بني خالد مسير الشريف إلى الخرج ساءهم ذلك وكانوا قد ندموا على تقاعدهم عن مساندة أهل الرياض في غزوته الأولى عليهم، فأرادوا أن يمدوا أهل الخرج وينصروهم، فتجمعوا وقبل أن يسيروا علموا باستيلاء الشريف عليهم وأنه على وشك الرجوع فرصدوا له في الطريق في جريدة خيل وجيش، وكان الشريف حسن قد بعث عيونًا تقدموه، فرجعوا إليه وأخبروه أن بني خالد قد رصدوا له في الطريق فما لبث حتى وافاه جيش بني خالد، وقد استعد للقائه فباجره، واقتتلوا قتالاً شديدًا كانت نهايته هزيمة بني خالد، فغنم الشريف خيلاً وإبلاً، وقتل منهم يومئذٍ قتلى كثير، وكانت هذه آخر غزوات الشريف حسن إلى نجد إذ توفي في جمادى الآخر سنة ١٠١٠هـ بطريقه إلى نجد.

سنة ١٠١٥هـ خروج محسن إلى نجد

وفي سنة ١٠١٥هـ: خرج الشريف محسن بن حسين إلى نجد ونزل (القصب) القرية المعروفة في الوشم، وقتل أهلها ونهبهم، وفعل بهم الأفاعيل العظيمة.

ولم نقف على الأسباب التي دعت الشريف إلى التنكيل بهم مثل هذا التنكيل الفظيع، وقد نقلنا العبارة كما وجدناها، دون أن نتعرض إلى شيء في عبارتها، ليطلع القارىء على المصادر التي نستمد منها معلوماتنا فيعذرنا، أو لم نتوسع في الأبحاث لأننا متقيدين بعبارات مبهمة، لا يستطيع المؤرخ أن يتوسع في بحثه فلو أن صاحب هذه الترسيمات أوضح شيء من مقدمات هذه الحادثة، لأمكن البسط فيها والاستنتاج.

استيلاء آل حنيحن على بلد البير

البير قرية معروفة في سدير، وأمراؤها من العرينات في سبيع، وكان ينازعهم فيها آل حنيحن فتغلبوا عليهم واجلوهم عنها فلما كان سنة ١٠١٥هـ سطا محمد وعبد الله آل حنيحن في بلد البير واستولوا عليه، وأخرجوا منه العرينات فعمروها وغرسوها وتداولتها ذرية محمد من بعده، وهم: آل حمد المعروفون نسبة إلى حمد بن محمد المذكور وبقي في أيديهم.

تأسيس قرية الحصون

أصلها قصور مزارع، والقصر يدعى حصن، ففي سنة ١٠١٥هـ كانت هذه الحصون تابعه لصاحب (صبحاء)، القرية المعروفة عند قرية الجنوبيين في ناحية سدير، فاستأجرها آل تميم من صاحب (صبحاء)؛ وأخذوها مغارسة ـ يعني أن يعمروها ولصاحبها سهم أو أسهم معلومة منها ـ فغرسوها وعمروها واستوطنوها، فسميت الحصون (جمع حصن) على اسمها السابق، لمَّا كانت حصون مزارع.

سنة ١٠٣٣هـ

وفي سنة ١٠٣٣هـ: قال ابن بشر: وفي هذه السنة قتلوا أولاد مفرج بن ناصر صاحب بلد (مقرن) المعروفة في الرياض، وهذا من الأخبار المبهمة التي اضطررنا إلى وضعها دون أن يعرف من هو القاتل، ولا ما هي أسبابه، ولا من الذي خلفه في منصبه، رجاء أن نقف أو يقف من بعدنا على توضيح ذلك. ثم قال: وفي سنة ١٠٣٧هـ استولى آل مديرس على بلد (مقرن) وشاخوا فيها.

مقرن وربيعة

أبناء مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع

وفي سنة ١٠٣٩هـ: حج مقرن وربيعة رئيس الدرعية أبناء مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي ومقرن هذا هو جد آل مقرن الذي لا يزالوا ينتسبون إليه، ويجتمع فيه آل سعود وأبناء عمهم القريبين.

الحريق

الحريق في ناحية الفرع ــ بلد مشهور ــ ويعرف قديمًا بحريق نعام نسبة إلى (نعام) القرية المعروفة قريب منه، ولكنه صار أشهر منها. أسسه رشيد بن مسعود بن سعد بن سعيدان بن فاضل الهزاني الجلاس الوائلي الهزاني من عنزة من أسد بن ربيعة ــ أسس البلد وغرسه وسكنه، وتداولته ذريته من بعده، ثم غلبهم عليه الخراورة من سبيع، وأخذوه منهم، ولكنهم لم يلبثوا أن كروا عليهم وأخرجوهم منه في سنة ١٠٤٠هـ ولم يزل بيد ذريتهم إلى الآن، وهم آل حمد بن رشيد بن مسعود المذكور. وسيأتي الكلام عليه في حوادث سنة ١٣٢٧ ــ ١٣٢٨هـ: حينما تآمروا على الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، واتفاقهم مع الفريق مما سيأتي تفصيله آنذاك.

قتل آل تميِّم

بتشديد الياء المثناة تحت، تصغير تميم

وفي سنة ١٠٤١هـ: قتل آل تميم في مسجد القارة المعروفة بصبحا في سدير، وآل تميم هؤلاء هم أهل الحصون الذي تقدم ذكرها، ووقع

بسبب ذلك حرب بين آل حديثة أمراء القارة وبعض من الأهالي، وقتل فيه محمد ابن أمير القارة عثمان الحديثي.

وفي سنة ١٠٤٥هـ: حج ابن معمر أمير العيينة وابن قرشي، وأخذهم ركب من عائذ وبقي العداء بين أهل القارة حتى تصالحوا سنة ١٠٤٩هـ.

تأسيس بلد حريملاء

وفي سنة ١٠٤٥هـ: وقع بين آل حمد بني وائل وبين آل مدلج في التويم اختلاف، فخرج آل حمد من التويم مغاضبين لآل مدلج فذهب رئيسهم علي بن سليمان إلى أحمد بن عبيد الله بن معمر واشترى منه موضع حريملاء، وكانت ملكه بعد أن أخذ منهم منزلها هو وبنو عمه سويد وحسن ابني راشد آل حمد، وكذلك جد آل عدوان وآل مبارك والبكور وغيرهم من بني وائل، ونزلوا معهم وغرسوها وعمروها، فتقدمت في العمران في مدى المائة السنة التي تلت تأسيسها حتى كانت في الدرجة الثانية من بلدان نجد، بالرغم مما اعترضها من العقبات، وما أبداه ابن معمر أمير العيينة من العداء الشديد، ومحاولاته للتغلب على أهلها، ولكنهم وقفوا بوجهه وصمدوا لحربه، وردوه على أعقابه، ولم ينل منهم منالاً، ولم تكن غارات ابن معمر عليهم هي الوحيدة، بل إن مجاوريهم لم يكونوا أقل عداء من ابن معمر، ولكنهم استطاعوا أن يتغلبوا على كل من حاول الاعتداء عليهم، وبقيت الإمارة بيد آل حمد وآل راشد أبناء عمهم إلى أن دب الخلاف بينهم، وانقسموا على أنفسهم عند أول ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مما ستقف عليه في موضعه من هذا الكتاب.

وفي هذه السنة تصالح أهل التارة القرية المعروفة بسدير بعد الحرب التي وقعت بينهم بسبب مقتل آل تميم.

وفي سنة ١٠٤٩هـ: حج الشيخ العلامة سليمان بن علي بن مشرف جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

سنة ١٠٥١هـ

وفي هذه السنة وقع قتال بين آل جرجس داخل العيينة، وقتل من الطريق قتلى وانهزم آل جرجس.

روضة سدير

لم نقف على تاريخ تأسيسها، وإنما الثابت أن الذي أسسها آل ماضي فقد أقبل جدهم الأعلى مزروع من بلد (قفار) البلدة المعروفة في جبل شمر واشترى هذا الموضع في وادي سدير واستوطنه وعمره، وتداولته ذريته من بعده، وقد خلف أربعة أولاد: سعيد وسليمان وهلال وراجح، وصار كل واحد منهم جد قبيلة فكان لكل واحد منهم ـ أولاده ـ محلة مخصوصة من البلد، فكانت أربعة أقسام: محلة آل ابن سعيد ومحلة آل ابن سليمان. ومحلة آل ابن هلال. ومحلة آل ابن راجح. وصار لكل منهم أتباع، وكانوا بأول الأمر مجتمعي الكلمة ضد العدو الخارجي. وأما الداخلية فكل منهم يختص نفوذه بحدوده المعروفة، ثم دب الخلاف بينهم مع تمادي السنين، ودخل بينهم الأعداء، ففرقوا كلمتهم، فوجد كل منهم قواه لمحاربة بني عمه، ويستمر النزاع بينهم مدة طويلة، فتارة يتغلب هؤلاء، وتارة يتغلب أولئك، وبقي النزاع على الخصوص بين آل ابن راجح وهو الذي بقي عليهم اسم آل ماضي.

ورئيسهم يومئذٍ رميزان بن غشام الشاعر المشهور، وكانت الغلبة يومئذٍ لآل ماضي وهم أمراء الروضة، بعد أن أجلوا رميزان وجماعته عنها، فنزل هذا قرية (أم حماد) المعروفة في أسفل بلد حوطة سدير ينظر الفرصة بأبناء عمه، إلاّ أنهم لم يتركوه، فقد استنجدوا بأحمد بن عبد الله بن معمر أمير العيينة فأنجدهم بقوة هو رئيسها فقضى على رميزان وأخرجه من (أم حماد) وكان رميزان من الأمراء الممتازين همة وإقدامًا، فلجأ إلى الشريف يزيد بن محسن، وكان له به صلة وثيقة، فشكى إليه ما لحقه من بني عمه واستنجد به عليهم، فأوعده خيرًا، ولكن لم يتمكن من إيجاده، لأن الحالة في الحجاز مضطربة، ولم يهمل أمره كل الإهمال فلما استتب الأمر للشريف في الحجاز خرج غازيًا نجد، بعد هذه الحوادث بخمس سنوات مات في أثناءها أحمد بن معمر، وقتل خلفه ناصر بن عبد الله بن معمر، وقتل بن هلال في خلاف وقع بينهم وبين بني عمهم.

فنزل الشريف زيد ــ الروضة ــ وقبض على محمد بن ماضي وقتله وولى فيها رميزان بن غشام بعد أن نكل بأهل البلد تنكيلاً شديدًا، ثم رحل منها. ونزل بنبان الماء المعروف في العارض قاصدًا العيينة، وبما أن الأمير الذي ساعد آل ماضي قد مات فقد اكتفى بوضع غرامة باهظة في نقود وطعام، فأخذها ورجع وهدأت الحالة بينهم. واستمر رميزان متغلبًا على الروضة طيلة أيام الشريف زيد فلما توفي الشريف المذكور سنة ١٠٧٦هـ قويت شوكة خصومه فرجع أبناء راجح إلى محلتهم بالروضة وعمروها. وتجدد النزاع بينهم كما كان سابقًا إلى أن قتل رميزان وضعفت شوكة آل أبي سعيد. كما سيأتي توضيحه في موضعه من هذا الكتاب.

سنة ١٠٥٦هـ

وفي هذه السنة توفي أحمد بن عبد الله بن معمر أمير بلد العيينة حاجًا في المناسك، وتولى بعده أخيه ناصر بن عبد الله بن معمر ولم تتم له الولاية إلى أشهر معدودة إذ ثار عليه ابن أخيه دواس بن محمد بن معمر فقتل سنة ١٠٥٧هـ وتولى الإمارة من بعده، ولكنه قتل أيضًا سنة ١٠٥٨هـ، وتولى بعده محمد بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر وأجلى منها آل محمد.

وفاة الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل

وفي آخر سنة ١٠٥٩هـ: توفي الشيخ الإمام العالم محمد بن أحمد بن إسماعيل في بلد أشيقر وهو من آل بكر من سبيع، أخذ الفقه عن عدة مشايخ من أجلهم: الشيخ أحمد بن محمد مشرف وغيره.

وأخذ عنه جماعة، منهم: الشيخ أحمد بن محمد القصير، والشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان وغيرهم. وكان الشيخ بن إسماعيل معاصرًا للشيخ العلامة سليمان ابن علي بن مشرف جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وللشيخ منصور بن يونس، البهوتي شارح «الاقناع» و «المنتهى» ــ والشيخ مرعي بن يوسف.

سنة ١٠٦٣هـ وقعت الشبول وأهل بلد التويم

الشبول فريق من البادية لا أعلم من ينتسبون إليه من القبائل، وقد وقع بينهم وبين أهل بلد التويم اختلاف لا نعرف سببه، ولكن قياسًا على حالة البادية وتغلبها إذ ذاك، وكثر اعتداءاتها ترجح أنهم فرضوا على أهل بلد التويم أمرًا ليس لهم فيه حق، واضطروا إلى امتشاق الحسام دفاعًا عن

أنفسهم وأبوا أن يذعنوا لمطالبهم وفضّلوا أن يأخذوا منهم أضعافها قهرًا بعد أن يقوموا بواجبهم، فوقع بينهم قتال شديد قتل فيه من أهل التويم عدد كثير وأثخنوا في عدوهم وأبعدوه.

قتل مرخان بن مقرن

وفي سنة ١٠٦٥هـ: قتل مرخان بن مقرن قتله ابن عمه وطبان بن ربيعة واستولى على نصيبه المعروفة في الدرعية.

وفي هذه السنة خرج الشريف محمد الحارث إلى نجد، وأغار على آل مغيرة في (عترباء) الموضع المعروف عند بلد الجبيلة.

خروج الشريف زيد بن محسن إلى نجد

وفي سنة ١٠٦٩هـ: خرج الشريف زيد بن محسن إلى نجد ونزل (قرى التويم) المعروف بين التويم وجلاجل في سدير، وقدم في سدير وأخر وأخذ وأعطى، وهذه آخر غزوة غزاها إلى نجد، وتوفي سنة ١٠٧٦هـ.

ولاية عبد الله بن أحمد بن معمر في العيينة

قد ذكرنا في حوادث سنة ١٠٥٨هـ ولاية محمد بن حمد بن معمر على العيينة، ولم نقف على شيء في حوادث (العيينة) في مدى عشر السنوات، وإنما نرجح أنه توفي سنة ١٠٧٠هـ ألف وسبعين حيث ذكر ابن بشر ولاية عبد الله بن أحمد بن معمر بهذه السنة.

غزوة ابن معمر لأهل (البير)

وفي سنة ١٠٧١هـ: سار عبد الله بن أحمد بن معمر أمير العيينة إلى

(البير) القرية المعروفة في المحمل وأغار عليهم وأخذ إبلاً في سوانيهم، ثم بعد مدة أقبلت قافلة لأهل العينة فأغار عليها أهل بلد البير وأخذوها، فجهز عليهم عبد الله بن معمر وسار إليهم قاصدًا الانتقام منهم، فلما وصل قرب البلد وجمع جنود كثيرة وفيهم الشيخ القاضي سليمان بن علي وغيره من الأعيان.

ونزل على حدود البلد وجعل السطوة وأهل النجدة من قومه تحت جدار السور فوقع الجدار عليهم ومات منهم خلق كثير تحت أنقاضه. فكفى الله أهل (البير) شره ورجع إلى بلده بمن بقي معه وقد أنصف الله منه.

وفاة الشريف زيد بن محسن

وفي سنة ١٠٧٦هـ: توفي الشريف زيد بن محسن، وتولى مكانه ابنه سعد بن زيد بعد منازعات ومشاجرات بينه وبين ابن عمه الشريف حمود بن عبد الله، فتغلب عليه الشريف سعد بن زيد، فخرج الشريف حمود إلى (ينبع) مغاضبًا للشريف سعد، وأقام بها متغلبًا على ما حولها وحصل بينهما حروب ومنازعات، ليس هنا موضع ذكرها، إذ المقصود من بحثنا هو ما يتعلق بنجد.

خروج آل عبد الله الأشراف إلى نجد

وفي سنة ١٠٧٩هـ: خرج آل عبد الله الأشراف إلى نجد وأغاروا على (الظفير القبيلة) المعروفة في نجد وكان هؤلاء قد انتذروا بهم فاجتمعوا واستعدوا للقائه، وحصل بينهم قتال شديد ثم انهزم الأشراف، وقتل الظفير منهم قتلى كثير.

خروج الشريف حمود بن عبد الله

وعلى أثر هذه الوقعة، خرج الشريف حمود بن عبد الله قاصدًا الظفير للتنكيل بهم والانتقام منهم، ولكنه قبل أن يصلهم أغار على عنيزة، وحصل بينه وبينهم وقعة شديدة، ثم أغار على بني حسين وحصل بينه وبينهم قتال، ثم أغار على (هتيم) وكذلك حصل بينهم وقعة ثم أغار على مطير وحصل بينهم وقعة شديدة، فلمّا بلغ الظفير خبر هذه الوقعات وعلموا أنه سيقصدهم أفزعهم ذلك لما وقع بينهم وبين آل عبد الله كما سبقت الإشارة إليه.

فلمّا قرب من منازلهم انضم إليه الصمدة فخذ من الظفير، لأنهم لم يشتركوا في الحوادث المتقدمة، وكأن الظفير خافوا بطش الشريف، فأرادوا أن يصلحوا أمرهم معه على أن يأخذ منهم (الشعثاء ــ و ــ النعامة) وهي خيار أوائل الإبل وخيار تواليها كما هو المعتاد، فركب شيخ الظفير الأكبر سلامة بن سويط، وقدم على الشريف وأراد أن يسترضيه، وعرض عليه ما تقدم، على أن يعفوا عنهم، فلم يقبل، فقال سلامه: إذا لم تقبل ذلك فاحبسني لتتمكن من أخذ ما تريد منهم.

وسلامة يقول ذلك، رغبة منه في حقن الدماء، ويرى أن المال مهما بلغ فهو أخف ضررًا من القتال، لأنهم لا يريدون أن يتمادوا في عداوة الأشراف، لما لهم من السلطة في الحرمين ونجد أيضًا. ولكن الشريف حمود أبى أن يقبل ما أشار به ابن سويط، فذهب سلامة إلى قومه وقد تهيؤا للقتال، وكذلك الشريف حمود، فانخذلت الصمدة عن الشريف، وانحازوا إلى بني عمهم، ولم يبق معه إلا بني عمه وعدوان فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالاً شديدًا، قتل فيه من الأشراف زين العابدين بن

عبد الله، وأحمد بن حسن بن عبد الله، وشنبر بن أحمد بن عبد الله، وغيرهم كثير من سائر قومه، ولم يدرك من الظفير مأموله، فرجع.

فلمَّا مضى مدة قليلة، أعاد الكرة عليهم الشريف، غالب بن زامل وصبحهم وقتل منهم نحو ستين رجلاً، ولم يزل الحرب والقتال بين الأشراف وبين الظفير إلى أن أصلح بينهم الشريف أحمد بن زيد وتوفي الشريف حمود سنة ١٠٨٠هـ بعد أن وقع الصلح بينه وبين أمير مكة الشريف سعد بن زيد.

وفاة الشيخ سليمان بن علي بن مشرف

قال ابن بشر:

وفي سنة ١٠٧٩هـ: توفي الشيخ العالم الفقيه سليمان بن علي مشرف جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان سليمان رحمه الله فقيه زمانه متبحرًا في علوم المذهب وانتهت إليه الرياسة في العلم، وكان علماء نجد يرجعون إليه في كل مشكلة في الفقه وغيره.

وقال ابن بشر: رأيت له سؤالات عديدة، وجوابات كثيرة، وصنف كتابًا في المناسك، ثم قال: وذكر لي أنه شرح «الإقناع» فلما علم أن منصورًا البهوتي شرحه أتلف الشيخ سليمان شرحه.

أخذ العلم عن علماء أجلاء منهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف وغيره، وأخذ عنه جماعة منهم: أحمد بن محمد القصير، وابنه عبد الوهاب، والد الشيخ محمد وإبراهيم وغيرهم.

قتل رميزان بن غشام الشاعر المشهور

رميزان بن غشام من آل ابن سعيد من بني تميم، وقد تقدم الكلام في

المنازعات التي جرت بينه وبين بني عمه، وذكرنا تقلبه على الروضة، وأن نفوذه ضعف بعد وفاة الشريف زيد بن محسن. وذكرنا رجوع أبناء عمه آل ابن راجح إلى محلتهم، وتجدد المنازعات بينهم، واستمرت الحروب كما كانت سابقًا إلى أن قتل رميزان في سنة ١٠٨٩هـ حسب رواية ابن بشر، وفي بعض الروايات أنه قتل أو مات في حدود سنة ١٠٨٤هـ أو ١٠٨٥هـ.

والرواية الأخيرة أصح كما يتضح من سياق الكلام، وتأييد الرواية الأخيرة عن رميزان نفسه، وليس لدينا معلومات كافية عن تفصيل الحوادث الجارية بينه وبين عمه لغموض المصادر، ولكن استنتجنا ذلك من بعض شعره الذي يثبت أنه في سنة ١٠٨٣هـ، ١٠٨٤هـ لم يزل على قيد الحياة كما سيأتي بيانه بعد شرح الحوادث التي تقدمته.

تأسيس بلد ثادق سنة ١٠٧٩هـ

ثادق بلد في ناحية المحمل وهي قاعدته عمره آل عوسجة وغرسوه وسكنوه، ولا أعلم هل هذا أول عمرانه أو أنه قد أسس قبل ذلك وخرب، أو أن هذا تحديد لعمرانه الأخير كما هي الحال في أكثر قرى نجد، فإنها تعمر وتسكن، ثم يرتحل أهلها ويتركوها لسبب من الأسباب، ثم يأتي بعدهم من يسكنها ويجدد عمرانها، ولكن من الثابت أن عمران بلد ثادق في سنة ١٠٧٩ لم يزل كما هو الآن.

استيلاء آل عريعر على الأحساء وإخراج الترك منه

سبق الكلام على استيلاء حكومة الترك على الأحساء في النصف الأول من القرن العاشر، وذكرنا الأسباب التي دعتهم إلى احتلال

الأحساء، وتفويض إمارة آل أجود بن زامل العقيليين، فاستمرت إمارتهم عليها نحو مائة وثلاثين سنة، فلما ضعف شأن الترك، وكثرت الثورات الداخلية في بلادها، والحروب الخارجية مع الدول لطمعهم في أملاكها، واطمئنت على القسم الشرقي من جزيرة العرب من أن تحتله إحدى الدول، رأت أن تسحب بعض القوات التي خصصتها للمحافظة على متصرفية الأحساء، واكتفت بقوة ضئيلة تحفظ مقامها الأسمى، فاختل نظام الأمن وتغلبت البوادي على مقدرات هذا القطر، وكانت قبيلة بني خالد هي القوة المسيطرة على أطراف الأحساء والقطيف ونواحيهما، فأطمعهم ما رأوا من ضعف الحكومة وعجزها عن حفظ الأمن، فهاجموا القوة المرابطة في الأحساء، وتغلبوا عليها وأخرجوها من الأحساء والقطيف، واستولوا عليهما بعد أن قتلوا راشد بن مغامس رئيس آل شبيب، وكان مشايعاً للترك، فطردوا جماعته بعد أن أخذوهم. وكان استيلاؤهم عليه سنة ١٠٨٠هـ، وقيل: سنة ١٠٨٢هـ وهو الأصح اعتماداً على الشعر الذي قيل في تاريخ ولايتهم:

رأيت البدو آل حميد لمّا	تولوا أحدثوا في الخط ظلمًا
أتى تاريخهم لما تولوا	كفانا الله شرهموا

(طغى الماء) ١٠٨٢هـ.

والخط اسم لناحية القطيف وتوابعه، وسيأتي تذييل بعض الأدباء على هذين البيتين في تاريخ زوال حكمهم من الأحساء سنة ١٢٠٨هـ، فيما أخرجهم منها سعود بن عبد العزيز، وكان رئيس بني خالد يومئذٍ براك بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد، وهو أول أمير في الأحساء

من آل حميد، فلما تولى الأحساء حاول أن يبسط نفوذه على نجد وعلى البوادي، ففي السنة الثانية لولايته الأحساء خرج غازيًا نجد فأغار على آل سبهان من آل كثير وأخذهم على سدوس القرية المعروفة في الشعيب وطرد الظفير.

وفي سنة ١٠٨١هـ: تصادم الظفير وقبيلة الفضول وحصل بينهم قتال شديد في موضع يسمى الكثيال في نجد.

أمارة عبد الله بن إبراهيم العنتري في ثرمدى

العناقرة من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم، وثرمدى بلد في ناحية الوشم على حدوده من الشرق، وهي قرية قديمة، ذكرها ياقوت في «معجم البلدان»، وقد ذكرناها في كتابنا «المعجم» وشرحنا ما وقفنا عليه من تاريخها القديم وتاريخها الحديث، إلاَّ أننا لا نعرف أمراءها فيما قبل هذا التاريخ، وأول أمير تولى فيها حسب ما نعلم هو عبد الله بن إبراهيم العنقري سطى فيها سنة ١٠٨١هـ، واستولى عليها وتولى الإمارة فيها، ولم تزل الإمارة فيها بيدهم إلى وقتنا هذا، أي منتصف القرن الرابع عشر، وهما من البلدان التي قاومت محمد بن سعود طيلة أيام ولايته، وشطرًا من ولاية عبد العزيز بن محمد، كما سيأتي بيانه بموضعه.

الفتنة بين أهل بلد الحصون سنة ١٠٨٤هـ

ذكرنا فيما تقدم تأسيس آل تميم بلد الحصون سنة ١٠١٥هـ، والفتنة التي وقعت بينهم وبين أهل القارة المعروفة عند صبحا. وهذه عادة القرى، فإن المنازعات بينهم لا تفتر خصوصًا إذا كان في القرية أو البلد حزبان قويان يتنازعان السيادة.

وبلد الحصون من هذا النوع فإن فيها أمراءها آل تميم وهم أصحابها الشرعيين الذين أسسوها، ولكن القوة لا تعترف بهذا الحق لصاحبه، فإن آل حديثة عصبة قوية فأرادوا الاستئثار بالسلطة بحكم القوة فثاروا على آل تميم وأخرجوهم من البلد، وتولى الإمارة رئيسهم مانع بن عثمان بن عبد الرحمن آل حديثة، فلجأ آل تميم إلى إبراهيم بن سليمان أمير جلاجل البلد المعروف فاستنجدوه على آل حديثة فأنجدهم، وسار معهم وأسس قوة كبيرة هاجم بلد الحصون فاستولى عليها وأخرج منه مانع بن عثمان شيخ آل حديثة، وبقي آل تميم في بلدهم سنة ١٠٨٣هـ وتولى فيها عدوان بن سويم آل تميم.

وقعة التاع بين أهل التويم وأهل جلاجل

التويم قرية في سدير شهرتها أكبر من مساحتها، لأنها على صغرها وقلة سكانها، عزيزة الجانب لا يرام حماها، ولا وثام جارها، ولا يصطلى بنارها، أهلها ذو شجاعة وإقدام أقرب إلى التهور، أقرب الناس إلي فتنة وأشدهم مراسًا لا ينامون على ضيم، وهم كما قال فيهم رميزان[1]:

أهل التويم رأس الحية   من يطأها يأخذ حذر

أمراءها آل مدلج من بني تميم[2]، وقد ذكرنا خلافهم مع آل حمد ومهاجرة هؤلاء إلى موضع حريملاء وعمروها وسكنوها كما بيناه سابقًا.

ولهم وقائع مشهورة لا زالت تتناقلها الثقة من الرواة، تركناها لعدم

---

(١) هذا من شعر حميدان لا من شعر رميزان.

(٢) آل مدلج ليسوا من تميم بل من عنزة.

الاعتماد على رواتها لأن طول المدة تبطل الثقة بالنقل إذا لم يكن مسجل، لما اعتاد الناس عليه من التحريف والزيادة والنقصان. وإنما اقتصرنا على بعض النبذ التي أوردها ابن بشر في سوابقه ترسمناها متفرقة على حسب ترتيب حوادث السنين، على أننا قد استوفينا ذلك بكتابنا «المعجم» في كلامنا على التويم، وأضفنا إليه الحوادث الحديثة فمن أراد استكمال البحث عن التويم فليرجع إلى موضعه من الكتاب المذكور.

قال ابن بشر في حوادث سنة ١٠٨٤هـ: وفي هذه السنة حصل وقعة بني أهل التويم وأهل جلاجل في موضع يسمى القاع قتل في هذه الواقعة رئيس جلاجل إبراهيم بن سليمان، ورئيس بلد التويم محمد بن زامل بن إدريس بن حسين بن مدلج، وعده رجال من الفريقين، وهذه من الحوادث العادية التي تقع دائمًا بين أهل القرى لا لتأييد حق ولا لطلب التوسع في الملك، وإنما للتشفي والانتقام، وفي الحوادث الماضية والحوادث التالية ما يؤيد ذلك.

إمارة راشد بن إبراهيم في بلد مراة

مراة قرية قديمة ولها ذكر في التاريخ، وقد كانت قديمًا لبني امرىء القيس بن زيد مناة، وقد ذكرناها في كتابنا «المعجم» وذكرنا شيئًا من تاريخها القديم وما ورد فيه من الأشعار. وأمّا التاريخ الحديث فهذا أول خبر وقفت عليه في شأنها.

قال ابن بشر:

وفي سنة ١٠٨٤هـ: تولى راشد بن إبراهيم في بلده مراة البلد المعروفة في الوشم.

قتل ناصر بن محمد أمير الدرعية

وفي سنة ١٠٨٤هـ: قتل ناصر بن محمد أمير الدرعية وأحمد بن وطبان، ولم يذكر من قتله ولا أسبابه. وتولى من بعده محمد بن مقرن جد محمد بن سعود مؤسس إمارة آل سعود الأولى.

حوادث سنة ١٠٨٥هـ

في هذه السنة قحط وغلاء، ارتفعت فيه أقيام الأطعمة لقلة الأمطار، وضعف الزراعة، وحصل في ذلك مشقة عظيمة على أهل نجد عمومًا حاضرتها وباديتها. فانحدرت بوادي الفضول من نجد إلى العراق، ورأت من الخصب وطيب المرعى ما أعجبها، فاستقرت هناك حتى الآن، إلاَّ أن غالبهم تحضروا ولا أعرف لهم بادية موجودة على عاداتها، لا في نجد ولا في العراق، منهم قبائل الفزي على الضفة القريبة من الفرات من الناصرية إلى الخَضِر.

رجوعًا إلى تحقيق مقتل رميزان بن غشام أمير الروضة

تقدم الكلام على قتل رميزان بن غشام الشاعر المشهور أمير روضة سدير في حوادث ١٠٧٩هـ، حسب رواية ابن بشر ووعدنا أن نبدي ملاحظتنا على عدم صحة هذه الرواية، وها نحن نورد الدلائل التي تؤيد ما ذهبنا إليه.

من الثابت أن آل حميد استولوا على الأحساء والقطيف سنة ١٠٨٢هـ، حسب رواية ابن بشر نفسه، ومما لا شك فيه أن رميزان تلك السنة لم يزل على قيد الحياة وإليك الشاهد من كلام رميزان نفسه، وذلك أنه وقع بين رميزان ورشيدان سور تناهم، فخرج هذا وقصد براك بن غرير

حاكم الأحساء غاضبًا لأخيه، وأقام في الأحساء مدةً حاول رميزان في أثنائها استرضاءه فلم يفلح، ومما أرسل إليه في هذا المعنى، قصيدته المشهورة، نقتطف منها الأبيات التي هي محل الشاهد، ومطلعها:

وفيها يقول معاتبًا لأخيه:

ولا خير فيمن لا يسر مصاحب ... ويبقى بالفعل الجميل محاربا
يا قانع فللأمور نتيجة ... بغد وبعد غد لهن عواقبا
واعرف مصادير الأمور لورودها ... فالغالب أن هوى النفوس الغالبا

إلى أن قال يخاطب براك بن غرير وأخيه محمد:

وا خلاف ذا يا منزل قد حل به ... للشرق من وادي سدير راكبا
انقل وقيت رسالة مكتوبة ... إن الكتاب بيان عقل الكاتبا

إلى أن قال:

فعمهم لي بالسلام وخصلى ... بيت الحجا منها وملقى الطالبا
براك بن غرير أزكى خالد ... دين وأكرمها يدًا مناسبًا
ثم أنشده عن طارش متقرب ... عند وعنا له سنين غايبا
لا سابق جنوى ولا به ضيجة ... ما غير مقدور وما الله كائبا

إلى أن قال مخاطبًا لأخيه:

فإلى هداك قفل لمن لا يرعوي ... بالجهل ما هذا الخمال الواجبا
إن فات بالدنيا فطرة مبغض ... وسرور ذا ودٌّ نسعيك خايبًا

إلى أن قال:

وإن كان طرب للحروب وقربنا ... فعمارنا بنوايب وحرايبا

وإن كان من شأن القيود وجمعها | وفاجر ما هي لنا المطالبا
قمنا على أساس تقييد مفاخر | نخص بها تحت العجاج الشاقيا
نبتاعها بفوائد وفقايد | في مجد مسلوب الفوايد سالبا
وأخبار الأشيا ما قضى توب الفتى | فالدهر مغلوب ومر غالبًا
عش ما تعيش فكل حي ميت | حش ما تحوش فكل شيء ذاهبا

فأجابه رشيدان بقصيدة على رويها وقافيتها، ومطلعها:

قم من ربا عرصات هجر ضاربا | درب الرشاد على إسناد الغاربا

ثم أخذ يصف راحلة رسوله ويصف له الطريق الذي يجب أن يسلكه في رحلته حتى انتهى إلى المحل المقصود فقال:

وادي سدير حصى صبحًا بالضحى | تلقى بها لي خلة وأقاربا
أولاد من بنتِ سعيد باللقى | عز النزيل شتى الخصيم الجاربا
فاقر السلام جميعهم ولمن رقى | ورج المعالي ما أحمّ الشاربا
أعني أجدى أزكى الأنام وقل له | ليته لعلمه بالقوافي ذاريا
ما والذي سمك السموات العلى | وله الدعاء ينابر ومحاربا
بعث الديار مخافة إلاّ أنني | خبره على الأمر العظيم الكاذبا
كم مررتني لمهمة وصدقيا | بعزيمة ما طغت شور الزاربا

إلى أن قال:

تركتها واليوم في رأس الشثي | عن ضيمها في صفو عيش مشاربا
في خف براك وأخوه محمد | الصافط الساطي الشجاع الضاربا

إلى أن قال:

يا ناصحي قولك أجر عن حيهم | أسمعت أصم من قدام شاربا

مالي أبيع أهل المروة والضحى		بسكوت قصر في سدير خاربا
شف ما تشوف فأنا بحالي شايف		من باع هاك أبهات كفه ناربا

فمن هذا الشعر يتضح أن رميزان موجود بعد استيلاء آل عريعر على الأحساء بمدة لا تقل عن ثلاث أو أربع سنوات، بدليل قوله:

ثم أشده عن كارش متغرب		عنده وعنا له سنين غايبا

فهذا يدل على أن خطابه هذا، لم يصدر إلاّ بعد مدة من ولاية آل عريعر الأحساء، ولما لم تنجح مفاوضته مع أخيه استعان رميزان بخالهما جبر بن سيار فاستأنف هذا مفاوضة ابن رشيدان، وأرسل له قصيدة أنحى عليه فيها باللائمة لمقامه عند آل عريعر، تركنا شرحها خوفًا من الإطالة، على أننا قد شرحنا أخبارهم وأشعارهم في كتابنا: «المعجم» عند كلامنا على روضة سدير، ولم نقف على جواب ارشيدان، لكن من الثابت أنه بقي عند آل عريعر إلى ما بعد قتل رميزان.

وهذا الشرح والشعر أوردناهما شواهد لإثبات الرواية التي تؤيد وجود رميزان إلى سنة ١٠٨٤هـ، خلافًا لما أورده ابن بشر في السوابق.

أسر سلامة ابن صويط

وفي سنة ١٠٨٦هـ غزى براك بن غرير أمير الأحساء، وأغار على الظفير وحصل بينهم قتال، فأسر سلامة بن صويط شيخ الظفير طرحه براك بن غرير رئيس بني خالد في مجالدة الخيل، وأسره وبقي عنده، ولهذه القصة حكاية لطيفة، لا زالت بأفواه الرواة إلى هذا اليوم نوردها تفكهًا للقراء.

قيل: أن سلامة بن صويط لما أسره براك بن غرير بذل عن نفسه فدية

كبيرة من الخيل والجيش، فأبى براك أن يقبل منه، فلما كانت السنة الثانية، طلب براك الفدية من ابن صويط، فامتنع هذا عن أدائها، فبقي في أسره، فلما كان أثنار تلك السنة وخرج براك للبر حسب عادته يستوفيه، فبلغ الخبر ابن سلامة بن صويط فخرج ومعه من أشداء قومه نحو عشرة رجال، فلما وصل قرب المنزل الذي فيه براك، نزل بعيدًا عنه وأخذ يتجسس حتى عرف موضع خيمة حرم براك بن عزيز، فلما كان النصف الأخير من الليل تسلل إلى خيمة حرم براك، ودخلها خفيةً دون أن يشعر به أحد، وكان لبراك ولد نائمًا بجانب أمه، فنزعه بلطف وخرج ولم يعلم به أحد، فوصل إلى رفاقه وركبوا ركابهم (مطاياهم) وساروا مجدين فلم تطلع الشمس إلاَّ وهم قد أبعدوا عن ديرة بني خالد، فأخذوا لأنفسهم بعض الراحة، ثم ساروا كسيرهم الأول، فلما صار اليوم التالي صادفه رجل من الصلبة، قال: ألا تريد إجازه حسنة، قال: ومن لي بذلك، قال: تسير إلى براك بن غرير في الموضع الفلاني تجده مضطرب الفكر على فقد أحد أولاده، فبشره بسلامة ابنه، وهذا الولد المفقود هو الذي أمامك، وقل له: يسلم عليك فلان بن سلامة بن صويط. ويقول: الولد محفوظ عندنا، وسيكون عندنا على الحالة التي سيكون فيها والدي عنده من خير وشر، فمتى أراد ابنه فليطلق سراح أبي، فوصل الصلبي عند ابن غرير ووجده بغاية الكدر بعد مضي ثلاثة أيام لا يعلم عن حالة ابنه شيء، وقد أرسل الخيل والجيش يطلبه فوجد أثر الركائب وتبعوها، إلى أن دخلت في أراضي الظفير ورجعوا خائبين، وقد ترجح لديهم أن الابن قد قتل، فلما قدم الصلبي على براك وأخبره عن ابنه وبشره بسلامته، سر سرورًا عظيمًا، فأنعم عليه بكسوة، ومنح له بعض الدراهم، واطمئن خاطره على والده،

فاستدعى سلامة بن صويط وقال: ألم ترى عمل ابنك بنا فأخبره بالخبر وأنه هو الذي اختطف ابنه، قال:

من قال أنا خير الملا ربحه العنا ء من قال أنا ضيم الرجال إضام

فجهز براك بن غرير جيشًا وأخذ رسالة من سلامة بن صويط إلى ابنه يوصيه بإكرام الولد وأن لا يمسه بسوء، بل يبالغ في إكرامه، وكتب براك إلى ولد سلامة بن صويط يخبره أن والده عنده على بساط العز والكرامة، وأنه سيجيزه بما يليق به ويرسله إليه بعد ثلاثة أيام، واحتفظ به إلى أن يأتيك الطارق الذي سنرسله مع والدك، فالتقت الرسل على ابن صويط وشاهدوا الولد على أحسن حال، فلم يلبث إلاَّ أيام قليلة حتى قدم عليه أبوه مزودًا بالهدايا والعطاء الجزيل من خيل وجيش وكسوة، فأرجعوا الابن إلي أبيه كما أرجع الوالد على ولده.

حوادث سنة ١٠٨٨ هـ

وفي هذه السنة ظهر الشريف محمد الحارث إلى نجد، فيض على غانم بن جاسر رئيس الفضول وقتله، ثم سار قاصدًا الظفير، وكانوا يومئذٍ في الظلتعة من قرى القصيم، فبلغهم خبر الشريف، واستعدوا للقائه، فأغار عليهم وحصل بينهم قتال شديد، قتل فيه من الطرفين قتلى كثير، وصارت الدائرة على الظفير، ثم قدم عليه شيوخهم فاجعلوهم، وأخذ عليهم النعال، وأنزلهم في مسلمي (أحد جبلي شمر).

وفيها غزى براك بن غرير وأغار على آل عساف، عند الزلال المعروف عند الدرعية، وأخذهم.

وفيها أغار العناقر أهل ثرمدي على بلد حريملاء، ووقع بينهم قتال، قتل فيه رجال رجعود بدون نتيجة.

حوات سنة ١٠٩٠هـ

وفي هذه السنة، أغار زيادة بن كاس بن قطامي على غنم أهل الحصون، القرية المعروفة في سدير، وأخذها.

وقعة دلقة

وفي سنة ١٠٩٢هـ: حصلت وقعة بين الظفير وعنزة في موضع يسمى دلقة، قتل فيها من عنزة مقتلة كثيرة، وقتل من رؤسائهم لاحم بن خشم النبهاني، وحصن بن جمعان.

قتل عدوان بن التميم

وفيها قتل عدوان بن تميم رئيس الحصون، القرية المعروفة في سدير، ونهبت منزلته، وتولى بعد محمد بن سويلم بن تميم.

وفيها قتل محمد بن بحر، صاحب الداخلة في المنزلة.

وفاة براك بن غرير بن عثمان

وفي سنة ١٠٩٣هـ: توفي براك بن غرير رئيس الأحساء والقطيف، وبني خالد وهو الذي طرد الترك من الأحساء، واستولى عليها. ويقال أن آل حميد وبني خالد هم بقايا بني عُقيل، الذين أخذ الترك الأحساء من أيدهم في منتصف القرن العاشر، كما قدمنا واستردوها في أواخر القرن الحادي عشر.

ويستدل من قال: إن بني خالد من بني عقيل في قول الشيخ أحمد بن علي بن مشرف:

ولا تنسى جمع الخالدين فإنهم قبائل شتى من عقيل بن عامر

وتولى بعده أخوه محمد إمارة الأحساء القطيف، ورياسة بني خالد الذين هم لم يزالوا بادية كما كانوا.

مقتل آل حمد الجلالين

كان دراس بن عبد الله بن شعلان والد دهام متغلبًا على منفوحة، وكان آل حمد الجلالين جيران عنده في منفوحة، فقام عليهم وقتلهم سنة ١٠٩٣هـ وفي هذه السنة قتل راشد بن إبراهيم، رئيس ميرات القرية المعروفة في الوشم، وتولى فيها عبيكة بن جار الله.

مقتل الزاريعي ــ مقتل الزاريع

كانت قرية منفوحة على صغرها منقسمة من حيث النفوذ إلى قسمين إذا جاز لنا أن نسمي ذلك بهذا الاسم ولو مجازًا ــ وكان المتغلب عليها دواس، وينازعه فيها المزاريع، وهم حمولة كبيرة، فقام عليهم سنة ١٠٩٥هـ وقتلهم، وقضى على نفوذهم، وملك فيها ملكًا مطلقًا، وكان دواس هذا جبارًا عنيدًا سفاكًا للدماء، واستقرت إمارته، وطالت أيامهم، ومات في سنة ١١٣٩هـ، تولى بعده ابنه محمد مما سيأتي بيانه بموضعه إن شاء الله.

وليست هذه الحالة مختصة في منفوحة، بل هي حالة تكاد تكون عامة، ففي الخرج مثل ذلك، فإن بين زامل رئيس الدلم وبين عشيرته منازعات فجهزوا عليه وهاجموه، ولكنه تمكن من صدهم، بعدما كبدهم

قتلى كثير، وحصل مثل ذلك بين ابن معمر أمير العيينة وأهل حريملاء. كل هذه الحوادث في سنة ١٠٩٥هـ.

ولاية عبد الله بن محمد بن معمر على العيينة

وفي هذه السنة ١٠٩٦هـ: تولى عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله محمد بن حمد بن حسن بن طوق في بلد العيينة صار له فيها شهرة عظيمة، واتسعت العمارة في العيينة، وكثر أهلها، وتزخرفت في زمانه حتى بلغت الدرجة الأولى بين البلدان في القوة المادية والأدبية، وحج أبوه في هذه السنة، وكان فاتحة أعماله بعد ولايته أن جيز على أهل حريملاء، وسار معه سعود بن محمد بن مقرن صاحب الدرعية، فلما قرب من البلد جعل له كمينًا، ثم أغار على أهل البلد، فخرجوا إليه، ونشب القتال بين الفريقين، فتقهقر ابن معمر خدعةً منه، فتبعه أهل حريملاء حتى كانوا بينه وبين الكمين، عطف عليهم وخرج الكمين، فأطاحت بهم القوة فانهزم أهل حريملاء، وقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً.

وفي هذه السنة قتل محمد بن عبد الرحمن أهل ضرمي جيرانه. وفيها قتل صقر بن شانع في سطوة في طريق نعام. وفيها أيضًا قتل أعيكة بن جار الله أمير مرات القرية المعروفة في الوشم.

وفيها أيضًا سار أهل خريملاء على (القرينية) القرية التي بين حريملاء وملهم، وأخذوها عنوة.

حوادث سنة ١٠٩٧هـ

وفي هذه السنة خرج الشريف أحمد بن زيد إلى نجد في شهر ربيع

الثاني ونزل عنيزة في القصيم وكانت يومئذٍ كغيرها من بلدان نجد منقسمة من حيث النفوذ إلى أربعة أقسام.

١ ـ الجناح: وهي قرية لم تزل على حكمها، شمالي البلد، وأهلها آل جناح من جبور بني خالد.

٢ ـ العقيلية: وهي محلة لم تزل معروفة في البلد، وأهلها آل أبي غنام الذين من ذريتهم آل يحيى الصالح، وآل بكر الذين من ذريتهم محمد الخليف، وذريته الجميع من سبيع.

٣ ـ المليحة: هي محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم، وأهلها آل معمر من الفضل الجراح، وآل زامل، وكلهم من سبيع.

٤ ـ الجادة: وهي أيضًا محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم، وأهلها الشختة المعروفون بالمشاعيب، وهم أبناء عم آل معمر.

وكان النزاع لا زال مستمرًا بين هذه الأقسام، ومن المفهوم أن ثلاثة الأقسام الأخيرة، هي محلات متصلة بعضها ببعض بأسواق، وكثيرًا ما نسد هذه الأسواق أثناء النزاع الذي يحدث بينهم، ويتبادلون إطلاق الرصاص من بيوتهم.

خروج الشريف أحمد بن زيد إلى عنيزة

وفي سنة ١٠٩٧هـ خرج الشريف أحمد بن زيد كما ذكرنا، ونزل عنيزة، ونكل بأهل العقيلية المحلة المعروفة في عنيزة تنكيلاً شديدًا، تجاوز به حدود العقوبة، وانتهب ما فيها وما في نبوتها، ولم نقف على الأسباب التي دعته إلى مثل هذا العمل، إلاَّ الغطرسة والاستبداد، وليست هذه الوحيدة من نوعها من أعمال الأشراف، فقد تقدم ذكر بعض من هذه

الأعمال التي لا مبرر لها، وسيأتي البعض الآخر، ولم ينقطع شرهم عن نجد إلاَّ بعد النهضة الأخيرة، وتوحيد حكومة نجد. كما سيأتي بيانه بمحله.

استيلاء بن معمر على بلد العمارية

العمارية قرية صغيرة في الحيسية وأهلها في وادي الدواسر.

وفي هذه السنة غزى عبد الله بن معمر بلد العمارية، وهاجمها وأخذها عنوة، واستولى على ما فيها، وخرجها وتركها. وفيها أيضًا حصل بين قبيلة آل كثير اختلاف، أدى إلى قتال بينهم، وقتل منهم شهيل بن غنام من رؤسائهم.

وفاة الشيخ عثمان بن فايد

في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٠٩٧هـ: توفي الشيخ العالم عثمان بن فايد النجدي الحنبلي، وله مصنفات في الفقه منها: «شرح كتاب العمدة» للشيخ منصور البهوتي، و«حاشية المنتهى»، وغير ذلك قاله ابن بشر.

حوادث سنة ١٠٩٨هـ

وفي هذه السنة غزى عبد الله بن معمر بلد حريملاء، وفعل كما فعل في غزوته الأولى، وجعل كمينًا ثم أغار على أهل البلد، فلما خرجوا لقتاله، ونشب القتال، خرج عليهم الكمين، فانهزم أهل البلد، وقد قتل منهم عدة رجال، ثم بعد هذه الوقعة تجهز أهل حريملاء وساروا إلى سدوس، ومعهم محمد بن مقرن صاحب الدرعية، وزامل بن عثمان وهدموا قصر سدوس، وخربوه. وسدوس هذه من قرى الشعيب، وهي

التي فيها الآثار القديمة التي يزعمون أنها من آثار طسم وجديس. وفيها المسلة المشهورة في التاريخ، التي هدمت بعد ذلك أثناء النهضة الدينية.

غزوات بن عريعر

وفيها غزى محمد بن غرير حاكم الأحساء ورئيس بني خالد، وقصد العارض وصبح آل مغيرة وآل عائذ، وهم على الحائر الماء المعروف بحائر سبيع، وأخذهم وقتل الخباري من رؤسائهم، ثم ارتحلوا من موضعهم، ونزلوا حائر المجمعة في سدير في أيام الصيف أو آخر الربيع، فأعاد الكرة عليهم ابن عريعر وأخذهم وقتلهم. وغزى آل عساف فأطلبهم رفاقتهم آل نبهان، وقتلوا منهم عددًا كثيرًا من حائر سدير.

حوادث عامة

وفي هذه السنة قتل عبد الله بن أحمد حنيحن أمير البير، وقتل أيضًا حمد بن عبد الله في حوطة سدير، وتولى في البلد القعيسا، وهبّت ريح شديدة رمت في نخيل الحوطة في سدير نحو ألف نخلة.

حوادث سنة ١٠٩٩ هـ

وفي هذه السنة تولى سلامة أبا زرعة في بلد (مقرن) المعروفة في الرياض، وهي محلة في الرياض أي قسم منها، وكل قسم يسكنه عائلات مخصوصة يرجع أمرهم إلى واحد منهم كما هي العادة في أكثر قرى نجد بذلك الوقت.

حوادث سنة ١٠٩٩ هـ

وفي هذه السنة نزلوا عنزة على بلد عشيرة المعروفة في ناحية سدير،

وحاصروها عدة أيام، ووقع بينهم قتال كثير، ورجعوا عنها خائبين.

وفيها غزى محمد آل غرير حاكم الأحساء ونواحيه، وقصد الخرج وحاصره، وحصل بينه وبين آل عثمان أمراء الخرج مناوشات وصابرهم، ولكنه رحل عنه دون نتيجة.

وفيات هذه السنة

وفي هذه السنة قتل جساس رئيس بوادي آل كثير.

وفيها توفي الشيخ الفقيه عبد الله بن محمد بن ذهلان. قال بن بشر: وقد رأيت نقلاً أنه من آل سحوب من بني خالد، وكان له في الفقه معرفة ودراية، أخذه عن عدة مشائخ، أجلهم الشيخ محمد إسماعيل المتوفى سنة ١٠٥٩هـ في أشيقر، وأحمد بن ناصر بن محمد بن ناصر المشرقي وغيرهما. وأخذ عنه عدة علماء، منهم: الشيخ أحمد المنقور صاحب مجموعة الفقه، ومحمد بن ربيعة العوسجي في بلد (ثادق) وغيرهما.

وفيها: توفي أخوه.

وفيها توفي الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان، والشيخ الفقيه محمد بن عبد الله أبي سلطان الدوسري. وفيها كثر الله الكلأ والعشب والجراد ورخص الطعام رخصًا عظيمًا. وبلغ التمر عشرون وزنة بالمحمدي أكبر خمسة آصع بالمحمدية (المحمدية جزء من ـ جزء من الريال) وهذا السعر في ناحية سدير، وأما في العارض فقد بيع التمر في الدرعية إلى وزنه بأحمر (والأحمر نوع من الذهب يساوي مقدار ريال بعملة اليوم).

وأرّخ هـذه السـنة عبـد الله بـن علـي بـن سعـدون وهـو إذ ذاك فـي الدرعية، قال:

مجـد الإلـه والشكـر تعـج	لسحـب تبـخ وارض تمـح
وتمـر ثـلاثـة أصـواعـه	بـدفـع المحلـق فيهـا تـزح
دبـر فحـرف بِـوَسْقَيْنِـهِ	وتـاريخـه ذا كـاد يشبـح

المحلق نوع من العملة بذلك الوقت يساوي المحلق الواحد بعملة اليوم وكذلك الحرف نوع من العملة يساوي الواحد منه بعملة اليوم وهما من أجزاء الريالات التي يتعاملون بها في زمانهم. والوسق، قال المذكور: ستون صاعًا بصاع العارض.

حوادث سنة ١١٠٠هـ

وفي هذه السنة نزل الحواج الثلاثة بلد عنيزة في القصيم:

حاج العراق. وحاج الأحساء ونواحيه.

وحصل في البلد موسم عظيم واستفادت البلد من ذلك فائدة كبيرة وغلي فيه الطعام. ولمّا رحل الحاج العراقي، ونزل قرب التنومة آخر قرى القصيم من جهة الشرق، أغار الظفير والفضول على الحاج، وأخذوه.

وفي هذه السنة مناخ بين زعب وعدوان وبني حسين. ولم يذكر نتيجته ماذا كانت، وفيها تصالح عبد الله بن معمر وأهل حريملاء.

وفيها مات عبد الله بن إبراهيم رئيس بلد ثرمداء. وتولى في البلد من بعده أخيه ريمان بن إبراهيم.

حوات سنة ١١٠١هـ

وفي هذه السنة قتل مرخان بن وطبان، قتله أخوه شقيق إبراهيم بن وطبان غدرًا.

عمار قرية حريملاء

وفي هذه السنة عمرت القرية. القرية المعروفة عند حريملاء، عمّرها ابن صقبة، وليس هذا أول تأسيسها، لأنها قديمة، وكانت قديمًا تلحق بملْهم قبل تأسيس حريملاء، ثم نسبت إلى حريملاء لقربها منها، ولأن حريملاء انتزعت الشهرة من ملهم. ولم تزل القرية كما كانت قديمًا قرية صغيرة، وقد خرّبت بعد تأسس ابن صقبة، ثم عمّرها الشيخ محمد بن مقرن بن مسند الودعا في سنة ١٢٢٢هـ، وبقيت كذلك إلى الآن، كما سيأتي بيانه بموضع. اهـ.

حوادث سنة ١١٠٢هـ

وفي هذه السنة مات محمد بن غرير حاكم الأحساء والقطيف ونواحيها، وقتل ابن أخيه ثنيان بن براك بن غرير، وقتل سرحان. وتولى إمارة الأحساء بني خالد سعدون بن محمد آل غرير.

حوادث سنة ١١٠٣ ـــ ١١٠٤هـ

وفي هذه السنة حضر ابن جاسر في أشيقر وأظهره بنو حسين. وفيها قتل وصلط الجربا.

وفيها سطا آل عوسجة أهل ثادق على أحمد بن حسن بن حنيحن في البير وقتلوه، ووقعت الحرب بعد ذلك بين أهل البير وأهل ثادق.

وفيها قتل عبد الله بن سرور العربتي من شيوخ أهل أرغبة.

حوادث سنة ١١٠٥هـ

وفي هذه السنة وقع الحرب بين أهل سدير قتل فيه محمد بن سويلم ابن تميم ريس بلد الحصون. وقد تقدم الكلام في حوادث السنة الماضية عن قتل بن حنيحن ووقوع الحرب بين أهل ثادق وأهل البير، ففي هذه السنة حصل بينهم قتال، قتل فيه حمد بن جميعة وغيره من أهل ثادق، وغزى أهل ثادق وأخذوا خيل لابن معمر صاحب العيينة.

وغزى نجم بن عبيد الله بن غرير، وأغار على آل كثير قبيلة معروفة بذلك الوقت وهزموه، وزبن قرية العطار المعروفة في سدير، وحجزوه فيها فأخذوه إلى ابن سلمة وأخرجوه.

وفيها خرج الشريف سعد بن زيد إلى نجد، ووصل الحمادة المعروفة في سدير ثم رجع.

حوادث سنة ١١٠٦هـ

وفي هذه السنة لم يحصل حوادث حروب إلاّ ما ذكر ابن بشر في وقعة (عروى)، وعروى هذه ماء في نجد حصل فيه وقعة على السهول، قتل فيها منهم نحو سبعون رجلاً، ولم يذكر الطرف المقابل إلى السهول ولا أسبابها ونتائجها، وإنما ألمح إليها إلماحًا لم نستطع أن نفهم منها سوى عدد المقتولين.

وفي هذه السنة توفي محمد بن مقرن بن مرخان صاحب الدرعية. وإبراهيم بن راشد بن مانع أمير التعسب.

وفيها قتل إبراهيم بن وطبان قتله يحيى بن سلامة، وإبراهيم هذا هو الذي قتل أخاه مرخان غدتا سنة ١١٠١هـ.

حوادث سنة ١١٠٧هـ

وفي هذه السنة خرج الشريف سعد بن زيد، ونزل بلد أشيقر في الوشم وحاصر أهلها وطلب أن يخرج إليه الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين ومحمد بن أحمد القصير، فخرجا إليه فحبسهم وطلب على أهل البلد مطالب، وكان ذلك في شهر رمضان، والزروع قد استوت، فخافوا من الشريف أن تبلغها عليهم فأفتى الشيخ الفقيه أحمد بن محمد القصير لأهل البلد أن يفطروا ويحصدوا زروعهم، ففعلوا، وأخذوا يماطلون الشريف حتى أحرزوا ثمرة زروعهم فامتنعوا ولم يدرك منهم مطلب فرحل عنهم.

وفيها سطى الحسين في بلد الزلفى وملكها بعد وقعة شديدة.

وفيها أيضًا غدر آل عبيول أهل حوطة سدير في آل شقير وأجلوهم عن البلد، وتولى في البلد هذلان التميمي وإخوانه ــ وخرج آل شقير إلى العيينة عند بن معمر.

وفي هذه السنة قتل إدريس بن وطبان صاحب الدرعية وكان قد تولى فيها بعد وفاة محمد بن مقرن ــ ثم تولى بعد إدريس سلطان بن حمد القيس.

حوادث سنة ١١٠٨هـ

وفي هذه السنة حصل وقعة بين الظفير والفضول في موضع يسمى الأبرق فانهزم الفضول وقبض الشريف عبد العزيز على سلامة بن صويط

رئيس الظفير وربطه، ولعل لذلك علاقة بحادثتهم مع الفضول، وكان الأشراف يتدخلون في شؤون نجد وفي شؤون القبائل تدخل فعلي على أن الشريف عبد العزيز ليس هو صاحب السلطة في الحجاز، ولا هو مندوب من قبله، وإنما كل شريف يعمل لحساب نفسه إذا فاقت عليه المشاكل في الحجاز جمع له من أوباش الناس من لا يعيش إلاَّ بالسلب والنهب ثم يخرج لنجد، كما كانت مفككة الأوصال لعدم الرابطة بينهم واختلاف الكلمة، فينزل أي بلد يقتضيه نظره، ثم يضع عليه ضريبة إن دفعوها وإلاَّ انتهب البلد بما فيها، فهذه كانت أعمالهم مما قد أسلفنا ذكره، ومما سيأتي بعد هذا. ولا نجد سبب لما يعملون إلاَّ لمجرد الاستبداد والغطرسة وإظهار العظمة، وساعدهم على ذلك الحالة العامة في نجد وما هم فيه من التخاذل والشقاق والضغائن والأحقاد التي هي أصل البلاء عليهم في أنفسهم من أنفسهم من غيرهم.

حوادث سنة ١١٠٩هـ

قد ذكرنا في حوادث سنة ١١٠٧هـ خروج الشريف سعد بن زيد وعمله في أهل أوشيقر ولم يخرج إلى نجد بالسنة الثانية لانشغاله في حوادث الحجاز مع بني عمه من الأشراف حتى استقر الأمر بينه وبينهم، وخرج في هذه السنة ولم يكن قصده الوشم بل أراد أن يعمم عدله فقصد سدير ونزل روضة سدير البلد المعروفة ونكل بأهلها تنكيلاً شديدًا وسلبهم ما استطاع من النقود والطعام فلما قضى وطره منها رحل ونزل قرى جلاجل وقبض على ماضي بن جاسر أمير الروضة وحبسه، ثم رحل ونزل الغاط ثم بعدها أطلق ماضي ورجع إلى بلده وإمارته.

وفي هذه السنة جلى آل خرفان وآل راجح وآل محمد من بلد أشيقر لأمور جرت بينهم وبين جماعتهم، ولكن لم يمض مدة طويلة إلاّ ورجع آل خرفان وآل راجح إلى بلدهم، أما آل محمد فلم يرجع منهم إلاّ أناس قليل وتفرق باقيهم في البلدن.

حوادث سنة ١١١٠هـ

وفي هذه السنة سطا آل أبو غنام وآل بكر على فوزان بن حميدان بن حسن في المليحة المحلة المعروفة في عنيزة واستنفذوا منه منزلتهم (العقيلية) التي كان قد تغلب عليها.

وقد ذكر ابن بشر هذه الوقعة في حوادث سنة ١١٠٧هـ وقال: إنهم أخرجوا فوزان من عنيزة بعد وقعة بريدة وغدره فيهم.

ولم نقف على تفصيل وقعة بريدة التي أشار إليها ابن بشر، والرواية الأولى أصح من حيث التاريخ، لأننا نقلناها عن بعض مؤرخي القصيم.

حوادث سنة ١١١١هـ

وفي هذه السنة ملك آل أبي راجح الربع الذي كان لأبناء عمهم آل أبي هلال في روضة سدير وقد تقدم الكلام على حالة البلد وتقسيمها أرباعًا بين أولاد مزروع وذكرنا بعض حالتهم فيما تقدم مما لا لزوم لإعادته.

أما أسباب امتلاك آل أبي راجح لمنزلة أتباعهم، فقد استنجدوا أهل التويم وأهل روضة سدير فسار فوزان بن زامل بأهل التويم وساعدهم ماضي بن جاسر أمير أحد أقسام الروضة المذكور فنزل أهل التويم بلد الداخلة، وهي قريبة من الروضة وساعدهم ماض بن جاسر واستخرجوا

آل ابن هلال من منزلتهم في الروضة ودمروها وقتلوا منهم رجالاً، واستولى عليها ماضي بن جاسر الذي فيما يظهر لنا أنه من آل أبـي راجح.

قتل آل شقير أهل حوطة سدير

ذكرنا جلاء آل شقير من حوطة سدير في ١١٠٧هـ بعد أن غدر بهم آل عبهول وقصدوا ابن معمر في العيينة مؤملين مساعدته، ولكنه لم يفعل فسئموا الإقامة عنده، وخرجوا قاصدين إحدى بلدان سدير فخرج إليهم أهل العودة البلد المعروفة في سدير وقتلوهم.

قتل زامل بن تركي أمير الدلم

وفي هذه السنة سطا ابن عبد الله في بلد الدلم وقتل أميرها زامل بن تركي وسطا دبوس في بلدة أشيقر في الوشم، وتغلب عليه خصومه وقتلوه.

إمارة عثمان بن نحيط في بلد الحصون سنة ١١١١هـ

قد سبق بعض التفاصيل عن النزاع القائم بين آل تميم وبين آل حديثة أهل بلد الحصون، وكان المؤسس لها آل تميم وهم أصحابها إلاَّ أن آل حديثة رأوا بأنفسهم فضل قوة فنازعوا آل تميم السيادة، وحصل بينهم وقائع، تقدم ذكرها، وكانت الحرب بينهم سجال، فقد ذكرنا في حوادث سنة ١٠٨٤هـ تغلب آل تميم وإخراجهم مانع بن عثمان ثم أعادوا الكرة على آل تميم فلم يحصلوا على الحائلة وقتل نحيط بن مانع بن عثمان وسافر مانع إلى الأحساء بعد فشله الأخير. وتولى بدران بن سويلم آل تميم وقتل سنة ١٠٩٠هـ، وتولى بعده محمد بن سويلم بن تميم، وقتل في الحرب التي وقعت بين أهل سدير سنة ١١٠٥هـ.

وفي هذه السنة أي سنة ١١١٠هـ أقبل عثمان بن نحيط من الأحساء وسطى في بلد الحصون وأخرج آل تميم منه وملكه وأولاده مانع وسعود، ثم حصل بينه وبين أخيه فايز سوء تفاهم، فخرج هذا مغاضبًا لأخيه ونزل قرية صبحاء، ولم يكن لذلك سبب وجيه إلاّ وشايات الأعداء وتدخلهم في أمورهم، فأراد عثمان استرضاء أخيه فأرسل له قصيدة يعتذر فيها فأجابه أخوه بمثلها، وصلحت الحال بينهما لما عرف كل منهما ما عند الآخر وهذا الشعر لم يكن من الشعر القوي لهذا تركنا ذكره.

ولكن عثمان أصلح الأمر من هذا الجانب خوفًا من شقاق يقع بينه وبين أخيه يستفيد منه خصومه، وكان رئيس بلد جلاجل يعمل ضده سرًا، فاستمال أولاد عثمان مانعًا وسعدًا وخدعهم بالآمال حتى حملهم على أبيهم فقبضوا عليه وأخرجوه من البلد، وإلى ذلك أشار حميدان الشويعر يقول:

فاحملوا يا عياله عليه	واحد بلده واخر عقرة
يا عيال الندم يارضاع الخدم	يا غزايا الغلايين والبربرة

حوادث سنة ١١١٢هـ

وفي هذه السنة خرج الشريف عبد العزيز من الحجاز ومعه قوة ضعيفة وأغار على بني حسين وأخذوه هو ومن معه.

حوادث سنة ١١١٣هـ

سطوة الراشد واستيلاءهم بلد الزلفى

تقدم الكلام في حوادث سنة ١١٠٧هـ عن سطوة الحسين في بلد الزلفى واستيلاءهم عليه وجلاء الراشد عنه. وفي هذه السنة دبر الراشد

أمرهم واستنجدوا على خصومهم وسطوا في الزلفى وملكوه، وأخرجوا منه آل مدلج.

استيلاء إبراهيم بن يوسف على قرية الحريق

الحريق بالتصغير قرية في الوشم، كانت كغيرها من القرى فيها حزبان يتنازعان السيادة وكان أميرها إبراهيم بن يوسف قد تغلب عليه خصومه وأجلوه عن البلد، فاستعان بأمير القصب القرية المعروفة في الوشم فأعانه وسطوا في الحريق وملكوه، وتولى فيه إبراهيم بن يوسف وأجلى خصومه عن البلد.

وقعة السليع والبترا

وهما موضعان معروفان شرقي نفود السر كانا من منازل الظفير بتلك السنين، وقد ذكرنا ما كان بينهم وبين سعدون آل غرير بالعام الماضي وهم في موضعهم هذا، وكانوا هدفًا للحكام سيما أمراء الحجاز، لأنهم لم ينقادوا إليهم وكانت الوقائع بينهم كثيرة، وقد مضى كثير من ذلك.

ففي هذه السنة خرج الحارث الشريف ومعه جند من الحجاز وقبائله ومعه بن حميد من عتيبة وصبحوا الظفير في موضعهم هذا، وحصل بينهم قتال شديد، انهزم فيه الشريف ومن معه، فأخذ الظفير جردات تلك الغزوات.

وقعة سدوس

وفي هذه السنة غزى عبد الله بن معمر أمير العيينة وأغار على ابن عباس وأخذه على سدوس القرية المعروفة في ناحية الشعيب.

وفاة الشيخ حسن بن عبد الله بن أبي حسين

وفي هذه السنة توفي الشيخ العالم الفقيه حسن بن عبد الله بن حسن بن علي بن أحمد بن أبي حسين في بلد أشيقر في قرى الوشم كان رحمه الله عليه له معرفة في فنون العلم، قال بن بشر: رأيت كتب كثيرة عن فنون من العلم عليها تعليقات بخط يده، إشارات على ما فيها من فائدة ولا نجد كتابًا نظر فيه حسن المذكور إلاَّ وعلى كل ورقة منه إشارة، إشارة على ما فيها من فائدة، ذكر لي أنه أخذ العلم عن أحمد بن محمد القصير وغيره، وقيل إن وفاته سنة ١١٢٣ ـ ١١٢٤هـ.

وفاة سلامة بن مرشد بن سويط

في هذه السنة توفي سلامة بن مرشد بن سويط شيخ الظفير الأكبر، ودفن بالجبيلة القرية المعروفة بالعارض

حوادث سنة ١١١٤هـ

استيلاء آل بسام بلد أشيقر

وفي هذه السنة استولى آل بسام بلد أشيقر.

وفاة الشيخ أحمد بن محمد القصيّر

وفي هذه السنة توفي الشيخ العالم الفقيه أحمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير في بلد أشيقر، وأخذ الفقه من الشيخ محمد بن أحمد ابن إسماعيل المشهور المتوفى سنة ١٠٥٩هـ، وعن الشيخ الفاضل سليمان بن مشرف جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفي سنة ١٠٧٩هـ.

وأخذ عنه عدد من العلماء من الشيخ عبد الله أحمد بن محمد بن عضيب الناصري المتوفى في عنيزة سنة ١١٦٠هـ وفي رواية سنة ١١٦٤هـ. قال ابن بشر: وقد رأيت في بعض التواريخ أن وفاة الشيخ أحمد القصير ووفاة الشيخ حسن بن أبي حسين المتقدم ذكره كانت في سنة ٢٣هـ وسنة ٢٤هـ. وهذه السنة في أول سني المحل المسمى سمدان والقحط والغلاء الذي سمد فيه أهل الحجاز كثير من البوادي.

حوادث سنة ١١١٥هـ

وفي هذه السنة حدث حوادث كثيرة نوردها إجمالاً كما رأيناها، لأنه ليس لدينا تفاصيل توجب التوسع بالبحث:

١ ــ أخذ عبد الله بن معمر أمير العيينة زروع القرينة وملكها وهي القرية المعروفة بالشعيب بين حريملاء وملهم.

٢ ــ وسطى آل خرفان وهم أبناء عم آل بسام ــ وبينهما نزاع ــ على السلطة في بلد أشيقر، وقد ذكرنا في حوادث السنة الماضية استيلاء آل بسام على أشيقر.

وفي هذه السنة سطا آل خرفان وفي بلد أشيقر استولوا على [...] فيه وملكوه.

٣ ــ وهذه السنة قتل محمد التعيسا رئيس حوطة سدير وملكها ابن شرفان.

٤ ــ وفيها ملك إبراهيم بن جار الله بلد مرات المعروفة بالوشم.

٥ ــ وفيها اشتد المحل والقحط وهلك أكثر قبيلة هتيم وبعض أهل الحجاز.

٦ ـ وفيها ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان في بلد العيينة وذلك قبل أن ينتقل أبوه عبد الوهاب إلى حريملاء، قتل فوزان بن حميدان أمير عنيزة آخر يوم من جمادى الثاني سنة ١١١٥هـ.

قد سبق الكلام عن النزاع الواقع بين أهل عنيزة وانقسامهم وكثرة الحروب بينهم، خصوصًا بين فوزان بن حميدان بن حسن آل معمر وبين جبور بني خالد أمراء الجناح القرية المعروفة في عنيزة فلما كان في هذه السنة حصل خلاف بين فوزان وبين الجبور، أدى إلى قتالٍ قتل فيه الأمير فوزان بن حميدان، واستولى الجبور على عنيزة. كلها بأقسامها وتوحدت إمارتها فهدموا قصر آل معمر وهو المسمى قصر الكعيد وهو القسم الشمالي الشرقي من القصر الذي ملاصق لمسجد الجامع من الشرق المعروف بقصر مسعود، ذلك لأن مسعودًا وتبعه حينما احتل عنيزة مما سيأتي بموضعه إن شاء الله.

حوادث سنة ١١١٦هـ

قتل ريمان أمير ثرمدا وتولي إبداح العنقري

وفي هذه السنة سطى آل ناصر من العناقر على ابن عمهم ريمان بن إبراهيم بن خنيفر العنقري أمير بلد ثرمداء وقتلوه واستولوا على البلد.
وفي ١١ ذي القعدة سنة ١١١٦هـ أنزل الله مطرًا غزيرًا على بلد عنيزة، غرقت به البلد ودخل السيل بيت رجل يسمى السليمي أغرقته وسميت به.
وفيها غزى عبد الله بن معمر أمير العيينة يريد قتال أهل ثادق، فلما وصل (البير) القرية المعروفة في ناحية المحمل علم به بوادي عنزة فحاصروه فيه وأخذوا ركابه.

ونزل في هذه السنة على بلد عنيبة سيل عظيم خرّب منازلها. وفيها ملك العزاعيز بلد (أثيثية) المعروفة في ناحية الوشم والعزاعيز هؤلاء من بني تميم.

وفي هذه أيضًا قتل إبراهيم بن يوسف بن سلطان وسلطان بن خميس في (الجنوبية) القرية المعروفة في سدير وقتلهما آل بسام أهل أشيقر.

وقد أطلعت على بعض ترسيمات لأهل النصيم أردت وضع العبارة للتذكرة وإن لم أفهم معناها. قال: وفي صفر في هذه السنة نزل (جب دار) عنيزة برجوعه في الحج ونثر فيها الدراهم الشيء العظيم ولم يتضح لنا هذا الاسم، هل هو اسم شخص أو أمير وإنما الذي لفت نظرنا قوله: وملأها من الفلوس، مما يدل على الفائدة التي حصلت من مردرة وأثرها في البلاد، مما جعل هذا المؤرخ يرسمها مع الحوادث التاريخية.

حوادث سنة ١١١٧هـ

وفي هذه السنة وقعت فتنة بين أهل سدير وأهل جلاجل، وحصل بينهم قتال، قتل فيه رئيس جلاجل محمد بن إبراهيم وأخوه تركي، وتولى في جلاجل عبد الله بن محمد بن إبراهيم.

وفي هذه السنة مات مقرن الحجيلاني، وهو من آل بن عليان أمراء بريدة.

حوادث سنة ١١١٨هـ

في هذه السنة سار أهل حريملاء معهم بن بجاد على قبيلة سبيع، وهم في وادي عيبران وهو شعيب... فأخذوهم وقتلوهم.

وفيها خرج نجم بن عبيد الله بن غرير من الأحساء وقاض في بلد ثادق من بلدان المحمل وكان أميرًا على الحاج العقيلي في حج سنة ١١١٧هـ، فلما رجع خرج من الأحساء ونزل بلد ثادق وقاض فيها، وكان ابن عم سعدون بن محمد أمير الأحساء.

وفيها أيضًا قتل دبوس بن أحمد بن حسن بن حمد أمير البير، وتولى فيه إبراهيم.

وفيها غزا دجين بن سعدون آل غرير على آل زارع وأخذهم.

وقعة الخضار

وهي بين عنزة والظفير، وسبب ذلك أن الظفير نازلين في سدير وكانت منازلهم بتلك الوقت وعنيزة في أراضي التصيم، وكانت بلاد الظفير بتلك السنة أكثر خصب من بلاد عنيزة، فتقدموا إلى سدير يتتبعون مواضع الربيع لإصلاح ماشيتهم معتزين بقوتهم، وساعدهم الشريف عبد العزيز العدو اللدود للظفير، فطردوهم عن سدير، وسار الظفير إلى الدهناء فتبعهم عنزة والشريف، وحصل بينهم قتال شديد في موضع يسمى الخضار قريب من الدهناء، فانهزم عنزة والشريف واستولى الظفير على بعض ما معهم وأخذ بن صويط ضحية الشريف عبد العزيز.

حوادث التصيم

وفي هذه السنة قام دويس من آل بكر أهل عنيزة وهدم المليحة النحلة المعروفة في عنيزة، وهي محلة آل فضل الجراح. وفيها مات منصور بن سلامة.

حوادث سنة ١١١٩هـ

وفي هذه السنة سار بداح العنقري أمير ثرمداء ومعه الصمدة من الظفير وأغار على أهل أوثيثيا وحصل بينهما قتال قتل فيه كثير من أهل أثيثيا وأمراء أثيثيا العزاعيز من بني تميم وهم الذين أجاروا حميدان الشويعر عن ابن معمر كما سيأتي بيانه.

وفيها قتل عبد الله بن عبد الرحمن بن إسماعيل قتله عبد العزيز بن هزاع من رؤساء بني خالد. ونحن لا نعرف ابن إسماعيل ومركزه، ولا ما هي لأسباب التي أوجبت قتله، لأن ابن بشر اكتفى بذكر القتل، وجاريناه على ذلك ظنًا منا أنه لم يعتني بذكر قتله إلاَّ وهو شخصية بارزة وجعلناها أساس فيما لو وجدنا تفصيل يجعلنا نحسن معرفة الأصل.

في هذه السنة نزل الحاج العقيلي الأحسائي بلد ثادق ومعه سعدون بعسكره، وهذا مما يرجح أن بني خالد من بني عقيل، وإنما جدهم القريب خالد غلب على عقيليتهم.

حوادث سنة ١١٢٠هـ

وفي هذه السنة حصل فتنة بين أهل التويم القرية المعروفة في سدير فقام فايز بن محمد وقتل بن عمه حسين بن منير أمير التويم وتولى بعده، ثم إن أهل حرمة المدلج غضبوا لذلك وساروا إلى فايز بن محمد وقتلوه، وجعلوا مكانه فوزان بن زامل فقام عليه ناصر بن حمد من بني عمه وقتله غدرًا طمعًا بالإمارة، ولكنه حرم منها، وتولى بعده محمد بن فوزان فتمالأ عليه رجال رؤساء البلد أربعة وقتلوه فاختلفوا على من يتولى الإمارة وكادت الفتنة تقع ولكنهم اتفقوا على اقتسام البلد أرباعًا كل واحد منهم

أميرًا في الربع، فهذه حالة قرية لا يكاد سكانها يبلغون ثلاثمائة، قتل من أمراءها أربعة في سنة واحدة، ولم تسكن الفتنة حتى اقتسموها أرباعًا، وليست هذه الحالة خاصة بهذه القرية فقط بل إنها صورة مصغّرة للحالة العامة في نجد عمومًا.

حوادث الدرعية سنة ١١٢٠هـ

وفي هذه السنة قتل سلطان بن حمد القيس أمير الدرعية، وتولّى بعده أخوه عبد الله بن حمد القيس ولكنه قتل في أواخر هذه السنة، وتولّى بعده موسى بن ربيعة بن وطبان في أوائل سنة ١١٢١هـ.

حوادث سنة ١١٢١هـ

وفي هذه السنة تولى موسى بن ربيعة بن وطبان وأظن أن اسمه الصحيح موسى بن وطباني بن ربيعة.

اختلاف النواصر أهل القرعة

القرعة قرية معروفة في الوشم بين شقراء وأشيقر وسكانها من النواصر بني تميم ومن آل مشرف من الوهبة بن تميم. قال ابن بشر: وفي هذه السنة قتل عيبان بن حمد بن محمد بن عضيب قتله ثابت بن عبد الله بن محمد بن حسين بن حمد وإبراهيم ابن محمد بن حسين قتلاه في المذنب هذه رواية ابن بشر أوردها مقتضبة كما هي عادته في «السوابق» وقد روى لنا هذه المسألة محمد بن فايز من أهل القرعة من النواصر وروايته أكثر إيضاحًا، لأن هذه المسألة لم تزل معروفة عند أهل البلد، وأحببت أن أضيف روايته على رواية ابن بشر لتتم الفائدة.

رواية محمد بن فايز عن اختلاف النواصر

المشار إليه أعلاه وآل مشرف

قال وقع بين آل مشرف وآل عيبان، اختلاف عند مجاري السيل، وكان آل مشرف من الوهبة من آل حنظلة وآل عيبان من النواصر من بين عمرو وكلهم تميم، وكان للنواصر بنو عم من النواصر في المذنب، فلما بلغهم خبر اختلاف بنو عمهم وآل مشرف أقبل إبراهيم بن حسين الناصري من المذنب ليصلح بينهم، ونزل على (التجار) أناس معروفون في الفرعة في قصرهم التيحية وقد اندثرت الآن، فاحضر الفريقين وقد أخل بينهم في أمر الصلح فأجابوه ثقة منهم بحسن نواياه، وأن ليس له قصد إلاّ الإصلاح بين الجميع، ولم يدخلهم شك في أمره، وواعدهم أن يكون الاجتماع عند قصر آل مشرف من الخارج في يوم ووقت معلوم، بشرط أن لا يحمل منهم سلاحًا، وكان القصر حصينًا طوله في الجو (٤٠) ذراعًا. محاطة بخمسة أسوار متلاصقة، فأسر لآل عيبان أن يأتوا بسيوفهم ويخفوها، فجاؤوا ودفن كل منهم سيفه بالرمل وجلس فوقه، فخرج آل مشرف من قصرهم وقد خشوا من الغدر فوضعوا أسلحتهم عند باب القصر قريب منهم، فلما تكامل جلوسهم حتى ثار فيهم آل عيبان بإيعاز من إبراهيم بن حسين وقتلوا منهم ثلاثة عشر وهرب الباقون ودخل إبراهيم بن حسين القصر ومعه آل عيبان واستولى على القصر وأجلس بقية آل مشرف، واستولى على أملاكهم، وسكن آل مشرف بلد الحريق، وبعضهم سكن (الجريفا) وهما قريتان من قرى الوشم، الأولى بالجنوب الشرقي من الفرعة، والثانية بالشمال الشرقي من الفرعة.

واستولى إبراهيم بن حسين على قصور الفرعة باقيام بخسة وأحاطها بسور هي والبلد. وهن قصر آل أبو غيار وقصر التجار وقصر آل عيبان وغيرها. وبعد مدة قام آل عيبان ينازعونه الإمارة وكان رئيسهم عيبان، ولكنه تغلب عليهم بتفريق كلمتهم فاستمال إليه شائع بن عبد الله بن محمد بن حسين وهو ابن بنت إبراهيم بن حسين فأغراه بقتل عيبان وأطمعه في الإمارة فأحس عيبان بالأمر، فخرج قاصدًا بنو عمه في المذنب، فخرج معه شايعًا مغاضبًا لإبراهيم بن حسين ظاهرًا وهو مبطن الغدر في عيبان بإغراء إبراهيم بن حسين وطمعًا بالإمارة، وكتب إبراهيم بن حسين إلى بني عمه في المذنب يخبرهم أن البلد لا تصلح فيها هذان الرجلان، فلما وصلا إلى المذنب غدر شايع في عيبان وقتله فخشي آل عيبان الذين في الفرعة وهاجروا إلى سدير فاستولى إبراهيم بن حسين على أملاكهم باقيام بخسة فجمعها وأملاك آل مشرف وأوقفها على ذريته للذكر دون الأنثى، فاستمرت زمنًا طويلاً فأبطلها الشيخ عثمان بن منصور وقسمها على الموجود من الورثة.

حوادث سنة ١١٢١هـ

وفي هذه السنة غزى سعدون بن محمد أمير الأحساء ونواحيها وأغار على الظفير بالحجرة، ولم يظفر منهم بطائل، وفيها ثار مانع بن ذباح على بن جار الله أمير مرات وأخرجه منها، وتولى فيها مانع. وفيها أيضًا سار عبد الله بن معمر أمير العيينة ومنه أهل العارض وسبيع ونازل أهل بلد حريملاء ووقع بينهم قتال.

وفيات

وفيها توفي الشيخ العالم عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس أبا بطين العائذي وكان له معرفة في الفقه وألف فيه مجموعًا وكان موته من وباء وقع في سدير تلك السنة.

وفيها أيضًا توفي منصور بن جاسر والمنشرح وغيرهما من رؤساء النفول.

حوادث سنة ١١٢٢هـ

في هذه السنة سار حاج الحساء لأجل أداء الفريضة وأميره اسمه حمزة، فلما وصل مكة كان لبعض الأشراف رسم على حاج الأحساء فطلب الشريف من أمير الحاج دفع الرسم المعتاد الذي يشبه الإتاوة، فأراد حمزة منع ذلك، وساعده على ذلك نصوح باشا أمير الحاج الشامي بتلك الوقت، وحصل بسبب ذلك منافرة بين شريف مكة عبد الكريم بن ليلى ونصوح باشا ناصر الشريف على طلب حقه بحجة أن هذا رسم قديم يتقاضونه، وأن هؤلاء ليسوا من حجاجكم دعا فيه الشريف أمير الحاج المصري والوالي وغيرها، واشتد ما بينهما غير أن الشريف أصرّ على طلبه فاستوفاه فاضطغنها نصوح باشا للشريف وكذلك الشريف وأراد أن يشوّه سمعته نصوح باشا، فلما سافر حاج الشام إلى المدينة المنورة أوعز الشريف إلى قبائل حرب التي بين مكة والمدينة بمهاجمة الحاج معلموا بذلك ولم يصل إلى المدينة إلاّ بعد الجهد، وبعد أن تكبّد خسائر فادحة من الأموال والرجال، فعلم أن ذلك من عمل الشريف.

فلما رجع إلى الشام رفع إلى الحكومة العثمانية تقريرًا ضافيًا بأعمال

الشريف عبد الكريم ودسائسه وظلمه مؤيدًا بشهادات كثيرة من رجال الحكومة في الحجاز ومن الأهالي وألح في تقريره على وجوب كف يده عن الحجاز، فأجابته الحكومة وجعلت أمر النظر في هذا الأمر إليه، فاستصدر من السلطان فرمانًا بتوليته الشريف سعيد بن زيد وكف يد الشريف عبد الكريم، فتولى الشريف سعيد إمارة الحجاز للمرة الخامسة وبقية على ذلك إلى أن توفي سنة ١١٢٩هـ، وخرج الشريف عبد الكريم ولم يتولى بعد ذلك وفي سنة ١١٣١هـ وفي المسودة الأولى تفصيل هذه القصة بأكثر وضوح ولعلنا نرجع إليه.

ملاحظة

الأحساء بتلك الوقت تحت ولاية آل حميد من بني خالد وقد حج وحاجبهم في سنة ١١١٧هـ وأميرهم نجم بن عبيد الله بن غرير من آل حميد، ولم يحدث فيه ما حدث في هذه السنة، وكان قبل ولاية آل حميد بيد الترك؛ ولا أظن أن الأشراف يأخذون عليهم رسم قبل ذلك، ولكن الذي يظهر أن الشريف أراد أن يؤسس ضريبة جديدة ومانعة نصوح باشا ودليلنا على ذلك امتناع أمير حاج الإحساء عن التسليم، فلو كان ذلك رسم قديم لم يمتنع سيما ونجم بن عبيد الله قد سبق في إمارة الحاج فلو سلم نجم لاتبعه حمزة، ولكن امتناعه يدل على أن الشريف أسبا في تلك السنة مما أدت به إلى فقدانه مركزه.

حوادث سنة ١١٢٣هـ

في هذه السنة سار أهل حريملاء على ملهم وأخذوها عنوة.

وفيها أنزل الله غيثًا وسحيا غرق حريملاء وهدم البيوت والمساجد

وصار بَرْدٌ شديد «بإسكان الراء» أهلك من الزرع ما كان في سنبله، ثم أنزل الله في الصيف غيثًا أعظم من الأول أصلح الله به الزروع وحصلت بركة عظيمة قيل أن محصول الغرب الواحد في ضرمي بلغ أكثر من ألفي صاع وأرخص الله الأسعار.

حوادث سنة ١١٢٤هـ

وفي هذه السنة حصل فتنة بين العناقر أهل ثرمدا وبين أهل مرات وقد ذكرنا في حوادث سنة ١١٢١هـ، وكانت في عنداء مانع بن ذيات علي بن جار الله، وإخراجه من مرات وقصة العنقري في ثرمداء واستنجده فأوعده، فلما كان في هذه السنة سار العنقري ومعه ابن جار الله إلى مرات وهاجموها وحصل بينهم قتال في موضع يسمى الظبيرة فانهزم أهل مرات، وقتل منهم ميفا بن بشري ذباح، واستولوا على البلد، وتولى فيها ابن جار الله.

وفي هذه السنة وقع مرض في بلد ثرمداء والقصب في الوشم ورغبة والبير من بلدان المحمل والعود من بلدان سدير وصار وفيات كثيرة لم يكن فيهم أحد من المشهورين.

حوادث سنة ١١٢٥هـ

وفي هذه السنة توفي الشيخ العالم عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب المعروف في العيينة، أخذ الفقه عن أبيه عبد الله وغيره، وأخذ عنهم الشيخ العالم سيف ابن عزاز وغيره. وليس هذا هو والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وفي هذه السنة توفي الشيخ الفقيه أحمد بن محمد المنقور لسنة

خلون من جمادى الأولى، أخذ الفقه عن الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان وكان أكثر نقلة في مجموعة عن شيخه المذكور، وأخذ عنه ابنه إبراهيم وغيره، وكان فقيهًا وله دراية، جمع كتابًا في الفقه من فتاوى أهل زمانه وغيرهم، وحصل كتبًا كثيرة بخطه.

الحوادث السياسية

ذكرنا في حوادث سنة ١١١٦هـ، الشقاق الذي حصل بين العناقر وأهل ثرمداء آل إبراهيم وآل ناصر، وتغلب آل ناصر على بني عمهم آل إبراهيم وإخراجهم من البلد، ولما كان في هذه السنة قام آل إبراهيم واستنجدوا أهل ثادق فأنجدوهم وساروا معهم إلى ثرمداء وسطوا فيها ولم يحصلوا على طائل، فرجعوا بعد أن قتل منهم آل ناصر رجلاً.

وفي هذه السنة صلحت الثمار ورخصت الأسعار وبلغ سعر التمر مائة وزنة [. . .] كثرت قوافل عنزة للاكتيال وباعوا جلائبهم السمن على عشرة أصع بالأحمر (والفاطر) السمينة، ومع الحسنة من الإبل، من خمس مجيديات إلى أربعين مجيدية، وابتاعوا كنايتهم من التمر مما أثر في الأسواق حتى بلغ خمسين وزنة بالأحمر.

وإيضاح الوزنة تعادل وزن اثنان وخمسون ريالاً من الريالات النمساوية المعروفة الآن بالريال الفرنساوي، والأحمر نوع مما يتعاملون به بذلك الوقت، وهو يعادل ربع جنيه فرنجي بعملة زماننا هذا.

المجيدية هي جزء من أجزاء الأحمر أعرف مقدارها بعملة زماننا هذا.

حوادث سنة ١١٢٦هـ

وفي هذه السنة غزى سعدون بن محمد آل غرير ومعه عبد الله بن معمر أمير العينية بأهل العارض وقصدوا اليمامة ونازلوا أهلها ونهبوا منها منازل فخرج إليهم البجادي وأصلح معهم وقدم إليهم أربع من الخيل.

وفي هذه السنة وقع مرض في العارض مات فيه أناس كثير منهم الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد الله ومحمد بن علي بن عبد وسليمان بن موسى بن سليمان الباهلي وهؤلاء من طلبة العلم.

حوادث سنة ١١٢٧هـ

وفي هذه السنة سطى آل فضل الجراح أهل المليحة من أمام عنيزة على دويس وأخرجوه من محلتهم، واستولوا عليها، وحصل في هذه السنة بَرْد «بإسكان الراء» شديد أضر بالنخل وكسر الصباريج الخالية من الماء وجمد الماء في المنازل الكثيفة وهذا مما لا يعهد فيه في نجد».

حج حاج الأحساء في هذه السنة وأميره ابن عفالق ونزل العارض، واشترى صاع السمن الشخص والطلي بريالين وهذه يرونها من العجائب حتى جعلوها بالتاريخ [. . .] يرون هذا من الغلاء الفاحش.

حوادث سنة ١١٢٨هـ

وفي هذه السنة سار أهل المجمعة وسطوا على الفراهيد في الزلفى فخرج إليهم أهل الزلفى وصدوهم ورجع أهل المجمعة بدون طائل بعد أن تكبدوا خسائر.

وفي هذه السنة غارت آبار سدير، وقلت الزراعة، وغلت الأسعار

ومات المساكين جوعًا، واستمرت هذه الحالة نحو ثلاث سنين، وفي هذه السنة أغار عبد الله بن معمر على بلد حريملاء وقتل الزعاعيب.

حوادث سنة ١١٢٩هـ

لم نجد في هذه السنة حوادث توجب الذكر.

حوادث سنة ١١٣٠هـ

في هذه السنة غزى عبد الله بن معمر أمير العيينة بلد حريملاء، وأخذ أغنامهم، فلحق أهلها وحصل بينهم قتال قتل فيه من أهل حريملاء نحو عشرة رجال، ولم يدركوا نتيجة.

وفي هذه السنة حصل خلاف بين أهل جلاجل فقام خيطان بن تركي وحاول قتل ابن عمه الأمير محمد بن عبد الله بن إبراهيم طمعًا بالإمارة فلم يبلغ أمله لأن مساعيه حبطت وهرب من جلاجل.

حوادث سنة ١١٣١هـ

وفي هذه السنة تصالح آل عناقر أهل ثرمداء وآل عوسجة أهل ثادق والعربنات أهل العطار، وحدثت الفتنة في سدير.

حوادث سنة ١١٣٢هـ

وفي هذه الثلاث سنوات المتقدمة لم يجد فيها حوادث لها أهمية، والذي يظهر لنا أنَّ السبب في ذلك وقوع القحط وقلة الأمطار وقلة المياه التي تقدم بيانها ولله في ذلك حكمة وفيها عبرة، وصدق الله العظيم فقد قال في كتابه المنزل ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٢٧]، وجاء في الحديث القدسي: «إن من عبادي من لو أغنيته

أفسده الغنى، وإن من عبادي من لو أفقرته لأفسده الفقر»، أو كما جاء.

فحالة نجد في هذه السنوات تدل على أن في هذا الفقر والقحط الواقع هو صلاح لهم حيث هدئت الفتنة وامتنعوا من التعديات والقتل والقتال، ولكن من يعتبر، ففي الحوادث الآتية ما يدل على تجدد ذلك مع تجدد نعمة الله عليهم.

حوادث سنة ١١٣٣هـ

وفي هذه السنة أغاث الله عباده بكثير من الأمطار ورجوع مياه الآبار في سدير، وصلاح الزروع والأثمار، ورخصت الأسعار حتى بلغ سعر التمر مائة وعشرون وزنة بالأحمر والعيش خمسة وأربعون صاعًا.

وفي هذه السنة ولد عبد العزيز بن محمد بن سعود.

وفي هذه السنة خرج سعدون بن محمد بن غرير حاكم الأحساء والقطيف ونواحيها، ورئيس بني خالد إلى نجد بنوابه ومعه المدافع ونزل عقرباء الموضع المعروف بين الجبيلية والعيينة وحجر آل كثير في العمارية القرية المعروفة في العارض حتى هزلت مواشيهم، وأقام على ذلك طيلة أيام القيض ــ ثم سار إلى الدرعية ونهب فيها بيوتًا في الظهرة والسوكية وملوى المحلات المعروفة في الدرعية، وحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه من قومه قتلى كثيرة.

حوادث سنة ١١٣٤هـ

وفي هذه السنة ليس فيها حوادث أو بالأحرى أنه لم يبلغنا.

حوادث سنة ١١٣٥هـ

وفي هذه السنة توفي سعدون بن محمد بن غرير الحميدي حاكم الأحساء والقطيف ونواحيهما هو الحاكم الثالث من آل حميد، وكان من الأمراء البارزين المختارين همّةً وإقدامًا وكرمًا وشجاعةً تمر عليه الوفود من حواضر نجد وبواديها ويعطي العطاء الجزيل، وهو أول من رتب الرواتب السنوية من أمراء الأحساء لمجنديهم، ولهم نفوذ يتعدى حدود القصيم غربًا وحدود العراق شمالاً وحدود اليمن جنوبًا وشرقًا، ولكنهم لم يستعملوا هذا النفوذ لمصلحتهم المادية بل يكتفون بالاعتراف لهم بالسمع والطاعة، ولا يكلفونهم غير ذلك فلا يطلبون منهم خراجًا لأنهم أغنياء بواردات الأحساء والقطيف، ولا يطلبون نجدة عسكرية لأنهم أقوياء، وليس لهم منازع، وليس في نجد قوة تضاهي قوتهم، ولكنهم ظلوا على بداوتهم، ففي أيام الصيف يسكنون المدن وإذا أقبل الشتاء خرجوا إلى البر بأغنامهم ومواشيهم، ويحكم البلاد أحد خدامهم.

وكانت حالة المدن بتلك الوقت قريبة من حالة أمرائها، ولو صاحب حكمهم شيء من النظام الموجه لكانت أيامهم تعد من أفضل الأيام على البلاد لقلة التكاليف، ووجود الأمنية والراحة، بخلاف ما كانت عليه نجد بذلك الوقت من كثرة الفتن والقتل والقتال والمنازعات المحلية، لأنهم مع نفوذ أمرائهم لم يتعرضوا لحالة الأمراء في نجد، بل تركوهم وشأنهم إلاَّ في أحوال خاصة، وقد مدحتهم الشعراء ونزهوا بمكارمهم وفضلهم بأشعار كثيرة وليس هذا محل ذكرها وإنما نورد منها أنموذجًا يعرف منه بعض ما يؤثر عنهم، من ذلك القصيدة التي قدمها أمير (البير) القرية المعروفة في المحمل وكان له راتبًا سنويًا مضى عليه خمس سنين لم

يقبضه لعدم حاجته إليه، وأرسل من يقبضها بعد ذلك فرده وكيل سعدون بحجة أنه مضى عليها مدة فاضطر إلى مراجعة سعدون بهذه القصيدة وهي طويلة تبلغ أكثر من سبعين بيتًا، تقتصر على ما هو مختص بالموضوع، قال:

مراقي العلى صعب شديد سنودها بكود على عزم الدنايا صعودها

فمن رامها بالموت ما نال وصلها ولا رد غبضات العدا في كبودها

شراها بغالي الروح والمال والتقى وصبر على مر الليالي وكودها

فلولا غلاها سامها كل مفلس ولولا عناها كان كلٌ يرودها

إلى أن قال:

ترى إن كنت غاليت التنافي مديحه

أجل عنك ما خاب الرجا في حصودها

فلا غير سعدون ملاذٍ إلاّ غدت

علينا الليالي حايلات جنودها

مدحته على ما كان مقدار فعله

فلا عاش كتام الحساني جحودها

إلى أن قال:

حماني ربي هجر مناصي اللوى[1] إلى الشام من دار آل عمرو حدودها

[2] دار آل عمرو، دومة الجندل المعروفة الآن بجوف آل عمرو.

---

(١) مناص اللوى بالنصبم.

(٢) ؟؟؟

إلـى خشـم رمـان[1] إلـى النيـر[2] مجنـب
إلــى الشعــراء واضحــاتهــا فــي نجــودهــا[3]

إلـى العـرض والبـوادي الحنبفـي مشـرق[4]
ومــا عـــن جــوب كــل هــذا يســودهــا

إلى أن قال:

فمـا ركـب جـرد السبـايـا متـوج ... ولا حضّنت ببعض النسا في مهودها
يا وفي جميل من معاني جميله ... وأضحى يمين بالعطا من مدودها
فيا من علا فوق العلى كل طائل ... وزاده ببنيـــان رفـــاع بنـــودهـــا
فرضت لي فرض قديم رسمته ... بخط يَدٍ وَرَثَ الندا من شهودها
وذا العام بإكساب الأنفال خامس ... ولا حباك منا طالب في نشودها
غدا الرجا به مثل راعي وداعه[5] ... وتبقـى عليهـا أمـنٍ صن جحـودهـا
وذا العام بإكساب الأنفال قادنا ... إلينـا أمـور مـوجبـات يـدودهـا
فجـد غيـر مـأمـور ينجـز حـالـه ... ويكرّ بنا واجعل جزابي صفودها

أي: وامرنا من هذه القصيدة نبذ نختص بالموضوع وترك البقية لطولها وإلاّ فهي من أمثل الشعر وأقواه بالنسبة إلى زمانه وما بعده ــ وللشعراء أشعار كثيرة من هذا النوع مما يدل على مكانتهم ــ وفيما أظن

---

(١) رمان جبل قرب جبل شمر.
(٢) النير جبل في غالبه نجد.
(٣) الشعراء قرية بعالية نجد.
(٤) العرض جنوبًا بعيد عن العارض.
(٥) ؟؟؟

أن محسن الهزاني معاصرًا لسعدون هذا وبينهما صداقة، وقد مدحه محسن بقصيدة أولها:

دن كتـــاب وقـــرب لـــي دواة

ولست من يقين هل هذا الشعر في سعدون بن محمد هذا أو في سعدون بن عُريعر بن رجيعني، لأن بين الأول والثاني نحو ستين سنة، ولكن الراجح أنه معاصر للأول، لأن لحن فيما ظهر لي أنه قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والذي يرجح رأينا أنه سعدون بن محمد، لأن سعدون بن عريعر لم يكن بالمحل الذي نقصد والشعراء لأن أمورهم قد تضعضعت.

ولنرجع إلى تتمة حوادث سنة ١١٣٥هـ

بعد وفاة سعدون بن محمد وقع الخلاف بين آل حميد على من يلي الإمارة، فثار أخوه سعدون على سليمان بن محمد بن غرير ومعهما قسم من بني خالد وثار ابن سعدون دجيني ومنيع، ومعهم بعض من بني خالد، وبعض من قبيلة الفضول، وتولى الإمارة في الأحساء بني خالد؛ وقد حاول دجيني بعد ذلك استرداد الإمارة من عمه فلم يفلح واستمر الأمر بيد علي بن محمد إلى أن توفي، وخلفه من بعد أخيه سليمان بن محمد كما سيأتي بيانه.

الحرب بين أهل أشيقر وأهل الفرعة

قد كان الخلاف بين أهل هاتين القريتين بل إن الحرب يكاد يكون مستمرًا لا لأجل السلطة وإنما غالبًا يكون على مجاري المياه والسيل، لأن القريتين متجاورتين وأصول مجاري السيل تكاد تكون واحدة، وتتشعب

بعد تجمعها، وللسيل عندها أهمية كبيرة، فإذا نزلت الأمطار خرج كل صاحب مجرى يتبع مجرى سيله، وغالبًا تكون المعارك عند ذلك، وقد حدث حوادث من هذا النوع كثيرة أعرضنا عن ذكرها إذ تقرر الصلح بينهم وهدئت الأمور، ولكن أهل أشيقر لم يعتبروا هذا الصلح بوافق مصلحتهم لفضل قوتهم، فأجمعوا أمرهم في هذا السنة وساروا إلى القرعة وأوقعوا بهم على حين غفلة منهم، فطردوا النواصر وقتلوا آل قاضي، وآل القاضي هؤلاء هم الموجودين الآن في عنيزة لأنهم بعد هذه الوقعة أنفت نفوسهم في الإقامة في بلد.

هجرة آل القاضي من أشيقر إلى المجمعة ومن هذه إلى عنيزة

هذه حالتها فارتحلوا منها سنة ١١٣٥هـ، ونزلوا المجمعة وأقاموا فيها إلى سنة ١١٦٥هـ ولم يعجبهم الإقامة فيها فرحل إبراهيم بن عبد الرحمن وأولاده الأربعة: محمد ــ وعبد الله ــ حمد ــ وعلي[1]، وأقاموا في عنيزة واستوطنوها في هذا التاريخ ولم يزالوا فيها، وهؤلاء الأربعة صار كل منهم جد لعائلة فأما محمد فهو جد لعبد الله القاضي المشهور وهم يدعون الآن آل عبد الله نسبةً إلى عبد الله بن محمد بن إبراهيم.

ومن ذرية محمد بن إبراهيم سليمان ولا أعرف له ذرية وعبد الكريم وهو أبو محمد العبد الكريم المعروف والد الشيخ عبد الله المحمد عبد الرحمن وعلي وصالح، وأما عبد الله بن إبراهيم فذريته

(١) عبد الرحمن المحمد يقول: إن اسمه إبراهيم الإبراهيم وليس لإبراهيم القاضي ابن اسمه علي. هـ. عبد الله البسام.

يدعون آل عبد الرحمن نسبةً إلى محمد بن عبد الرحمن أبو صدر وهو أبو الموجودين عبد العزيز وإخوانه المذكورين أدناه، ومنهم عبد العزيز المحمد وعبد الله المحمد وسليمان وعبد الرحمن المحمد العبد الرحمن.

وأما حمد بن إبراهيم ــ فهو جد آل عثمان ــ منهم الشيخ صالح العثمان القاضي، قاضي عنيزة المتوفى سنة ١٣٥١هـ، وأما علي بن إبراهيم، فهو جد القويضي أهل المليحة وأهل الضبط، وقد بقي بعض أبناء عمهم في الوشم وغيره، وإلى القاضي من الوهبة من بين حنظلة بن مالك، ويلتقي نسب الوهبة جميعهم من فهد بن علوي بن وهيب، ومنهم يتفرعون إلى آل القاضي فمنه ذرية زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب، وهو الجد الجامع آل بسام منيف الذي هو جد آل قاضي ــ وآل راجح ــ وآل عساكر وآل بسام بن عقبة وآل رئيس وآل مشرف هذا ما يقوله الشيخ النسّابة إبراهيم بن صالح بن عيسى.

الموجود من ذرية بسام بن منيف

آل منيف وهم فحولة القضاة في عنيزة ــ وآل ابن حسن المعروفين ومنهم الدنامسة في الزبير ــ وآل عبد الله بن بسام وهم الحصانا والخرافا وآل بسام الذين في زميقة من بلاد الخرج، هؤلاء هم ذرية بسام بن منيف كما ذكره الشيخ ابن عيسى.

ولنرجع إلى تتمة حوادث سنة ١١٣٥هـ

قال ابن بشر: وفي هذه السنة عمرت منازل آل أبو هلال ومنازل آل أبو سعيد وآل أبو سليمان في الروضة في سدير.

وفي هذه السنة كانت شدة عظيمة وغلاء عظيم من قلة الأمطار، وهي مبادي الوقت الشديد المسمى (سحي)، وأظنه الوقت الذي يسمونه أهل القصيم ساحوت.

حوادث سنة ١١٣٦هـ

وفي هذه السنة اشتد المحل والقحط أعظم من السنة التي قبلها وعم الغلاء والقحط من الشام إلى اليمن في البادي والحاضر، وماتت المواشي: الإبل والغنم وكل بعير يشال عليه الرحل وتخلف أكثر البوادي في البلدان أعباء لا يجدون ما يرحلون عليه، وغارت الآبار في سدير، وجلا أهلها وكثير من أهل نجد إلى الأحساء والعراق، ولم يبقَ في بلد العطار إلاَّ أربعة أنفار حيث لم يبقَ فيه إلاَّ بيرين فيهما بعض الماء، وكذلك قربة العودة قبل ذلك ولم يبقَ فيها من أهلها إلاَّ بضعة رجال، والحقيقة أنها من أشد السنين التي مضت على أهل نجد، تلفت فيها بوادي حرب والعمارات من عنزة بوجه خاص، وتلف جملة مواشي بني خالد وغيرهم، وفي ذلك يقول بعض أدباء سدير:

غدى الناس أثلاثًا فثلث شديدة ... بلاوي صليب البين عاير وجائع
وثلث إلى بطن الزاد فن ميت ... وثلث إلى الأرياق جالٍ وناجع

وفيها قام آل ابن راجح على أبناء عمهم آل ابن هلال وهدموا منزلتهم في روضة سدير، وفيها مات بداح العنقري صاحب ثرمداء وأراد آل رباح سلطان وأخاه استرجاع الإمارة لأنفسهم، فقام عليهم إبراهيم بن سليمان العنقري وقتلهم، وتولى الإمارة في ثرمداء، وستأتي أخبار إبراهيم بعد هذا لأنه أثر عظيم.

حوادث سنة ١١٣٧هـ

وفي ليلة عيد الفطر في هذه السنة توفي سعود بن محمد بن مقرن صاحب الدرعية، وتولى بعده زيد بن مرخان، وفي هذه السنة والمحل والقحط على أشده وهذه هي السنة الثالثة التي لم ينزل فيها أمطار ومات أكثر الناس جوعًا ومات أكثر بوادي حرب وبوادي الحجاز، وغلا الزاد في الحرمين حتى لا يوجد ما يباع.

حوادث سنة ١١٣٨هـ

وفي هذه السنة وقع في بلد العيينة وباء عظيم، أفنى غالب أهلها ومات فيه رئيسها عبد الله بن محمد بن معمر المشهور الذي تزخرفت العيينة بوقته وبلغت من القوة ما لم تبلغه مدينة أخرى في نجد قبلها، ولا يذكر في زمانه ولا قبل زمانه في نجد من يضاهيه في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث، وكانت مدة إمارته نحو أربعين سنة[1]، وتولى من بعده ابن ابنه محمد بن عبد الله بن معمر الملقب خرفاش.

وفيها قُتل إبراهيم بن عثمان أمير النصب المعروفة في الوشم، قتله أبوه عثمان بن إبراهيم لخلاف وقع بينهما، ذلك أنه قد أتاهم إبراهيم بن يوسف صاحب بلد الحريق يطلب النجدة من عثمان على أهل بلده وعشيرته فحصل خلاف بين الأب والابن من أجل ذلك فقتل الأب إبنه.

---

(١) ؟؟؟

ذبحة أهل الدار

وهي حادثة جرت في عنيزة واشتهرت بهذا الاسم.

تقدمت العيينة بزمنه تقدمًا عظيمًا، وكثر سكانها وزاد عمرانها، وبلغ عبد الله في الرئاسة قُوة الملك والسلطة ما لم يبلغه أحد قبله في نجد، حتى كانت بلده المدينة الأولى في نجد، ولكنه يكاد تكون الأولى، وقد حاول إخضاع القرى المجاورة لحكمه فلم ينجح، وكان له وقائع عديدة مع أهل حريملاء اليمامة والعمارة القرينة وثادق والبير وغيرها من القرى، ولكن بالرغم من عدم إخضاعهم وانقيادهم له، فإنه من الثابت أنه لم يتوجه جيشًا لمقاتلته، ولم يكن يومًا ما مدافعًا، بل إنه دائمًا كان مهاجمًا.

حوادث سنة ١١٣٩هـ

وفي هذه السنة أغاث الله عباده غيثًا هنيئًا مريئًا أصلح الله به الزروع، وأحيى به ميت الأرض والأنعام، بل وأحيى به النفوس التي أنهكتها السنون الثلاث الشديد، وسميت هذه السنة (رجعان سحى) ولا يقال لكل سنة خصب رجعان، بل إنها مختصة بسنة الخصب التي تلي السنة أو السنتين المجدبة، وبلغ سعر التمر مائة وزنة بالأحمر وأربعة آصع من العيش المحمدية.

قتل مقرن بن محمد بن مقرن

كان مقرن بن محمد أميرًا في الدرعية، وزيد بن مرخان أميرًا في عصيبة أحد أقسام الدرعية، وكان بينهما نزاع أساسه طمع مقرن بإضافة عصيبة إلى إمارته وتوحيدها، ثم سعى بينهما بنو عمها وأصلحوا بينهما، ولكن مقرنًا لم يكن نيته صافية وأراد تحتيم ما يريد بالقدر، فكتب إلى

زيد بن مرخان يخادعه، فقال: إن الخلاف السابق قد باعد بيننا، وبما أن الصلح قد تم وزال الخلاف، فنحب أن تزورنا لتمام الاستئناس بكم وزيادة لتوثيق الروابط معكم، فلم يخف على زيد عاقبة هذه الدعوة وأوجس منها شرًا فجاوبه بالإيجاب على شرط أن يكفل لي ابن أخيك محمد بن سعود ابن عمك مقرن بن عبد الله أن تبدر منك بادرة شر نحوي فكفلا له، فأتاه زيد في جماعة، فباتت شواهد الغدر من مقرن بن محمد، وهمَّ يقتل زيد غير مكترث بأمر الكفلاء، ولكنهم ثاروا عليه وأوقفوه عند حده، فحمل عليه محمد بن مسعود ومقرن بن عبد الله فانهزم من بين أيديهم وألقى نفسه من نافذة بالمنزل واختفى في بيت الخلاء، فأدركاه فيه وقتلاه، وأرجعا زيدًا إلى مكانه.

قتل زيد بن مرخان

ذكرنا وفاة عبد الله بن معمر أمير العيينة بالسنة الماضية، وولاية حفيده من بعده، ولم يكن له من المواهب الإلهية ما لسلفه، وكانت العيينة على ما وصفنا من القوة المادية، وكثرت الأموال فتنبهت مطامع الأمراء المجاورين وكان أسرعهم لذلك زيد بن مرخان صاحب الدرعية، فقد أغراه ما فيها من الأموال وعلى الخصوص بعد أن فقدت قوتها المعنوية بوفاة أميرها عبد الله بن معمر، فأراد أن يهتبل الفرصة لغنيمة ذلك الإرث الثمين، فجهز الجنود وسار إليها بقوة كبيرة من أهل الدرعية ومعه دغيم بن فايز المليحي رئيس سبيع، وبوادي سبيع وآل كثير وغيرهم، ومعه أيضًا محمد بن سعود، فبلغ خبرهم إلى محمد بن حمد بن معمر واشتدَّ عليه الأمر وعلم أنه لا طاقة له بدفعهم، وعلم أنه لا ينجيه إلاَّ الخديعة والمكر، وهي من الخلال التي يمتاز بها ضعيف الإرادة، وهي

سلامة الوحيد، وإذا كانت كفونة في بعض الأحيان فإنها بمثل هذا الموقف على العكس بحجة أن الغاية تبرر الواسطة، فكتب كتابًا وأرسله إلى زيد بن مرخان فوافاه، وهو في عقرباء بالموضع المعروف قرب العيينة، يقول فيه: قد بلغني مسيرك وما عزمت عليه وعلمت أنه ما ساقك إلاَّ الطمع، وأنت تعلم أننا لسنا طعمة لأول أكل، وفي استطاعتنا الدفاع عن أنفسنا وأوطاننا إلى آخر نسمة، ولدينا من القوة ما يكفل لنا صد عدوان كل من أرادنا بسوء، ولكننا نفضل السلم ونقدمه، فإذا أعيانا الحصول عليه فذلك آخر عذرنا، وبما أني أعلم أنك تجمع هذه الجموع إلاَّ بسائق الطمع، فإذا كان الأمر كذلك فما هي الفائدة التي يعود عليك إذا جعلتنا طعمة لبذء البوادي، ولكن أعرض عليك أمرًا إن قبلته فهو لصالح الجميع، وهو أن تترك البوادي والجنود بموضعها التي هي فيه، وتقبل إليَّ مع بعض خواصك الذي تعتمد عليهم وتتفاوض معي فنعطيك ما يرضيك، مما يعود عليك دون غيرك، ولسان حاله يقول: إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي.

قتل زيد بن مرخان

جازت هذه الحيلة على زيد وانخدع بها، وأخذ يضرب أخماسًا لأسداس عما سيطلبه أمير العيينة، ولم يتخذ الحيطة لنفسه ولا خالجه شك في نوايا ابن معمر فامر على ركابه واستصحب محمد بن مسعود ودغيم بن فائز رئيس سبيع ومعهم نحو أربعين رجلاً، فقصد العيينة وتلقاهم ابن معمر عند باب القصر وأخذ بيد زيد بن مرخان حتى انتهى إلى الموضع المعد لجلوسه فيه، فما استقر في مكانة حتى استقر في جوفه رصاصتان كان فيهما خفة، فوثب محمد بن مسعود ومن معه ودخلوا في موضع من القصر يحصنوا فيه، وحصل بينهم مجاملة قتل فيها موسى بن ربيعة أمير

الدرعية سابقًا، وكان جلوي عند ابن معمر بعد إخراجه من الدرعية فدعا ابن معمر محمد بن مسعود ومن معه للنزول ولهم الأمان، فلم يقبلوا إلاّ بأمان عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر فأعطتهم الأمان، ونزلوا ثم رجع محمد بن مسعود إلى الدرعية واستقل بإمارة الدرعية وغصيبة وتفرقت جنود زيد.

هدأت الأمور بعد هذه الأمور [. . .] واستقر كل منهم بإمارته.

وكان القاضي في العيينة بذلك الوقت الشيخ عبد الوهاب بن سليمان والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فحصل بينه وبين ابن معمر خلاف فصله عن القضاء وعيّن أحمد بن عبد الله بن الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله قاضيًا فيها فارتحل الشيخ عبد الوهاب من العيينة ونزل حريملاء فاستقام بها إلى أن توفي سنة ١١٥٣هـ.

ثورة دجيني بن سعدون على عمه

وفي هذه السنة ثار دجيني بن سعدون بن محمد بن غرير على عمه علي بن محمد حاكم الأحساء، واستنجد دجيني بالظفير فسار معه ابن صويط ومعهما المنتفق وقصدوا الأحساء، وحاصروا علي بن محمد في البلد وعاثوا في قرايا الأحساء ونهبوها، فخرج إليهم علي بن محمد، وحصل بينهم قتال شديد استمر أيامًا، وقتل رجال كثير من الطرفين، ثم تغلب عليهم علي بن محمد، وشتت شملهم، ثم إنهم صالحوه ورجعوا.

سطوة النواصر في بلدهم الشرعة

وفي هذه السنة سطا النواصر في بلدهم واسترجعوها وملكوها، وأغاروا على بلد أشيقر ونهبوا زرعهم من الذرة وأكلوها.

وفيات

وفي هذه السنة وقع في بعض البلدان وباء مات فيه الشيخ محمد بن أحمد الحصيني صاحب أشيقر عمه محمد بن محمود حمد الحصيني وغيرهم، وفيها مات قاضي صاحب روضة سدير.

وفاة دواس بن عبد الله بن شعلان

وفي هذه السنة مات دواس بن عبد الله بن شعلان صاحب منفوحة وكانت مدة إمارته نحو الخمسين سنة وتولى بعده ابنه محمد فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس بن عبد الله، وقام معه أهل البلد فقتلوه لكراهتهم لآل دواس لسوء أثرهم وأعمالهم في أهل البلد، فكرهوا ولايتهم وأجلوا بقية ذريته دواس وهم دهام بن دواس المشهور الذي سيأتي ذكره وأخوانه عبد الله ومشلب وتركي وفهد وسعدون وشعلان فنزلوا الرياض واستوطنوها، وكانوا أصهارًا لأميرها زيد بن موسى آل زرعة، فإن أختهم تحت زيد المذكور فأقاموا عنده ثم بعد مدة قُتل زيد بن موسى؛ قتله مقتوه من بني عمه لأطماع في الإمارة فصعد إليه وهو في علِّيَّة له؛ وكان نائمًا فيها فقتله بسكين كانت معه، فجاءه عبد لزيد يسمى خميس فقتله، وتولى العبد الإمارة في الرياض نيابةً عن ابن عم سيده المقتول لكونه قاصرًا واستمرت إمارته نحو ثلاث سنين.

حوادث سنوات ١١٤٠هـ ـ ١١٤٥هـ

وساءت سيرة العبد فكرهه أهل البلد وعزموا على الفتك به فأحس بعزمهم وهرب وبقيت البلد بلا رئيس فطمع دهام.

بالإمارة لقربه من صاحبها الشرعي، ومن أحق منه بحفظ مركز ابن

أخته، نقرن الأمل بالفعل، وأعلن نفسه أميرًا بالنيابة عن ابن أخته القاصر إلى أن يبلغ رشده فيردها إليه، فعارضه أهل البلد، وكرهوا إمارته لسوء السمعة التي يتمتع بها آل دواس، تشاوروا عليه وقاوموه فعلاً فاحضر بقصر الإمارة، وأرسل أخاه مشلبًا إلى محمد بن مسعود أمير الدرعية يستنجده فأمده بقوة تحت قيادة مشاري بن مسعود فتمكن هذا من تشتيت شمل أهل الرياض وفك الحصار عن دهام ومن معه فخرجوا من القصر وتولى الإمارة، فأقام عنده مشاري نحو ثلاثة أشهر حتى توطد مركزه وانقاد له أهل الرياض وأذعنوا له.

والسبب في فشل ثورة أهل الرياض أنها لم تكن على أساس، وليس لهم زعيم ينظم حركتهم ويتولى أمرهم بدلاً من دهام، ولو فعلوا لكان نجاحهم مضمون، ولكن ثورة كهذه لا يصعب إخمادها.

كما توطد مركز دهام ورسخت قدمه بدأ بابن أخيه الذي هو نائب عنه، وأبعده عن البلاد واستأثر بالسلطة، ومرت هذه الحوادث في أواسط بحر السنين التي بين الأربعين والخمسين، ولكننا كرهنا تقطيعها فأدرجناها متتابعة.

وفي سنة ١١٤٣هـ: قام حسن بن مشعاب أمير عنيزة على بني عمه الشحتة، وهدم منزلتهم الجادة وأجلاهم إلى العوشرية، وأقاموا فيها مدة ينتظرون الفرصة لاسترجاع محلتهم، ولهم في ذلك قصيدة مشهورة يتناجون فيها[١]:

---

(١) ؟؟ ؟؟؟

مشاعيب سحوا واجعلوا الستور واحد

مشاعيب رأس الشيخ نهض مقامه

وأخذ نحي فيها هذا المنحى ثم إنهم كاتبوا بني خالد أهل الجناح وطلبوا مساعدتهم فأجابوهم وواعدوهم يوم معلوم فجاؤا فيه وسطوا على حسن بن مشعاب وقتلوه، واستولوا على عنيزة جميعها سنة ١١٥٥هـ، وأجلوا الجراح عنها وغرسوا أشجار نخلاً، ولكن رشيد بن محمد بن حسن بن معمر الجراح لم يمهلهم وسطى عليهم سنة ١١٥٦هـ، واسترجع محلتهم المليحة وملكها، وتولى الإمارة في عنيزة وعقد صلحًا مع بني خالد أهل الجناح، وهدأت الأمور وسكنت الأحوال، وتفرغوا لشؤون فلاحتهم، وغرس آل زامل وآل أبا الخيل أملاكهم في السهربة والبيناء فنمت أحوالهم وأموالهم واتسعت أمورهم بفضل حسن السياسة. فكان رشيدًا هذا من أحسن الأمراء سيرةً وأبعدهم نظرًا، بقيت الحالة نحو عشرين سنة على أفضل ما تكون من الأحوال، ولكن خصوم الأميران لم ترق لهما هذه الحالة، وساءهم أن تكون هذه الصحة على أيديهما، فما زالوا يبثون الدسائس حتى أثاروا عليهم العامة فاتفق رجال من بني خالد من جماعة خراج ورجال من آل أبو غنام وآل زامل على قتل الأميرين فقبضوا عليهما وقتلوهما في السوق في مجلس عنيزة كما يقتل المخرجين، فثارت الفتنة بين الفريقين ورجعوا إلى ما كانوا عليه في سابق عهدهم وكان قتلهما سنة ١١٧٤هـ.

النهضة الدينية والسياسية
أو الانقلاب العظيم والتطور الخطير

انتهى الدور القديم بما فيه من خير وشر وما فيه من غموض وإبهام، ووقفنا فيه على حد هذه النهضة التي تبدلت فيها حالة نجد من الفوضى إلى النظام، ومن التفرق إلى الاجتماع، ومن الخوف إلى الأمن، ومن كل حال سيئة إلى حالة حسنة، وذلك ببركة دعوة منقذ نجد من الجهالة الشيخ الجليل والمصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، فلو لم يكن له من الفضائل إلاّ اجتماع الكلمة وتوحيد السياسة لكفى بها فضيلة، كيف وقد جمع الله به شتات هذه الأمة تحت راية واحدة وأنقذهم من شر الفوضى والتطاعن والتقاتل وكف أيديهم عن الاعتداء على بعضهم بعضاً، وزالت الشحناء والبغضاء المتأصلة في نفوسهم، نعم إن القتال لم ينتهي وحدث حوادث جسيمة أعظم مما كانت، ولكنها أمور لا بدَّ منها، وحالة طبيعية تصاحب كل انقلاب إصلاحي، لأن العادات المتأصلة في النفوس لا يسهل اقتلاع جذرها إلا بعد مدة طويلة، وهكذا كانت الحالة في هذا الانقلاب، فإن الحروب استمرت نحو ثلاثين سنة بشكل أعظم وحالة أعم مما سبقها قبل أن تستقر، وبما أن هذا هو الحد الفاصل بين النهضة الإصلاحية وبين حالة الفوضى التي شرحنا فيما تقدم من الكتاب، وبما أن محور السياسة والتاريخ سيدور على بعض الأمراء أهل الشخصيات البارزة، الذي سيكون لهم أثر كبير في مجرى التاريخ، أحببنا أنْ نوضح أسماء هؤلاء الأمراء وشيء من حالتهم، وما هم عليه قبل هذه النهضة وفي أثنائها الأمراء البارزون الموجودون في هذا الزمان:

١ ـــ محمد بن مسعود أمير الدرعية، تولى الإمارة سنة ١١٣٩هـ.

٢ ـ دهام بن دواس أمير الرياض، تولى الإمارة بحدود سنة ١١٤٣هـ ١١٤٤هـ.

٣ ـ إبراهيم بن سليمان العنقري أمير ثرمدى، تولى الإمارة سنة ١١٣٦هـ.

٤ ـ زيد بن زامل بن تركي أمير الدلم [. . .].

٥ ـ آل مدلج أهل حرمة.

٦ ـ عثمان بن حمد بن معمر أمير العيينة.

أما آل حميد أمراء الأحساء فيهم وإن كانوا أقوى من هؤلاء جميعًا، وكلمتهم هي النافذة في عموم نجد، إلَّا أنهم لم يكترثوا بذلك أول الأمر، فاختصينا هؤلاء الأمراء بالذكر لما لهم من الأثر في مجرى التاريخ الحديث، لأنهم ناصبوا ابن سعود العداء وحالوا دون توسعه بالفتوحات طيلة أيام محمد وشطرًا من أمارة عبد العزيز.

أما حالة نجد الخارجية فلم تكن أحسن حالاً من حالها الداخلية، فقد كانت تتنازعها ثلاث قوى:

الأشراف من الغرب، وآل حميد من الشرق، والمنتفق من الشمال.

دعوة الشيخ محمد

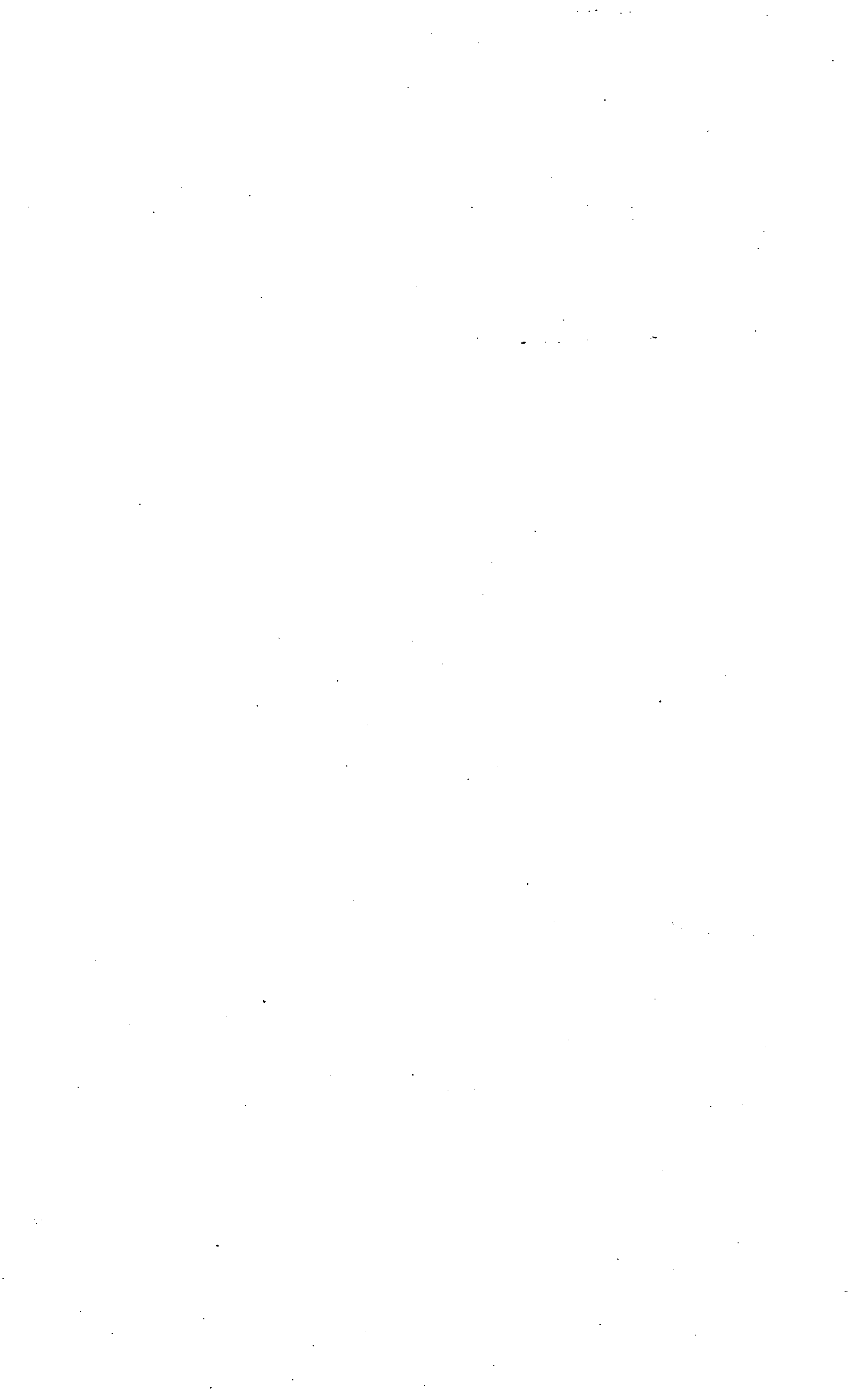
كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حريملاء عند أبيه يقرأ عليه بعد رجوعه من العراق، وكان ينكر ما يفعله الجهال من البدع، وكثر منه الإنكار لذلك حتى وقع بينه وبين أبيه كلام، ووقع بينه وبين الناس كذلك في البلد، فأقام على ذلك مدة سنين حتى توفي أبوه سنة ١١٥٣هـ، فرأى وجوب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمال إليه ناس من أهل

البلد واتبعوه واشتهر أمره، ولكن الرؤساء غالبًا يكونوا هم أصل البلاء، فقد كانت إمارة حريملاء لآل حمد وأبناء عمهم آل راشد وكانوا قسمين، كل منهم لديه أتباع لا يُعارض، وليس للبلد رئيس واحد يتزعم الجميع، وكان لأحد الفريقين أتباع يعيثون فيها فسادًا، فأراد الشيخ أن يمنعوهم من ذلك فأحس العبيد بذلك، وأرادوا أن يفتكوا بهذا الشيخ الجديد الذي جاء يغير عليهم حالتهم، ويريد أن يصرفهم عما اعتادوا عليه، فأحس الشيخ بأمرهم فانتقل إلى العيينة فتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالقبول وأكرمه، وزوجه عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر المشهور التي أجارت محمد بن سعود في حادثة زيد بن مرخان الذي سبق ذكرها وعرض على عثمان ما قام به ودعى إليه وطلب منه نصرته فأجابه وساعده، وقام بنصرته وعضده في أول الأمر، فأعلى الشيخ دعوته، وقام بقطع بعض الأشجار وهدم القباب التي بنت على القبور، منها قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه في الجبيلية، ونفَّذ الرجم في الزانية التي اعترفت بزناها، فاشتهر أمره وطار صيته، إلى ما وراء نجد وقامت قيامة علماء نجد وعلماء الأحساء، وكاتبوا علماء الأمصار وأشاعوا عنه إشاعات باطلة وبلغ الأمر أن استعانوا بسليمان بن محمد بن غرير الحميدي حاكم الأحساء فكتب إلى عثمان بن معمر يأمره بنفي الشيخ أو قتله، وكان له سلطة على ابن معمر، فلم تسعد مخالفته فأبلغ الشيخ الأمر، واعتذر إليه أنه لا يستطيع مخالفة أمر ابن غرير وأخبره بالمحل الذي هو يرغب، فاختار الدرعية فأرسل معه من أوصله إليها، فنزل عند محمد بن سويلم العريني فضاق به ذرعًا وخوفًا من محمد بن سعود لأن أمره قد اشتهر ولكنها شهرة ليست بجانبه، حيث إن علماء السوء قلبوا الحقائق وهذا ما دعا ابن سويلم إلى الخوف من ابن سعود، ولكن محمد بن سعود أخلف أمل بن

سويلم لما أراد الله به من الخير فتلقى الشيخ وأكرمه وعاهده على القيام بنصرته وأن يمنعه مما يمنع عن نفسه وأولاده، فلما بلغ أتباعه في حريملاء وفي العيينة قبول محمد بن سعود بأمره وهاجروا إلى الدرعية وهم نحو سبعين رجلاً فيهم بعض الرؤساء من المعاصرة أبناء عم عثمان المناوئين له فأدرك عثمان خطأه في إخراج الشيخ وعلم أنه فتح على نفسه بابًا من الشر فأراد أن يستدرك ذلك فركب وقدم على الشيخ في عدة من رجاله، وحاول أن يسترضي الشيخ ليرجع معه ويقوم بنصرته فأحاله على محمد بن سعود فرفض ذلك، فأخذ يدير الداء في الوسيلة التي يتلاقى بها هذا الأمر فلم يرى أسلم من المتابعة فبايع الشيخ وتابعه إما عن عقيدة وإما عن مكيدة ليدفع بها عن نفسه.

ومضت السنة الثامنة والخمسين بعد المائة والألف بالتحميدات ولم يقع بها حوادث تذكر، وبما أن تاريخ هذه الدعوة وتطوراتها قد كفانا ابن بشر وابن غنام الكلام عليها بتاريخها من الناحية الدينية فقد قصرنا بحثنا في هذا الكتاب على الناحية السياسية التي لم تزل غامضة، لأن المؤرخين القديمين والحديثين لم يعالجوها كتاريخ سياسي، فابن بشر وابن غنام دونوها بصفة دينية محضة، ووصموا مخالفي ابن سعود بالردة أو ما هو في معناها، ولم ينظروا إلى أعمال هؤلاء الأمراء من الناحية السياسية الذي هي السبب المباشر لهذه المقاومة، ولهذا وجب أن نتكلم عن حالة هؤلاء الأمراء من هذه الناحية ونعطيهم حقهم على قدر ما يستحقون، ونقدر أعمالهم وآثرهم في التاريخ، لأنهم الآن أصبحوا في ذمة التاريخ، والتاريخ أمانة في ذمة المؤرخ يجب أن يؤديه على أصله نصحًا بالرواية وحرصًا على التحقيق.

* * *



العقود الدرية

في تاريخ البلاد النجدية

تأليف

مقبل بن عبد العزيز الذكير النجدي



بسم الله الرحمن الرحيم

النهضة الإصلاحية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد انتهى الدور القديم بما فيه من خير وشر، وما فيه من غموض وإبهام، ووقفنا في الجزء السابق على مد هذه النهضة التي تبدلت فيها حالة نجد من الفوضى إلى النظام، ومن التفرق إلى الاجتماع، ومن الخوف إلى الأمن، ومن كل حالة سيئة، إلى حالة حسنة؛ وذلك ببركة دعوة منقذ نجد من الجهالة: الشيخ الجليل، والمصلح الكبير والشيخ محمد بن عبد الوهاب، قدس الله سره، فلو لم يكن له من الفضائل إلاَّ اجتماع الكلمة وتوحيد الأمة لكفى ارتكاب فضيلة؛ فكيف وقد جمع الله به شتاتهم وأنقذهم مما هم فيه من الجهالة، وألف بينهم، وكف أيديهم عن الاعتداء بعضهم على بعضًا، وأشرب قلوبهم حب الإيمان، ونفى عنهم درن البدع الدينية التي قد عمت البلاد وأزال الشغاء والبغضاء المتأصلة في قلوبهم ببركة إرشاداته، وجاهد في ذلك علمًا وعملاً حتى جعلهم على الحجر البيضاء فجزاه الله أفضل ما جازى به عاملاً عن عمله.

وقد قلنا: إن الشيخ رحمه الله كفهم عن التطاحن والتقاتل، وليس يعني أن القتال انتهى، فقد حدثت حوادث جسيمة أعظم مما كانت قبل ولكنها أمور لا بد منها، وحالة طبيعية تصاحب كل انقلاب إصلاحي لأن المعاداة المتأصلة في النفوس لا يسهل اقتلاع جذورها، خصوصًا الأمور الدينية، فلا بد لاقتلاع هذه الجذور الخبيثة من قوة تؤيد المصلح على المضي في السبيل الإصلاحي، قامت هذه الحروب واستمرت مدة طويلة حتى استقر الحق في نصابه وإليكم كيفية نشأتي الشيخ والسبيل الذي سلكه لنشر هذه الدعوة قبل اتصاله بالإمام محمد بن سعود.

نشأة الشيخ محمد ودعوته

كان الشيخ محمد في بلده حريملا عند أبيه يقرأ عليه بعد رجوعه من الحجاز، والعراق وكان أخذ ينكر ما يفعله الجهال من البدع. وكثر منه الإنكار، وكان أبوه ينهاه عن الشدة ويأمره بأخذ الناس بالتي هي أحسن، ولكن الشيخ لا يعرف الهوادة في الدين فوقع بينه وبين أبيه كلام، وأوقع بينه وبين الناس كذلك فأقام على ذلك عدة سنين، فلما توفي أبوه سنة ١١٥٣هـ رأى وجوب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمال إليه أناس من أهل البلد واتبعوه، وخالفه آخرون، وقد كانت إمارة حريملا لآل حمد وأبناء عمهم آل راشد، ولكل منهما أتباع وخدم، وكان في خدم أحد الفريقين أشرار يعيثون في البلد فسادًا، فأراد الشيخ أن يمنع شرهم عن الناس، فأحس العبيد بذلك وعزموا على أن يفتكوا بهذا الشيخ الجديد الذي ينعي عليهم ما هم فيه، ويريد أن يصدهم عما اعتادوا عليه، فأحس الشيخ بأمرهم، فانتقل إلى العيينة، وكانت يومئذٍ من أقوى إمارات نجد

فتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالقبول، وأكرم نزله وشكر الشيخ عثمان على ما قام به ودعا إليه وطلب منه نصره وتأييده، فأجابه وساعده وقام بنصرته وعضده في أول الأمر، فأعلن الشيخ دعوته، وأخذ ينفذ أوامره، وقام بقطع الأشجار التي كان للعامة فيها اعتقادات باطلة، وهدم القباب التي بنيت على القبور، في الجبيلة منها قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه ورجم الزانية التي اعترفت بزناها، فاشتهر أمره وطار صيته إلى ما وراء نجد وأخذ يكاتب علماء البلدان ويجادلهم فقامت قيامة بعض علماء نجد خصوصًا سليمان بن محمد بن سحيم قاضي دهام بن دواس في الرياض، فإنه كتب إلى علماء الأمصار يشنع على الشيخ ويفتري عليه، وأشاعوا عنها إشاعات باطلة وأخذ بضع سنوات ينشر دعوته في المناظرات مع العلماء، وبلغ الأمر بالمخالفين أن حرضوا عليه الأمراء، فلم يبلغوا أملهم فيه فداروا بأنظارهم إلى علماء الأحساء يستنجدونهم، فقام هؤلاء واستنجدوا بسليمان بن محمد بن غرير الحميدي رئيس بني خالد وحاكم الأحساء والقطيف، وكان له سلطة عليا على أمراء نجد فكتب إلى عثمان بن معمر يأمره أن ينفي الشيخ من بلده فلم يسعه مخالفته فأبلغ الشيخ الأمر الوارد من ابن غرير بشأنه، واعتذر إليه أنه لا يستطيع مخالفة أمر ابن غرير وسأله عن الذي يختاره ليوصله إليه، فاختار الدرعية، فأرسل معه من أوصله إليها، وكان أميرها يومئذٍ محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، فنزل الشيخ عند تلميذه محمد بن سويلم العريني، فضاق به ذرعًا خوفًا من محمد بن سعود لأن أمر الشيخ قد اشتهر، ولكنها شهرة ليست بجانبه، حيث إن علماء السوء قد قلبوا الحقائق وهذا ما دعى ابن سويلم إلى التخوف من محمد بن سعود غير أن ابن سعود أخلف أمل ابن سويلم

لما أراد الله به من الخير، فإنه عندما بلغه قدوم الشيخ بادر إلى السلام عليه في دار ابن سويلم، ورحب به أجمل ترحيب، فعرض عليه الشيخ محمد ما يريد من نشر الدعوة وطلب منه الحماية فأجابه ابن سعود وعاهده على أن يقوم بها وأن يمنعه مما يمنع منه نفسه وأولاده إلاّ أنه شرط عليه أن لا يمنعه من أخذ العوائد التي له عن البلاد. فقال الشيخ: سيعوضك الله خيرًا منها. استقر الشيخ في الدرعية سنة ١١٥٧هـ وبلغ أتباعه في حريملا والعيينة فقام محمد بن سعود بأمره، فهاجروا إلى الدرعية وهم نحو سبعين رجلاً، فيهم بعض الرؤساء من المعامرة أبناء عم عثمان المناوئين له، فأدرك عثمان خطأه في إخراج الشيخ، وعلم أنه فتح على نفسه بابًا من الشر، فأراد أن يستدرك ذلك، فركب وقدم على الشيخ في الدرعية ومعه عدة رجال من بلده، وحاول أن يسترضي الشيخ ليرجع معه على أن يقوم بنصره وتأييده، فأحاله على محمد بن سعود، ورفض هذا طلبه فأخذ يدير الرأي في الوسيلة التي يتلافى به هذا الأمر فلم يرى أسلم من المتابعة فبايع الشيخ وتابعه إما عن عقيدة وإما عن مكيدة ليرفع عن نفسه شر ما نشر وقبل أن نفيض في سرد الحوادث لا بد من الإشارة إلى الحالة السياسية التي تقدمت النهضة الإصلاحية.

الحالة السياسية

كانت الحالة السياسية العامة في نجد مضطربة في جميع نواحيها حيث كانت نجد مفككة الأوصال لا رابطة تجمعهم، مختلفوا الكلمة، متباينوا النزعات. والحروب مستعرة بينهم، ناشئة عن الأحقاد والضغائن التي أوجدها الجهل وغذاها التعصب وفي الوقت الذي نحن بصدد الكلام

عنه برز فيه أربعة من الأمراء، كان مدار التاريخ عن الحديث عليهم والكلام عن هؤلاء الأمراء يضيق ويتسع تبعًا لشخصية هذا الأمير وأعماله ولهم خامس ليس بدونهم في القوة ولكن ليس له شيء من صفاتهم من الطموح وقوة الإرادة وسعة المطامع، ولقد كان أولهم وهو سقوطًا وها نحن متكلمون على هؤلاء الأمراء على حسب درجاتهم وأثرهم في المقاومة.

دهام بن دواس

كان أبوه متغلبًا على منفوحة كما أشرنا إلى ذلك، ولما مات تولى بعده ابنه محمد، فثار عليه ابن عمه زامل بن فارس وأهل منفوحة وقتلوه لسوء أثرهم في البلاد، وأجلوا إخوانه دهام، وعبد الله، وتركي، ومشلب وفهد، فاستوطنوا الرياض وكان أميرها يومئذٍ زيد بن موسى أبو زرعة، وكان صهرًا لدهام على أخته. وسار على زيد رجل من بني عمه فقتله على غير غاية، فجاء عبد لزيد يسمى خميّس فقتل الرجل وتولى بعد عمه نيابة عن ابنه الصغير وساءت سيرة العبد، فهم أهل البلد بقتله، فهرب من الرياض، فبقيت مدة بلا رئيس، فتولى دهام بحجة أنه نائب عن ابن أخته إلى أن يرشد ثم يتخلى له عن الأمر، ولكن تمكن من طرد ابن أخته وأجلاه عن الرياض، فتآمر عليه أهل الرياض كراهة لولايته لسوء سمعته وحاصروه في قصره وسعوا في عزله فأرسل أخاه مشلبًا إلى محمد بن سعود يستنجده، فأنجده بقوة تحت قيادة مشاري بن سعود، فشتت شمل أهل الرياض، وأكرههم على الخضوع لأمر دهام، وأقام عنده ثلاثة أشهر حتى ثبت مركزه. وكان ذلك حوالي سنة ١١٤٥هـ ولم تزل علاقته مع ابن

سعود حسنة طيلة السنوات التي تقدمت اتصاله بالشيخ محمد، وهذه العلاقات أكسبته نفوذًا كبيرًا وقوة وتقدمت الرياض في عهده تقدمًا كبيرًا واتسع عمرانها وكثر سكانها، وصار له شهرة واسعة، حتى كان يلقب بالشيوخ وهذا لقب في نجد لا يمنح إلاَّ لصاحب نفوذ عظيم، وكان قاضيه سليمان بن محمد سحيم، وهو الذي قاوم الشيخ محمد وجاهره بالعداوة وأشاع عنه المفتريات والأباطيل التي لم يزل أثرها في الأمصار حتى وقتنا هذا.

أما حالة دهام الشخصية فكان من الأمراء الممتازين همة وإقدامًا، قوي الشكيمة، صعب المراس، صادقًا في عداوته، مراوغًا في صداقته، لا يمنحها إلاَّ لحاجة في نفسه، ولا يثبت عليها إلاَّ ريثما تمكنه الفرصة؛ وكان في أحكامه مثله في أخلاقه، فقد حكي عنه ابن غنام في تاريخه أعمالاً تدل على القسوة والغلظة، ولعل ابن غنام لا يخلوا من بعض التحامل عليه للشيخ ولكنها على أي حال تصور لنا شيئًا من أخلاقه، وعلى أي حال فمن الوجهة التاريخية لا يمكن إغفال أمره، والتنويه بأعماله السياسية والحربية وإن لم يرق لنا عمله من الوجهة الدينية لأننا نعتبر عمله ومقاومته الشديدة التي دامت سبع وعشرين سنة لم تكن موجهة ضد الدين وإنما هي دفاعًا عن مركزه، لأن إذعانه للشيخ معناه الدخول تحت أمر محمد بن سعود، ورجل مثل دهام في قوته وعلو همته لا يمكن إخضاعه بسهولته ودليلنا على أن مقاومته لم تكن ضد الدين أن الشيخ محمد أقام نحو ست سنين في حريملا وفي العيينة وهو يثبت دعوته، ويكاتب علماء البلدان ويكاتبونه، ويجادلهم ويجادلونه ولم يأبه له أحد من الأمراء، ولا غيرت شيئًا من علاقاتهم بعضهم مع بعض، لأن المسألة

دينية، وبين علماء الدين، فلا شأن للأمراء في ذلك، ولم يتدخلوا بينهم.

ولما اتصل الشيخ محمد بمحمد بن سعود وتغيرت نظرية الأمراء وخافوا شره على أنفسهم من وراء هذه المحالفة الدينية السياسية، وخصوصًا الأمراء الذين لهم فضل قوة، فهبوا لمقاومتها وعلى رأسهم دهام بن دواس، فبدأت الحرب بينه وبين ابن سعود من سنة ١١٥٨هـ إلى سنة ١١٨٧هـ، أي طيلة أيام محمد بن سعود وشيئًا من ولاية عبد العزيز، تبادل فيها الطرفان أكثر من ثلاثين غزوة، قتل فيها من الفريقين نحو أربعة آلاف كما ذكره ابن بشر بتاريخه، ومن بين هؤلاء القتلى فيصل، وسعود، ابنا محمد بن سعود، وأخوة دهام الأربعة: تركي، وفهد وشعلان، وابنه دواس بن دهام، وكان هذا آخر من قتل منهم سنة ١١٨٥هـ، فلما قتل ابنه جزع عليه جزعًا شديدًا، وخارت قواه وانكفأ نفسه التي ما كانت تعرف الخور، وفترت همته وضعف عن المقاومة لكبر سنه، ورأى أن الحرب قد طال وقوات خصمه تزداد قوة وقواته محدودة، سيما وأنه قد انضم أكبر بلدان الوشم، وسدير، والمحمل والشعيب وكثير من بلدان القارة إلى ابن سعود، وصار اتجاه هذه القوات إليه.

فرأى أن المقاومة لا تجديه نفعًا، وصعب عليه الانقياد لابن سعود والدخول تحت طاعته، فصمم على مغادرة البلاد وتركها وشأنها قبل أن يستولي عليها ابن سعود عنوة فجمع رؤساء أهل البلاد في منتصف ربيع الثاني سنة ١١٨٧، وقال لهم: إن الحرب قد طال بيني وبين ابن سعود نحو ثلاثين سنة، دافعت فيها قدر استطاعتي، وأرى نفسي الآن قد ضعفت عن المقاومة لكبر سني، واعتزمت الخروج بعائلتي من هذا البلد لابن سعود، ولعل أن يكون في ذلك خير لكم. فعارضوه وأرادوا أن يصدوه

عن فكرته، وأبدوا له مخاوفهم من ابن سعود فأجابهم أن ابن سعود لا يهمه غيري ومتى خرجت عنكم فلا خوف عليكم فخرج بعائلته وأعوانه وقصد بلد وأقام فيها، ومات في تلك السنة، أما أهل الرياض فقد داخلهم الرعب عندما علموا أن ابن سعود قادم إليهم، فهربوا على وجوههم قاصدين المخرج مشاة وركبانًا، وكان الوقت صيفًا والحر شديدًا فهلك منهم خلق كثير جوعًا وعطشًا واحتل عبد العزيز البلاد واستولى على ما فيها.

إبراهيم بن سليمان العنقري أمير ثرمداء

هو إبراهيم بن سليمان بن ناصر بن إبراهيم بن خنيفر العنقري من بني سعد بن زيد مناة بن تميم تولى الإمارة في ثرمداء ١١٣٦هـ، بعد وفاة ابن عمه بداح العنقري وقد طالت أيام إمارته، فكانت مدة إمارته نحو خمسة وأربعين سنة، قضى الشطر الأول منها في الحروب مع الأمراء المجاورين الذي يطمع بإخضاعهم، والشطر الثاني قضاه في مقاومة ابن سعود وصد هجماته.

صفاته وأعماله

كان من الأمراء البارزين والشجعان المعدودين بعيد الهمة واسع المطمع، تصفها إمارته عن خصلة من خصاله، اكتسبت ثرمداء في أيامه شهرة أكبر من حقيقتها، وكاد يكون القائد الأول في جميع الوشم على ما فيه من البلدان الأخرى ثرمداء شيئًا بجانبها، كلمته نافذة وهيبته راسخة وكانت ثرمداء في أيامه رابع مدينة من المدن التي تهجم ولا يهجم عليها وهي: الدرعية ــ الرياض ــ ثرمداء ــ الدلم.

علاقاته مع ابن سعود قبل الدعوة وبعدها

أما علاقته بابن سعود قبل قيامه بتأييد الشيخ محمد فكانت علاقة ودية وليس بينهما شيء من الخلاف، ولما قام بتأييد الشيخ تغيرت الحالة، وأخذوا ينظرون إلى ابن سعود نظر الريبة، خوفًا على مراكزهم، لأنهم نظروا له أمر من الوجهة السياسية فهبوا لمقاومة هذه الفكرة وحالوا دون انتشارها خوفًا أن تسري إلى العامة فتخذلهم، وبالأخص العنقري فإنه من الناقمين على دعوة الشيخ قبل اتصاله بابن سعود، وساعدهم بعض طلبة العلم الذي ينقمون على الشيخ بعض ما جاء منا لم يألفوه، جهلاً منهم وغباوة وتصوروا أن نجاح دعوة الشيخ تفقدهم مراكزهم ومنزلتهم في نفوس العامة، فاتفقت مصلحة الأمراء وطلبة العلم، فوحدوا كلمتهم لمقاومة هذه الدعوة، ولكن ابن سعود لم يأبه لهؤلاء فتركهم وشأنهم ووجه عنايته إلى دهام بن دواس فجعله هدفه الأول، ولم يلتفت إلى غيره.

ولكن العنقري لم يشأ أن يبقى مكتوف الأيدي فاغتنم فرصة اشتغال ابن سعود بحرب دهام وأخذ يؤلب عليه ويبث الدسائس ضده فكاتب ابن معمر ودهام بن دواس يطلب توحيد كلمتهم وعقد محالفة ثلاثين فأجابوه وتقرر أن يكون الاجتماع في العيينة، فلما حضروا للمفاوضة، أحس بهم أهل العيينة، وكانوا قد تابعوا الشيخ وأميرهم عثمان، كذلك، فثار عليهم أهل البلد وطردوهم واعتذر لجماعته أن قضت بصلحهم الشيخ فقبلوا عذره.

ولما بلغ ابن سعود أمرهم وجه نظره إلى العنقري وأراد أن يسحقه

على يد أحد حلفائه الذي لم يزل متذبذبًا فوجه إليه ابنه عبد العزيز وعثمان بن معمر، وكادوا يقضون عليه لولا أن ابن معمر حال دون ذلك، وعارض عبد العزيز، مما أوجب التهمة عليه، مما ستقف عليه في ترجمته. وفي هذا التاريخ اشتد العداء بين ابن سعود والعنقري وقاومه هذا مقاومة عنيفة طيلة أيام محمد بن سعود، لم يصلح معه ولا يومًا واحدًا، وكان أهل الوشم، وسدير، والشعيب، والمحمل، والعارض والمخرج وغيرهم يصلحون ثم ينتقضون، أما العنقري فإنه ثابر على المقاومة حتى أذعنت جميع نواحي نجد المحيطة به، وأحاط به ابن سعود من كل جنبة، فحينئذٍ ألغى قيادة وأصلح في السنة التي توفي فيها سنة ١١٨٠هـ، ولم تزل هذه العداوة في بيت العنقري لآل السعود، إلى زماننا هذا، فإنه لما قام الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن لاسترجاع ملكه سنة ١٣١٩، كان العنقري صاحب ثرمداء منضم إلى أعداء آل الرشيد إلى أن قضى عليه وعليهم الإمام عبد العزيز.

عثمان بن حمد بن معمر أمير العيينة

هو حفيد عبد الله بن محمد بن معمر المشهور، المتوفي ١١٣٨، تولى عثمان الإمارة بعد أخيه محمد بن حمد وعثمان هذا هو الذي آوى الشيخ محمد ونصره في أول الأمر، ثم اعتذر إليه وأخرجه من العيينة متأثرًا بتهديد سليمان بن محمد حاكم الأحسا والقطيف، ثم ندم على إخراجه وأراد أن يسترضيه فلم يتوفق.

صفاته وأعماله

كان بذلك الوقت يعد من أقوى الأمراء في نجد، ولو كان أمير

العيينة فيه شيء من صفات دهام أو العنقري لقلنا إنه أقوى أمراء نجد على الإطلاق ولكن البلد قوية بعددها ضعيفة بأميرها، لأنه واهي العزم، ضعيف الإرادة، متذبذبًا في أمره لا يستقر على رأي، وهذه الخلال هي التي عجلت بسقوطه، ندم على إخراج الشيخ لأن خصومه السياسيين من بني عمه التحقوا بالدرعية فاضطرب عليه أمره، فلم يرى وسيلة لاتقاء خطرهم إلاَّ المتابعة، فركب إلى الدرعية وبايع الشيخ محمد ومحمد بن سعود على السمع والطاعة في سنة ١١٥٨، ولم تكن هذه المتابعة عن خلوص نية، وكان ابن سعود في بدو أمره وهو في حاجة إلى تأليف الأمراء وتكثير سواد أتباعه خصوصًا أهل الشهرة منهم، وكان ابن معمر لا يزال يتمتع بالشهرة الموروثة، ولم يبخسه ابن سعود حقه، فقد منحه القيادة العليا في الغزوات التي يتخلف فيها محمد بن سعود، وعمل فوق ذلك حين أكد الروابط بالمصاهرة، إذ زوج ابنه عبد العزيز بن محمد ابنة عثمان بن حمد، فهو جد سعود بن عبد العزيز «لأمه»، كل هذه الأعمال لم تغير نفسية ابن معمر، وظل نحو أربع سنين وحالته مع ابن سعود متذبذبة، يتظاهر بالصداقة ويبطن ضدها، يكيد ثم يعتذر، ويتوب ثم يكيد حتى بلغ الأمر حده واغتنم خصومه من أبناء عمه الفرصة وأوغروا صدر الشيخ عليه ومحمد بن سعود، حتى ظفروا بالإذن لهم بقتله فقتلوه يوم الجمعة منتصف رجب من سنة ١١٦٣هـ، وعينوا مشاري بن معمر أميرًا في العيينة.

الأمور التي نقموها على عثمان

أما الأمور التي نقموها على عثمان فهي كثيرة ولكن أهمها في نظري ثلاث مسائل، وقد ذكرها ابن غنام في تاريخه:

١ ـ المحالفة التي أراد عقدها مع دهام بن دواس وإبراهيم بن سليمان العنقري سنة ١١٦٠هـ.

٢ ـ معارضته لعبد العزيز بن محمد بن سعود في احتلال ثرمداء بعد أن تغلبوا على أهلها سنة ١١٦١هـ.

٣ ـ استدعاءه الظفير واستخباءه بإبراهيم العنقري سنة ١١٦٣.

وها نحن نتكلم عن هذه الأمور الثلاث ونبدي رأينا في ذلك حسبما استنتجناه من مجرى الحوادث.

المسألة الأولى

أما مسألة المحالفة التي أراد عقدها مع دهام، وإبراهيم العنقري لتوحيد كلمتهم ضد ابن سعود، فهي من الأمور التي تثبت إدانته، ولا نجد له وجه عذر في سلوك هذا الطريق، ولم يبدر من ابن سعود عليه ما يحمله على ركوب هذا المركب.

المسألة الثانية

وهي معارضته عبد العزيز بن محمد في احتلال ثرمداء بعد أن ظفروا بأهلها، فهي تدل دلالة واضحة على أنه لا يزال يعطف عليهم مما عده محمد بن سعود دليلاً على أن تلك الروابط بينه وبين العنقري لا تزال باقية، بالرغم مما يتظاهر به من العداء له أوجدت الوحشة والنفور بين الطرفين، مما أوجب النتائج المتقدم ذكرها.

فهاتان المسألتان هما في الحقيقة كافيتان لثبوت سوء نية ابن معمر، وهما اللتان حملتا ابن سعود على وضع حد لأعماله.

المسألة الثالثة

أما المسألة الثالثة فلا نرى فيها ما يوجب المؤاخذة، لأن الذي دعاه إلى ذكره اتخاذ التدابير للدفاع عن نفسه وليس القصد منها الفتك بذوي الإيمان كما يقول ابن غنام، فقد بلغ ابن معمر أن بعض خصومه من أهل بلده جاءوا إلى الشيخ فقال لهم: أريد منهم البيعة على دين الله ورسوله، وعلى موالاة من والاه ومعاداة من حاربه أو ناوأه ولو أنه أميركم فبايعوه، فعلم ابن معمر أنه هو المقصود شخصيًا بهذه المبايعة، فلم ير بدًّا من الاستعداد للدفاع عن نفسه، فأرسل إلى ابن سويط شيخ الظفير وإبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء يستنجدها لصدّ الهجوم عليه، ولكن الظاهر أن هذه أوقفتهم عن العمل إلى حدّ ما، فاختاروا الطريقة الثانية ونفذوها حسبما ذكرنا في صدر هذا الكلام.

زيد بن زامل أمير الدلم

أما زيد بن زامل فقد ظل نحو ثلاثين سنة وهو في معزل، ولم يقع بينه وبين ابن سعود إلاّ مناوشات خفيفة، ولكن إذا سنحت فرصة لا يتركها فقد ساعد رئيس نجران عندما قام في غزوته الأولى على محمد بن سعود، وساعده أيضًا بغزوته الثانية على عبد العزيز بن محمد، بل يقال: إنه هو الذي استنجده، وقد كان دهام بن دواس حاجزًا بينه وبين ابن سعود.

فلما سقط دهام واحتل عبد العزيز الرياض لم يبق ما يحول دونه ودون مهاجمة زيد فأخذ زيد يستعد للدفاع ويسعى لتأليف جبهة متحدة، فأخذ يستنجد البجادي صاحب اليمامة والقرى المجاورة تارة وطورًا يستنجد ابن عريعر حاكم الأحساء ورئيس نجران ولم يزل على هذه الحال

جاهر بعداوته وقاضيه سليمان محمد بن سحيم الخصم الديني الألد للشيخ محمد، وهو أكبر من قاوم دعوة الشيخ لما كان في حريملا وفي العيينة، وهو الذي كتب إلى علماء الأحساء، وعلماء العراق، وعلماء الحجاز، كتابه المشهور الذي شنع فيه على الشيخ، وحشاه من المفتريات والأباطيل ما جعله خصوم آل سعود، وأهل نجد أساسًا للطعن فيهم إلى زمننا هذا، أي بعد مضي قرنين على ذلك.

ولم تزول هذه المفتريات عن اعتقاد الناس إلاَّ بعد أن احتل الحجاز الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن في هذا الوقت، وعرف الناس اعتقادات أهل نجد على وجه الحقيقة، ولنرجع إلى سياق الكلام فنقول: اتفق هذا القاضي العدو اللدود للشيخ دهام بن دواس العدو اللدود لابن سعود من الناحية السياسية فكان الواجب يقضي على الشيخ وعلى ابن سعود المبادرة باجتثاث هذه الجرثومة الخبيثة، لأنهما العقبة الكأداء في طريقهما، أعلن الحرب بينهما سنة ١١٥٨هـ، واستمرت طيلة أيام محمد بن سعود دون أن يتمكن من خضد شوكة دهام، وتوفي محمد بن سعود سنة ١١٧٩هـ، قبل أن يتم عمله ولم تتسع رقعة ملكه كثيرًا لما قام بوجهه من الصعوبات ومقاومة الأمراء وفي مقدمتهم دهام بن دواس.

أهم الحوادث بزمنه

كانت عشرون السنة الأخيرة من حكم محمد بن سعود كلها حروبًا مع الأمراء المجاورين، يطيعون ثم ينتقضون ويعاهدون ثم ينكثون وقد تولى ابن غنام وابن بشر تفصيل ذلك في تاريخيهما فلا نعيد ذكرها، وهما في متناول اليد لمن أراد مراجعتهما، وإنما لا بد من الإشارة إلى وقعة كان

لها أثر سيء في مجرى الأمور، لأنها شدت من عزائم المناوئين، وضعضعت ثقة بعض الموالين وقلبوا ظهر المجن لابن سعود، وأثرت الأثر السيء في معنوية أتباع بن سعود، وأخرت سير التقدم.

وخلاصة هذه الوقعة أن عبد العزيز بن سعود صادف غزوا من العجمان، فأخذهم، وقتل منهم عددًا كثيرًا وأسر نحو مائة رجل وزجهم في السجن فقصدوا نجران يستصرخون أبناء عمهم ويستنجدونهم لأخذ الثأر وتخليص أسراهم، فبلغوا دعوتهم وأقبلوا بثقة عظيمة بقيادة السيد حسن بن هبة الله ومن الصدف السيئة أن كل البلاد التي بينهم وبين الدرعية أعداء لابن سعود، فانضم إليه زيد بن زامل صاحب الدلم ومن حوله، وانضم إليهم أيضًا دهام بن دواس وصل الجيش النجراني حاير سبيع، وكان ابن سعود في بدء أمره ليس لديه ما يقابل جيش هذا العدو العادي فجمع عبد العزيز بن محمد ما استطاع جمعه من القوة وخرج مستقبلاً صاحب نجران، فصار الاتفاق بين الجيشين في حاير سبيع، فوقع القتال ودارت معركة شديدة، قتل فيه من جند ابن سعود نحو خمسمائة رجل، وأسر مائتان وعشرون، فتبعثر ابن سعود بدون انتظام ولم يتبعه النجراني، وأقام بموضعه عدة أيام، ثم تقدم قاصدًا الدرعية فوقع الخوف من تقدمه فأرسل ابن سعود إلى فيصل بن شبيل شيخ الظفير وأوعز إليه أن يتصمم النجراني ويعقد معه الصلح، فقدم ابن سبيل على النجراني وهو في الرياض بطريقه إلى الدرعية واسترضاه وأطلق ابن سعود الأسرى الذين عنده من العجمان وأطلق النجراني الأسرى الذين عنده، ورجع إلى بلاده وتوفي محمد بن سعود بالسنة التالية أي في ربيع الأول سنة ١١٧٩، رحمه الله تعالى.

عبد العزيز بن محمد بن سعود

ولد سنة ١١٣٣هـ بزمن إمارة جده سعود بن محمد وتولى الأمر بعد أبيه بإجماع رعيته، فشمر عن ساعديه وجند الجنود وقادها شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، وكان في كل غزواته موفقًا مظفرًا، ففي السنة الأولى أخضع العنقري لأول مرة في حظيرة الطاعة، وفتح الوشم، وسدير، والمحمل، والشعيب فانقادوا انقيادًا تامًا لا شائبة فيه، ووجه نظره إلى العدو اللدود دهام بن دواس، فأخذ بها بشرر بلا هوادة، لا يتركه يطمئن يغير عليه الغارة إثر الغارة، يرسل الجيش إثر الجيش، يرادهم ويغاديه طيلة سنوات، حتى أثخنه، واضطر إلى الفرار بنفسه وعائلته، وترك البلاد ومن بها وما فيها، فاستولى عليها عبد العزيز بعد أن هرب منها دهام ورتب أمورها، ولم يبق إلاَّ صاحب الدلم: فما زال يتابع الهجمات عليه حتى سقط، واستولى على الدلم وبالتالي على الخرج، والفرع، والأفلاج، ووادي الدواسر، كما أنه قد استولى على حايل ونواحيها، والقصيم وتوابعه، فلم يتم القرن الثاني عشر إلاَّ وقد استولى على نجد بأجمعها ودانت له حاضرتها وباديتها بأسرها.

ثم أدار نظره جهة الشرق فرأى أن الأحساء: هي ميناء نجد الطبيعي، وقد كان أمر آل عريعر قد تضعضع فيها، وسرايا ابن سعود تغير على أطراف البلاد وعلى العقير ميناء البلاد وهم لا يستطيعون لذلك دفعًا، حتى ضاق ذرع أهل البلاد. وكان آل عريعر لم يزالوا على بداوتهم في البلاد صيفًا ويظعنون عنها شتاءً، ففي سنة ١٢٠٧هـ خرجوا كعادتهم إلى البادية لإصلاح مواشيهم واجتمعوا في منزل يسمى: الشيط شرق الدهناء فغزاهم سعود بن عبد العزيز، وأغار عليهم مجتمعين وحصل بينهم قتال شديد،

فانهزم آل عريعر وجنودهم، وقتل منهم قتلى كثيرون، وغنم سعود أموالهم وما معهم.

ثم أرسل سعود وهو في موضعه إلى أهل الأحسا يدعوهم إلى السمع والطاعة وأرسل خلف الرسول جندًا يرابط حول البلاد، فكتب إليه أهل الحسا يدعونه للقدوم ليبايعوه على السمع والطاعة، فقدم إليهم وبايعوه وخرجت آل عريعر نهائيًا، ولكنه ترك لهم أملاكهم فيها وفي القطيف وهي كثيرة.

ولما توسعت فتوحاته وطارت شهرته أخذت حكومتي العراق والحجاز تنظر إليه بعين الريبة والخوف، فجهزت عليه حكومة العراق، وساقت إليه الجيوش أكثر من مرة فردهم إليها مخذولين، كما أن شريف مكة جهز من جانبه جيوشًا بقيادة أخيه عبد العزيز، وأخيرًا تمت قيادته بنفسه للقضاء على ابن سعود وحركته، ولم يكن حظه بأحسن من حظ زميله صاحب العراق، ورد لهم عبد العزيز زياراتهم له بمثلها، وأغار على العراق غاراته المشهورة التي اهتز لها العراق من أقصاه إلى أقصاه، فخافت حكومة الترك عاقبة ذلك وضاعفت جهودها، فأرسلت تويني رئيس قبيلة المنتفق للمرة الثانية بقوة أعظم من الأولى فلقي حتفه من يد ذلك الفدائي الذي باع نفسه لينقذ قومه، فتقدم إلى تويني وهو في مجلسه بين جنده وطعنه بحربة كانت معه، فكان فيها حتفه. نعم إن في عمله أنقذ قومه من كارثة لا يعلمها إلاّ الله، فهو بذلك البطولة من مرجع جيش العراق مستخنًا، فتبعه الجيش النجدي يشعثه ويخفه ويخينه، ولم يتركه إلاّ عندما نزل فلوله الجهرا، وقد غنم منه الجيش النجدي غنائم كثيرة بما فيها الأسلحة الثقيلة.

* * *



ملخص الحوادث
بزمن عبد العزيز بن محمد بن سعود

من سنة ١١٧٩هـ ــ إلى سنة ١٢١٨هـ

لم تجعل هذا السنوات لسرد الحوادث والفتوحات التي تمت بزمن عبد العزيز، فإن ذلك مبسوطًا في تاريخي ابن غنام وابن بشر، وإنما نريد الإشارة إلى بعض الحوادث التي تحتاج إلى زيادة شرح أو الحوادث التي لم يتعرض لها المؤرخان المذكوران، لأنهما لم يُعنيا إلا بما كان له مساس في آل سعود وأعمالهم، فقد يذكران خبرًا فيدرجانه ضمن الحوادث العامة بدون أين يعتنيا بمقدماته ونتائجه، خصوصًا ما يتعلق بالقصيم، كما يأتي مثال منه.

حوادث القصيم

ذكر ابن بشر في حوادث سنة ١١٨٢هـ أن راشدًا الدريبي، أمير بريدة، استنجد الإمام عبد العزيز، فأمده بجيش تحت قيادة ابنه سعود، ونزل باب شارخ في عنيزة، وفزعوا عليه، فالتحم القتال بينهم، وقتل من أهل عنيزة ثمانية رجال، منهم عبد الله بن حمد بن زامل، وقتل من الغزو رجال.

والمطلع على هذا الخبر في تاريخ ابن بشر لا يعرف المصلحة بين استنجاد الدريبي رئيس بريدة، وبين غارة سعود على عنيزة، وهذا ما دعانا إلى شرح بعض الحوادث التي لم يستمر فيها ابن بشر. وقبل أن نفيض بالشرح نذكر حالة أمراء بريدة وعلاقاتهم مع بعضهم البعض.

إمارة بريدة وأمراؤها

تقدم الكلام في أن الذي أسس بريدة: راشد الدريبي، وأورثها ذريته، وقد انقسمت ذريته إلى قسمين: أحدهما بقي على اسم الدريبي، ومنهم راشد؛ والثاني يُعرَفون بآل ابن عليان، وهما حمولة واحدة أخذا يتنازعان السيادة على البلاد. وكانوا من أشد البيوت وأفتكها وأقطعها للرحم، فما زال بعضهم يفتك ببعض، وقد تقدم طرف من أخبارهم، ففي الزمن الذي نتكلم عنه كان الأمير في بريدة راشد الدريبي، وقد تغلب على أبناء عمه آل عليان وأجلاهم عن البلاد فنزلوا عنيزة لروابط كانت بينهم وبين أهلها، وقد سبق أن ساعدوهم على عدوهم، فلما لجأوا إلى عنيزة خشي راشد الدريبي أن يمدوهم، فاستجار بالإمام عبد العزيز، ولم يكن لابن سعود قبل ذلك نفوذ في القصيم، فأرسل الإمام عبد العزيز ابنه سعود في قوة صغيرة لم يلبث أهل عنيزة أن صدوها.

ولما كانت سنة ١١٨٤هـ: خرج آل ابن عليان وأتباعهم من عنيزة ورئيسهم عبد الله بن حسن آل ابن عليان وسطوا في بريدة واستولوا عليها، وأخرجوا راشد الدريبي منها فقصد ابن عريعر في الأحسا، والتجأ ابن عليان إلى الإمام عبد العزيز، فعطف عليهم وأيدهم في مركزهم دون أن يمدهم، وكان عريعر يدعي الولاية على القصيم.

ففي سنة ١١٨٨هـ: خرج من الأحسا ومعه قوة عظيمة واستعداد كبير، ونزل بريدة وحاصرها مدة. فلما أعياه أمرها استدعى عبد الله بن حسن الأمير لأجل المفاوضة معه فانخدع بكلامه وخرج إليه، فقبض عليه ودخل البلد وأخذها عنوة، ونهب أهلها وجعل راشد الدريبي أميرًا فيها، ورحل من بريدة ونزل الخابية ومعه عبد الله بن حسن أمير بريدة، وأقام على الخابية مدة شهر، مرض فيها وتوفي، ثم تولى بعده ابنه بطين بن عريعر فتقفل راجعًا إلى الأحسا وأطلق سراح أمير بريدة عبد الله بن حسن، فذهب إلى ابن سعود في الدرعية فأكرم نزله، واستدعى بقية آل عليان الذين خرجوا من بريدة إلى الدرعية، وأقاموا عنده.

وفي سنة ١١٨٩هـ: أرسل ابنه سعود ومعه قوة لمساعدة آل عليان، فنزل قرب بريدة وحاصرها مدة طويلة دون أن يدرك نتيجتها، فبنى قصرًا وجعل فيه قوة، أميرهم عبد الله بن حسن ليضيقوا على أهل البلد، فلم يستطع أهل البلد أن يخرجوا مواشيهم ولم تسرح لهم سائمة، فضاق أهل البلد ذرعًا بذلك، ولم يستطيعوا دفع هذه المرية، فأرسل راشد الدريبي إلى جديع بن هذال يستنجده لفك الحصار فلم يسعفه، واشتد الحصار على أهل البلد، وأضرَّ بهم، فطلب الدريبي من عبد الله بن حسن الأمان على نفسه على أن يخلي البلد فأجابه إلى ذلك، وخرج الدريبي، وبخروجه انتهت إمارتهم نهائيًا، واستمرَّ الأمر لآل عليان، ودخل عبد الله البلد وقبض على أعوان الدريبي وقتلهم، فلما استقرَّ الأمر ركب عبد الله إلى ابن سعود في الدرعية، فثبت في مركزه وفوّض إليه أمر الدريبي، ولكنه قتل في السنة التالية، أي سنة ١١٩٠هـ، في غزوته مع الإمام عبد العزيز على آل مرة، وتولى بعده ابنه

محمد ولم يثبت مدة طويلة حتى توفي، وتولى بعده حجيلان بن حمد من آل عليان.

حوادث سنة ١١٩٢هـ

وفي هذه السنة أنزل الله على عنيزة مطرًا غزيرًا جرت منه الأودية والقلاع، وكان مجرى الأودية يحاذيه من الشرق يقبل من الجنوب الغربي وينتهي إلى الجناح (القرية المعروفة عنيزة بالشمال الشرقي)، ولم يكن [. . .] مجرى الشعيب محكمًا، فطغى الماء من فوق، وأقبل بشدة وقوة عظيمة ودخل البلد، ولم يكن لأهل البلاد طاقة بصدّه، فبادروا إلى الخروج من البلاد، وابتنوا بيوتًا من الشعر فسكنوها. فسقط كثير من البيوت، وكانت الخسائر كبيرة وأن الأنفس سالمة ولم يصب أحد منهم بسوء، بادروا بإخلائها. وأقاموا بمساكنهم الجديدة مدة طويلة حتى عمروا منازلهم ورجعوا إليها.

وقعة الحجناوي بين عنزة ومطير سنة ١١٩٣هـ

ذكر ابن غنام وابن بشر في تاريخيهما في حوادث سنة ١١٩٥هـ القتال بين عنزة ومطير بإيجاز، فقال الأول: إن ارتد بعد دخوله في الطاعة، فوافقه مطير فناوخوه، وأدال الله لهم منه، وقتلوا جديمًا وأخاه وثلاثة معهما، وبسط ابن بشر وقال: إن سعدون بن عريعر وبنو خالد ساعدوا جديع بن هذال على أعراب الدهامشة، رئيسهم ، وقاتلوهم وانهزم الدهامشة، ثم إن الدهامشة استنجدوا بوادي مطير وقصدوا عنزة، وبني خالد، فالتقت الجموع وتقاتلوا، فقتل من قوم سعدون وجديع عدة رجال، ثم رحل عنه سعدون. فقام جديع واستنجد قبائل الرحيل وغيرهم

من عنزة، وصال بهم على مطير، فاستعدوا للمناوخة والملاقاة غدوة، فحصل بينهم آخر النهار من يومهم محاولة قتال غير منازلة ولا استعداد فأدال الله خيل مطير على عنزة، فهزموهم، وقتل من رؤساء عنزة وفرسانهم عدة رجال، منهم جديع بن هذال، وأخاه مزيد، وضري بن ختال، وغيرهم.

أمـا الحقيقة

كان عنزة متفوّقين على قبائل نجد بذلك الوقت، وكانوا مختصين في ناحية القصيم، لا يشاركهم فيه أحد، لما لهم من فضل قوة. وكان مطير ورئيسهم يومئذٍ فيصل الدويش يجاورونهم من الشرق. وكانت العادة الجارية بين القبائل أنه إذا أخصبت بلاد قبيلة واستجارت بها قبيلة ثانية طلبًا للمرعى لمدة معينة يسلمون رسمًا معينًا، فيجيرونهم ويخدمونهم بأنفسهم إلى انقضاء المدة، ثم يعطونهم مدة ثلاثة أيام يرتحلون فيها عنهم، وفي هذه السنة كانت بلاد مطير مجدبة والقصيم مخصب، فتقدم الدويش رئيس علوي ومسعود حصان إبليس رئيس الحبلان وطلبا من جديع بن هذال ومتعد ابن مجلاد والبجيرة على أن يسلما شاتًا أي نعجة عن كل بيت؛ وهي الضريبة التي يتقاضاها الجبير من الجبار، فيكونوا بذلك من القبيلة بما لها وما عليها، فأجاباهما إلى ذلك، وأذنا لهما إلى مدة ثلاثة أشهر. وكانت منازل آل هذال من النبهانية شمالاً إلى جبل كير غربًا، فنزل مطير بالقرب منهم في موضع يسمى الحجناوي ويتنقلون من مكان إلى مكان حيث يطيب لهم المرعى لأدباشهم، فلما قارب انتهاء فصل الربيع أرسل ابن هذال إلى فيصل الدويش أن مدة الجوار انتهت؛

وإنا مصبحوكم غدًا، فخذوا حذركم، واستعدوا للصباح. فبيت الدويش والجبلان لهذه المباغتة، فراجعوا ابن هذال وقالوا: إن هذا مخالف للقواعد الجارية بين القبائل، فاجعلوا لنا مهلة ثلاثة أيام بعد الإنذار، حسب القواعد للنظر في أمرنا ونرتحل عنهم، وبعد انتهاء الأيام أنتم وما تريدون، فلم يجبهم وصمم على أمره. فرجعوا من عنده آيسين لا يعلمون كيف يعملون، ورأوا أنفسهم بالنسبة إلى عنزة طعمة جاهزة، لأنهم يفوقونهم عددًا وعدة، وأيقنوا بالهلاك، ولكن اليأس يوجد من الضعف قوةً، فباتوا يدبرون أمرهم وقد صمموا على الاستماتة للدفاع عن أموالهم وأنفسهم، فجمعوا الإبل وقرنوها كراديس مجتمعة، ورتّبوا الخيل والرجالة، وعرف كل منهم موضعه، فلما ظهر قرن الشمس كان عليهم الرجوع إلى عنزة قد أقبلت تتقدمها الخيل فاستعدت مطير، فساقوا قدامهم الإبل مقرونة ومن ورائها الخيل، ومن ورائهم الرجالة، قد دهمتهم الإبل، وفرقت جموع عنزة وشتتهم. فطالع عليهم أهل الخيل ومن ورائهم الرجالة، فانهزمت جموع عنزة، فقتلهم مطير شر قتلة إلى أن وصلوا إلى جبل كير ــ الجبل المعروف غربي الرس ــ وكان آل هذا قد التجأوا إليه، وهم سبعة من الرؤساء منهم جديع بن هذال، ومتعد بن مجلاد، فأنزلوهم وقتلوهم، وفي ذلك يقول شاعر عنزة يرثي آل هذال:

يا كير ما عيّنت ربعٍ لجوا فيك   خطلات الأيدي نقوي أولاد وائل

يقول الشاعر مخاطبًا الجبل الذي لجأ إليه آل هذال: يا كير، ما عينت: أي ما رأيت، ربعٍ لجوا فيك: أي جماعة لجأوا إليك، خطلات الأيدي: يصفهم بالشجاعة والكرم، نقوة: أي خيار أولاد وائل.

وقال رئيس الجبلان حصان إبليس ــ يصف هذه الوقعة للإمام

عبد العزيز بن محمد ـ ويقول: إنهم هم الذين غدروا بنا وإننا:

يا الله يالي ما حذاتك خيارا ... يالي غنى وكل عين تراحيه
تجعل لنا في جنة الخلد دارا ... قصر حصين نلتجي في مذاريه
يا راكب من فوق ناب النقارا ... كنّ الضواري تنهش من خفافيه
إلى مشيت الليل هو والنهارا ... تلغى إلى قصر بيّن هو وراعيه
أثرى سلام وخبرة كيف صارا ... ما دبر المولى لحكمه نسويه
حنا فزعنا سربتين بتارا ... والكل ينصب عند الآخر يماريه
تعلوطوا علوي سواة السكارا ... معاري واللبس ماشان راعيه
عينت لي متعد زبون المبارا ... وجديع إلي كل الأسلاف تثليه
جروة من درعه سواة الحوارا ... وسيوف علوي جرّيت في علايه
هيلي عليهم باليهود والنصارا ... هذي سواة الغدر يرمي براعيه

أوردنا هذه الأبيات وإن كانت باللغة العامية للاستشهاد، ومعناها ظاهر لأهل نجد، وإنما نوضح بعض معاني عباراتها لمن يطلع عليها من غير أهل نجد: قوله: يالي ما حذاتك: يعني يالذي ما غيرك، وقوله: قصر حصين... إلخ، معناه: ظاهر يدل على أن البدوي يعتقد أنه حتى في الجنة لا يستغني فيه عن قصر حصين يتقي به شر أعدائه، ويلتجي في مذاريه عن قرّ الشتاء وحرارة الصيف، قوله: كن الضواري تنهشه: يصف ذلوله بالشراسة وشدة العدو، وكأن وراءها سباع تنهشها، فهي لاتني من سرعة السير، قوله: تلغى إلى قصر: يعني تصل إلى قصر هو كالمعلم غير خفي، هو وراعيه: أي صاحب القصر، قوله: فزعنا سربتين: يعني هببنا لمقابلة العدو، والسربة: هي كردوس الخيل، ولا يقال: سريتهم إنما السربة مختصة بالخيل، تعلوطوا: أي ركبوا على عجل، معاري: أي لم

يلبسوا دروعهم، وربما قصدهم أنهم ركبوا الخيل معاري بدون سروج لعجلتهم، والأول أقرب، قوله: عينت لي مقعد: أي رأيت لي مقعد، قوله: جروة من درعه: أي بذلوه من درعه جب الحوار من بطن أمه، وقوله: سيوف علوي... إلخ، أي: أن سيوف علوي تعاورته، كالذي يجر سيفه ـ في علاجيه ـ أي في رقبته.

حادثة قتل أهل القصيم للمطاوعة الذين عندهم سنة ١١٩٦هـ

هذه الحادثة من الحوادث الغامضة الذي لم يحل ابن غنام ولا ابن بشر سرها، بل اتخذوها وسيلة للتشنيع بها على أهل القصيم، وقد أسلفنا الكلام بأن آل عريعر يدعون ولايتهم على القصيم، وكان تحت نفوذهم، ولم يكن لابن سعود فيه نفوذ آنذاك، إلا ما كان من استيلائهم على بريدة أخيرًا بواسطة آل ابن عليان، وقد رأيت ما كان من غزو ابن عريعر لها وإخراج آل عليان منها، ثم رجوعهم إليها مع بقاء بقية القصيم على طاعة ابن عريعر. وأما عنيزة فهي قسمان؛ قسم منها يحكمه آل جناح أبناء عم عريعر، والقسم الثاني يحكمه عبد الله بن رشيد من آل معمر الجراح من سبيع، وقد يأمره ابن عريعر فتخوف على نفوذه من أن يتقلص من القصيم، فبدأ يقاوم نفوذ ابن سعود الذي أخذ يتسرب إلى القصيم بواسطة الدعاية الدينية، وكان طلبة العلم هم المتبعون في نشر هذه الدعاية، فكتب إلى أمراء القصيم يأمرهم بقتل من عندهم من طلبة العلم المعروفين بميلهم إلى ابن سعود، ويتهددهم إذا لم يفعلوا، ويخبرهم أنه قادم إليهم.

فأما أهل الخبرا والشماسية فقد تعجلوا وقتل كلٌّ منهم المطوع

الذي عنده، وكذلك آل جناح من بني خالد أهل عنيزة قتلوا مطوعيهم، وأما ابن رشيد رئيس القسم الثاني من عنيزة فلم يفعل، ولما وصل سعدون إلى القصيم بما معه من الجنود ونزل على أطراف بريدة وحاصرها، طلب من طالب العلم الذي في عنيزة فأحضره وقتله سعدون على الرغم من ابن رشيد، فعلى هذا يكون الفاعل هو سعدون لا أهل القصيم الذين لا أظن أنهم يفضلون ولاية ابن عريعر على ولاية ابن سعود، ولكن لم يكن لهم الخيار في ذلك، والحكام لا يحترمون طالب علم ولا غيره متى رأوا منهم أعمالاً تخل بسياستهم. إذًا فما لهذا التهويل والتشنيع على أهل القصيم في معنى ردتهم عن الإسلام، فعدم دخولهم تحت طاعة أمير أو أتباعه لا يخرجهم من دائرة الإسلام، على أن أهل القصيم لم يلبثوا بعد ذلك إلا مدة قليلة حتى دخلوا تحت طاعة ابن سعود حينما تغلب على ابن عريعر.

إجلاء آل الرشيد أمراء عنيزة

كان لفشل ابن عريعر في محاصرته بريدة ورجوعه عنها أثر كبير على تقلص نفوذه من القصيم، فقد قام عبد الله بن رشيد أمير عنيزة على آل جناح أمراء القرية الثانية من عنيزة، وتغلب عليهم وأجلى الكثيرين منهم فتبعوا بني عمهم في الأحسا والقطيف، وهدم منزلتهم. وبعد مدة قليلة دخل تحت طاعة ابن سعود، إلا أنه لا يأتمر بأمر حجيلان بن حمد الخوض، على القصيم من قبل ابن سعود، فأوغر ذلك صدر حجيلان على ما بينهما من عداء سابق، فأخذ يحيك الدسائس ويبث الدعاية في الدرعية ضد ابن رشيد حتى أثر على الإمام وكان يستنصحه.

فبانت بوادر ذلك لابن رشيد، فركب إلى الدرعية ليزيل ما عسى أن يكون قد علق بخاطر الإمام عليه، فقدم الدرعية ولم يجد المقابلة التي كان ينتظرها، فلم يلبث أن قدم حجيلان الدرعية واتصل بالإمام عبد العزيز اتصالاً متتابعًا، بينما ابن رشيد لا يتصل بالإمام إلا في المجلس العام، وقد طلب مرارًا مواجهة الإمام فلم يؤذن له، ودبر حجيلان أمره وأخذ الإذن بمهاجمة عنيزة واحتلالها، وكان سعود بن عبد العزيز في شقرا مع الجيش راجعًا من الغزو، فأخذ حجيلان كتابًا من الإمام عبد العزيز إلى ابنه سعود يأمره بالتوجه إلى القصيم واحتلال عنيزة. سار سعود بجيشه، ولما قرب من البلد نزل خارجًا، وتقدم حجيلان بقوة صغيرة ودخل باب السور وقتل البواب، وتقدم إلى البلد وأناخ عند باب القصر فاستفتح ففتح له، ودخل القصر وقتل البواب واحتل القصر، لأنه لم يكن به حامية.

وكان الناس آمنين مطمئنين وليس هنا شيء من الدواعي التي توجب الحذر، فأمير البلاد عند ابن سعود والأمور صالحة، فلم يلبث أن دخل قسم كبير من الجيش واحتل القصر، جرى كل ذلك بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. ولم يحدث أقل حادث إذ إن أهل البلاد — حتى الآن — لم يعلموا بشيء مما راعهم إلا المنادي ينادي وسط الأسواق الحكم من ثم لابن سعود، من أراد العافية فليلازم بيته، ونُبِّهت الناس ولم يعلموا كيفية الأمر فركنوا إلى السكون. فأمر حجيلان جنده بنهب بيوت آل الرشيد، وأخذوا جميع ما فيها حتى ما على النساء وما عندهن من ذهب وملابس. ثم بعد أيام أمر سعود على نساء آل رشيد فجهزوهم وأرسلوهم إلى الدرعية، وكان عبد الله بن رشيد لم يزل هناك، فأقام هناك إلى ما بعد حوادث الدرعية، وبلغ حجيلان أمله في ابن رشيد. ومن هذا التاريخ صار

ابن سعود يعين الأمير في عنيزة من قبله، وفي هذه الحادثة يقول العرف مولى عبد الله بن رشيد:

وآديرتي خَذْهَا حجيلان وسعود	بالبوق ولا بالنقا ما قواها
جونا صباح وجملة الناس برقود	وأهل النهاوي مشعلين ضواها
ما ثار بدرميه ولا زرق برعود	ولا ثار متلون الدوا من وراها
مزن تصيح ومقدم الراس مشدود	يا ليتهم ما فكرو في صباها
رباعتي والي هقينابه لجود	عزلو كما عزل الغنم عن ظعناها
لو ان اخو طرف حضر يا فتى الجود	ما كان صرت بالمحامل نساها
القيل قيل العرف ما هو بمجحود	والنار تاكل والدالي كماها

أوردنا هذه الأبيات للاستشهاد، ولأنها تمثل قدوم الجيش وصفة استيلائه على البلد وإجلاء النساء. وكانت هذه الحادثة سنة ١٢٠٢هـ على ما ذكره ابن بشر وابن غنام.

أسباب هذه الحادثة على رأي ابن بشر وابن غنام

يقولون: إن بعضًا من أهل عنيزة بحث عن أسباب الارتداد وتحقق ذلك عنهم واشتهر، فعند ذلك سار سعود إلى القصيم ليتحقق الخبر فثبت ذلك من عدول أهل الإسلام أن آل رشيد من ذلك النفر، فأمر عليهم بالجلا، وهذا الخبر لا يرتكن على شيء من الصحة، فكيف والأمر جرى وأمير البلاد في الدرعية وافد من جملة الوفود التي قدمت عرض إخلاصهم. ولكن الحقيقة هي ما ذكرنا، كما أنهم ادعوا في قتل المطاوعة أن أهل القصيم ارتدوا وقتلوا من عندهم من المطاوعة، وكتبوا إلى سعدون بن عريعر يستنجدونه، فإذا كان أهل بريدة التي هي أم القصيم

والرس التي هي أقوى قرى القصيم بعد بريدة لم يرتدوا، فمن بقي من قرى القصيم من يستطيع أن يفعل مثل ذلك، ويعلن العداء لابن سعود من ذات نفسه، وأمير بريدة وحده قادر على إخماد ثورتهم، فهل تستطيع الخبرا أو الشماسية الصمود بوجه حجيلان، وسكان كل من هذه القرى لا يزيد عن مائة وخمسين مقاتل على أكبر تقدير، ولكن مؤرخينا عفى الله عنا وعنهم يوجهون الحوادث على مقتضى مجرى السياسة لا على وجه الحقيقة.

يقول ابن غنام: إن سعود استعمل علي بن يحيى أميرًا في عنيزة، وابن بشر يقول: استعمل عبد الله بن يحيى، وهو أقرب إلى الصدق، وكان ذلك مؤقتًا، إذ لم يلبث أن عين إبراهيم بن سليمان بن عفيصان أميرًا في البلاد، ولم تزل تتابع عليها الأمراء إلى أن وقعت حوادث الدرعية، فرجعت الإمارة لأهل البلاد كما يأتي بيانه بموضعه.

الحوادث الخارجية بين نجد ــ والعراق والحجاز

وفي سنة ١٢٠١هـ: خرج ثويني بن عبد الله بن محمد آل شبيب بالعساكر العظيمة، من المنتفق، وأهل المجرة، وأهل الزبير، وبوادي شمر، وغالب طيء، ومعه من المدافع والمؤن والذخيرة الشيء الكثير، وقد كان على وعد من عبد المحسن رسول ابن عريعر أن يوافيه في القصيم، ولم يتبين لنا السبب الذي دفع ثويني إلى هذا الأمر، إلا أن يكون قد جاء لمعونة ابن عريعر لاسترجاع بريدة، وهو الذي ترجح لدينا صحته. سار قاصدًا بريدة، فلما وصل التنومة ــ القرية الصغيرة، المعروفة بالقصيم ــ حاصرها فصمد أهلها بوجهه عدة أيام ثم تغلب عليهم وفتك بهم فتكًا

ذريعًا، ثم رحل ونزل بريدة وحاصرها، وحصل بينه وبين أهلها قتال. فبينما هو مُجِدٌّ في حصارها إذ جاءه خبر اختلال وقع في كل ولايته، فرجع مسرعًا إلى أوطانه دون جدوى.

وبعد رجوعه إلى العراق حدث منه ما يوجب نقمة الدولة التركية عليه، فأمرت والي بغداد سليمان باشا أن يجهز جيشًا عظيمًا. سار هو على رأسه، فالتقى بثويني على نهر الناصلية، فهزموه هزيمة شنيعة، فرحل من العراق ونزح معه قليل من المنتفق، ونزل الصمان مع بني خالد فأغار عليهم سعود بن عبد العزيز، وأخذ محلتهم وأثاثهم، ثم أعاد الكرة عليهم بعد ذلك، فأغار عليهم وهم بالروضتين بين المطلاع ومسغوان، وأخذ من محلتهم خيامًا وأمتعة.

غزوة الشريف غالب نجد سنة ١٢٠٥هـ

وهذه أول غزوة غزاها الشريف غالب على نجد بعد قيام دولة آل سعود، ولم يتقدمها أسباب، إلا أن حكومة التركي أخذت توجس شرًا من حركة ابن سعود وتوسعه، فأوعزت إلى الشريف أن يقضي على هذه الحركة، فجهز الشريف قوة كبيرة سيَّرها مع أخيه الشريف عبد العزيز، وكان ولم يزل للأشراف موقع كبير في نفوس أهل نجد لما لهم من السلطة قبل قيام دولة آل سعود، فكان لحركتهم هذه أثرها السيء في نجد، وساءت الظنون، لأن هذه هي المرة الأولى التي تقابل فيها نجد مثل هذه القوة، وأثر ذلك في معنوية الناس، وخصوصًا البادية الذين لا إيمان لهم ولا وطنية، من قبائل نجد مطير وشمر بأجمعهم وانضموا إلى الشريف، فأقبل الشريف بجموعه العظيمة قاصدًا فيما يزعم حصار الدرعية، ولكن

أراد الله أن يجعل فشله أمام أضعف قرية في نجد، فنزل على قصر بسام (البرود) المعروف في السر، وليس في هذا القصر أكثر من ثلاثين رجلاً، فحاصره عدة أيام، وضربه بالمدافع ليلاً ونهارًا، فلم يدرك من أهله مرامًا، بل دافعوا عنه دفاع الأبطال، فارتحل عنه وتركه. ولما بلغ الشريف غالبًا فشل أخيه أمام هذا القصر، جهَّز قوات لا تقل عددًا وعدة عما تقدم وقادها بنفسه، واجتمع بأخيه وانضمت قواتهما، فنزلوا الشعرا القرية المعروفة في عالية نجد وحاصروها أكثر من شهر فرجع عنها كما رجع عن قصر بسام، حينئذ علم أن الدرعية أمنع عليه من عقاب الحبر، فرجع إلى الحجاز دون أن يدرك أية نتيجة.

البوادي التي ساعدت الشريف

عندما رجع الشريف وتفرقت جنوده، اجتمع شمر ومطير ونزلوا العدوة ــ المزارع المعروفة عند حايل ــ خوفًا من ابن سعود لعلمهم أنه لا يغتفر لهم عملهم، فلم يخب ظنهم، فقد أغار عليهم سعود وهم في موضعهم، وحصل بينهم قتال شديد، ثم انهزم الأعراب وغنم كثيرًا من أموالهم، وقتل منهم سعود رئيس الجبلان الثقب: حصان إبليس، وسمرة: الفارس المشهور رئيس العبيات من مطير، فاستنفر الأعراب من حولهم من شمر ممن لم يحضر الوقعة فأجابوهم وكروا على سعود وهو في منزله يقسم الغنائم، وكان في مقدمتهم مسلط بن مطلق الجرباء من رؤساء شمر، وقد نذر أن يجشم فرسه خيمة سعود أو يقتل دون ذلك، فثبت سعود لجماعتهم وتقدم مسلط ليتم نذره فاختطفه جنود سعود وقتلوه قبل أن يصل، واشتد القتال وصبر الفريقان، ثم انهزمت تلك البوادي،

واستولى سعود على ما معهم من الأموال وقفل راجعًا إلى الدرعية.

نتيجة غزوة الشريف

كانت غزوة الشريف فاتحة حرب بين نجد والحجاز، فقد استمرت الغزوات بين الطرفين كل منهما يهاجم رعية الآخر، وقد كانت غزوات ابن سعود أشد نكاية وأبعد أثرًا، مما اضطر كثيرًا من قبائل الحجاز إلى الانضمام لابن سعود حماية لأنفسهم وأموالهم، لأنه ظهر لهم عجز الشريف عن حمايتهم، فأحاط ابن سعود الشريف غالبًا بسياج من القبائل المعادية، فخاف الشريف على الحجاز، فاستنجد حكومة التركي وطلب أن تمده بقوة كبيرة للمحافظة على الحجاز، لكن حكومة التركي التي هي عهدت إليه بالقضاء على ابن سعود نزعت ثقتها فيه ــ وعهدت إلى حكومة العراق بالقيام بهذه المهمة ــ فلما اعتزمت حكومة العراق القيام بهذا الأمر أرسل سليمان باشا والي بغداد إلى ثويني بن عبد الله آل شبيب واستصلحه بعد أن كان غاضبًا عليه، وعهد إليه قيادة القوات التي سيجهِّزها إلى نجد.

خروج ثويني إلى نجد للمرة الثالثة سنة ١٢١١هـ وقتله

سار ثويني بجيش ومعه أهل الزبير، والمنتفق، والظفير، ونزل الجهرا في أواخر سنة ١٢١١هـ. وانضم إليه بنو خالد كلهم إلا المباشير، ثم رحل من الجهرا قاصدًا الأحسا. فأمر عبد العزيز بن سعود على نواحي نجد فاجتمعت غزاتهم، وسيرهم بقيادة محمد بن معيقل، والتحق به بوادي مطير، وسبيع، والسهول، وأمرهم الإمام أن يتفرقوا على الأحواز ليحولوا دون تقدم ثويني إلى أن تصلهم الإمداد، ثم حشد سعود أهل [. . .] ثم رحل ونزل ثم تقدم ثويني وعلم ابن معيقل عظم القوات التي مع

ثويني، فرحل من قَبَيْدْ ونزل جُوْدَة وأم ربيعة جنوبًا انتظارًا للنجدة، وكتب له الإمام عبد العزيز يخبره بتقدم ثويني ويستحثه بإرسال نجدة تشد أزرهم، فأمدَّهم بقوة من الحضر مع حسن بن مشاري بن مسعود وجعل له القيادة العامة، فرحل ثويني ونزل الشباك الماء المعروف في ديرة بني خالد، فكاد الخلل يقع في صفوف جند ابن سعود لولا أن الله تداركهم بلطفه وخدمهم السعد بحادثة لم يحسبوا لها حسابًا.

قتل ثويني سنة ١٢١٢هـ

في اليوم الذي نزل ثويني الشباك قيض الله عبدًا من عبيد جبور بني خالد يسمى طعيسًا. تقدم هذا العبد يلعب بين يدي ثويني ومعه خزانة فيها حربة، فطعنه بها بين كتفيه وهو جالس في مجلسه، فكان حتفه فيها، فقبضوا على العبد وقتلوه، فاستخف جيش ثويني بعد هذه الحادثة ورجع إلى العراق، فتبعه الجيش النجدي وغنموا منهم غنائم واستولوا على المدافع التي معه وذخيرتها وأرسلها إلى الدرعية، وكان قتل ثويني في ٤ محرم سنة ١٢١٢هـ.

ومن هذا الوقت أخذ يشنّ الغارات على قبائل العراق مقابلاً حركة العراق بمثلها، فقد سار سعود بن عبد العزيز في هذه السنة وأغار على سوق الشيوخ إحدى قرى العراق على حدود نجد، ثم عطف على شمر وأخذهم وقتل رئيسهم مطلق بن محرر الجرباء، الفارس المشهور. ثم صدف إلى الحجاز، وكان الشريف غالب قد تقدم إلى رنية، وبيشة، واستولى عليهما، وأغار على قحطان وأخذهم، فجهز الإمام بعض الجنود وسيرها إلى هادي بن قرملة وانضم إليه بعض البوادي، فهاجمت هذه

القوات الشريف وهو على المحترق فيزموه هزيمة شنيعة، فترك وراءه من القتلى عددًا كبيرًا جدًا فيهم أربعة من الأشراف، وأربعون رجلاً من قريش، وثمانون رجلاً من ثقيف، والباقون من عامة الجيش، واستولى ابن قرملة على جميع الخيام بما فيها، وعلى الذخائر والنقود، وقضت هذه الوقعة على آمال الشريف، فجنح إلى السلم وطلب الصلح، فأجيب إليه، وثم أذن لأهل نجد في الحج.

عودة حكومة العراق سنة ١٢١٣هـ

بعدما قتل ثويني وفشل الجيش العراقي في مهمته، رأت حكومة العراق أن ترمي آخر سهم في كنانتها، فجهزت عساكر كثيرة من العراق والأكراد والجرة وسيَّرتهم إلى الأحسا بقيادة علي كيخيا، وانضم إليه المنتفق ورئيسهم حمود بن تامر، وبوادي العراق: آل بعيج، والزقاريط، وآل قشعم، وانضم إليه أمينا شمر، والظفير. سارت هذه القوات إلى الأحسا فوصلت إليه دون أن يعترضها أحد، فتابعه أهلها. ولم يكن لابن سعود في الأحسا إلا حاشية في قصر المبرز نحو مائة رجل، وفي قصر الهفوف مثل ذلك، رئيسهم إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، الذي سُمِّي القصر باسمه (قصر إبراهيم) الذي شبهه بعض المؤرخين بإبراهيم باشا المصري، حاصر الكيخيا قصر (صاهود) نحو شهرين، ورماه بالمدافع رميًا متراصًا، ليلاً ونهارًا، فلما يحصل منه على طائل فرحل عنه، وحاصر قصر الهفوف فلم يكن حظه من الدفاع أقل من سابقه، فلما يئس من الاستيلاء عليهما ارتحل راجعًا فسابقته الإشاعات بإقبال سعود بقوات عظيمة، وما كانت هذه الإشاعات صحيحة لكنها، أثَّرت الأثر المطلوب،

فاستخف حتى أن ما حرق كثيرًا من خيامه ومتاعه لئلا تعوق سيره. أما سعود فإنه لما بلغه فشل قوات العراق ورجوعهم عن الأحسا أقبل قاصدًا الأحسا، ولم يخطر بباله مصادمة جيش العراق لقلة من معه، وبما أنهم رحلوا مخذولين فليس من الصالح التعرض لهم، ولكن أراد الله غير ذلك، فجمع بينهما على غير اختيار منهما، حيث نزل سعود وجنده في ثاج، وكان الكيخيا قد نزل الشباك ـ المحل الذي صُرع فيه ثويني ـ فتشاءم الكيخيا إذ علم بذلك، فرحل ونزل ثاج حينما نزل سعود فيه، فعلم أن لا مناص له عن القتال، فوطن سعود نفسه وشجع جنده وصمموا على الدفاع إلى آخر نقطة من دمائهم، فرأى الكيخيا حركة الاستعداد في جيش سعود، فأرسل إليه أنه لا حاجة بنا إلى قتالكم ما لم تضطرونا إلى ذلك، لأن الكيخيا علم أنه ليس من السهل التغلب عليهم، وخاف على جيشه العطش في وسط هذه الصحراء الواسعة فجنح إلى السلم، ولم يكون سعودًا بأقل منه رغبة، فتم الاتفاق بينهما على أن كل منهما يرحل إلى وطنه بسلام حقنًا للدماء، وإن لا يتعرض أحد منهما للآخر، فارتحل الكيخيا إلى العراق ورحل سعود إلى الأحسا وأقام فيها شهرين رتب فيها أمور البلاد واستعمل عليها سليمان بن محمد بن ماجد من أهل ثادق أميرًا وهو رئيس حامية قصر صاهود، ورجع إلى الدرعية وكانت هذه آخر غزوة لأهل العراق.

غزوة كربلاء سنة ١٢١٦هـ

لما لجّت حكومة العراق في تجهيز الجيوش، لقصد القضاء على حركة ابن سعود، قابلها بالمثل، وكان آخر جيش لحكومة العراق جيش

الكيخيا الذي تقدم ذكره. وفي هذه السنة قصد كربلاء وأغار عليها ودخل البلد وأخذ شيئًا من الأموال والسلاح ورجع، فكان لهذه الوقعة أثر سيِّء اهتزت له العراق وإيران، وأثار فيهما سخطًا عامًا حمل حكومتيهما على الإزماع على غزو نجد والقضاء على ابن سعود قضاءً تامًا، فاعتزم علي شاه أن يجهز مائة ألف جندي يغزو به نجد ويقاتل ابن سعود في عقر داره، وكذلك أخذ سليمان باشا والي بغداد في إعداد جيش جرار يتولى قيادته بنفسه، ولكن الله سبحانه أشغل كل منهما بنفسه، فقد فاجأت شاة العجم حرب مع الروس، وسليمان باشا فاجأته فتنة في بلاد الأكراد، فاشتغل كل منهما بما عنده وصدّتهما عن قصدهما، ولم يلبث سليمان باشا إلا بضعة أشهر ثم توفي.

انتقاض الصلح بين عبد العزيز بن سعود والشريف غالب

وفي هذه السنة (١٢١٧هـ): نقض الصلح الذي بينه وبين ابن سعود بحجة أن ابن سعود يبث الدعاية في قبائل الحجاز للخروج عن طاعته.

التحاق عثمان المضايفي بابن سعود

وعثمان المضايفي هذا رجل من خواص الشريف، كثيرًا ما يعتمده في مهماته، وقد حصل بينهما خلاف أساء فيه إلى عثمان، ففارقه وقدم الدرعية فأكرم ابن سعود وفادته، وكتب معه إلى القبائل الموالية وأمرهم أن يأتمروا بأمره، فاجتمع لديه قوات كبيرة، فأراد الشريف أن يقضي على حركته قبل أن يستفحل أمره، فسار إليه بقواته ونازله في بلده العبيلا ولكنه رجع عنه بدون فائدة، فاستنجد عثمان بمن حوله من القبائل الموالية،

فاجتمع إليه أهل رنية، وبيشة، وتوابعهما ومن حولهم من سبيع وأهل تربة، والبقوم وهادي بن قرملة بمن معه من قحطان، وكذلك عتيبة وغيرهم، فسار إلى الطائف، وكان الشريف غالب متحصنًا فيها، ونازله مدة قليلة ثم انهزم الشريف إلى مكة ودخل عثمان الطائف، وكتب إلى عبد العزيز يخبره باستيلائه على الطائف، فأقره على إمارته.

وفي شهر الحج تجهّز سعود وسار إلى الحجاز ونزل العقيق ــ الوادي المعروف ــ ولم يشأ القرب من مكة حتى ينفر الحاج الغريب من مكة، وكانت الحواج كثيرة في هذه السنة، فاضطرب الشريف وطلب من أمراء الحجيج إمداده بقوات يصدون ابن سعود أو يمشي إليه وهو يتكفل في جميع نفقاتهم، فلم يوافقوه، واقتضى نظرهم أن يكتبوا إلى سعود يحذّرونه من التقدم، فكتب إليهم أنه لم ينزل هذا المنزل إلا لأجل أن يتم الحاج مناسكه باطمئنان ولا خوف عليهم، ولكن بدوره حذّرهم من أن يتأخروا في مكة بعد قضاء مناسكهم وإلا فهو غير مسؤول، فاستخف الأمراء وخرجوا من مكة دون [...]، وتبعهم الشريف غالب؛ إذ خرج إلى جدة.

وفي رابع من شهر محرم سنة ١٢١٨هـ: دخل سعود وجنوده مكة المكرمة محرمين بعمرة واستولوا عليها، وأمن أهلها، وبذل لأهلها من الأموال والصدقات الشيء الكثير، وأخذ الشريف يراسل سعود [...] ومكبرًا خوفًا أن يعاجله قبل أن يتم تحصين جدة، ولم يتم بينهما شيء، واستعمل سعود عبد المعين [...] مساعد أميرًا في مكة، ورحل يريد جدة فرآها محصنة فرجع عنها وقفل إلى الدرعية.

قتل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢١٨هـ

قال ابن بشر: وفي العشر الأواخر من رجب سنة ١٢١٨هـ، قُتل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف، المعروف في الدرعية، وهو ساجد في أثناء صلاة العصر، مضى عليه رجل قيل: إنه كردي، من أهل العمارية، اسمه عثمان، أقبل من وطنه لهذا القصد محتسبًا حتى وصل الدرعية في صورة درويش، وادعى أنه مهاجر، وأظهر التنسك والطاعة، وتعلم شيئًا من القرآن، فأكرمه عبد العزيز وأعطاه وكساه، وأخذ يتعلم أركان الإسلام، وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها مما كانوا يعلمونه الغريب المهاجر إليهم. فوثب إليه من الصف الثالث والناس سجود، فطعنه في خاصرته في أسفل البطن بخنجر معه قد أخفاها وأعدها لذلك، وهو قد تأهب للموت، فاضطرب أهل المسجد وماج بعضهم في بعض، ولم يكن يدرون من الأمر، فمنهم المنهزم، ومنهم الواقف، ومنهم الكار إلى جهة هذا العدو العادي. ولما طُعن عبد العزيز أهوى إلى أخيه عبد الله، وهو إلى جانبه، وبرك عليه ليقتله فنهض عليه وتصارعا، وجرح عبد الله جرحًا شديدًا فصرعه عبد الله، وضربه بالسيف، ثم تكاثر الناس عليه وقتلوه، وحملوا الإمام إلى منزله وقد غاب ذهنه، فلم يلبث أن توفي بعدما صعدوا به القصر رحمه الله، وكان عمره حين قُتل خمسة وثمانين سنة، وكان ابنه سعود أتى نخله، المعروف بمشيرق، فلما بلغه الخبر أقبل مسرعًا، فقام الناس وبايعوه خاصّتهم وعامّتهم وعزُّوه بأبيه.

مـلاحـظـة

ذكـر ابـن بشـر أن الـذي قتلـه رجـل كـردي اسمـه عثمـان، مـن بلـد العمارية، وهذا الذي ثبت لديهم إذ ذاك وهو الخطأ. والحقيقة أن الذي قتله رجل شيعي من أهل النجف، وما اسمه الذي يتظاهر به إلا إبعاد للشبهة عن معرفة حقيقته؛ لأن الشيعة لا يسمون باسم عثمان ولا عمر، وأما الأكراد أهل العمارية فهم من أهل السنّة والجماعة، ولو كان أن نظرة أهل السنّة بتلك الوقت إلى الوهابية، لا يختلف عن نظريته للشيعة، ولكن ليس هنالك ما يدعو إلى مثل هذا العمل، أما هذا الشيعي فقد جاء متأثرًا بقضية غزوة كربلاء المقدسة التي انتبكنا ابن سعود.



ترجمة حياة عبد العزيز بن محمد بن سعود
عن تاريخ ابن بشر مع بعض التعرف

رأينا أن ننقل ترجمة حياته، وأعماله الخاصة والعامة، لأنها صارت دستورًا لمن بعده.

ولد في الدرعية سنة ١١٣٣هـ في حياة جده سعود بن محمد، ونشأ نشأة عادية، فتعلم القرآن ومبادىء الكتابة على الطريقة المعهودة بذلك الوقت، وتمرن على ركوب الخيل والرماية، لأن ذلك من الضروريات التي تقتضيها الحالة في تدرك الأيام لكثرة الفتن والحروب.

علومه ومعارفه

كان متفقهًا في دينه واسع الاطلاع، وله يد طولى في معرفة الحديث، قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناه. وله رسائل عديدة في نشر الدعوة والذب عن دين الله، ومن اطلع على رسائله إلى العلماء والأمراء والكبراء علم ما هو عليه من سعة الاطلاع، وأهم هذه الرسائل رسالته المشهورة إلى العلماء والقضاة في الحرمين، وفي الشام، ومصر، والعراق وغيرهم. فقد أوضح في هذه الرسالة حقيقة العبادة، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وبيّن فيها الفرق بين حق الله وحق أنبيائه

وأوليائه، ثم تطرق إلى دعوتهم إلى التوحيد. ثم أفاض في الإرادة الدينية والإرادة الكونية، ثم بعد الوجه المشروع في طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ، وأن الأنبياء والصابرين يدعى لهم فقط. ثم أوضح ما يشرع عند قبر النبي ﷺ وما لا يشرع عنده. وأبان أن شد الرحال إلى المساجد الثلاثة فقط لا إلى القبور. ثم ساق الأحاديث الدالة على النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وبيّن أن الدعاء هو العبادة وهو مخّها. ثم تكلم عن حقيقة التوحيد والشرك وأن المشرك يؤمن بالله ويعبده. ثم أوضح أن اتخاذ الأولياء والشفعاء شرك أكبر. وتكلم عن التوسل الصحيح والباطل. وحديث الأعمى في التوسل بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وغيره من الأحاديث الشواذ، وشبه القبوريين، ثم ختمها في بيان بدع القبوريين وعداوتهم لمن ينكرها عليهم، وهي رسالة طويلة تبلغ نحو (٢٦) صفحة من القطع الصغير وطبعت في مطبعة المنار سنة ١٣٤٤هـ بمصر مع أربع رسائل غيرها لبعض من مشايخ نجد على نفقة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

سياسته

سياسته دينية بحتة لا هوادة فيها، ولا محاباة، ولا مراوغة، ولا مكر، ولا خداع، ولا رياء، باطن أمره كظاهره ــ وليس له شيء من صفات السياسيين، ولا مرونتهم يعني ما يتولى، ويفعل ما يعني. قانونه كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، لا يلتفت إلى ما خالفهما ولو كان فيه هدم ولكن هذه الخلال هي التي ألّبت عليه الأمم الخارجية، وتضافرت على قمع شوكته والوقوف بوجه هذه الدعوة ومنع انتشارها. فلو صاحب هذه

الدعوة شيء من المرونة السياسية لما وقفت عند المد الذي وقفت عنده، ولو كان المسلمون والعرب بتلك الوقت بالحالة التي هم فيها اليوم من الرقي لوجدوا في عبد العزيز وابنه سعودًا ما يبلغهم أملهم في الاستقلال وتخليص الجزيرة والبلاد المشتعلة بها من النفوذ التركي، ومنع التدخل الأجنبي الذي تغلغل فيها الآن، ولكنها فرصة ضاعت ولم يحسن الطرفان استثمارها، والسبب في ذلك ما كان عليه المسلمون من الضعف الأخلاقي، والوهن السياسي الذي وجده الحكم التركي والدعاية التي بثها هؤلاء بمساعدة مأجوريهم من العلماء والأمراء لتشويه سمعة هذه النهضة ووصمتها بالخروج عن الدين، وإذا ما أردت أن تعرف مدى تغلغل هذه الدعاية بالأمة الإسلامية تجده هذه التواريخ التي جعلت القضاء على هذه النهضة من أكبر مناقب السلطان محمود وأعظم حسنات محمد علي خديوي مصر، وخصوصًا العلماء الدينيين الذين كان معظمهم أبوابًا للدعاية التركية، هذا من جهة ومن جهة ثانية إن سياسة الإمام عبد العزيز ليست قابلة للتوسع لكونها دينية خالصة، وما صاحبها من الشدة لحمل الناس على ما لا يعتقدونه وخصوصًا وأن هذه البلدان المجاورة سكانها خليط من المسلمين وغيرهم من المعالم الأخرى الغير إسلامية التي لا ترتاح لمثل هذه السياسة الدينية، فلو سلك الإمام عبد العزيز الأول في سياسته سياسة الملك عبد العزيز عبد الرحمن ملك الحجاز ونجد لهذا العهد لنجح في تحرير بلاد العرب بأسرها، ولكانت اليوم تتمتع بها تحت راية واحدة أو على رايات من أهلها من البحر الأبيض إلى البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي، ولكن لكل أجل كتاب.

سيرته

سيرته مثل سياسته دينية آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر لا خائفًا في الله لومة لائم، ينفذها في أهل بيته كما ينفذها على عشيرته ورعيته. كثير التفقه لأحوال الرعية، كثير العطف على فقرائهم يتعهدهم بالصدقات. أما القضاة والعلماء، وطلبة العلم وأئمة المساجد والمؤذنين فلهم رواتب مقررة في بيت المال كل على قدره، ولطلبة العلم في الغز محلات مخصصة ورواتب تقوم بحاجتهم. ولأئمة المساجد التي في النخيل أيضًا رواتب وكان يفرض للضعفاء والمحتاجين عطاء في كل سنة فكان الرجل يكتب نفسه وأفراد عائلته فيفرض لكل منهم عطاء، وإذا مات رجل وله راتب في بيت المال أقرها لأولاده. وكان يفرق في البلدان كل سنة كثيرًا من الصدقات، فيخصص لكل ناحية أو بلد مبلغ ممن يفرق في شهر رمضان وهذا معتمدنا حتى الآن.

الأمن

إن الكلام على مسألة الأمن في عموم نجد بزمن عبد العزيز وابنه سعود، هو مضرب الأمثال وأشهر من أن يحتاج إلى تسطير، فالرجل الواحد يستطيع أن يجتاز المملكة من أقصاها إلى أقصاها، دون أن يخشى سارقًا أو تكابرًا وذلك نتيجة سياسة الشدة والحزم التي اتخذها عبد العزيز إزاء قطاع الطرق من البوادي، فقد وزع المسؤوليات على رؤساء القبائل كل في حدود بلاده، وجعل الرئيس هو المسؤول عن كل ما يحدث في حدود بلاده، فإذا فقد شيء من الحجاج أو المسافرين أرسل إلى زعيم تلك القبيلة التي تسكن في هذه الأماكن التي فقد فيها هذا الشيء وألزمه

بإحضاره وإحضار الجاني ثم يأدّبه أدبًا بليغًا بأن يأخذ ما عنده من المال أو شيء منه على قدر نسبة المفقود، ولهذا كانت الأموال التي تترك في البراري أرضًا تبقى في أماكنها إلى أن يأتي صاحبها فيأخذها، وعبد العزيز هو أول من أبطل ما كانت تأخذ الأعراب من الحجاج والمسافرين من الإتاوات والقوانين والجوائز. وكانت جميع بلدان نجد يخرجون مواشيهم أيام الربيع ويسيبونها في البراري والمساجد والمسارح، من الإبل، والخيل، والبقر، ليس لها راعي فإذا عطشت ترد إلى البلدان ثم تعود إلى مراعيها حتى ينقضي الربيع ويحتاجون أهلها إليها، إلاَّ الخيل فإن لها من يتعاهدها في مراعيها لسقيها وحدها بالحديد.

خيل آل سعود

أما خيل عبد العزيز وخيل بيته وعشيرته، فهم يخرجونها في أيام الربيع إلى (النقص) موضع معروف قرب بلد ضرمى، وفي الشعيب المعروف (قري عيينة) من وادي حنيفة وعندها من يتعاهدها لمثل ما ذكرنا.

ضوالُّ الإبل

وقد جعل في الدرعية رعاة يجمعون ضوال الإبل التي توجد في البر والمفازات جمعًا أو فرادى، فمن وجدها من حاضر أو باد أتى بها إلى الدرعية خوفًا أن تعرفه عندهم فيؤدبونه وجعل عبد العزيز رجالاً يحتفظها، ويجعل فيها رعاة يتعاهدونها بالسقي والرعي ويقومون بما ينوبها، فكانت تلك الإبل تتوالد وهي محفوظة، وكل من ضاع له شيء من الإبل يأتي إلى الدرعية ويتفقد ضالته مع تلك الإبل، فإذا وجدها فعليه أن يحضر شاهدين أو شاهد ويمينه على أنها له ثم يأخذها.

موارد دولة آل سعود الأولى

ليس لحكومة آل سعود من الموارد غير الزكواة في الثمار: من الثمر والحنطة والشعير والأرز، وزكاة المواشي: من إبل وغنم، أو ما تأخذه من الأخماس في الغزوات على المخالفين من البوادي، وما تأخذه بصفة الغرامة ممن يخالف الأوامر.

فلا مكوس، ولا ضرائب، ولا شيء من أنواع الرسومات، ولا يعرف مقدار ما يبلغ موارد الحكومة لا بالقسيط ولا بالتقدير، لأن ليس هناك دوائر ماليات ولا محاسبات، فمن العامل إلى الحاكم، كما أن الخرج كذلك بغير مرتب فهو تحت تصرف الحاكم.

أما زكاة الثمار فهي تبقى بأماكنها ويحول عليها الإمام أهل الرواتب والعادات يحولها عينًا كل جهة يحوليهم على ما في الإسلام. أما زكاة البوادي فكل قبيلة لها عامل يستوفي الزكاة منها، ثم يأتون إلى الدرعية ويسلمونها إلى الوكيل الذي يعينه الإمام وينتهي الأمر، ولا يصرف منها شيء إلاَّ بامر الإمام.

القبائل التي تؤدي الزكاة إلى عبد العزيز

فهم: عنزة، وشمر، وعتيبة، وقحطان، ومطير، والظفير، ومردة، وهتيم، وبوادي خيبر، والحويطات وجهينة، وبعض بوادي اليمن، وآل مرة، والعجمان، ومبيع، والسهول، وبني هاجر، والمناصير، وبوادي عمان.

وكان عبد العزيز رحمه الله هو المؤسس الحقيقي لدولة آل سعود، وصاحب الفتوحات العظيمة، وهو واسطة العقد في آل سعود حزمًا وعزمًا

ورأيًا وشجاعة وهمة، وكان له الحق الأول في أن يدعى (عبد العزيز الكبير) فهو في آل سعود كالمنصور في العباسيين، وله من المزايا من ليس له شيء مثله.

سعود بن عبد العزيز محمد آل سعود

ولد سنة ١١٦١هـ، وبويع له بولاية العهد سنة ١٢٠٤هـ، وتولى الأمر بعده أبيه سنة ١٢١٨هـ.

أهم الحوادث في أيامه من ١٢١٨ ـــ ١٢٢٩هـ

بعد وفاة الإمام عبد العزيز نزل الشريف غالب إلى مكة وطرد الحامية التي فيها لابن سعود، وأعلن عداءه. وفي أول سنة سار عبد الوهاب أبو نقطة ورعاياه بأمر سعود لمحاصرة جدة، فلما نزل السعدية الماء المعروف قرب سيف البحر باغته بقواته، ووقع بينهم قتال شديد، فانهزم الشريف غالب وجنوده، واستولى عبد الوهاب على ما معه من عتاد ورجع إلى البلدة ولما قرب موسم الحج أرسل الشريف إلى سعود يطلب الصلح، فأجابه وتم ذلك بينهما، وهذه عادة الشريف كل ما صفا ابن سعود جنح للسلم خديعة منه ومكرًا. أصلح وهو منطوٍ على خبثه. وأعقب هذا الصلح الاستيلاء على الحجاز الاستيلاء التام واستمر حكمه إلى سنة ١٢٢٧.

غلط سياسة سعود في إرجاع الحواج

ومن الأغلاط السياسية التي كان لها أثر كبير في مجرى الحوادث والتي كانت سببًا لتقويض أركان دولة السعود هي: إرجاعه الحواج الشامية والمصرية قبل دخولهم المدينة سنة ١٢٢١هـ خوفًا من إمدادهم الشريف

غالبًا، وهي حجة وجيهة يحق له أن يحتاط لصيانة الأمن إذ لو دخلوا مكة في معداتهم وأسلحتهم وعساكرهم لحدث فتنة لا يعلم نتيجتها إلاَّ الله. ولكن الإمام سعود كان ينبغي له أن يفاوضهم، ويبدي لهم تخوفه، ويشترط عليهم أن يسلموا أسلحتهم التي لديهم قبل دخولهم مكة ليسترجعوها عند خروجهم منها، إنه لو فعل ذلك وأبو الامتثال للأمر لقامت عليهم الحجة، وعذره المسلمون ولو بعد حين، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أرسل قوات ترابط بالقرب من المدينة، وأمرهم أن يرجعوا الحواج دون استثناء ولا شرط، وهذا الغلط هو الذي أنتج ما سيأتي من الحوادث، إذ قد أثار بعمله هذا سخط المسلمين، كما أثار حفيظة حكومة ترى أنه قد أهانها وامتنعت الحواج المذكورة طيلة الخمس السنوات التي تلت هذا الحادث.

وفي سنة ١٢٢٦هـ: انتدبت حكومة الترك محمد علي خديوي مصر للقضاء على آل سعود وتتبعهم في عقر دارهم، وأمدته بالجنود والذخائر، وأغدقت عليه الأموال بسخاء كبير، فأرسل ابنه طوسون باشا بقوة كبيرة سحقتها القوات السعودية بوادي الصفراء، ولكنهم أعادوا الكرة بالسنة التالية بقوات جديدة اتصلت برًا وبحرًا، فتمكنوا بعد حروب شديدة وحصار شديد على فتح المدينة المنورة في أوائل شوال سنة ١٢٢٧هـ، وبقوا فيها إلى ما بعد الحج، وحج سعود في تلك السنة، ورتب الجنود بالقلاع والحصون ورجع إلى الدرعية، وأبقى ابنه عبد الله ومعه القوات، وأمره أن ينزل من الظهران ليكون ردًا للجنود إلى أن يرى ما يكون من أمر الجيش المصري، فلما قفل سعود إلى دولته أخذ الشريف غالب يكاتب طوسون باشا يحسن له القدوم إلى مكة ويخبره بضعف الحامية الموجودة،

فعلم عبد الله بن سعود بأمر الشريف وإقبال طوسون، فخشي من الغدر، فاستخرج الحاميات المرابطة في مكة ورحل منها ونزل العبيلاء قرية عثمان المضايفي وأمر على عثمان أن يذهب إلى الطائف ويضبطها، فسار إليها ثم رجع إلى نجد وقد داخلهم الفشل، وصل طوسون إلى مكة واستولى عليها دون أن يلقى مقاومة، فاستوحش المضايفي وهرب من الطائف ولحقه عبد الله في ٢٣ محرم سنة ١٢٢٨هـ ونزل رشيد.

وفي شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٨هـ: وصل محمد علي باشا مكة، وقضى على الشريف غالب وحبسه، واستصفى جميع أمواله وخزائنه. ثم سيّره إلى سلانيكا حيث توفي سنة ١٢٣١هـ وأقام محمد علي باشا في الحجاز، إلى أن استرد جميع بلدانه ورتب أموره، وتوفي الإمام سعود سنة ١٢٢٩هـ. وسنأتي على بقية أخبار الحملة المصرية، إلى نجد في ترجمة عبد الله بن سعود إن شاء الله.

ترجمة حياة الإمام سعود بن عبد العزيز

أما فتوحاته وسائر أخباره فقد أعرضنا عن ذكرها لأنها مبسوطة في تاريخ ابن بشر، وإنما ذكرنا أخبار الحجاز لما لها من العلاقة في حوادث نجد الآتي ذكرها بترجمة عبد الله بن سعود، وقد تركنا حوادث ليست بأقل أهمية مما ذكرنا ولكننا خصصنا هذا البحث لتراجم الأمراء من آل سعود والحوادث التي يكون لنا عليها ملاحظات، أو الحوادث التي لم يذكرها ابن بشر في تاريخه، والمقصود من ذلك أن تصل التاريخ القديم بالتاريخ الحديث لحكم آل سعود وغيرهم إلى زمننا هذا.

ترجمة حياة الإمام سعود

ولد في الدرعية سنة ١١٦١هـ، وبويع له بولاية العهد بأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٢هـ، وتولى الأمر في اليوم الذي قتل فيه أبوه، أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث أقام مدة سنين يقرأ عليه، ثم كان يلازم مجالس الدرس عنده، وكانت له معرفة تامة بالتفسير والحديث والفقه، فمن وقف على شيء من مراسلاته ونصائحه عرف ما هو عليه من البلاغة وسعة الاطلاع، وإذا كانت الفتوحات، والتوسع، وكثرة النكاية بالأعداء، قد جرت بزمن أبيه ونسبت إليه فإن الفضل في ذلك كله يرجع إلى سعود، لأنه ساعده الأيمن، وسيفه المصلّت على رقاب الأعداء. كان رحمه الله متيقظًا، بعيد الهمة بصيرًا بأمور الحروب، أعطاه الله من الهيبة ما لم يعطه أحدًا من أسلافه، على أنه في الغاية من التواضع للمساكين وذوي الحاجات. كثير المداعبة والانبساط مع خواص أصحابه، حفظ الملك الذي ورثه عن أبيه وزاد عليه.

سياسته

سياسته كسياسة أبيه: دينية خالصة، قوامها الدعوة وبث التعاليم الدينية، وليست مقصورة على رعيته بل أرسل الرسائل الكثيرة إلى الأمصار، لكنها صادفت خصماء أقوياء حالوا دون انتشارها، وساعدهم على ذلك ما اشتهر عنه من الشك، وما عمله من إرجاع الحواج ومنعهم عن الحج.

أما الأمن فهو في زمن سعود مثله في زمن أبيه، شامل جميع البلاد

التي يخفق عليها العلم السعودي، وكانت سيرته ونظامه وجميع ما ذكرنا في ترجمة أبيه متبعة في زمنه، إلاَّ أننا الآن نذكر ما لم نذكره في حياة أبيه مما لم تكن إلاَّ في زمنه، فمن ذلك ما يأتي:

طريقته في الاستشارة

فإذا دهمه أمرًا أو أراد تنفيذ شيء من الأمور التي يتصورها صالحة، فلا يكتفي برأيه بل يعرض الأمر على بعض الخواص الذي يعتمد على آراءهم من الحاضرة والبادية، فيرسل إلى كل فريق على حدته ويعرض عليهم الأمر، ويأخذ رأيهم فيه.

رؤساء البوادي

فيرسل أولاً إلى رؤساء البوادي التي عنده ويستشيرهم، فإذا عرف ما عندهم وخرجوا من عنده.

خواصه وأهل الرأي من أهل الدرعية

ثم يرسل إلى خواصه من أهل الرأي الذين يثق بهم، فيعرض عليهم الأمر ويستشيرهم فيه، فإذا أخذ رأيهم وخرجوا من عنده.

آل الشيخ وأهل العلم

أرسل إلى أبناء الشيخ وأهل العلم من أهل الدرعية، فيعرض عليهم الأمر ويستشيرهم فيه، دون أن يعلم أحد من هؤلاء وأولئك بما كان بينه وبين غيرهم، فإذا عرف ما عندهم من الرأي عرض عليهم رأيه الذي يراه بعد أن يستنير من آراء هؤلاء جميعهم ثم يمضي بما يترجح لديه صلاحه.

سيرته في الدرعية وترتيبه وعاداته

كان أهل الدرعية وغيرهم يجتمعون عنده في كل يوم صباحًا في (الباطن) سوق الدرعية لسماع الدرس.

نظام المجلس

يخلي صدر المجلس لسعود وبنيه، وعمه عبد الله بن محمد وبنيه، وأخوة سعود، عبد الله، وعمر، وعبد الرحمن، فيجلس أبناء الشيخ على يمين سعود ويساره، ثم يجلس إلى جانبهم عبد الله بن عمر وبنوه، وأخوة سعود، ثم يأتي أبناء سعود أرسالاً أرسالاً، فيجلسون عند أعمامهم، فإذا اجتمع الناس خرج سعود من القصر ومعه دولة ولهم جلبة عظيمة لا تسمع فيها إلاّ قرع السيوف بعضها في بعض من شدة الزحام، وكلهم من المماليك السود، ومعهم السيوف الثمينة المحلاة بالذهب والفضة، فإذا أقبل على المجلس قام له الذين في طريقه لئلا يطأهم العبيد، فإذا خلص إلى مكانه جلس، فيسلم على العموم ثم يجلس بجانبه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد، وهو الذي عليه القراءة في ذلك الدرس. قال ابن بشر وقد حضرت القراءة في ذلك الدرس في تفسير ابن جرير وحضرته أيضًا في تفسير ابن كثير، فإذا فرغ الدرس نهض سعود قائمًا ودخل القصر.

نظرة في شؤون الناس

ثم يجلس في منزل من منازله داخل القصر، فيرفع الناس إليه حوائجهم، فينظر فيها إلى أن يتعالى النهار. ثم يدخل إلى حرمه وقت القيلولة إلى وقت صلاة الظهر، فيقبل الناس لسماع الدرس في موضع بين بابي القصر الداخلي والخارجي، مبني على خمسين عمودًا، جعله ثلاثة

أطوار، كل واحد فوق الآخر. ثم يجلس آل سعود على مراتبهم، وكثرة الناس ولا يحضره أحد من آل الشيخ إنما يحضره إمام مسجد الطريف، ثم يشرع في القراءة اثنان أحدهما في تفسير ابن كثير والثاني في رياض الصالحين، فإذا فرغا من القراءة أخذ سعود يقرر على تلك القراءة فيأتي على أقوال العلماء والمفسرين بطلاقة وفصاحة يدلان على ما هو عليه من سعة الاطلاع. فإذا فرغ من ذلك تقدم إليه أهل الحوائج بطلباتهم وشكاياتهم فيقضي منها ما هو من شأنه ويحيل الكثير منها إلى الشرع. وكان كاتبه إلى يساره يكتب الترقيمات بالمنح والأحكام أو الإحالة إلى الشرع، فإذا فرغ من ذلك نهض ودخل القصر، فيجلس في مجلسه في المقصورة ويصمد إليه كاتبه فيملي عليه جواب ما لديه من المكاتبات إلى وقت العصر، فينهض إلى الصلاة. فإذا كان بعد المغرب اجتمع الناس عنده لسماع الدرس على الترتيب السابق، ثم يشرع سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد يقرأ في صحيح البخاري، فإذا وجب وقت صلاة العشاء نهض سعود وصلّى في مسجد قصره، وهكذا بقية الأيام على هذا الترتيب.

في أي مسجد يصلّي الفرائض والجمعة

أما سائر فروض الصلواة المكتوبة فهو يصلّيها في مسجد قصره، ويصلّي معه فئام من الناس، وأما صلاة الجمعة فهو يصلّي مع الناس في مسجد الطريف، وهو المسجد الجامع الكبير تحت القصر من الجهة الشمالية في موضع بناه فوق المحراب والمنبر، يصلّي فيه هو وخاصة مماليكه وخواص أصحابه، وهذا الموضع استحدثه بعد قضية قتل والده

خوفًا من وقوع مثل ذلك، وجعل على هذا الموضع طريقًا من القصر يأتي إليه من قبلة المسجد عند المحراب.

نظام الحرس في الصلاة

فإذا شرع في الصلاة وقف خلفه اثنان من شجعان مماليكه بسيوفهم حتى يفرغ من الصلاة، هذا إذا كان في الدرعية، وأما إذا كان في مغازيه وحججه فيقف عنده ستة من خواص مماليكه بسيوفهم، منهم اثنان عند وجهه، واثنان خلفه بينهم وبين الصف الثاني، واثنان بين الصف الثاني، والصف الثالث.

وهو أول من استحدث هذا النظام، ولم تزل هذه العادة متبعة عند آل سعود إلى زمننا هذا، ولهذا فإن الذين أرادوا اغتيال الامام تركي لم يقدروا عليه إلاَّ من بعدما خرج من حرس المسجد.

موارد الدولة بزمن سعود بن عبد العزيز

كانت موارد الدولة بزمن سعود مثلها في زمن أبيه، أي مقتصرة على زكاة الثمار، وزكات مواشي البوادي تأخذه من الأخماس في الغزوات، وتركه العروض الذي سميت بعد ذلك ضريبة الجهاد، وما تأخذه من اليد بصفة تأديبية، إلاَّ أنها زادت في أيام سعود عما قبله زكاة بوادي الجهات الذي أخضعها كالحجاز وما يأتيه من عشور الحديدة وتوابعها من بنادر تهامة واللحية نحو ثلاثمائة ألف ريال سنويًا عن ربع العشر المقررة.

نظام العمال ومقدار ما يجبونه

قال ابن بشر ذكر لي بعض خواص سعود ممن قد صار كاتبًا عنده،

قال: كان يبعث إلى البوادي بضعًا وسبعين عاملة كل عاملة سبعة رجال وهم: أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم التي تباع بها إبل الزكاة، وثلاثة رجال خدام لهؤلاء الأربعة يساعدونهم على قبض وجمع الإبل والغنم المقبوضة في الزكاة، وهؤلاء غير عمال خرص الثمار، وغير عمال زكاة العروض والأثمان. وقد زكى بوادي الغز في ناحية مصر وبوادي يام في نجران.

مقدار ما تأتي به العاملة من الزكاة

قال: أتوا عمال الندعان من عنزة بزكاتهم بلغت أربعين ألف ريال وثمانية أفراس من الخيل والجياد، وهذا أكثر ما تأتي به العاملة، وذلك بعد خرج العمال. وأقل ما تأتي به العاملة من ألفين وخمسمائة إلى ثلاثة آلاف ريال.

بيت مال الأحساء القطيف

أما بيت مال الأحساء فله نظام خاص، وهو حاصل زكاة الثمار والعروض، وربع نخيل بيت المال فيقسمه سعود ثلاثًا، ثلث خراجًا لخياله ورجالته ونوابه وما يخرجه لقصره ولبيوت بنيه وبيوت آل الشيخ، وثلث يباع بدراهم وتكون عند عماله لعطاياه وحزالاته، ويرفع من أصل المجموع ثمانون ألف ريال ترسل إلى الدرعية والثلث الثالث يدخره لثغوره وخراجًا لأهليا والمرابطة فيه.

عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود
١٢٢٩هـ ـ ١٢٣٣هـ

بويع له بعد وفاة أبيه سنة ١٢٢٩هـ، وهو الحاكم الرابع من

آل سعود بعد توحيد الحكم في نجد. تولى في أشد الأوقات حرجًا، إذ كانت الحكومة المصرية مجدة بالتجهيزات إلى نجد بأمر حكومة التركي للقضاء على دولة آل سعود، وكانت قد استرجعت قسمًا من الحجاز قبل وفاة سعود، واسترجعت البقية، وما كان تحت نفوذ آل سعود من تهامة في سنتي ١٢٢٩هـ ـ ١٢٣٠هـ.

خروج طوسون باشا إلى نجد

ولما تم استرجاع الحجاز وتهامة، أمر محمد علي ابنه أحمد طوسون بالمسير إلى نجد، فأرسل قوته إلى الرس، فتابعهم أهلها، وأهل البكيرية، وأهل الخبرا، ثم زحف طوسون باشا بمن معه من العسكر ونزل الرس. فلما بلغ ابن سعود إقبال طوسون باشا خرج من الدرعية ونزل المذنب، ثم رحل ونزل عنيزة وكان أميرها يومئذٍ إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود، وأخذ يشن الغارة من وقت لآخر على البوادي التي مع طوسون، ثم رحل عبد الله ونزل الحجناوي الموضع المعروف بين عنيزة والرس يتحين الفرص، وأقام نحو شهرين دون أن يقع بينهم إلاّ مناوشات خفيفة، فسئم أولوا الرأي من الطرفين، وخاطبوا عبد الله بأن هذا التردد أضر علينا من الحرب، فإما أن تناجز القوم أو تصالحهم، وخاطب رجال طوسون بمثل ذلك وقالوا: إن ابن سعود بوسط بلدانه والميرة متوفرة لديه ونحن في منقطع من العمران وليس لدينا ما يكفينا مدة طويلة، والإمدادات التي تأتينا يحول بيننا وبينها ابن سعود، فإما أن تناجزه أو تصلح معه، وكان طوسون مثل عبد الله بن سعود ميالاً إلى السلم، فجرت المفاوضة. ويقول ابن بشر أن الصلح تم بينهما على أن يرفعوا أيديهم من نجد

وأطرافها، وأن تمشي السابلة آمنة بين الفريقين، وكتبوا سجلاً بذلك، ورحل طوسون باشا من الرس عائدًا إلى الحجاز، وإن عبد الله بن سعود بعث عبد الله بن مجبر بن بنيان والقاضي عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم ومعهما وثيقة الصلح لعرضها عن محمد علي، فوصلوا مصر وعرضوها على محمد علي باشا وانتظم الصلح، ولكن يقولون إن رجالاً من أهل القصيم ومن البوادي وزخرفوا القول لصاحبها وتلقى قولهم بالقبول فنقض الصلح وشمر بتجهيز الجنود إلى نجد الحقيقة.

ولكن الحقيقة أن الصلح تم بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود ولكن لم يقبله محمد علي باشا، بل قال للوفد: سأرسل عليكم ابني إبراهيم فيهدم بلدكم حجرًا حجرًا، ولا صحة لقول ابن بشر: أن نقض السلم جرى بسبب أهل القصيم وبعض البوادي، وإنما هي تخيلات ابن بشر الذي يحيل كل أمر إلى أهل القصيم، لأنهم يتهمونهم بعدم الإخلاص للولاية، كما اتهموهم بعد ذلك بإخراج الشريف محمد بن عون أيام الإمام فيصل كما يأتي ذلك بمحله، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضيق التفكير وعدم الإحاطة بمجاري الأمور، ولو أردنا أن نتتبع مثل هذه الأشياء لاحتجنا إلى مضاعفة الكتاب.

خروج إبراهيم باشا بن محمد علي باشا

وفي أواخر سنة ١٢٣١هـ، جهز محمد علي باشا حملة جديدة، إلى نجد بقيادة ابنه إبراهيم باشا، فنزل في موانىء الحجاز، وعسكر بالحناكية، وأقام فيها أكثر من ستة أشهر يرتقب استكمال النجدات والاستعدادات، ويراقب حركات ابن سعود، ويستميل البوادي بما يبذله

من النقود، فاجتمع لديه خلق كثير من قبائل نجد مطير، وعتيبة، وبعض حرب، وقبائل الحجاز وغيرهم، فأخذ يشن الغارة على قبائل نجد، فأخذ الرحلة، من حرب عند أبانات الجبلان المعروفان في القصيم. فأمر عبد الله بن سعود على نواحي الوشم وسدير، ونزلوا الغميس بين عنيزة والخبرا، وخرج حجيلان بن حمد بأهل القصيم، فانضم إليه أهل الوشم وسدير وأقاموا عندهم أربعة أشهر ليحولوا دون إبراهيم باشا، ثم خرج عبد الله بن سعود ومعه غزو نجد الحاضرة والبادية، وانضم إليه حجيلان بمن معه في أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٣٢هـ ونزل بين مسكة وضرية. فاعتزم إبراهيم باشا السير إلى داخلية نجد بعد أن أكمل استعداده وهو متهيب عن الإقدام، إنما يريد أن يستوثق من حالة البلاد ويقف على مدى قوة ابن سعود واستعداده، لأن هيبة آل سعود وما عمله سابقًا من إقدامهم وشجاعة جنودهم جعلته يقدم رجلاً ويؤخر أخرى فأرسل جيشه بقيادة علي ومعه بعض البوادي، وزود إبراهيم باشا عسكره ببعض المدافع، سار هذا الجيش ونزل ماوية الماء المعروف على مسافة يومين من الحناكية جهة نجد، وكان عبد الله بن سعود على ضرمة وقد بلغه خروج مقدمة الجيش المصري، وكان ينبغي له أن يرجع إلى معسكره في القصيم ويتخذ خطة الدفاع ولكنه لم يفعل لما أراد الله منهم من نفاذ الأمر، بل إنه أراد أن يغتنم فرصة انخزال هذا الجيش فيما جنه قبل التحاق بقية القوات، فسار إليهم في جريرة خيل وجيش، وترك ثقله في موضعه كأنه يريد أن يهاجم فريقًا من البادية، فصبحهم على ماوية، فصمد له العسكر واستعمل المدافع الذي كان لصداها أبلغ الأثر في البادية، فاستخف البدو وانهزموا لا يلوون شيء وتبعهم بقية جند ابن سعود، واختلط الحابل بالنابل، وتبعهم

العسكر، وقتلوا رجالاً وغنموا كثيرًا من السلاح والإبل، وهلك في الهزيمة يعني القتل والأسر نحو مائتي رجل. وهذا أول الوهن الذي أصاب جيش ابن سعود وأفقده كثيرًا من قوته المعنوية، فقلت هيبته واستخف به أعداؤه، وإنها أولى غلطات عبد الله الذي أثبتت عدم خبرته الحربية.

فلما بلغ إبراهيم باشا هزيمة ابن سعود رحل من الحناكية، فوصل القصيم ونزل الرس لخمس بقين من شعبان وحاصر أهله، وكان أهل الرس قد ندموا على استسلامهم لجيش طوسون وأرادوا أن يكفروا عن غلطتهم فصمدوا لجيش إبراهيم باشا ثلاثة أشهر ونصف دون أن ينال منهم مرامًا، وكان يفاوضهم للصلح بين آونة وأخرى فيرفضوا، لأن إبراهيم باشا لا رغبة له في محاربة بلدان نجد ولا يريد أن ينهك قواه الحربية دون الدرعية، وإنما يريد أن يؤمن مؤخرة جيشه فيكتفي من البلدان بالكف عن القتال والتزامهم الحياد، وكان عبد الله معسكرًا في عنيزة، ولم يمد أهل الرس بأية مساعدة فكتب له أهل الرس إما أن يمدهم، أو يأذن لهم بالصلح، فلما لم يروا نتيجة عقدوا الصلح مع إبراهيم باشا على جميع البلد وما فيها وأن لا يطلب منهم أية مساعدة حربية؛ وشرط عليهم أن يبقوا على الحياد ولا يمدوا ابن سعود، فتم بينهم ذلك، ورحل إبراهيم باشا ونزل الخبرا فأصلحوا معه.

أما ابن سعود فقد وقع الرعب في جنوده وتفرقت البوادي التي معه فأدخل في عنيزة قوة ترابط في قصر الصفا بقيادة محمد بن حسن بن مشاري بن سعود، وجعل عندهم كفايتهم من الذخيرة والطعام، ثم رحل منها ونزل بريدة، فخالفه إبراهيم باشا ونزل عنيزة وحاصرها فسلمت البلد وأميرها إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود، وامتنع أهل قصر الصفا

فحربهم يومًا وليلة، فوقعت قنبلة على الذخيرة التي في القصر فثار الجبخان وهدم ما حوله من السور، وأصيب بعض من فيه فطلبوا الأمان من إبراهيم باشا فأمنهم فخرجوا من القصر بسلاحهم وأموالهم والتحقوا بأوطانهم، واستولى إبراهيم باشا على البلد والقصر.

ورحل ابن سعود في بريدة وقصد الدرعية وأرخص لمن معه من أهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم، وترك إبراهيم باشا يستولي على البلدان الواحدة بعد الأخرى دون أن يلقى مقاومة. أقام إبراهيم باشا في عنيزة إلى آخر سنة ١٢٣٢هـ، وجعل قوته في قصر الصفا، ثم رحل إلى بريدة فتابعه أهلها، ورحل عنها وأخذ معه عبد الله بن حجيلان وبعض رؤساء البلد كرهائن خوفًا من الانتقاض وهكذا فعل في بقية البلدان.

حصار شقرا

ثم قصد الوشم، ونزل أشيقر والفرعة، فسلموا له، ثم نزل شقرا وحاصر أهلها، ودام الحرب أكثر من شهر ثم استولوا على أموالهم ودمائهم ولما احتوى عليه بلدهم على أن لا يساعدوا ابن سعود، فلما تم الصلح تابعه بقية الوشم وأهل سدير والمحمل، وأعطوه الطاعة، وكانت سياسة إبراهيم باشا بأول الأمر سياسة سلمية غايته منها إخراج ابن سعود وعدم اعتماد قواتهم معه ليسهل عليه القضاء على ابن سعود الذي هو الهدف المقصود، ونجح في ذلك وساعده على ابن سعود نفسه على النجاح بترك الميدان له.

رحل من شقراء وأخذ معه عشرة من أهلها كرهائن وقصد الدرعية، وكان طريقه على الحيسية، ثم وادي حنيفة، من عند بلد الجبيلة، ولم يرد

أن نجيء إلى مدينة ضرما لأنها لم تكن على طريقه، ولكن أهلها فيما يقال تحرشوا به مما اضطره أن يحيل إليهم، وكان عبد الله بن سعود قد أمدهم، فأرسل سعود بن عبد الله بن مجهر ومعه قوة وأرسل متعب بن إبراهيم بن عقيصًا صاحب الخرج ومعه عدة رجال، وأرسل محمد العميري ومعه عدة رجال من أهل ثادق، والمحمل فانضموا إلى أهل ضرما، وفي صبيحة اليوم الرابع والعشرين ربيع الثاني سنة ١٢٣٣هـ نزل إبراهيم باشا وجنوده شرقي ضرمى قرب قصور الزاحميات، وتركوا ثقلهم وخيامهم وسار إليه بمدافعه ونزل شمال البلد قرب السور، فثار قرب الشديد أربعة أيام دون هوادةً، كل ما تقدم العسكر ردهم أهل البلد، وفي اليوم تمكن العسكر من دخول البلد من كل جهاتها فتلقاهم الأهالي وجالدوهم بوسط السكك والبيوت إلى ارتفاع النهار فتغلب العسكر عليهم وأخذوا البلد عنوة، وفتكوا بأهلها فتكًا ذريعًا حتى يأتوه الجماعة فيؤمنوهم ويقتلوهم بعد أن يأخذوا حتى أثخن فيهم، وأباح البلاد نهبًا وسلبًا فهرب من نجا من أهلها على وجوههم وبقيت البلد خالية إلاَّ من النساء والأطفال، فيجمعهم إبراهيم باشا وهم نحو ثلاثة آلاف وأرسلهم إلى الدرعية ليكونوا عالة على أهلها أيام الحصار يزيدهم بهم شدة على شدتهم.

حصار الدرعية

ثم رحل إبراهيم باشا قاصدًا الدرعية من طريق الحيسية، ونزل قرب الدرعية في أول جمادى الأولى سنة ١٢٣٣هـ، وكان ابن سعود قد رتب مواقف الدفاع في خطين، الخط الأول على السور الخارجي، وجعله مراكز كل مركز يرأسه واحد من آل السعود، والخط الثاني بين هذا الخط

وبين البلد، وجعل عنده احتياطي يمد بهم المراكز التي تحتاج إلى زيادة قوة فوقعت الحرب وتصادمت القوات نحو ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع رحل الباشا من موضعه وسار مع الوادي إلى الدرعية في بطن الوادي ومعه عدد كبير من القوات، وفرق باقي قواته يمنة الوادي وسيرته في تلك الجبال تجاه مراكز أهل الدرعية، ثم أخذ يهاجم البلد نحو عشرة أيام والحرب بينهما سجال.

وقعة المغيصبي وغبيراء

وفي اليوم العاشر حمل أهل الدرعية على الجيش المصري في الشعيب المعروف بالمغيصبي شمال الوادي خارج البلد وحصل قتال شديد، ثم وقعة في شعيب لحريق خارج البلد من جنوب الوادي، ثم كانت وقعة غبيراء المشهورة، حصل فيها قتال شديد، وظهر عليهم خيل من الجيش المصري من خلف متارس أهل الدرعية اضطر أهل الدرعية إلى التقهقر، ثم تراجعوا وثبتوا في مراكزهم، إلاَّ أن بعض أهل النواحي هربوا من الدرعية في تلك الوقعة، وخرج إلى إبراهيم باشا بعض الخونة من أهل البلد وأخبروه بعوراتهم ومحل الضعف من دفاعهم، فلما عرف ما يريد معرفته قدر خطة هجوم جديدة، فأرسل إلى علي أزن رئيس العساكر الجنوبية قوة كبيرة، فلما أصبح حقق الحرب على أهل الجبهة الشمالية بشدة عظيمة، رجاء أن يمدهم أهل المراكز الجنوبية فيضعف دفاع تلك الجبهة، فكان الهجوم على المركز الذي فيه عبد الله وعبد العزيز فهدم أكثر البروج، فانحاز عبد الله إلى مركز متارس أخرى فاحتل العسكر مركزه، ثم حملت العساكر على مركز عمر بن سعد فثبت لهم، ولكن العسكر جاوزوا

من خلفه من جهة متارس عمه عبد الله التي احتلوها فانهزم عمر ومن معه، ثم حمل الباشا وعساكره مع بطن الوادي على مركز فيصل بن سعود فثبت لهم وقاتل قتالاً شديدًا، وكان علي ومن معه قد كمن بالقرب من مركز عمر بن مسعود، فلما انهزموا تقدم، إلى مركز فيصل، فلما اشتد القتال بين عسكر الباشا وفيصل حمل علي أزن على عمر من عنده من المراكز الشمالية فانهزم أهل الدرعية من متارسهم، واتصلت الهزيمة من المراكز الشمالية إلى المراكز الجنوبية وتركوا أكثر المدافع والأثقال وحصل بين الطرفين قتلى كثيرة، ثم تراجع أهل الدرعية ووقفوا بمراكز جديدة وحصنوها وأحكموها بالحجارة حتى صارت صالحة للدفاع، وكذلك عدلوا هذا الدفاع من جديد ومراكزه لاستئناف الدفاع، هذا فضلاً عن مراكز الدفاع فوق الجبال المزودة بالمدافع والذخيرة، كذلك إبراهيم باشا عدل خطة الهجوم فجعل إزاء كل مركز لأهل له أمل في متابعة الدفاع، فأرسل إلى إبراهيم باشا يستأذنه في المواجهة فأذن له، فخرج إليه وتفاوضا واتفقا على أن يركب عبد الله لمواجهة السلطان محمود بن عبد الحميد فيحسن إليه أو يسيء ثم دخل عبد الله إلى منزله وسلمت البلد كلها وهرب رجال من آل سعود ومن الأعيان، وممن هرب سعود بن عبد الله بن سعود، وتركي بن عبد الله بن محمد، فأما سعود فأخذته خيل إبراهيم باشا وقتل صبرًا وأما تركي بن عبد الله فقد نجى، وغيره عدد قليل من آل سعود وآل الشيخ، وبعد يومين من عقد الصلح أمر إبراهيم باشا على عبد الله أن يتجهز للمسير، وأمر على رشوان آغا ومعه عسكر وعلى الدويدار ومن معه من العسكر أن يسير مع عبد الله فرحلا ومعهم عبد الله وليس معه إلاّ ثلاثة أو أربعة من رجاله، فوصل القاهرة في سنة ١٣٢٣هـ،

فقابله محمد علي باشا بالإكرام وطيب خاطره أنه سيتكلم بحقه إلى السلطان، ثم أرسله إلى القسطنطينية، وبعد وصوله بأيام قتل هناك رحمه الله تعالى.

وأحصى ابن بشر عدد من قتل من جند إبراهيم باشا في حصار الدرعية فقط نحو عشرة آلاف، وقتلى أهل الدرعية بما فيهم أهل النواحي نحو ألف وثلاثمائة رجل منهم أحد وعشرين من آل سعود خاصة، وهم آل مقرن، وآل ناصر، وآل ثنيان، وآل هذلول، وتوفي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بعد انتشاء الصلح.

وهكذا كانت نهاية عبد الله بن سعود، فقد أساؤا معاملته ولم يعاملوه بالمعاملة التي تليق بمقام رئيس حكومة مستقلة أكثر من ثمانين سنة، بل عاملوه معاملة اللصوص وقطاع الطرق.

أما تقدير ابن بشر لعدد القتلى من الجند المصري باثنا عشر ألفًا من أول خروجه إلى أن انتهى حرب الدرعية، فلا هو بعيد من الصحة، ولكن تقديره الذي قتل منهم في بلدان نجد قبل الدرعية بألفين وعشرة آلاف بالدرعية، فهو لا يطابق الواقع، إذ أن الذي قتل به العسكر في حرب الرس ثلاثة آلاف وأربعمائة رجل (٣٤٠٠) باعتراف الحكومة المصرية وأهل ضرمى باعتراف ابن بشر أنهم قتلوا من العسكر في وقعة واحدة ستماية رجل، فإذا قدرنا أن الذي قتل أهل ضرمى في بقية الوقعات صار مجموع الذي قتل من العسكر في ضرمى ألف رجل، أما الذي قتل في شقرا وفي بقية البلدان الأخرى فربما يبلغ ألف وستمائة رجل، يدخل في ذلك من قتل في وقعة ماوية، فيكون مجموع الذي قتل من العسكر ستة آلاف خارج الدرعية وستة آلاف في الدرعية.

أعمال إبراهيم في نجد وإمعانه في التنكيل بهم، والانتقام منهم، واسترساله في غضبه سنة ١٢٣٤هـ

بعد أن استولى على الدرعية وأرسل عبد الله بن سعود إلى مصر أقام فيها ينتظر أوامر أبيه، وأخذ يتتبع العلماء والأعيان [. . .] على عدد منهم وقتلهم، وعذبهم بأنواع شتى من العذاب، ممثلاً فيهم أشنع تمثيل، وإليك طرفًا من أعماله.

من قتل في ملفظ القبس

قبض على علي بن حمد العريني قاضي ناحية الخرج، وقبض على صالح بن رشيد الحربي من أهل الرس. وعلى عبد الله بن صقر الحربي من أهل الدرعية، وجعل كل واحد منهم في ملفظ القبس، ويزمر فيهم حتى طير أشلاءهم في الجو.

من قتل بالقرابين والبنادق

ثم قبض على رشيد السردي قاضي الحوطة والحريق: وعبد الله بن أحمد بن كثير، وعبد الله بن محمد بن سويلم، وحمد بن عيسى بن سويلم، وهؤلاء من أعيان الدرعية ومحمد بن إبراهيم بن سدحان صاحب شقرا وقتلهم جميعًا.

قتله الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد

وقبض على الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد، أمر أن يخرج به إلى المقبرة ومعه عدد كثير من العسكر، فأمرهم أن يثوروا فيه البنادق والترابين دفعة واحدة، فثوروا فيه فتناثر لحمه قطعًا.

وقبض على الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي القاضي من أهل المدينة قدم على عبد الله وحال الحصار دون رجوعه فعزر تعزيرًا شديدًا وضرب بأنواع التعذيب وقلع أسنانه.

ونقل عنه طبيه الفرنساوي أنه قال: ما ندمت على شيء مثل ما ندمت على عملي بالشيخين أي الشيخ سليمان والشيخ أحمد بن رشيد وأود لو أني لم أسترسل مع غضبي بشأنهما.

ولم يقتصر الأمر على الدرعية بل أراد أن يعمم عدله في جميع نجد، فأرسل قواديه وحاشيته ومعهم العساكر وفرقهم في نجد، وأمرهم أن يهدموا أسوار البلدان وحصونها فهدموها، وألزموا الأهالي بعلف الخيل وعليقها، وصادروا ما في البلدات من الحنطة والشعير فتقاضاهم نصف ثمنها.

فظائع عمال إبراهيم في نواحي نجد

بعد أن سلبوا ما عندهم قبضوا على رؤساء البلدان وقتلوهم من ذلك.

عامله في الجبل قبض على أميرها محمد بن عبد المحسن وأخاه عليًا ومعهما رجال وقتلهم.

وعامله في عنيزة قبض على أميرها عبد الله بن رشيد وقتله.

وعامله في الجنوب حسين جوخدار قبض على فهد بن سليمان، وعبد الله بن سليمان، ومتعب بن إبراهيم بن سليمان آل عفيصان وقتلهم واستعاد أموالهم، وقتل الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد.

أعماله في الأحسا

ثم بعث محمد كاشف إلى الأحسا ومعه مائتين وأربعين من العسكر، ومعهم عبد الله بن عيسى بن مطلق، من رؤساء الأحسا فأمر إبراهيم باشا بجمع بيت المال هناك وجميع ما كان لآل سعود في الأحسا، فقدموه وأخذوا أموالاً وقتلوا رجالاً وصادروا أموال جميع طوارف ابن سعود ومن يميل إليهم، وقتلوا أئمة الحسا من أهل نجد، وقبضوا على القاضي الشيخ عبد الرحمن وصادروا أمواله وقتلوه، وعاثوا في البلاد فسادًا طيلة إقامتهم فيه، ولم يبرحوه إلاّ عندما أراد إبراهيم باشا مغادرة نجد نيائيًا.

إجلاء آل سعود وآل الشيخ إلى مصر سنة ١٢٣٤هـ

أقام إبراهيم باشا في الدرعية ينتظر الأوامر من أبيه الذي كان يستمد أوامره من سلطان تركيا، فجاء الجواب إلى إبراهيم باشا بأن يرحل حرم آل سعود وأطفالهم، وآل الشيخ وأطفالهم، فسيرهم من الدرعية في شهر رجب سنة ١٢٣٤هـ، ولم يبق إلاّ من هرب أو اختفى، وسير معهم العساكر إلى مصر، وكان عدد من سار من آل سعود وآل الشيخ ينبوا على الأربعمائة من الرجال والنساء والأطفال.

هدم الدرعية

وفي شعبان سنة ١٢٣٤هـ جاءه الأمر بهدم الدرعية، يظنون أن البلدان هي التي تكوّن نهضات الأمم، فقد عمل كل ما في وسعه لاستئصال هذه الدولة، فشرّد رجالها ونساءها وأطفالها وهدم بنيانها المادي والمعنوي، ولكنها بالرغم تجددت قبل مضي عشر سنوات، ثم

قضى عليها ثانيًا فرجعت أكبر مما كانت بالرغم من جهوده، وستبقى خالدة، إنشاء الله.

جاء الأمر بهدمها فرحل أهلها عنها، وأمر عسكره أن يهدموا البيوت والقصور، ويقطعوا النخيل، فابتدر العسكر وأخذوا يهدمون ويقطعون الحدائق، ويشعلون النيران في البيوت، وأكثرت العساكر من العبث في البلاد، فأخذا يجمعون الناس من الأسواق ويخرجونهم من الدور ويسخرونهم للخدم في البيوت والدكاكين، ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات من الأخشاب وغيرها، فلا يعرفون لفاضل فضله ولا لعالم قدره.

غزوات إبراهيم باشا

لما فرغ من هدم الدرعية وتدميرها رحل منها ونزل (الأصور) وهو: غدير قرب بلد ضرما، كان سعود يجعل فيه خيله أيام الربيع وأقام فيه أكثر من شهر، ثم ركب غازيًا على بوادي سبيع، فأخذ منهم إبلاً وأغنامًا، وقتل رجالاً، ورجع قافلاً.

إبراهيم باشا ينجو بأعجوبة

ثم ركب غازيًا وقصد الجنوب فلم يحصل على طائل، ووافق غزوا من بوادي العجمان نحو المائتين فهربوا منه وقتل بعضهم. ثم تصدى له رجل من الغزو وضربه بخنجر معه ضربة قوية أخطأته فقطعت تكة السروال ونفذت إلى سرج الحصان ففلقته ونفذت إلى ظهر الحصان فجرحته جرح بليغًا، فأحاطوا بالرجل وقتلوه، ورجع إلى مخيمه.

غزوته على عنزة

ثم ركب غازيًا على عنزة وهم في أرض الزلفى فأخذ منهم إبلاً وأغنامًا وقفل راجعًا.

رجوعه إلى مصر

ثم كتب إلى أمراء العساكر التي في البلدان أن يوافوه في القصيم، ثم رحل ونزل القصيم حتى وافاه من في البلدان من العسكر، ورحل من القصيم وأخذ معه حجيلان بن حمد أمير القصيم وكان عمره فوق الثمانين وتوفي في المدينة رحمه الله وتولى بعده في بريدة ابنه عبد الله بن حجيلان.

رجوع أمراء البلدان إلى بلدانهم

بعدما رحل إبراهيم باشا من نجد رجع أمراء البلدان الذين أجلاهم آل سعود إلى بلدانهم، وثارت الفتنة بين هؤلاء الأمراء وخصوم من بني عمهم الذين ظاهروا عليهم، فوثب رشيد بن سليمان الحجيلاني على عبد الله بن حجيلان أمير بريدة وقتله، لأن حجيلان قتل سليمان الحجيلاني لما حاصر سعدون بن عريعر بريدة فثأر لأبيه، ولكن لم يتمتع بالأمر طويلاً لأن العرفجية والدة عبد الله بن حجيلان أخذت بثأر ابنها، فاستنجدت أهل عنيزة فأنجدوها بقوة حاصرت فيه رشيد بن سليمان الحجيلاني وحاصرته في القصر، وكانت تعلم موضع الجبخان، فعملت نفقًا من الخارج، ولما قاربته وضعت البارود ونسفت القصر، فثار الجبخان فهدم القصر على من فيه، فصار عملها مضربًا للأمثال بأخذ الثأر، وإلى ذلك بشير عبد الله بن علي بن رشيد بقصيدته:

إلى عاد ما نرويه من دم الأضداد ودوى يم العرفجية ترويه

رجوع آل عريعر إلى ملك الأحساء سنة ١٢٣٤هـ

لما رحل العسكر من الأحساء مع إبراهيم باشا قدم إليه محمد بن عريعر وذويه من آل حميد وملكوه وأرسل ابنه سعدون إلى القطيف وملكه.

محمد بن مشاري بن معمر يحاول الحكم في نجد

عندما أجلي آل سعود من نجد وهدمت الدرعية ورحل إبراهيم باشا من نجد طمع ابن معمر في ملك نجد لقرابته من آل سعود عبد العزيز بن محمد بن سعود جده (لأمه)، وكان عنده من الأموال والسلاح الشيء الكثير، ففي أواخر سنة ١٢٣٤هـ رحل من العيينة ونزل الدرعية وسعى في عمارتها، وأخذ يدعو إلى نفسه، فكاتب أهل البلدان ودعاهم إلى الوفود إليه فأجابه القليل من أهل القرى التي حول الدرعية، منهم أهل منفوحة، وكان بينه وبين أمير الرياض ناصر بن حمد بن ناصر العائذي، وأمير حريملا جهة مبارك بن عبد الرحمن بن راشد، وأمير الخرج ابن زيد بن زامل عداوة فلم يتابعوه، وقد كتبوا إلى ماجد بن عريعر رئيس الأحساء وبني خالد وأشاروا عليه أن يسير إلى ابن معمر ويقضي على حركته قبل أن يستفحل أمره، فخرج ابن عريعر من الأحسا بمن معه من البوادي وانضم إليه الأمراء الثلاثة فنازلوا بلد منفوحة، وجرى بينهم قتال ثم صالحوهم وارتحلوا عنهم، فأرسل ابن معمر إلى ابن عريعر وخادعه وأظهر له الموافقة وأرسل إليه الهدايا. ثم جرى اختلاف بين ابن عريعر والبوادي الذي معه فخذلوه ورجع على غير طائل، فاشتد أمر ابن معمر بعد ذلك، وكانت الأطعمة بالدرعية في الغاية من الغلا فكتب ابن معمر إلى أهله

والمحمل، والوشم، وغيرهم بجلب الأطعمة إلى الدرعية وطلب أنه يفدوا إليه فجاءت القوافل إلى الدرعية وباعوا بأقيام مناسبة.

قدوم تركي بن عبد الله إلى ابن معمر ومساعدته

ثم قدم إليه تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وأخوه زيد وصارا عنده يساعدانه، وأخذ ابن معمر يبث دعاته في البلدان ويدس الدسائس بينهم ليوقع بينهم الشقاق فيساعد أحد الفريقين، فقد كتب إلى آل حمد أهل حريملا يغريهم بأبناء عمهم آل راشد فثاروا عليهم وقتل بينهم رجال، فاستنجد آل حمد بابن معمر فأرسل ابنه مشاري وزيد ابن عبد الله بن محمد بن سعود قوة وساعدهم أهل البلدان التي تليهم من المحمل وسدير وحاصروهم نحو أسبوع، ثم إنهم طلبوا الأمان من مشاري فأمنهم بخطاب على أنفسهم ومن معهم وما معهم، فأنزلهم من القصر ورحل بهم إلى الدرعية، وبعد هذه الوقعة دانت لابن معمر بلدان من العارض والوشم وسدير، فمنهم من كاتبه، ومنهم من وفد إليه؛ وجعل عمر بن عثمان بن حمد أميرًا في حريملا من قبله.

خروج مشاري بن سعود بن عبد العزيز من مصر

وفي شهر جمادى الثاني سنة ١٢٣٥هـ: وصل مشاري بن سعود الوشم هاربًا من مصر والتحق معه عدة رجال من أهل القصيم وأهل الزلفى وثرمداء وغيرهم من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الطعام والأرز، وقدم الدرعية ونزل في أحد بيوت إخوانه، فانزعج ابن معمر وأراد الامتناع والمقاومة فعجز وجنح إلى الصلح وبايع لمشاري بن سعود واستقام له الأمر، ووفد إليه أهل سدير ورئيسهم محمد بن جلاجل، وأهل المحمل

وحريملا، وأهل الرياض، وكثير من الوشم وبايعوه، وقام معه تركي بن عبد الله وعضده، وقدم إليه في الدرعية عمه عمر بن عبد العزيز وأبناءه عبد الله بن محمد، وعبد الملك، وقدم إليه أيضًا مشاري بن ناصر ابن محمد بن مشاري، وهؤلاء كلهم ممن هرب من الدرعية بعد الصلح. ولما استقر الأمر لمشاري أمر على أهل البلدان بالغزو، وسار من الدرعية وقصد ناحية الخرج ونازل السلمية واستولى عليها، وعدا على اليمامة وأخرج منها البجادي، ثم سار إلى الدلم فخرج إليه أميرها زقم بن زامل وبايعه، ثم رجع إلى الدرعية.

خلاف ابن معمر على مشاري

وكان ابن معمر قد ندم على انسلاخه من الأمر، فركب من الدرعية ونزل سدوس وأخذ يدير الرأي في استرجاع الأمر.

القبض على مشاري بن سعود وولاية محمد بن معمر

فكاتب آل حمد أهل حريملا وطلب نصرتهم فاستدعوه ووعدوه النصرة، فجاء إليهم من سدوس، فرحبوا به وأظهر المخالفة على مشاري وكتب إلى أهل النواحي يدعوهم إلى مبايعته ومتابعته، وكتب إلى فيصل الدويش يستنجده فأرسل إليه جيشًا من مطير فسار بهم ومعه أهل حريملا وغيرهم وقصد الدرعية ودخلها بغتة، فدخل ابن معمر ومَن معه على مشاري في قصره وقبضوا عليه، وأرسله إلى سدوس وحبسه فيها. وكان تركي بن عبد الله وعمر عبد العزيز في الرياض، فجعل ابن معمر ابنه مشاري في الدرعية وسار بما معه من الجموع وقصد الرياض، فدخلها وهرب منها تركي بن عبد الله وعشيرته إلى حاير سبيع، واستولى على

الرياض ورجع إلى الدرعية، وأرسل ابنه مشاري أميرًا على الرياض.

خروج العسكر إلى نجد مرة ثانية

وكأن هرب مشاري بن سعود وحركته وحركة محمد بن معمر حركت مخاوف صاحب مصر من رجوع دولة الوهابية فأراد أن يقضي عليها قبل استفحال الأمر، فأرسل مع أبوش أغا قوة عسكرية كطليعة للجيش، فتقدم أبوش آغا القصيم وتابعه أهلها إذ ليس لهم إذ ذاك أمير معروف، وكان أمير عنيزة يومئذٍ عبد الله الجمعي وهو من صنايع الأتراك الذي جاهد معهم ضد أوطانه، وكان ابن معمر في أول أمره لم يتمكن له نفوذ فأراد أن يتخذ له يدًا مع العسكر فكتب إلى أبوش آغا يبدي له السمع والطاعة، ويقول: إنه قبض على مشاري بن سعود وينتظر فيه أمرهم فكتب إليه أبوش آغا يشكره ويقره في مركزه.

تركي بن عبد الله يستولي على الدرعية

ذكرنا أن تركي بن عبد الله هرب من الدرعية حين قبض ابن معمر على مشاري وقصد حاير سبيع. ثم سار إلى ضرما لحاجة له فيها، فبلغ ابن معمر مسير تركي إلى ضرما في قلة من رجاله فأرسل ابنه مشاري للقبض على تركي، وأرسل أمامه رجلاً إلى ضرما ومعه كتاب، فصادفه تركي وقبض عليه فأخبره المخبر، وأخذ الكتاب الذي معه فعلم المقصود وأمر على رجاله أن يتحصنوا في أحد القصور فدخلوه وأخذوا من صاحبه سلاح. وفي الليل بعدما دخل ابن معمر البلد خرج تركي وخادمه وبعض من أصحابه وقصدوا البيت الذي فيه ابن معمر وجماعته فأمسك خادمًا لهم وقال له: استفتح عليهم وإلاّ ضربت عنقك فاستفتح عليهم، فدخل عليهم

تركي وهم مجتمعون على النار، فهجم عليهم وجرح فيهم جراحات فأطفئوا النار وهربوا وتسوروا جذر البيت، وهرب مشاري بن معمر ناجيًا بنفسه. وأقام تركي أيامًا في ضرما، وأتى إليه ناس من الجنود وسبيع وغيرهم فسار بهم إلى الدرعية ودخلها فقصد ابن معمر في قصر، فأراد المقاومة فخذله أهل الدرعية وأصحابه، فقبض عليه وحبسه، فلما استقر بالدرعية سار إلى الرياض واستولى عليها وقبض على مشاري بن معمر وأرسله إلى الدرعية وحبسه مع أبيه، فقال تركي بن عبد الله لمحمد بن معمر: أطلق سراح مشاري بن سعود كي أطلق سراحك وابنك فكتب ابن معمر إلى بني عمه في سدوس يأمرهم بإطلاق مشاري بن سعود فأبوا عليه، وقالوا: إن العسكر قادم إلينا وأنت قد وعدتهم بتسليمه إليهم. وبعد يومين أو ثلاثة قدم قسم من العسكر الذين بالقصيم يقودهم خليل بك وفيصل الدويش نزلوا سدوس وسلم لهم مشاري بن سعود، فأرسلوه إلى أبوش آغا في عنيزة وحبسوه هناك ومات بعد قليل قيل إنه مات مسمومًا رحمه الله.

قتل محمد بن مشاري بن معمر وابنه

فلما تحقق تركي أن أهل سدوس سلموا مشاري إلى الترك ضرب عنق محمد بن معمر وابنه مشاري، ولما أقبل العسكر رحل تركي بن محمد تركي إلى الرياض، ورحل العسكر من سدوس ومعهم الدويش قاصدين الرياض وهاجموا تركي فيها فدحرهم ورجعوا إلى ثادق وأخذوا يعيثون فيها فسادًا.

قدوم حسين بك إلى نجد

وفي سنة ١٢٣٦هـ: قدم حسين بك ومعه قوة من العسكر واجتمع بأبوش آغا في القصيم، ثم رحلوا جميعًا ونزلوا ثرمداء ولا غاية لهم إلاَّ سلب أموال أهل نجد. فلما استقروا في ثرمداء كتبوا إلى البلدان يطلبون غزوًا وأتي من كل بلد عدة رجال وانضم إليهم أمراء البلدان الذين أجلاهم آل سعود أولاً وابن معمر أخيرًا كأمير الرياض ناصر العائذي، ورئيس حريملا حمد بن مبارك، وأمير عنيزة عبد الله الجمعي صنيعتهم الذي طرده جماعته وأرجعه الترك، فساروا إلى الرياض وأراد تركي المقاومة فخذله أهل البلد ودخل الترك الرياض بدون قتال، واحتمى تركي وجماعته في القصر فقاتلوه بالمدافع، فلما كان الليل هرب من القصر وحده فطلب أهل القصر الأمان فأمنوهم وخرجوا منه وهم نحو سبعين رجلاً وفيهم عمر بن عبد العزيز وأبناءه الثلاثة فقتلوا الجميع عدا عمر وأولاده سيروهم إلى مصر دليلاً على نصرهم.

فظائع حسين بك وسلبه الأموال بعد قتل الرجال أو ذيول فظائع الجيش المصري

أولاً قبض على أبناء إبراهيم بن سعيد من أهل منفوحة وضرب عليهم ألوفًا من الدراهم وأخذها.

ثم صادر أهل الرياض وأخذ أموالهم.

ثم جمع أهل الدرعية الذين نزلوها مع ابن معمر وأرسلهم إلى ثرمداء وحبسهم في قصر، ثم أخرجهم وأحاط بهم العسكر وقتلوهم عن

آخرهم وهم يبلغون نحو مائتين وثلاثين رجلاً وأخذوا أموالهم وبعض الأطفال.

ثم فرق عساكره في البلدان وضربوا عليهم ألوفًا من الدراهم، واستوفوها منهم بأشد أنواع القسوة والتعذيب، وساعدهم بعض خونة من أهل البلاد، فصاروا ينتقمون ممن يكرهون ويتهموهم بالثروة، وذلك كافي للقضاء على هذا المتهم إذ يموت تحت السياط بطلب هذه الثروة الموهومة، فلما استولوا على ما عند الناس من الدراهم بدأوا يأخذون ما لديهم من الحلي وما على النساء من حلي ذهب أو فضة، ويستعملون في استحصال ذلك جميع طرق الإرهاب من الضرب والتعذيب، فلما استنفذوا ما عندهم من ذلك رجعوا يأخذون السلاح والمواشي والأواني، فلما رأى الناس أن مظالمهم لا تقف عند حد هربوا على وجوههم في الجبال والبراري والقفار، فلم يكتف العسكر بذلك بل رجعوا إلى النخيل وأخذوا يقطعونها فقطعوا أكثر نخيل رغبة والداخلة وجلاجل والتويم وحوطة سدير وغيرها من البلاد.

من قتلوا تحت السياط لتحصيل الضرائب

وقتلوا من أهل المجمعة وسدير رجال ولا ذنب لهم إلاَّ أنهم لم يجدوا ما يدفعونه لهم من الضرائب التي فرضت عليهم، وقتلوا عبد الله بن مانع من أهل حريملا.

وقتلوا من أهل الدرعية عبد الله بن حميد، وضربوا سليمان الحر، وزامل بن بنيان حتى ماتوا بسبب عدم ما يجدون لدفعه.

وقتلوا من أهل ثادق عبد الله بن علي بن سبدر، وعبد الرحمن بن

ماجد ضربًا بالسياط حتى ماتوا، وضرب وعذب وغيرهم بأنواع العذاب.

وحبس عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب في حريملا، ونهب بيته، وأخذ خزانة كتب عظيمة عنده، فأخذ الزركلي قاضي حسين بك منها أحمالاً وأحرق الباقي، وعذبه بالضرب وأنواع العذاب.

وقتل أمير بريدة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن آل ابن عليان، وقتل محمد بن غانم من أقاربه.

فلما استحوذ على ما بأيدي الناس من الأموال والأدباش والمصاغ وأشبع نهمة جشعه وبلغ غايته من الانتقام رتب العساكر في حصون البلدان ورجع إلى المدينة ثم إلى مصر في شوال سنة ١٢٣٦هـ.

حسن أبو ظاهر يأتي ليتمم أعمال سلفه ووظائفه سنة ١٢٣٧هـ

وفي سنة ١٢٣٧هـ: خرج ثالثة الأثافي حسن بك أبو ظاهر ومعه قوة عسكرية لينضم إلى من في نجد من العسكر، وليتمم أعمال سلفه من السلب والنهب. فنزل الرس فلبس ثياب الحمل وتظاهر بالنسك والتدين ليستميل به أهل نجد، ولكن سرعان ما انقلب عليه خلقه. رحل من الرس ونزل عنيزة وكان أميرها داعية الترك عبد الله الجمعي وصار يعتمد عليه، فأرسل إلى عنيزة نحو ثمانين فارسًا يرأسهم موسى كاشف ومعه الجمعي فنزلوا قصر المجمعة واستأنفوا دور حسين باشا في السلب والنهب والقتل، فامتنع عليهم أهل سدير ولم يحصلوا منهم إلاَّ على القليل، فقبضوا على اثنين من رؤساء المجمعة وقتلوهم وقتلوا معهم رجالاً.

أعماله في جبل شمر

ثم رحل حسن أبو ظاهر وقصد جبل شمر فاستقر في حصونها، ثم طلب منهم الزكاة من رحيل إبراهيم باشا من نجد إلى وقته فاستوفاها، ثم سار إلى بعض البوادي فأخذ إبلهم وألزمها أهل الجبل بضعف قيمتها وقبض ثمنها، ثم ضرب عليهم الضرائب من الدراهم وأخذها وسار إلى قرية موقق وحاصرهم حتى ظفر بهم فقتل منهم نحو ستين رجلاً.

غزواتهم على البوادي وقتل موسى كشف

سار العسكر الذي في المجمعة غازيًا على قبيلة السبول، وأغار عليهم فصمدوا له وقاتلوه قتالاً شديدًا وقتلوا موسى كاشف وأكثر العسكر الذين معه، وهربت فلولهم إلى المجمعة.

غزوة إبراهيم كاشف وقتله

وسار العسكر الذين في الرياض ومنفوحة ورئيسهم إبراهيم كاشف ومعه ناصر العائذي أمير الرياض، وابن مزروع أمير الرس ومعهما رجال من جماعتهم وقصدوا سبيع وأغاروا عليهم، وحصل بينهم قتال فانهزم الترك هزيمة شنيعة وقتل رئيسهم إبراهيم كاشف وثلاثمائة من جنده، وانهزم أمير الرياض ومعه رجل من سبيع مجيره واختفى في غار قبالة حاير سبيع، وسار رفيقه السبيتي بالفرس يستقيها من البلد فعرفها ورحل من سبيع فأتوا إليه في غاره وقتلوه، وهكذا نهاية كل خائن لبلده.

ابتداء الثورة ١٢٣٨هـ

وبما أن نجدًا مفككة الأوصال، ليس لهم رابطة تجمعهم ولا

حكومة تنظم أمورهم فقد تلقوا هذه الأعمال الوحشية بالخضوع وعدم المقاومة، ولكن اشتداد الضغط دائمًا يولد الانفجار، فقد أراد أبو ظاهر أن يمثل الدور الذي لعبه حسين باشا وأبوش آغا. . . (وشركائهما). وبث العساكر في البلدان للسلب والنهب، وجاء هو من الجبل ونزل القصيم ليتمم عمله فيه ولكن الأهالي قد ضاقوا ذرعًا بأعمالهم، فعندما أرادوا تنفيذ أوامرهم ثار عليهم صاحب جلاجل وبقية أهل سدير وقابلوهم بالسلاح وطردوهم، فرحلوا إلى الوشم، وقام حسن أبو ظاهر وفرض على أهل عنيزة ضريبة أرادوا استحصالها بواسطة صنيعتهم عبد الله الجمعي فاستعملوا طريقتهم من الإرهاب، فسلم أهل البلد بعضًا من الضريبة فلج في طلب البقية واستحصاله فثار عليه أهل البلاد وقابلوه بالسلاح. فلما رأى تصميمهم طلب الأمان على نفسه ومن معه فأمنوه وأخرجوه من البلد وهو صاغر، وعلم أن أهل نجد عمومًا عازمون على المقاومة فاستدعى العسكر الذين في ثرمداء وسار راجعًا إلى المدينة، وقبل مسيرة وضع في قصر الصفا في عنيزة ستمائة من العسكر، فلما رحل أبو ظاهر قام أهل عنيزة على العسكر وأمروهم أن يخرجوا ويتبعوا أصحابهم فلم يقبلوا فهاجموهم وقتلوا منهم نحو سبعين رجلًا، فطلبوا الأمان على أنفسهم فأمنوهم وأخرجوهم وتركوا لهم ما بأيديهم من السلاح والمتاع، ولحقوا بأصحابهم. ثم إن أهل عنيزة هدموا قصر الصفا. وبرحيل هؤلاء لم يبقى في نجد من العسكر إلاّ الذي في الرياض ومنفوحة بقيادة أبي علي البهلول المغربي.

فهذا يحمل من أعمال وآثار الدولة المصرية المتحدثة في نجد وأهل نجد مما لم يشهد له مثيل في التاريخ، ولا نعرف ما هي الغاية التي توختها

الحكومة المصرية من إرسال الجيش إثر الجيش بعد أن عملت في التنكيل والتدمير والتشتيت فقد هدمت البلدان.

وفي سنة ١٢٢٩هـ: أجلت الأمراء والحكام، وساقت النساء والأطفال إلى منفاهم، كل ذلك أجراه إبراهيم باشا قبل رحيله من نجد مما له بعده غاية، فما هي إذًا المهمة التي أرسل الجيوش الواحد تلو الآخر تنفيذها مع أنه لم يحدث في نجد ما يوجب ذلك، هل القصد منه الفسخ والاستدارة، فهذا ما لا تدل عليه الحقيقة، وإن كان القصد الإصلاح وتسكين الحركات فهذا أيضًا يكذبه الواقع، فالجيش يأتي ويعيث في البلاد فسادًا ثم يرجع كما أتى، ثم يأتي الجيش الآخر فيتمم عمل سلفه من السلب، ثم يرجع من حيث أتى دون أن يترك وراءه إلاَّ النقمة والكراهية والبغضاء، ومهما قلبت وجوه الرأي وتحصلت للحكومة المصرية أو للحكومة التركية سيدتها لا أجد وجه معقول لسوق هذه الجيوش وأعمالهم البربرية، اللّهم إلاَّ وجه لا تأتي له وهو أن لا مهمة لهذه الجيوش التي عاشت في نجد نحو خمس سنين إلاَّ الانتقام والإبادة وهو ما يؤيده الواقع، لشرحنا الشيء اليسير منه، قد أتمت مهمتها له بأمانة وإخلاص. ولكن الأمر الوحيد الذي أود معرفته وهو هل أن إبراهيم باشا أو محمد علي باشا حاسبا قوادهما على مئات الألوف من الذهب والفضة التي سلبوها من دماء الأهالي الفقراء، أو أنهم استأثروا بها لأنفسهم وتركوا لهما الشنار والعار وسوء السمعة، وحكم التاريخ عليهم بالبربرية والهمجية فالأفراد تفنى والأمم تبقى حية خالدة مهما أصابها من الظلم والطغيان. فليهنأ محمد علي وابنه البطل بأعمالهما التي سجلها لهم التاريخ بأحرف من نار (لا من نور) وليهنأ معهم المسلمون الذين جعلوا

هذه الأعمال الوحشية من مناقبهم المحمودة، وإن أعجب ما أعجب منه هو ادعاء بعض مؤرخيهم وعلماءهم وغيرهم الذين يدعون أن محمد علي وابنه إبراهيم كانا يعملان للوحدة العربية تحت زعامتهما، فهل هذه الأعمال من وسائل الوحدة العربية... وهل هذا برنامجهم لتحقيق الوحدة العربية؟ فما هي والله إلاَّ التفرقة بأوسع معانيها، اللهمَّ إلاَّ إن كان الحجاز وتهامة واليمن ونجد ليست داخلة في برنامجهم ولا يعدونهم فلا ندري إذًا من هم العرب، رجوعًا إلى حوادث نجد سنة ١٢٣٩هـ.

ذكرنا ما كان من أعمال عبد الله الجمعي الذي أمَّره الترك في عنيزة، وما كان له من سوء الأثر في جماعته فقد ضاقوا ذرعًا، فاجتمع وجهاء عنيزة وأعيانهم وأرسلوا إلى يحيى السليم وبايعوه على الإمارة على أن يكفيهم أمر الجمعي، فأعطاهم عهد ذلك ترصد له في بعض الطرق، فلما قرب من الموضع الذي فيه يحيى أحس بالأمر فهرب ولحقه يحيى وكان الليل فقتله، فجدد له في البلاد البيعة وتولى الأمر، وكان هو أول من تولى الإمارة من السليم مستقلاً.

وكان تركي بن سعود لم يزل في عرقه يكافح البقية الباقية من العسكر في الرياض، وفي هذه السنة هاجم ضرما وقتل أميرها ناصر السياري واستولى عليها. ثم سار منها قاصدًا سدير فنزل بلد ثادق، ووفد إليه رؤساء أهل سدير وبايعوه، ثم استنفر أهل المحمل وقصد بلد المجمعة وفتحها، وأقام نحو شهر، ثم استنفر أهل الزلفى وسدير والغاط ومنيخ فقصد بهم حريملاء وقاتلهم، ثم صالحوه. ثم سار إلى منفوحة واستنفر من أهل حريملا ونزل عليها فخرج إليه أميرها وصالحه وأخرج من فيها من العسكر.

حصار الرياض ١٢٤٠هـ

ثم سار من منفوحة ونزل الرياض وفيه بقية العسكر فحاصرهم فأنجدهم فيصل الدويش وجميع عربانه، فرجع تركي ولما رجع الدويش عن الرياض عاد تركي إلى محاصرتها فطلب رئيس الترك الصلح فأجابه تركي عن شرط أن يرحل ومن معه من العسكر عن جميع نجد قبل هذا الشرط وتم الصلح على ذلك.

جلاء آخر عسكري على نجد

فأمر تركي ابن عمه مشاري بن ناصر أن يدخل الرياض ويضبطها وأرسل معه قوة، ثم أمر على العسكر أن يتجهزوا للرحيل، ثم جاء تركي واحتل ثرمداء فتابعه أميرها سلطان بن عبد الله العنقري، ثم رحل منها وصار أمير ثرمداء.

استيلاء تركي بن عبد الله على عموم نجد واستقرار الأمر له سنة ١٢٤٠هـ

ليراقب جلاء العسكر وخوفًا من غدرهم. وبعد مدة أقبل العسكر من الرياض وتابعوا سيرهم إلى المدينة وبذلك تم جلاء آخر عسكري في نجد، وبرحيلهم تم استيلاء تركي على نجد، وأقبلت عليه وفود أهل البلدان لمبايعته وهو في شقرا.

الوفود

فقدم عليه أولاً وفود أهل حوطة بني تميم وصاحب الحريق، وقدم عليه يحيى السليم أمير عنيزة في رجال من رؤساء جماعته وبايعه الجميع

على السمع والطاعة. ولم يبق أحد من أهل نجد لم يدخل في الطاعة إلاَّ أهل الخرج وأقر الأمراء في بلدانهم ورجعوا ورجع تركي إلى الرياض. وبعد مدة خرج من الرياض وقصد ناحية الخرج واستولى على نجان، وخرج إليه زقم بن زامل أمير الدلم بجنوده المحاصرة وحصل بينهم قتال، ثم رجع زقم إلى بلده فتبعه تركي وحاصر البلد، ثم طلبوا الصلح فأجابهم تركي وأمنهم على أنفسهم وأموالهم عدى ما يخص زقم بن زامل، فتم الأمر على ذلك وخرج زقم من القصر واستولى تركي على القصر وما فيه. ثم سار إلى السلمية وسلمت واحتصر أميرها بالقصر عدة أيام ثم أخذ الأمان لنفسه ومن معه وعلى القصر بما فيه، فأجابه تركي إلى ذلك. ثم أرسل تركي إلى البجادي صاحب اليمامة يدعوه للدخول في الطاعة فأجابه وبايعه، وبذلك تم فتح الخرج واستقرت الأمور في نجد للإمام تركي.

حوادث سنة ١٢٤١هـ

وفي هذه السنة توفي سعيد بن مسلط أمير عسير وتولى بعده علي بن بحتل، وفيها قدم مشاري بن عبد الرحمن بن حسن من مصر وقدم الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد من مصر أيضًا وكانا ممن أجليا مع آل سعود، واستعمل الإمام تركي مشاري أميرًا في منفوحة، ولم يحدث أمور ذات بال بهذه السنة ولا بالتي بعدها.

حوادث سنة ١٢٤٣هـ

وفي هذه السنة قدم فيصل بن تركي هاربًا من مصر فوصل الرياض.

وفيها عزل الإمام تركي محمد العلي بن عرفج عن إمارة بريدة وجعل مكانه عبد العزيز المحمد، ثم بعد ذلك خشي الإمام تركي على

عبد العزيز من محمد العلي فأرسل إليه وأمره أن يبقى في الرياض خوفًا على عبد العزيز فبقي هناك حتى اشتد ساعد عبد العزيز وتمكن أذن له بالرجوع.

حوادث سنة ١٢٤٤هـ

وفي هذه السنة قدم وفد من أهل عمان على الإمام تركي وبايعوه، فأرسل معهم عمر بن عفيصان في جيش فلما وصل قدم عليه وفد من أهل الظاهرة وبعض الباطنة وبايعوه.

الاستيلاء على الأحسا والقطيف سنة ١٢٤٥هـ

ذكرنا استيلاء آل عريعر على الأحساء إثر حوادث الدرعية وتقليص نفوذ آل سعود، وتمكنوا فيها وكأنهم أرادوا أن يستعيدوا نفوذ أجدادهم في نجد، فقد حاولوا القضاء على محمد بن معمر وفشلوا، وها هم الآن أخذوا يتجهزون لمحاربة الإمام تركي، فخرج محمد بن عريعر وأخاه ماجدًا بأتباعهم وقبائلهم وقصدوا نجدًا ونزلوا فيضة المبهري بين الصمان والدهناء وانضم إليهم ضويحي الفغم رئيس الصيبة من مطير، وفهيد الصيفي رئيس سبيع، ومزيد بن مهلبل بن هذال وأتباعه من عنزة، ومطلق بن نخيلان رئيس بني حسين بعربانه، فاجتمع معهم خلق كثير، فأمر الإمام تركي على أهل النواحي بالنفير مع ابنه فيصل، وأمر الموالين له من القبائل بالانضمام إليه، فسار فيصل بجنوده من الحضر ومعه من البوادي مطلق المرصخ، وعساف أبو اثنين وأتباعهما من سبيع، وضويحي بن خزيم بن لحيان وأتباعه من السهول، ومحمد بن هادي بن قرملة من قحطان، وغيدان بن جازع رئيس آل شامر وسلطان ابن تميم

رئيس الدواسر ونزلوا بين بني خالد وبين الماء الذين يشربون منه، وكان بينهم مناوشات خفيفة وثبت كل منهم بموضعه مدة تزيد عن عشرين يومًا دون أن يدرك أحد منهما نتيجة، ثم كان بينهم وقعة شديدة قتل فيها ماجد بن عريعر، ثم تحاجزوا فأرسل فيصل إلى أبيه يخبره عن قتل ماجد بن عريعر ويطلب منه زيادة نجد، فخرج الإمام تركي ومعه شرذمة قليلة وحشد من مكة.

وقعة السبية

واستيلاء الإمام تركي على الأحسا

رئيس آل عاصم من قحطان فتقدم على فيصل في العشر الأواخر من رمضان، وفي صبيحة اليوم السابع والعشرين من رمضان حمل [...] وجنوده على بني خالد وحلفائهم واقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم انهزم بني خالد وحلفاءهم هزيمة شنيعة، واستولى تركي، على أموالهم وخيامهم وجميع ما لديهم، ولم يسلم منهم إلاَّ مطير فإنهم هربوا بإبلهم، أما محمد بن عريعر وعشيرته فقد قصدوا الأحسا ودخلوه، ورتبوا قصوره وحصونه وثغوره استعدادًا للحرب. وأقام الإمام في موضعه نحو عشرة أيام وكتب إلى أهل الأحسا يدعوهم، إلى الطاعة فأجابوه إلى ذلك، فرحل وقصد الأحسا فنزل غربي البلد عند جبل أبو غنيمة، فظهر إليه رؤساء أهل البلاد وعلماءهم وأعيانهم فبايعوه على السمع والطاعة، وكان محمد بن عريعر قد يحصن في قصر إبراهيم وهرب باقي جماعته عندما نزل تركي البلد فأرسل تركي إلى محمد بن عريعر إلى المبايعة والتسليم فأبى إلاَّ أن يؤمنه على نفسه ومن معه وما معهم، فأبى تركي إلاَّ أن يسلم بدون قيد ولا شرط، فاضطر إلى التسليم وخرج إلى تركي فأمنه وعامله بالأدب

والإحسان، وأعطاه من الخيل الجياد والجيش العمانيات والأمتاع الشي الكثير، ثم أرسل عمر بن عفيصان بسرية لطلب طلال بن برغش ومن معه من بني خالد فأدركهم ولكنهم نجو على ظهور خيلهم، وأقام تركي أربعين يومًا يرتب شؤون البلاد ويستقبل الوفود، ثم استولى على جميع ممتلكات بني خالد في الأحسا، من عقار ونخيل وجعله في بيت المال، ولم يزل كذلك إلاَّ أن تستولي عليه الحكومة التي تستولي على البلاد ومن النخيل المعروف الآن الماجدية: نخل ماجد بن عريعر، والعوبا: نخل العوبا زوجة محمد بن عريعر، والصقيبية، لأن الأصقه منهم والماجد، والصقيبية الآن ملك للأمير عبد الله بن جلوي، والعوبا منحبا الملك عبد العزيز إلى ياسين مدير الشعبة السياسية عنده وسكرتيره الخاص، وكانت خرابًا فعمرها من مال الحكومة، وعندما أتم الإمام تركي عمله في الأحسا رجع قاضلاً إلى وطنه واستعمل على الأحسا عمر بن محمد بن عفيصان.

حوادث سنة ١٢٤٦هـ

وفي هذه السنة ليس فيها إلاَّ حوادث بوادي عادية وفيها هرب مشاري بن عبد الرحمن من الرياض مناضبًا الإمام تركي وقصد منديل ابن غنيمان رئيس الملاعبة، من مطير وطلب منه النصرة، فأبى عليه، ورحل عنه وقصد عنيزة للغرض نفسه فرفضوا مساعدته ثم سار إلى الشريف محمد بن عون في مكة فأكرمه وطلب منه المساعدة فأبى عليه وأقام عنده إلى سنة ١٢٤٨هـ حيث رجع لينفذ جريمته كما سيأتي بيانه بموضعه.

حوادث سنة ١٢٤٧هـ

هذه السنة كسابقتها ليس فيها من الحوادث ما يوجب الذكر.

وفيها توفي محمد بن فهد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي، الشاعر المشهور، توفي في بلد الكويت، وكان أشعر شعراء المتأخري النبطيين وأكثره من الشعر الجيد المقبول، ولا زال يتمتع بقصب السبق إلى الآن.

حوادث سنة ١٢٤٨هـ

وفي هذه السنة توفي فيصل الدويش، وتولى بعده رئاسة مطير ابنه محمد المكنى أبو تمر، وفيها أقبل مشاري بن عبد الرحمن من الحجاز وقصد المذنب القرية المعروفة في القصيم، وطلب من رؤسائها أن يركبوا معه الرياض ليسترضوا الإمام تركي عليه فقصدوا الإمام تركي وشفعوا فيه فرضي عنه وأكرمه، وأنزله في بيت، وأجرى عليه كفايته.

حوادث سنة ١٢٤٩هـ

وفي هذه السنة حصل خلاف بين أهل القطيف وبين أهل جزيرة العماير، فقطع أهل الجزيرة السبل على أهل القطيف، واتفق رئيس سبيات ابن عبد الرحيم مع أمراء البحرين على أن يمدوه ويساعدوه إذا هو ثار ضد الإمام تركي.

فجهز الإمام تركي ابنه فيصلاً، وسار إلى القطيف وأقام مدة طويلة حتى أخمد الثورة ورتب القصور والحصون وجعل فيها حاميات ولم يرجع إلاّ من بعد ما جاءه خبر قتل أبيه كما سيأتي بيانه.

وقعة المربّع

أو كما يسميها أهل نجد مناخ المربع

وهي من أكبر الوقعات التي جرت بين القبائل لكثرة من اجتمع فيها من القبائل، ولطول المدة التي استغرقتها مما لم يحدث مثله في الأزمان المتأخرة والغريب فيها أن القبيلة الواحدة تنقسم إلى شطرين: ينضم أحدهما إلى فريق من المتحاربين وينضم الآخر إلى الفريق الثاني وكان الخلاف الأصلي بين عنزة ومطير، وكان لهذا الأمر زيد بن مغيث بن هذال وقبل أن نأتي على خبر هذه الوقعة، نذكر كل فريق ومن معه من الحلفاء.

عنزة وحلفاؤهم

زيد بن مغليث ومعه بعض من قبيلة آل حبلان.

قاعد بن مجلاد وقبيلته من الدهامشة.

الغضاورة من ولد سليمان. .. هؤلاء من عنزة

ابن وضيحان وقبيلته من الصقور.

صحن الدريمي بن شعلان وقبائله من الرولة.

ومعهم من غيرهم بنو علي من حرب ورئيسهم الفرم.

البرزان من مطير ورئيسهم حسين بوشويربات.

عدوان بن طوالة وقبيلته من شمر.

هؤلاء عنزة وحلفاؤهم اجتمعوا قبالة ضدهم ويشربون من الثلجاء الماء المعروف قرب المذنب.

مطير وحلفاؤهم

محمد بن فيصل الدويش المكنى أبو عمر وأخوه الحميدي وأتباعهم من علوى وليس معهم أحد من قبائل مطير الأخرى، ومعهم بنو سالم من حرب، وقائدهم ذياب بن غانم.

سلطان بن ربيعان وأتباعه من الروقة عتيبة.

غازي بن ضبيان وأتباعه من الدهامشة من عنزة.

مزيد بن مبليل بن هذال ومعه قطعة من آل حبلان من عنزة.

هؤلاء مطير وحلفاؤهم مقابلون لضدهم ويشربون من عين الصوينع المعروفة في السر.

فوقعت الحرب بينهم وتصادمت الجنود والفرسان أيامًا عديدة، وعقلوا إبلهم حتى أكلت الدمن ونفذ ما عندهم من الطعام، وارتفعت أقيامه لديهم ارتفاعًا فاحشًا، واستمر ذلك المناخ نحو أربعين يومًا وهم متصافون للقتال، يغادونه ويراوحونه دون أن ترجح كفة أخرى، ففي ذلك اليوم اجتمع رؤساء مطير وعقدوا مجلسًا يتشاورون فيه على اتخاذ تدابير أخرى، فقرروا أن ينتخبوا أربعمائة فارس مدرعين يقفون خارج هذا القتال ولا يشتركون فيه إلاّ إذا حمى الوطيس، وأن يقرنوا الإبل فيجعلوها كراديس يسوقونها أمامهم في الهجوم على العدو، فنظموا خطتهم، فلما كان الغد ناشبوهم القتال أول النهار فلما حمى الوطيس طلعت عليهم فرقة الفرسان بعدما كلوا واشتركوا في القتال، ثم ساقو عليهم الإبل القرنة ففرقت صفوفهم فلما أحست عنزة بالهزيمة هربوا إبلهم وبعض أغنامهم ثم انهزموا لا يلوي منهم أحد على أحد، واستولى مطير على محلتهم وبعض

الغنم وما تبقى من الإبل وقتل من الطرفين عدد كبير: المشهور من مطير مطلق بن فتوحي الدويش، وولده إسماعيل الدويش جرت هذه الوقعة بالوقت الذي كان الإمام تركي مشغولاً بتجهيز ابنه فيصل بحملة إلى أطراف القطيف، فترك هؤلاء القبائل وشأنهم يثخن بعضهم بعضًا، وفي إضعافهم مصلحة سياسية.

وفي رمضان من هذه السنة توفي علي بن محبل أمير عسير وتولى بعده عايض بن مرعي، وهو جذال عائض الموجودين الآن.

قتل الإمام تركي بن عبد الله

ذكرنا في حوادث السنة السادسة والأربعين ما كان من هرب مشاري بن عبد الرحمن من الرياض مغاضبًا للإمام تركي وذكرنا في السنة الثامنة والأربعين رجوعه واسترضاءه للإمام وكأن رجوعه لأمر منطوٍ عليه.

وكان الإمام تركي قد نصبه أميرًا في منفوحة سنة ١٢٤١هـ، ولكن مشاري كان طامعًا بغير ذلك فأخذ يدبر أموره بطي الخفاء، فاستمال إليه بعض أمراء تركي في البلدان، وتعاقد معهم على قتل الإمام تركي وأن يقوم مقامه ويساعدوه على ذلك، فجاء من أخبر الإمام بما تم بين مشاري وبعض الأمراء، فاكتفى بأن عزل مشاري عن إمارة منفوحة وجعله في بيت الرياض، وعزل الأمراء الذين تعاقدوا معه وذلك سنة ١٢٤٥هـ، ثم رأى أن مشاري يجتمع عنده أناس غير مرغوب فيهم ومشتبه في أمرهم فمنع الدخول على مشاري في بدء الأمر مما أدى إلى هربه ثم رجوعه، ولكن الذي يظهر أن الأمر مختمر في رأسه وكأنه عقد العزم على تنفيذه فاتفق مع أتباعه على العمل، ووكل تنفيذ الأمر إلى إبراهيم بن حمزة أحد خدمه.

وأن يكون ذلك يوم الجمعة بعدما يخرج الإمام تركي من المسجد مباشرة.

فلما كان يوم الجمعة آخر يوم من شهر الحجة سنة ١٢٤٩هـ وهو اليوم الذي قرروه لتنفيذ الجريمة، وكان مشاري في المسجد وبجانبه إبراهيم بن حمزة الموكول إليه العمل التفت مشاري إلى إبراهيم بن حمزة وهما في المسجد وقال له: لعلك تؤجل الأمر إلى غير هذا اليوم لعلمه فظاعة العمل الذي هو قادم عليه، فأراد أن يغير رأيه في آخر لحظة ولكن خادمه قال: إن الطبخية قد حشيت فاختر أن أفرغه في رأسك أو في تركي، أتريد أن يشيع الأمر فيهلكنا تركي، قال: أنت وما تريد، وكان للإمام تركي باب خاص يدخل منه جنوبي المنبر عن تخطي رقاب الناس، فلما انقضت الصلاة سبقوه إلى المحل الذي يخرج منه ووقفوا مع الناس خارج المسجد، فلما خرج الإمام تركي ومعه بعض خدمه، وكان بيده كتاب يقرأه فتقدم إبراهيم المذكور وأطلق عليه الطبخية فوقع على الأرض ميتًا، فخرج مشاري وأتباعه من المسجد شاهرين سيوفهم، فعلم الناس أن الأمر مدبر ولم يقاوم من حاشية الإمام تركي إلاَّ مملوكه زويد العبد فقد حمل على مشاري وأتباعه وجرح بعضهم، ولما لم ير مساعدًا هرب، إلى القصر، ثم إن مشاري ومن معه دخلوا القصر وحبسوا زويدًا، وجلس مشاري للناس يدعوهم لمبايعته، أما آل الشيخ فقد جلسوا في المسجد فدعاهم للمبايعة فأبوا أن يخرجوا من المسجد إلاَّ بالأمان فكتب إليهم بالأمان، فأتوا إليه وبايعوه ثم نقل الإمام تركي إلى بيت زويد العبد فجهز وصلى عليه الناس بعد صلاة العصر ودفن في مقبرة الرياض آخر ساعة من يوم الجمعة رحمه الله رحمة واسعة.

ثم أخرج مشاري نساء تركي ونساء فيصل وعيالهما من القصر

واستولى على ما في القصر من الأموال والسلاح ففرق المال على خدمه وأعوانه، وفرق عليهم من الأموال الشيء الكثير.

وكان فيصل إذ ذلك في القطيف ومعه الجنود التي حشدها لحرب أهل القطيف، وقد هرب العبد زويد وقصد فيصل فوافاه في الأحسا راجعًا من القطيف بعد ما بلغه الأمر سيأتي خبره بعد ذلك.

وفي هذه السنة جهز محمد بن علي باشا عساكر كثيرة بقيادة الشريف محمد بن عون، وأمره بالسير إلى عسير للقضاء على عايض بن مرعي في البلاد التي تغلب عليها فسار الشريف وحصل بينهم وقائع عديدة ثم تغلب عايض وفتك بهم وشتت شملهم، ولم يرجع من الجيش إلاّ القليل، فكتب الشريف إلى محمد بن علي يعزو هذه الهزيمة إلى أحمد باشا حافظ مكة لتقصيره بإرسال المؤن والذخائر، فاستدعاهما محمد بن علي ليتحاكما عنده، فذهبا فثبت أن أحمد باشا لم يقصر في إرسال المؤن والذخائر، فأمر على الشريف أن يبقى وأمر أحمد باشا أن يرجع إلى الحجاز ليتم مهمته في عسير وكان ذلك سنة ١٢٥١هـ، فلما كان سنة ١٢٥٣هـ سار إلى عسير وحصل بينهم وقائع تمكن العسكر من استخلاص بلاده.

ترجمة حياة الإمام تركي بن عبد الله آل سعود
سنة ١٢٤٩هـ

تركي بن عبد الله هو حفيد محمد بن سعود المؤسس الأول لدولة آل سعود الأولى التي انتهت بحوادث الدرعية سنة ١٢٣٤هـ، وهو المؤسس الثاني لدولة آل سعود الثانية، وفي ولايته ظاهرتان لا بد من الإشارة إليهما الأولى أن في ولايته انتقل الحكم من ذرية عبد العزيز بن

محمد إلى ذرية عبد الله بن محمد ولم تزل فيهم حتى يومنا، الثانية انتقلت العاصمة من الدرعية إلى الرياض العاصمة القديمة المعروفة بحجر اليمامة التي قال عنها ياقوت أنها بمنزلة البصرة والكوفة، ولم تزل هي العاصمة لهذا العهد كان الإمام تركي رحمه الله شجاعًا مقدامًا وكان ذا رأي وحلم وأناءة شديد الوطأة على الأعداء، حازمًا وكان زمنه وحالته تشبه حالة جده محمد بن سعود وزمنه في كثرة الحروب ومجاهدة الخصوم حتى ذلل صعابهم، ولم يكد يفرغ من مقارعة الأعداء ويتفرغ لتنظيم أموره حتى وافاه الأجل المحتوم وفاز بالشهادة، وكانت سيرته وأعماله مماثلة لأعمال أسلافه.

وزهران ولكن عايض استرجعها سنة ١٢٥٤هـ واستمر الحرب سنة ١٢٥٦هـ دون نتيجة حتى وقع الصلح بين محمد علي والسلطان، فرجعت البلاد إلى حكم التركي وجلاء الجيش المصري عن البلاد العربية تنفيذًا لمعاهدة لندن.

ولاية الإمام فيصل بن تركي الأولى

سنة ١٢٥٠هـ

قد ذكرنا فيما تقدم أن فيصلاً سار إلى القطيف لإخماد حركة بعض أهل القطيف، وبلغه خبر مقتل أبيه وهو هناك، فأخفاه عمن معه وقفل راجعًا إلى الأحسا وكان الأمير فيه عمر بن عفيصان، فلما وصل الأحسا فشا الخبر في الناس وكان مع فيصل أمراء البلدان ورؤساؤهم فبايعوه، منهم عبد الله بن رشيد، وعبد العزيز المحمد أمير القصيم، وتركي الهزاني رئيس الحريق، وحمد بن يحيى بن غيهب أمير شقراء وغيرهم من رؤساء

البوادي فجمعهم فيصل وشاورهم في الأمر فأجمع رأيهم على السير إلى الرياض ومناهضة العدو المعتدي والقضاء عليه فتزودوا ما يلزمهم من الأحسا من السلاح والعتاد والطعام ثم رحل قاصدًا الرياض، فنزل بالقرب منها في محرم سنة ١٢٥٠هـ وكان مشاري قد ضبط بروج البلد وحصونها وشحنها بالمقاتلة، ولكن كما قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأعظم ما يجني عليه اجتهاده

فقد رحب جنوده بجنود الإمام فيصل عند ما جاءت ليلاً وأدخلوهم البلاد ومكنوهم من احتلال الحصون والبروج والبيوت حتى أطاحوا بالقصر وصاحبه ومن معه، فلما تمكن جنود فيصل من احتلال ما يريدون أعلنوا أمرهم بأصوات البنادق التي يطلقونها في الفضاء إرهابًا، فبيت مشاري ومن معه وعلم أنه أحيط به وتحصن بقصره ولم يكن علم بقرب الإمام فيصل حتى فاجؤه وفي فجر تلك الليلة دخل البلاد ونزل البيت وفرق أصحابه في البيوت وأضرم الحرب على مشاري ومن معه في القصر، وكان فيهم سويد بن علي رئيس جلاجل وافدًا على مشاري، فلما كان ليلة التاسع من صفر نزل بعض من مع مشاري في القصر فأخذوا الأمان لمن في القصر من رفاقهم فأعطاهم الإمام فيصل الأمان على أن يخرجوا.

الاستيلاء على القصر وقتل مشاري

وفي الليلة الحادية عشر من صفر أرسل سويد إلى الإمام فيصل يطلبه الأمان لنفسه وعلى من معه في القصر إلاّ من باشر قتل الإمام تركي أو اشترك فيه ووعد أن يعمل لهم الطريق للاستيلاء على القصر فأعطاه

فيصل على ما أراد، فرمى لهم الحبال من شرفة القصر فصعد فيه عبد الله بن علي بن رشيد، وبداح رئيس آل حبيش من العجمان ومعهما نحو أربعين رجلاً، فلما تكاملوا في القصر قصدوا مشاري ومن معه فقتلوهم، وفتحوا القصر فدخله الإمام فيصل واستولى على ما فيه.

إجماع أهل نجد على مبايعة الإمام فيصل

لما قتل مشاري أقبل أهل الرياض والقرى المجاورة وبايعوا الإمام فيصل، وتوافدت الوفود من أمراء البلدان ورؤساء القبائل للتهنئة والمبايعة، ولم يختلف عليه أحد، فأخذ يرتب القضاة في مراتبهم وأيد أكثر الأمراء في مراكزهم واستقرت الأمور، ولم يحدث في هذه السنة غير ما تقدم شيء يستحق الذكر.

حوادث سنة ١٢٥١ هـ

وفي هذه السنة عزل الإمام فيصل صالح بن علي عن إمارة الجبل ونصب بدله عبد الله بن علي بن رشيدًا أميرًا على حايل مكافأة له على ما بذله في قتل مشاري وكان بين عبد الله هذا وآل علي أمراء حايل الأصليين منافسة على الإمارة فتغلبوا عليه وأجلوه عن البلاد، وقضى مدة في العراق ثم التحق بالإمام تركي وكان مع فيصل في غزوته إلى القطيف وفي سطوته بالرياض ولم يزل معه حتى ولاه إمارة حايل، فسار إليها وتولى الإمارة على كره من آل علي، ولكن لم يسعهم إلاَّ الامتثال فاعتزلوا الأمر وبقوا في البلد، وكان عبد الله مصممًا على القضاء عليهم فكان يتحداهم ليوجد الفرصة التي يجعلها وسيلة لغرضه فما زال بهم حتى حصل شجار بين أتباعهم في المسجد، فانتصر كل فريق لأتباعه، وشهروا

السيوف في المسجد فحال بينهم الناس وحجزوهم، فلما أنقضت الصلاة رجع آل علي إلى قصرهم فامتنعوا فيه فحشد عليهم عبد الله وأعوانه حتى أخرجوهم بالأمان وهدموا قصرهم وأجلاهم عن البلد فقصدوا بلد بريدة، فكتب عبد الله إلى الإمام فيصل أن آل علي هم الذين بدأوه بالشر فصدق ولم يعاتبه، ثم أرسل عبد الله رجالاً إلى القصيم فقتلوا صالحًا ومن معه من آل علي وثبت في الإمارة، وهو جد العائلة التي قوضت أركان دولة أولاد فيصل وحكموا نجد بعد تركي.

حوادث سنة ١٢٥١هـ

وفي هذه السنة سار محمد بن عون وأحمد باشا محافظ مكة بأمر محمد علي باشا والي مصر ومعهما قوة كبيرة من عسكر مصر وقصدوا عايض بن مرعي لاستخلاص عسير من يده، فوقع بينهم قتال شديد، فانهزم الجيش المصري هزيمة شنيعة وفتك بهم أهل عسير، ولم ينج منهم إلاّ القليل ونجى الشريف محمد وأحمد باشا ومعهما شرذمة قليلة إلى الحجاز، فكتب كل منهما إلى محمد علي يرمي صاحبه بالتقصير وينسب هذه الهزيمة إلى أعماله، فدعاهما محمد علي إلى مصر وحقق معهما وأذن لأحمد باشا بالرجوع إلى مركزه في مكة وأبقى الشريف عنده مما يدل على إدانته ولكنه لم يعاقبه بأكثر من حجزه في مصر إلى أن وقع الصلح بين السلطان ومحمد علي ومن شروط هذا الصلح إخلاء الحجاز واليمن ونجد من العساكر المصرية فأذن للشريف بالرجوع إلى منصبه في الحجاز ليساعد العساكر المصرية على الجلاء ويمنه الاعتداء عليهم وذلك سنة ١٢٥٦هـ.

الحكومة المصرية تطلب خراجًا من الإمام تركي

كانت الحكومة المصرية منذ حوادث الدرعية تتدخل في شؤون الجزيرة العربية خصوصًا بعد ثورة محمد علي على حكومة التركي، فقد كان أمر الحجاز بيده وقد احتل قسم من تهامة وعسير، ويتدخل في شؤون نجد ويرسل إليها العساكر كما تقدم وفي هذه السنة أراد أن يستولي على نجد ويجعل فيها أميرًا من آل سعود من قبله، وكان عنده من عائلة آل سعود الذين أجلاهم من الدرعية كثير فاختار خالد بن سعود بن عبد العزيز، وكان ممن أجلي مع عائلته وهو صغير السن فتربى في مصر تحت كنف محمد علي، فرأى فيه الوسيلة الصالحة لتنفيذ مآربه، فأراد أن يوجد وسيلة لتنفيذ ذلك فأرسل إلى الإمام فيصل دوسري بن عبد الوهاب أبو نقطة يطلب منه خراجًا ومطالب أخرى، فأرسل إليه الإمام فيصل هدية مع جلوي عن يد محافظ مكة أحمد باشا واعتذر إليه أن نجدًا لا تحتمل خراجًا.

وفي هذه السنة طلب أهل القصيم من الإمام فيصل أن يبعث الشيخ عبد الله أبا بطين ليكون قاضيًا عندهم ومدرسًا فأرسله، وقدم بلد عنيزة وأقام عندهم وطلبوا منه أن ينقل أولاده وينزل بهم عندهم فاستوطن عنيزة فاكرموه غاية لإكرام واستقر عندهم.

خروج العساكر المصرية ومعهم خالد بن سعود
سنة ١٢٥٢هـ

ولما كان الإمام فيصل أبى أن يدفع الخراج الذي طلبه محمد علي باشا، جهز جيشًا بقيادة إسماعيل آغا أمير لوي ومعه خالد بن سعود ابن

عبد العزيز ليقيمه حاكمًا في نجد، فلما وصل الحناكية أرسل الإمام فيصل محمد بن ناهض الحربي، يستطلع خبرهم ويتعرف قواتهم، فاستشار من عنده من رؤساء البلدان وكان فيهم عبد الله بن علي بن رشيد فأشاروا عليه أن يجمع قواته وينزل القصيم قبل وصول العسكر إليه فاستنفر رعيته وخرج بمن عنده ونزل خفية المهمري حتى تكاملت قواته، ثم رحل ونزل قرب التنومة وأقام بمنزله أكثر من شهر، وقد أقبل العسكر ونزلوا الرس فرحل فيصل ونزل عنيزة واستنفر أهلها وأهل بريدة، فركب معه يحيى السليم وعبد العزيز المحمد بغزوهما، ثم رحل ونزل رياض الخبرا وأقام نحو عشرين يومًا ولم ويحصل بينهما حرب، وكانت عساكر إبراهيم باشا وحوادث الدرعية قد أزعجت الناس وأدخلت في قلوبهم الرعب، فلما أراد الإمام فيصل أن يرحل إلى عنيزة داخل جيشه الفشل والرعب، وبعد جهد شديد سكن بالهم ورحلوا ونزلوا عنيزة ولكن ما حدث في الجيش من الفوضى جعلت الإمام فيصل يفضل الرجوع إلى الرياض فرحل من عنيزة، وأذن أهل النواحي أن يرجعوا إلى أوطانهم، وقصد هو ومعه أهل الخرج ومحمد بن هادي بن قرملة الرياض ونزل خارجها.

أهل الرياض يجاهرون الإمام فيصل بالعداء

ومن أغرب الأمور أن يبدر من أهل الرياض ما أبدوه من العداء من لا نجد له تعليل، فقد كان كريمًا عادلاً محبوبًا، ولكن فظائع العساكر المصرية التي جرت بحوادث الدرعية وما بعدها أدخلت الرعب في قلوب الناس فلما أقبلت هذه العساكر ورجوع الإمام عنها بدون أن يجابهها زادت الناس خوفًا ورعبًا، لهذا لما دخل الإمام فيصل البلد على خيله اعترضه

أناس من أهل البلد وجاهروه بالعداوة وأبدوا ما أوجب تخوفه. وحصل بينه وبين أناس آخرين مجادلات ومصادمات، فرأى من الحكمة أن يبذل لهم ما نبت بأعضادهم ويمكنه من نقل ما يريد أخف من القصر فبذل لكل من يحاذر منه من الدراهم ما أرضاه فسكتوا عذر، وأخرج جميع ما في القصر مما غلا ثمنه خفية إلى مخيمه بالخارج، ثم خرج هو وأتباعه ورحل إلى الخرج فتبعته عائلته إلى هناك، ثم رحل إلى الأحسا ونزل هو وعائلته بقصر إبراهيم في الكوت، ووفد إليه رؤساء العجمان، ومطير، وسبيع، والسهول، أما العسكر وخالد ابن سعود فقد نزلوا بالقرب من عنيزة ووصل بينهم قتال ثم أصلحوا وتابعهم بقية أهل القصيم.

حوادث سنة ١٢٥٣هـ

دخلت هذه السنة والعسكر في القصيم وعندهم عيسى بن علي من رؤساء حايل الذين أجلاهم ابن رشيد، فطلب منه خالد أن يرسل معه قوة يستولي بها على حايل فأرسل معه أربعمائة فارس رئيسهم إبراهيم المعاون، وأمروا على يحيى السليم أن يسير معهم فسار ومعه عدة رجال، وكانوا يريدون أن يأخذوا عبد الله بن رشيد على غرة فأرسل يحيى السليم من ينذره سرًّا فهرب من البلد قبل وصولهم وهرب معه أناس من أهل الجبل وفي جلوته هذه قال قصيدته المشهورة وسنوردها بعد سرد الحوادث.

دخل عيسى بن علي البلد واستولى عليها، ولما استقر فيها رجع يحيى السليم وإبراهيم المعاون ومن معه من العسكر وأبقى عند عيسى مائة من العسكر. وفي آخر محرم سار خالد والعسكر ودخلوا الرياض،

وقدم إليهم رؤساء البلدان وتابعوهم ما عدى أهل الجنوب، وكتب إلى الهزاني وأهل الحوطة يدعوهم إلى المتابعة فكتبوا له إن كان الأمر لك ولا دخل للعسكر في أمورنا فنحن سامعين مطيعين وإن كان للعسكر تداخل قليلاً.

وقعة الفرع

فجهز إسماعيل آغا وخالد بن سعود جيشًا كثيفًا وساروا إليه الحوطة والحريق قصد إخضاعهم فضلوا الطريق، وسلكوا طريقًا كثير الوعورة، ونزلوا في حرة قرب بلد محارة، فصعد أهل البلد الجبل لقتالهم، فحصل بينهم وقعة من أول النهار إلى الظهر فأتت أمداد أهل الحريق مع تركي الهزاني، وأهل الحوطة على إبرهيم بن عبد الله؛ وأهل نعام مع محمد بن خريف هذا والقتال على أشدّه فانهزم أهل الحلوة فسلم إبراهيم بن عبد الله وأهل الحوطة وقصد ميسرة العسكر، وقصد الهزاني وأهل الحريق ونعام ميمنة العسكر وحملوا عليهم حملة صادقة فاستولوا على مدافع العسكر ورموها من أعلى الجبل إلى الأسفل فانهزم الأعراب الذين مع العسكر، ثم وقعت الهزيمة على الباقين، وكانت هزيمة شنيعة فهلك أكثر الجيش قتلاً وظمأً وتفرقت الخيّالة في شعاب لا يعرفون مسالكها فهلكوا، فبقي خالد وإسماعيل ومعهما نحو مائتين وقصدوا الرياض. واستولى أهل الحوطة والحريق جميع مخيم العسكر وما فيه وكثير من السلاح والذخيرة.

عبد الله بن رشيد يستولي على حائل

لما هرب عبد الله بن رشيد من حائل قصد جُبّة وأقام يترقب الفرصة وفي جلوته هذه قال أخوه عبيد قصيدته الآتي ذكرها:

قال هيم يا لي لي من الناس وداد ما ترحمون الحال يا عزوتي ليه
ما ترحمون الي غدًا دمعه بداد قيله زمان حرق الدمع خديه
من شوقتي للفرد منبوز الإنهاد متشين حاني يا ماشي على أندام رجليه
الشوك ماله عن مواطيه رداد إلا ولا مَثْبت قوي يوقيه
حيه سقاه من أول الوسم رَعاد ما حدرت خشم أم سمتات تسميه
الي بها الميزوم بزين ميعاد من لاذ بركن الملتزم لاين فيه
ابن رخيمي نازل هاك الأجراد قال انزلوا وأنتم هل الدارياقيه
الله يسود وجهكم يا هل الدار سود الملا كل الخلايق تراعيه
من باب خذام إلى باب عواد من هو تسمى باسمنا ما تخلته
عيسى يقول الحرب للمال نقاد والمال لمن هو للنسايس تواريه
عيسى يقول الحرب ما يبغي الزاد انشد استاد السيف قل ليش حانيه
لا عاد ما ترويه من دم الأضداد كزوه كم العرفجية ترويه
لا عاد ما مرّ بزغرت بالأكباد ترا الَنَوصى يذهل إلي موصيه
والله لو أني من ورى جسر بغداد إني لكم مثل العمل عند راعيه

ثم إن عبد الله بن رشيد أقبل من جبة ونزل عند بني تميم في بلد قفار ومعه رجاله وأعوانه وعشيرته، وأقام فيها مدة، ثم مشى إلى حايل وسطا على عيسى بن علي وتغلب عليه، وأخرجه من القصر، وأجلاه عن البلد، واستولى عليها وأتى عيسى لخالد بن سعود.

خروج الإمام فيصل من الأحسا

ولما بلغ الإمام فيصل هزيمة العسكر في وقعة النرع خرج من الأحسا بما عنده من القوة ونزل الخرج وأمر على أهله أن يتجهزوا،

وأرسل إلى أهل الحوطة والحريف. ثم سار وقصد الرياض، وقبل أن يصل إليها خرج إليه خالد بن سعود بأهل الرياض والعسكر، فجعل الإمام فيصل له كمينًا، فلما التحم القتال خرج عليهم الكمين فانهزم أهل الرياض ودخلوا منفوحة، فحاصرهم فيصل فيها، فلم يلبثوا أن طلبوا الأمان فأمنهم. ثم سار إلى الرياض وأحاط بها وحصل بينهم عدة وقعات. ثم إن فيصل أراد معاجلتهم فصعدوا على السلالم وهاجموهم بمواقعهم داخل البلاد، ولكن أهل الرياض صدوهم بعد معارك شديدة. وبقي الحصار مدة طويلة، إلى أن جاء الصيفي رئيس سبيع وقاسي بن عقيب رئيس قحطان مدد لخالد، فرحل فيصل ونزل عند منفوحة، ثم إن خالدًا وفيصلاً تراسلا في طلب الصلح فاجتمعا بين البلدين من صلاة الظهر إلى بعد العصر ولم ينتظم بينهم أمر، ورجع الحرب على حالته إلى أن خرج خورشيد باشا ومعه الشريف عبد الله، فتقدم الشريف إلى فيصل ومعه هدايا ومراسلات، وقدم عليه في منفوحة وقدم إليه الهدايا والكتب وفيها الادعاء بتقريره بمركزه إذا هو ترك المقاومة، ونصحه الشريف عبد الله أن لا يتوغل في المقاومة فإن القوة التي مع خورشيد كبيرة ولا طاقة له بحربهم، فما زال به حتى خدعه فرحل فيصل من منفوحة وأذن لأهل النواحي يرجعون لأوطانهم، وقصدوا الدلم، وأرسل أخاه جلوي بهدية إلى خورشيد باشا وهو إذ ذاك بالمدينة بهدية من الخيل والجيش العمانيات والبشوت والنقلان وأقبل معه إلى القصيم.

حوادث سنة ١٢٥٤هـ

وفي أول ربيع نزل خورشيد باشا عنيزة ومعه جلوي فوفد إليه رؤساء أهل القصيم ورؤساء البوادي، واتضح إلى لجلوي أن خورشيد عازمًا

على حرب فيصل بخلاف ما يتظاهر به فاستأذنه ليقضي حاجة له في بريدة فأذن له، فهرب إلى فيصل وهو بالخرج.

الفتنة بين أهل عنيزة والعسكر

وسبب ذلك أنه سرق من جيش خورشيد عمانيتين من ركابه فاتهموا بها أهل عنيزة زاعمين أنهم يأتون عند العسكر في النهار ويسرقون في الليل فجعل خورشيد حرسًا يدورون بالليل، فصادفوا رجلاً خارجًا من البلد إلى نخله، فقال لهم: إني من أهل البلد قاصدًا نخلي فمشوا معه إلى نخله، فلما وصله تكلم لأبيه فجاء إليه فقبض عليهما العسكر وقتلوهما ودفنوهما بالنقود، فلما فقدهما أهليهما تبعوا أثرهما فوجودهما مدفونين فأخرجوهما، فقال لهم يحيى السليم: ارموهما عند خيمة خورشيد، وخرج يحيى وقصده خورشيد ليكلمه بشأنهما، فلما أراد الدخول إلى الباشا أخذ القواس السيف من يده كما هي العادة فهرب خادم يحيى إلى البلد وقال: إن العسكر قتلوا أميركم، وكان العسكر منبثين في البلاد ويقضون حاجاتهم فثار عليهم أهل البلد يقتلون كل من يجدوا من العسكر إلاَّ رجلاً دخل بيتًا أو دكانًا فأجاره صاحبه، فسمع الباشا الضوضاء في البلد فقال ليحيى: إن بلدكم حدث فيها شمطة، فأشار رجل ليحيى وغمض له عينه يحذره ففهمها بحجة واستغفل الباشا وترك عباءته في المجلس كأنه يقضي حاجة ثم هرب إلى البلد، فصادفه عسكر في طريقه هاربين من البلد وهو يركن فرموه ببنادقهم فلم يصبه منهم سوء، ودخل البلد وسكن أهلها وقد قتل من العسكر نحو تسعين رجلاً، ونهض العسكر يتصيدون من كان خارج البلد فيقتلون من وجدوا. ثم حاصروا قرية الضبط

واستولوا على القصر بعد حرب دام ثلاثة أيام، وقتل من أهل الضبط نحو خمسين رجلاً، ثم وقع الصلح بينهم. وأقام خورشيد في عنيزة خمسة أشهر وفد عليه في المدائن عبد الله بن رشيد فأكرمه وأجزل له العطاء.

بين عبد الله بن رشيد
وعبد العزيز المحمد أمير بريدة

لما رحل عبد الله بن رشيد من عند الباشا راجعًا إلى وطنه نزل البصيري الموضع المعروف، فأرسل رجالاً من أعوانه على ثلاث ركائب وكان في بريدة رجل من أعوان آل علي خصوم ابن رشيد فأمرهم أن يقتلوه ويرجعوا إليه، فساروا ودخلوا بريدة وقصدوا بيتًا وقرعوا عليه الباب فخرج إليهم فأمسكوه وصاح ابن له صغير ففزع عليهم أهل البلد وقتلوا منهم رجلين وأمسكوا الثالث وأخذوا ركائبهم، فأتوا به عبد العزيز المحمد فأخبروه بالأمر وأنهم مجبرين من قبل ابن رشيد، وأخبروه بالوضع الذي فيه عبد الله بن رشيد وقضى ابن رشيد في منزله بعد المغرب فأخذوهم وأخذوا جميع ما معهم مما منحهم إياه الباشا، وهرب عبد الله بن رشيد على فرسه وقصد خورشيد باشا فكساه وأعطاه ورجع إلى بلده.

وقعة الدلم

وفي شهر رجب رحل خورشيد باشا من التصيم بعد أن أعاد بناء قصر الصفا في عنيزة وجعل فيه عسكرًا وذخيرة وقصد الرياض فخرج معه خالد بن سعود بأهل الرياض وقصدوا الدلم وفيها فيصل، فحصل بينهم قتال شديد كان النصر فيه للعسكر ودخل فيصل بلد الدلم وحصّنها وحصل فيها معارك شديدة كانت سجالاً، ثم أقبل عمر بن عفيصان بجنود من

الأحساء وأرسل إلى فيصل يخبره بقدومه، وواعده أنه يحمل على العسكر من جهته ويحمل هو ومن معه عليهم من جهتهم فحملوا عليهم فالتحم القتال بقوة عظيمة كادت تضعضع قوى العسكر ولكنهم ثبتوا واستمرت هذه المعركة إلى ارتفاع النهار وانجلت عن توقف كل منهم بعد أن كلّ ورجعوا إلى مواضعهم دون نتيجة ظاهرة، ثم صار بعد ذلك عدة مناوشات وطال الأمر وبدأ الفشل يتغلل صفوف فيصل، فكاتب أناس من أهل البلد الباشا يطلبون الصلح، وخرج من أهل الحوطة نحو ثلاثين رجلاً إلى الباشا وأصلحوا وتبعهم الحامية التي في قصر مواقف من أهل الحرملة نحو مائة رجل فاستأنسوا لأنفسهم.

نهاية الحرب وإرسال فيصل ثانية إلى مصر

ولما رأى فيصل ما دخل على أصحابه من الفشل والتخاذل أرسل إلى خورشيد يطلب الصلح وتأمين البلد ومن فيها وما فيها وعلى من معه من غير أهل البلد فأعطاه خورشيد على كل ما طلب على شرط أن يسافر هو إلى مصر، فتم الصلح على ذلك ورحل فيصل وأخوه جلوي، وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله، وولدي فيصل عبد الله، ومحمد وسار معهم حسين اليازجي ومعه عسكر فقدموا مصر وأنزلوا فيصلاً في بيت وجعلوا عنده حراسًا، ثم طلب من محمد علي باشا أن يبعث من يأتيه بعائلته، فكتب إلى خورشيد باشا أن يبعث بهم فوصلوا مع ابنيه عبد الله ومحمدًا.

احتلال العسكر الأحسا والقطيف للمرة الثانية

لما وقع الصلح بين الباشا وفيصل ذهب عمر بن عفيصان إلى

الأحسا وقد كان أميرًا فيه قبل ذلك، فأرسل إليه الباشا وإلى رؤساء الأحسا الأمان، وأمرهم بالقدوم إليه وأن يحفظوا بيت المال، فأخذ عمر يتجهز ويجمع ما كان له من الأموال في الأحسا وما كان له من المال فيدفعه إلى وكيل الباشا، وأمر عمر أهل الحسا أن يتجهزوا للسير، فلما فرغوا من ذلك خرجوا من الأحسا قاصدين الباشا إلاَّ ابن فإنه خاف على نفسه وذهب إلى البحرين ونزل على آل خليفة، ثم سار إلى الكويت ونزل فيه. وأما أهل الأحسا فقد وصلوا عند الباشا وأخذوا منه الأمان وأذن لهم بالرجوع.

إمارة أحمد السديري في الأحسا من قبل المصريين

ثم أرسل خورشيد باشا أحمد السديري أميرًا لأهل الأحسا، ونزل بيت الإمارة في قصر الكوت وفرق العساكر والرجال الذين معهم القصور والثغور، ثم أرسل الباشا بعد ذلك خمسين رجلاً من العسكر رئيسهم مغربي اسمه الفاخري ونزلوا في قصر الكوت ثم [أرسل] إلى رؤساء القطيف فجاءه ابن عبد الرحيم أمير سيهات، وابن غانم، وأبو السعد، وبايعوا، وركب معهم الكاشف مع بعض العسكر في القطيف ثم أرسل الباشا رجلاً يقال له أبو طاهر رئيسًا لعسكر القطيف. وأخذ الباشا يكاتب أمراء البحرين ويدعوهم لأن يدخلوا تحت الحماية التركية ويرفعوا علمها ليمنع تدخل الأجانب في أمورها، فلم ينتظم بينهم أمر، وكان الساعي بينهما رجل من رجال الباشا يسمى محمد أفندي فلما فشل في مفاوضته أقره في الأحسا.

حوادث سنة ١٢٥٥هـ

وفي هذه السنة عزل الباشا أحمد السديري عن إمارة الأحساء وجعله

وكيلاً لبيت المال، وجعل مكانه محمد أفندي المذكور فأسس محاكمًا ضج منها أهل الأحسا فقعد له ثلاثة رجال في الليل وقد علموا أنه خارج إلى عين نجم فترصدوا له في الطريق وثوروا عليه فقتلوه وكسروا السراج العالي كان بيد خادمه برصاصة، فهرب من كان معه، فاتهموا بذلك آل عريعر الذين في الأحسا فحبسهم لفاخري ثم أطلقهم، وأعادوا التهمة على أحمد السديري فعزله الباشا عن بيت المال وجعل مكانه عيسى بن علي من رؤساء حايل سابقًا. ثم رحل خورشيد من الرياض ونزل ثرمداء وبنى له قصرًا فيها ونزل العسكر خارج البلد. ثم أمر على جميع البلدان أن يدفعوا له مبالغ من الحنطة والتمر، فكان يأخذ من بعضهم النصف والثلث والربع من حاصلاتهم على أنه يتقاضوا ثمنه، فاجتمع لديه شيء عظيم ولم يتضهم قيمة ما زاد عن الزكاة.

حوادث سنة ١٢٥٦هـ

وفي هذه السنة ورد الأمر إلى خورشيد باشا من محمد علي باشا بالرجوع إلى مصر بمن عنده من العسكر، وذلك تنفيذًا لمعاهدة لندن التي أجبرت محمد علي على سحب قواته من بلاد العرب وأرجعها إلى الحكومة التركية، وقبل مسيرة أخذ من أهل سدير ثلث حاصل زروعهم ونقلوه إليه في ثرمداء، وأهل منيخ نقلوه إلى الزلفى، هذا فضلاً عن الزكاة التي أخذوها عينًا. ثم أخذ يجمع الرحائل للعسكر من القبائل فمنهم من أطاعه ومنهم من أبى. ثم أرسل إلى عبد الله بن رشيد يطلب منه رحائل فأرسل إليه سبعمائة جمل. وفي ربيع الأول رحل من ثرمداء ببعض العسكر ونزل عين ابن قنور وتزوج بنت الصوينع الهيتمي. ثم كتب إلى

العسكر الذين في شقرا والذين في الزلفى أن يوافوه في القصيم، ثم رحل ونزل الشنانة وأمر على حرب أن ينقلوا العسكر وأثقالهم التي في ثرمداء فجاؤوا بهم في منتصف شهر جمادى الأولى. ولم يبق في البلدان إلاّ عدد قليل عدى القوات التي في الرياض وفي ضرمى فقد أبقاهم لتوطيد مركز خالد بن سعود. ثم أرسل الباشا إلى خالد أن يوافق في الشنانة، فقدم إليه في آخر جمادى الثانية ومعه نحو مائتي رجل وأقام عنده أيامًا لعله يلقي إليه تعليمات جديدة، ثم رجع ودخل بريدة، ثم دخل عنيزة ومنها قصد الرياض فوفد إليه عبد الله بن علي بن رشيد، وعبد العزيز ابن محمد أمير القصيم وكان بينهما عداء شديد، فحصل بينهما نزاع على إبل قد أخذها ابن رشيد لأهل بريدة، وعلى ما وقع من عبد العزيز على ابن رشيد حين هاجمه وأخذ برجوعه من عند الباشا وأدّى هذا النزاع إلى الحرب الآتي ذكرها.

وقبل سفر الباشا أرسل محمد بن مبارك رئيس حريملاء إلى الأحسا وجعله أميرًا فيها، وفيها توفي عيسى بن علي وكيل بيت المال في الأحسا. غادر خورشيد باشا وعساكره الشنانة عائدًا إلى الحجاز ومنها إلى مصر، كما أجليت العساكر المصرية التي في الحجاز وتهامة، واليمن، واستحل محلها العساكر التركية طبقًا للمعاهدة المذكورة ولما ركب خالد إلى الباشا هرب عبد الله بن ثنيان من الرياض وقصد المنتفق عيسى بن محمد رئيس المنتفق ولما رجع خالد إلى الرياض أرسل إليه وأعطاه آلات ولما رجع ولكنه قصد سبيع وأقام عندهم وفيها عزل خالد بن سعود محمد بن مبارك عن إمارة الحسا وجعل بدله موسى الحملي، وعيّن عبد الرحمن بن مانع وكيلاً لبيت المال.

وقعة بقعا

بين أهل القصيم وابن رشيد

قد ذكرنا ما كان بين عبد العزيز المحمد أمير القصيم وبين عبد الله بن علي بن رشيد من العداء، وما كان بينهما من الملاحات عندما اجتمعا عند خالد بن سعود في الرياض، ورجع كل منهما في نفسه ما فيها على الآخر، فلما رجع عبد العزيز بن محمد إلى بريدة أغار غازي بن ضبيان رئيس الدهامشة من عنزة وهو من أتباع أمير بريدة على ابن طوالة من شمر وأخذهم ومعهم إبل لأهل الجبل، فما كان من ابن رشيد إلاَّ أنه قابله بالمثل فأغار على غازي بن ضبيان وعربانه وأخذ منهم إبلاً كثيرة، فغضب له أمير بريدة واعتزم على حربه، وكان بين عبد العزيز المحمد وبين يحيى السليم معاهدة على حرب كل من يقصدهم، فطلب من يحيى مساعدته على حرب ابن رشيد فاعتذر يحيى وقال: ليس بيني وبين ابن رشيد عداوة، والعقد الذي بيننا هو دفاعي لا هجومي، وقد أغرت على قبائل ابن رشيد فأغار على أتباعكم، وهذا ليس اعتداء منه. فما زال به حتى أقنعه فتجهّز عبد العزيز وخرج بأتباعه من أهل القصيم، وخرج يحيى السليم بأتباعه من أهل عنيزة، ومعهما غازي بن ضبيان وأتباعه من عنيزة، وقاعد بن مجلاد وأتباعه من عنيزة وابن صبر من السلاطين، والصقور من عنيزة، وساروا قاصدين ابن رشيد، فأغاروا على وجمان الراسي من شمر وأخذوا منهم حتى ملؤوا أيديهم، قال يحيى السليم لعبد العزيز المحمد: دعنا نرجع وكفى ما لقينا من العز والغنيمة، فحلف أنه لا يرجع حتى يقاتل ابن رشيد في بلده. وكما قيل: عاقبة البغي والغرور وحين تقدموا حتى نزلوا «بقعا» المعروفة عند جبل شمر، ونزلت

باديتهم على (ساعدة) ماء بالقرب من بقعا فلما علم ابن رشيد بمنزلهم أمر على أخيه عبيد بن رشيد أن يغير على البادية التي على ساعدة بينما يلم شعثه ويتبعه بأهل حايل.

الغارة على أتباع أهل القصيم من البادية

فلما كان قبل الفجر أغار عبيد بن معمر على بادية أهل القصيم على ساعدة، واشتبك القتال تارة يهزمهم العربان ومرة يهزمونه هذا وعبد العزيز ويحيى السليم وجنودهم في بقعا ينتظرون إغارة ابن رشيد عليهم، فلما ارتفعت الشمس ولم يأتهم أحد علموا أن الغارة وقعت على باديتهم فخف يحيي السليم بخفيف الرجال وشجعانهم على أرجلهم قاصدين مساعدة البوادي على ابن رشيد، فلما وصلوهم كان عبد الله بن رشيد قد وصل نجدة لأخيه، فانهزم عربان أهل القصيم وتبعتهم خيول شمر وبقي يحيى السليم ومن معه لا ماء ولا رواحل، وكان عبد العزيز المحمد وكثير من جماعته قد تخلفوا في المخيم وعندهم الرحائل والزاد والماء.

هرب عبد العزيز عن يحيي ومن معهم

فلما بلغه هزيمة باديته انهزم بما لديه من الركائب والماء والطعام، وأخذ معه ما كان ليحيى وجماعته وتركهم في الميدان لا شيء معهم، فوقع القتال بين يحيى وجنده القليل وبين ابن رشيد، فما كان صدر النهار واشتدت هاجرة الشمس حتى أخذهم العطش وهلكوا ظمأ وقتلاً، فجاء رجل من شمر إلى يحيى السليم وقد عرفه فأعطاه فرسه وقال له: أنخ عليها، فقال: أوصلني عبد الله بن رشيد وأنت صاحب الفضل، فأوصله إياه وكان بينهما صحبة قديمة، وجلس عنده، فدخل عليه ولد له وقال:

إن عمي قتل، فظن عبد الله أنه يعني أخاه عبيد فتعجل وقتل يحيى السليم صبرًا، وكان المقتول أخًا له من أمه. وكان القتلى من الطرفين نحو ثلاثمائة.

تولي عبد الله السليم إمارة عنيزة

وكان عبد الله السليم عند خالد بن سعود بالرياض فلما علم بالأمر رجع وتولى الإمارة في عنيزة.

عبد العزيز المحمد يحاول أخذ الثأر ويفشل

بعد رجوع عبد العزيز المحمد جميع الجموع وسار بهم ومعه عنزة قاصدًا أخذ الثأر من ابن رشيد، ولما وصل الكبيئة رجع على غير طائل.

قيام عبد الله بن ثنيان وتغلبه على خالد بن سعود سنة ١٢٥٧هـ

ذكرنا ما كان من رجوع ابن ثنيان وبنزوله عند سبيع، فأظهر الخلاف على خالد بن سعود، وأخذ يكاتب أهل البلدان ويدعو إلى نفسه. فكتب إلى أهل الحريق، وأهل الحوطة يدعوهم إلى الطاعة ويقول: إنه يقصد تطهير نجد من العسكر، وكان الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عبد الله بن حسين آل الشيخ عندهم فأوعدوه بالمساعدة، وقدم عليه رجال من رؤساء البوادي فاشتد ساعده، فلما علم خالد أن ابن ثنيان مصمم على حربه داخله الفشل، فكتب إلى أهل النواحي يأمرهم بالغزو فتثاقلوا ولم يأتمر إلاَّ القليل، وكان الناس يكرهون ولايته بواسطة العسكر، لهذا لم يجد ابن ثنيان صعوبة باستمالة أهل نجد، فلما رأى خالد تثاقل الناس سار

بمن حضر عنده مع أهل الرياض، وقصد الأحسا، وأبقى بعض خدامه في الرياض مع العسكر.

ابن ثنيان يستولي على ضرما

ثم سار عبد الله بن ثنيان ونزل المزاحميات فتابعوه. وأرسل إلى أمير ضرما يدعوه إلى المتابعة فأبى عليه، وكان عنده عسكر فهاجمهم وهزمهم ودخلوا البلد واحتصروا فيها، ثم صالحوه على أن يرحل العسكر إلى ثرمداء فأخرجهم ودخل البلد واستقر فيها وأتى إليه أناس من أهل العمارية وأبا الكباش، وقدم إليه سعد بن تركي الهزاني في سبعين رجلاً، فخرج ابن ثنيان وقصد بلد عرقة ودعا أهلها إلى المتابعة فأبوا، فزحف إلى البلد وأخذها عنوة ونهبوها. وأرسل أهل منفوحة يدعوهم إلى متابعته ونصرته فأجابوه، فأرسل إليها ثلاثين رجلاً ودخلها.

أهل الرياض يستنجدون خالدًا

فلما تندم ابن ثنيان أخذ أهل الرياض يتابعون الرسل إلى خالد بن سعود يطلبون إليه أن يخرج على مقابلة ابن ثنيان أو يأذن لهم بالخروج إليه، فأرسل إليهم زويد العبد ومعه أهل ثلاثمائة ذلول، فوصل الرياض، فخرجوا ومعهم العسكر وقصدوا ابن ثنيان في منفوحة، فحصل بينهم مناوشات، ثم رجعوا ليلاً إلى الرياض، فتبعهم ابن ثنيان دون أن يعلموا به. فلما وصل قرب الرياض رافقه رجال من أهل دخنة وهو باب الرياض الشمالي فأدخلوه البلد ورتب جنوده في البيوت والمرابيع، ولم يعلم به أهل الرياض لأنهم ما زالوا يعرضون ويلعبون بعد رجوعهم من منفوحة شأن كل جند يرجع منتصرًا، فلم يفجأهم إلاّ وأقبل عليهم ابن ثنيان شاهرًا

سيفه ومعه رجال من جنده الشجعان، فهرب أكثر الناس إلى بيوتهم وبقي العسكر وخدام خالد فهاجمهم وهزمهم، فدخلوا القصر وتحصّنوا فيه، فجلس ابن ثنيان في أحد البيوت، وأتى إليه رؤساء البلد وبايعوه، وأرسل إلى من في القصر من العسكر وأعطاهم الأمان على أن يخرجوا من البلد فلم يجيبوا فهاجمهم من تلك البيوت المحيطة بالقصر، وفي اليوم التالي طلبوا الأمان فأعطى لهم وخرجوا من البلد، واستولى على القصر ووفد إليه أمراء البلدان وبايعوه.

هرب خالد بن سعود من الأحسا

لما بلغ خالد إخراج العسكر من الرياض واستيلاء ابن ثنيان عليها داخله الفزع، وخرج بمن معه من الأحسا ونزل الدمام، فهرب عنه أكثر خدامه ورجاله، وبالأخير هرب هو إلى الكويت ومنها إلى القصيم، ثم إلى الحجاز حيث أقام فيه يتقاضى راتبًا كبيرًا من محمد علي إلى أن توفي هناك.

سنة ١٢٥٨هـ

استيلاء ابن ثنيان على الحسا والقطيف

لما خرج خالد بن سعود من الحسا أرسل ابن ثنيان إليها عبد الله بن بتال المطيري في عشرين رجلاً، وأرسل بعده عمر بن عفيصان في مائة رجل وجعله أميرًا فيها، فنزل قصر الكوت، ثم أرسل فهد بن عبد الله بن عفيصان في رجال من أهل الخرج، والوشم، وسدير وجعل فهدًا نائبًا لابن عمه عمر بن عفيصان، وأمر على عمر أن يذهب إلى القطيف، فسار إليها ومعه قوة من الجند ومن البوادي، فأمر على علي بن غانم رئيس

القطيف أن يركب إلى ابن ثنيان، فركب إليه ووفد إليه أيضًا رؤساء الأحسا وهو على الرمحية، فأذن للوفود بالرجوع إلى أوطانهم ما عدا ابن غانم وخمسة من رؤساء أهل الحسا، فعاتب ابن غانم وقال: إنك تمالي صاحب البحرين على البلاد، وأخذ منه أموالاً، وكانت النتيجة وسيلة لأخذ المال، وكذلك حبس ابن مانع الذي جعله خالد بن سعود وكيلاً لبيت المال، وعذبه وأخذ جميع أمواله، وفعل بالباقين مثل ذلك حيث أخذ منهم أموالاً. وأخذ من العربان خيلاً وركابًا. وكان حديث عهد في الملك وفي حاجة إلى الأموال، فأخذ يتتبع الأغنياء ويسلب ما يستطيع سلبه بشتى الطرق، وكان لا يتورع عن السفك والقتل على غير سبب إلاّ المال. وأما أمير سيهات ابن عبد الرحيم لما أقبل ابن عفيصان هرب هو إلى البحرين.

ثم أرسل أحمد السديري أميرًا في القطيف، وأمر ابن عفيصان أن يرسل معه مائتي رجل من الأحسا ففعل، ورجع ابن عفيصان من القطيف إلى الحسا، ورجع فهد بن عفيصان ومن معه من الأحسا إلى أوطانهم، ثم أرسل عمر بن عفيصان سرية، إلى العقير أخرجت من فيه من رجال آل خليفة وكانوا قد استولوا عليه.

وفيها قتل محمد العلي بن عرفج الشاعر قتله ابن عمه صالح ابن مرشد في دماء كانت بينهم.

سنة ١٢٥٩هـ

خروج الإمام فيصل من مصر للمرة الثانية

كان الإمام فيصل في حبسه الأخير غير مضيق عليه، بل إنه في بيت

فيه جميع أسباب الراحة ومطلق الحرية، يذهب حيث يشاء من الأسواق والمساجد وغيرها، إلاَّ أن معه مراقبين يسيرون معه حيث سار، إلى أن يرجع إلى محله حيث يبقون عنده، وكان يغشاه بعض من يجب الاجتماع به. وكان عباس باشا بن باشا كثير التردد إليه والأنس به، ولم يكن لعباس باشا شيء من الأمر لوجود جده محمد علي وعمه إبراهيم باشا. وجاء ذات يوم عباس باشا عند فيصل كعادته وكان فدار الحديث يومئذٍ عن نجد وحوادثها وهروب خالد بن سعود واستيلاء ابن ثنيان، فقال فيصل: لو تفضل أفندينا بمساعدتنا على الرجوع إلى نجد لأمكننا الاستيلاء عليها وطرد المتغلب منها، فمال عباس إلى إجابة طلبه ثم غفل عنه أيامًا، فلما كانت بعد ذلك قال له: هل لا زلت تؤمل بحراك الأمل، قال: إذا تفضل أفندينا بذلك، قال: لا يكون إلاَّ خيرًا. ثم إن عباس جهز جيشًا وأعد عليه ما يلزمه وجعله خارج البلاد مسافة نحو ساعة، وأرسل إلى فيصل وقال: أن الجيش مجهز بالمكان الفلاني، فإذا مضى شطر من الليل فاخرج ولا تتوانى في سيرك فإني أخشى عليك الطلب، وقد أوصيت الحارس أن يتغيب وقت خروجك، وهكذا عطف الله عليه قلب هذا الشاب فجعله سببًا لخلاصه. ولم يتجاسر عباس على ذلك إلاَّ لأنه علم أنه لم يبقَ لهما علاقة في بلاد العرب سار فيصل، وأخوه جلوي، وابنيه عبد الله ومحمد، وابن عمه عبد الله بن إبراهيم فواصلوا سيرهم حثيثًا، وبعد يومين علم محمد علي بهربهم فأرسل وراءهم خيلاً وجيشًا وركب معهم عباس باشا نفسه فلم يقفوا لهما على أثر فرجعوا.

وصول الإمام فيصل إلى الجبل

وقد وصل الإمام فيصل ومن معه الجبل، وقد أرسلوا إلى

عبد الله بن رشيد يخبرونه، فتلقاهم ابن رشيد بالرجال والرحائل وبذل ما يستطيع تقديمه، وكان عبد الله بن ثنيان في بريدة وقد تابعه أميرها وأهل القصيم إلاَّ عنيزة فإنها عصت عليه وأبت متابعته فحاصرها. فجاءهم خبر وصول فيصل إلى ابن رشيد، فأراد ابن ثنيان أن يخادعه فأرسل إليه هدية فقبلها وأرسل إليه أهل عنيزة عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين يستدعونه للقدوم إليهم ويعدونه بالنصرة، فوافاه الإمام فيصل في الكهف، وقدم إليه كتاب وأبلغه أن أهل عنيزة بالسمع والطاعة، فرحل من مكانه وقصد عنيزة وأمر على أخيه جلوي وعبيد بن رشيد ومعهما مائة رجل محمد بن فيصل الدويش، وينزلون عنده في الحمادة، فساروا في طريقهم، وسار الإمام فيصل إلى عنيزة، ومعه عبد الله بن رشيد وجنود ابن ثنيان حول البلاد، وأعمى الله عن الإمام ودخل البلاد آخر الليل، فأخذ بعض رجال ابن ثنيان يتسللون منه ويلتحقون به، ثم رحل ابن ثنيان راجعًا إلى الرياض، فلما علم به جلوي والدويش ساروا إليه فأدركوه في الوشم وأخذوا منه شيئًا ورجعوا عنه، وتابع سيره حتى وصل الرياض ودخلها، ثم سار جلوي وعبيد بن رشيد إلى ثادق، ونزل الدويش وسار عبد الله بن إبراهيم إلى سدير يدعوهم، إلى متابعة فيصل فأجابوه وتأهبوا إلى مجيء فيصل.

مسير فيصل إلى الرياض
والاستيلاء عليها والقبض على ابن ثنيان

دخل ابن ثنيان الرياض فرق السلاح والأموال ورتب الحصون وهدم البيوت التي حول القصر استعدادًا للحصار، ورتب في مواضعهم في البلاد وفي الحصون وفرق الأموال.

الإمام فيصل في عنيزة أكثر من شهر ولم يقدم إليه عبد العزيز أمير بريدة ولا سار معه، ثم رحل من عنيزة في شهر ربيع الأول عبد الله بن علي بن رشيد، وسار معه عبد الله السليم أمير عنيزة ومعه نحو مائتي مطية، ونزل شقرا فتابعه أهلها وبايعوه أهل الوشم، ثم سار منها وركب معه أمير شقرا محمد بن عبد الكريم البواردي بغزوه، ونزل حريملاء فقدم عليه أمراء سدير بغزوهم، به أخوه جلوي وعبيد بن رشيد وعبد الله بن إبراهيم ومن معهم، ووفد عليه رؤساء سبيع، والسهول، والعجلة، وغيرهم، وكتب إلى عبد الله ثنيان يدعوه إلى الصلح وحقن الدماء، وأن يخرج من الرياض بما عنده من الخيل والجيش والأموال والسلاح وينزل أي بلد شاء وله من الخراج كل سنة ما يكفيه، فأبى إلاّ الحرب، فرحل فيصل ونزل سدوس وكتب إلى صاحب منفوحة يدعوه للمتابعين بذلك، فرحل فيصل من سدوس ونزل منفوحة، وأخذ يكاتب رؤساء الرياض سرًّا فاتفق معهم وفي أواخر ربيع الثاني جهز رجالاً من الشجعان مع أخيه جلوي، وأمرهم أن يدخلون البلد من باب دخنة حسبما اتفق عليه مع أهل البلد فدخلوا، ولما بلغ ابن ثنيان دخل قصره واحتضر فيه، وقصد جلوي ومن معه البيوت القريبة للقصر فأخذوا يشاغلون ابن ثنيان ومن معه، ثم دخل الإمام البلد فوقع الحرب نحو عشرين يومًا، فأرسل ابن ثنيان إلى عبيد بن رشيد ووسّطه في الصلح فلم يتم، فخرج ابن ثنيان من القصر ليلاً بنفسه فوقع بأيدي رجال فيصل فأتوا به، إلى فيصل فحبسه، واستولى على القصر بما فيه، وبذلك تمت ولاية الإمام فيصل للمرة الثانية والأخيرة، واستقامت له الأمور وأذن لمن معه من الغزو بالرجوع إلى أوطانهم، وأقر أمراء البلدان في مراكزهم وأرسل

عبد الله بن بتال إلى الأحسا أميرًا. وبعد شهر ونصف توفي عبد الله بن ثنيان في حبسه رحمه الله.

استرجاع الدمام

[...] عبد الله أمراء البحرين قد استولوا على قصر الدمام على ساحل القطيف فخرج الإمام فيصل وحاصره اثنا عشر يومًا حتى أخرجهم منه.

حوادث سنة ١٢٦٠هـ

ليس في هذه السنة حوادث لها أهمية إلاّ تبدلات في الموظفين، فقد أرسل الإمام أحمد بن محمد السديري أميرًا في الحسا وأرسل عبد الله المداوي إلى القطيف أميرًا فيه.

حوادث القصيم

وقعة الجويّ

وفي هذه السنة أغار عبد الله السليم أمير عنيزة على إبل لعبد الله بن رشيد وأخذها، فطلب من ابن رشيد أداءها فلم يجبه، سار عبيد بن رشيد في ثلاثمائة من الخيل والجيش وأغار على غنم أهل عنيزة وأخذها وجعل جنده قسمين، قسم مع الغنم وقسم يعملهم كمينًا فخرج إليه أهل عنيزة وقصدوا الغنم ومن معها، فلما ناشبوهم القتال خرج إليهم الكمين فانهزم أهل عنيزة، وقبض على رجال منهم فيهم الأمير عبد الله السليم وأخوه عبد الرحمن السليم، فقتلهما ابن رشيد صبرًا، وسير الباقين إلى أخيه عبد الله في الجبل، وقتل في المعركة محمد الشعيبي ومحور الختيني،

فركب عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين إلى ابن رشيد وطلب منه إطلاق الأسرى فأطلقهم، وتولى الإمارة إبراهيم السليم بعد أخيه.

أخذ ابن حثلين للحاج

وفي هذه السنة خرج من الحسا حاج كثيرًا من أهل الحسا والقطيف، والبحرين، ومن العجم، فأغار عليهم فلاح ابن حثلين وأخذ قدر نصف الحاج وهرب باقيهم ورجع الجميع إلى الأحسا. ولما بلغ الخبر الإمام فيصل خرج في طلبه فهرب ابن حثلين إلى دبرة بني خالد ثم رحل فيصل من مجزل ونزل ربيدا في ديرة بني خالد فوفد إليه رؤساء العجمان وسبيع وتنصلوا من عمل ابن حثلين وانسلخوا عنه، فهرب ابن حثلين إلى محمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان وكان نازلاً في العرمة، فرحل فيصل وقصد ابن قرملة، فهرب من عنده ابن حثلين فرجع فيصل إلى الرياض.

١٢٦٢هـ

القبض على ابن حثلين وقتله

فما يزال ابن حثلين يتنقل من مكان إلى آخر خوفًا من الإمام فيصل ثم قصد منديل ابن غنيمان رئيس الملاعبة من مطير وطلب منه أن يجيره فلم يقبل فطلب منه أن يجمع بينه وبين الدويش، فأرسل ابن غنيمان يخبر الدويش فركب الدويش إلى ابن غنيمان واجتمع بفلاح ابن حثلين فرحل به معه وأوعده أن يتكلم مع الإمام فيصل بشأنه، وأنزله مع مطير وركب الدويش، إلى الإمام فيصل برجال من فوقه، فبادأه فيصل بالقول عن فلاح ابن حثلين وعمله في الحاج ووبخه على إجارته رجلاً هذي أعماله، فأراد

الدويش الكلام بحق ابن حثلين والشفاعة له فألزم الإمام بحضور ابن حثلين على أي حال، فأمر على الدويش أن يركب مع رجال أرسلهم معه وأمرهم بالقبض على ابن حثلين، فلم يسعه المخالفة، فسار إليه وقبضوا عليه وأرسلوه إلى أحمد السديري في الحسا وأدخلوه قصر الكوت وهناك قتلوه.

١٢٦٣هـ

عمار فيضة السر

وفي هذه السنة، عمرت الفيضة القرية المعروفة الآن بالسر، عمرها فاهد بن نوفل من بني حسين وبطي الصانع وإبراهيم وعبيد، ثم انتقل النوافلة من قريتهم الريشية، إلى الفيضة، واستوطنوها، وهم رؤساؤها إلى الآن.

خروج الشريف محمد بن عون إلى نجد

كانت نجد ولا تزال الشبح المخيف لدولة تركيا فلا تكاد تسمع بحركة فيها حتى تبادر إلى خنقها خوفًا على نفوذها في بلاد العرب، بل خوفًا أن تسري هذه الروح الاستقلالية إلى العرب في كافة البلاد، فما كادت تسمع برجوع فيصل ابن تركي إلى منصة الحكم حتى أصدرت أمرها إلى الشريف محمد بن عون بأن يذهب إلى نجد ويقضي على هذه الحركة، وأمدته بالعسكر والذخيرة والسلاح، فخرج الشريف إلى نجد امتثالاً للأمر، ونزل القصيم فأطاعه أهله ولم ير عندهم مخالفة للأمر، وكاتب الإمام فيصل فلم يجد عنده إلاّ السمع والطاعة لحكومة الترك، وأنه لا ينوي أي حركة ضدها، بل يساعد على تأمين الطرق للحجاج، فاقتنع

بحسن نيته فأرسل إليه ابن لؤي من الأشراف يطلب أن يعترف فيصل بخراج سنوي ضئيل يؤديه للحكومة دليلاً على طاعة الحكومة.

١٢٦٣هـ

رجوع الشريف إلى الحجاز

فأبى أولاً ثم وافق أخيرًا، إذ علم أن لا قصد للشريف إلاَّ أن يبرر عمله عند حكومة الترك، فكان هذا الاعتراف بالخراج حبرًا على ورق إذ تقدر ولم تسلم.

أما ابن بشر فقد عزى خروج الشريف إلى أن رجال من أهل القصيم حملوه على الخروج، كعادته في مثل هذه الأمور، فهو لعدم اطلاعه على مجاري السياسة، وضيق تفكيره، وقصور نظره، إذا أعياه فهم أسباب الحوادث نسبها إلى أهل القصيم، لأنهم بنظره أقدر الناس على الاتصال بالأمراء والملوك، هذا من جهة ومن الجهة الأخرى اتهامه إياهم بعدم الإخلاص للولاية، وأنهم دائمًا يسعون ضدهم، ولا غرابة في ما يراه ابن بشر لأن ليس هذا رأيه وحده بل قد ظهر إثر ذلك في سياسة ملوكنا وأمرائنا كما ترى فيما يأتي إن الإمام فيصل عزل أولاد سليمان بن زامل عن إمارة عنيزة بحجة أن لهم يدًا في مجيىء الشريف إلى نجد، وأنهم استقبلوه حينما نزل عنيزة، ولا نعلم ماذا يريد منهم أن يعملوا ما دام أنه لم يرَ أحدًا في مقاومة الشريف، وما دام أن الشريف قد كتب لأهل البلدان أنه لم يأت محاربًا ولكن هي السياسة متى أرادت شيء خلقت له ما يبرره ولو ظاهرًا على الأقل. وإن زمننا لم يتأخر عن زمن ابن بشر أكثر من خمسين سنة، فقد اتضح لنا في هذه المدة الوجيزة كثير مما جهله ابن بشر

أو تجاهله، كما اتضح لنا أن تاريخه على ما فيه من الفوائد الجزيلة؛ لم يكن تاريخًا بالمعنى المفهوم، فإذا ذكر حادثة لم يذكر حقيقتها وإنما يوجهها على مقتضى ما يوافق السياسة وإن كانت مخالفة للحقيقة، وهذا ما لا ينبغي للمؤرخ، وقد أبدينا بعض الملاحظات على بعض النقط المهمة وتركنا البقية خوفًا من الإطالة.

وفاة عبد الله بن علي بن رشيد، وإمارة ابن طلال بعده

وفي جمادى الأولى من هذه السنة توفي الأمير عبد الله بن علي الرشيد أمير جبل شمر وجد العائلة التي (قضت على حكومة أولاد فيصل ابن تركي المحسن إليهم في نزع الإمارة من آل علي أهلها الشرعيين؛ وتوليتهم إياها، فقد قيل قديمًا: اتق شر من أحسنت إليه، وتولى بعده ابنه طلال) (تعرض الدويش لحاج أهل القصيم).

وفي هذه السنة اعترض الحميدي بن فيصل الدويش حاج القصيم على الدات الماء المعروف وأخذ منهم أموالاً كثيرة.

عزل أولاد سليمان بن زامل عن إمارة عنيزة، وإمارة ناصر السحيمي

فقد تقدم أن الإمام فيصل نقم على آل سليم أمراء عنيزة نزول الشريف عنيزة، ويتهمهم أن لهم يدًا في خروجه من الحجاز، وهو ما قد تكلمنا عنه بما فيه الكفاية، لهذا السبب عزل إبراهيم السليم وإخوته عن إمارة عنيزة وعين ناصر بن عبد الرحمن السحيمي أميرًا فيها.

فأخرج آل سليم من القصر وأنزل منه أخوه مطلق السحيمي الضرير،

وأخذ يتحدى آل سليم ويهينهم ويضيق عليهم الخناق اعتزازًا بمركزه ومقامه عند الإمام فيصل، فضاقوا ذرعًا من أعماله، فأرادوا أن يفتكوا به، فرصدوه في أحد الطرق ورموه بثلاث رصاصات أخطأه اثنتان منها، وأصابه واحدة على غير مقتل، فهرب ودخل بيته وأغلقه فسار عبد الله اليحيى ومن معه إلى الشمر فوجدوا أهله فانتظروا وأغلقوا بابه فرجعوا، ولما فشل سعيهم خافوا فهربوا إلى عبد العزيز أمير بريدة، فكتب عبد العزيز والإمام فيصل عنهم ويقول: إنهم لم يعملوا هذا العمل إلاَّ لأن السحيمي ألجأهم، إلى ذلك فطلبهم الإمام، فما زال الرسل تتردد بين الإمام المديني وعبد العزيز بشأنهم حتى أعياه الأمر وألزم الإمام بمجيئهم فأرسلهم إليه، فأنزلهم في شيب وأكرمهم وعفا عنهم، وكتب السحيمي إلى الإمام شاكيًا أعمال آل السليم ويقول: إنهم اعتدوا عليه بلا جرم ولا سبب، فكتب إليه الإمام أن أولاد يحيى عندنا وأنت في بلدك ولا بأس عليك منهم. ولما برىء ناصر السحيمي من جرحه أرسل إلى إبراهيم السليم لأنه تخلف في عنيزة ولم يشترك في الحادثة فقتله وجرح أخاه عليًا فهرب إلى المذنب ثم إن مطلقًا الضرير أرسل إلى رجل من أعوان آل سليم وضربه حتى مات، فأرسل الإمام السحيمي وألزمه بالحضور مع خصمه فحضر، فحكم بديات الرجال والجراحات فرضي عبد الله اليحيى وزامل العبد الله ظاهرًا، وهيهات أن يتركوا دماءهم تذهب هدرًا.

حوادث سنة ١٢٦٤هـ

ولم يكن في هذه السنة من الحوادث ما يستحق الذكر إلاَّ حوادث البادية المعتادة.

وفيها وقعة العاتكة التي فتك فيها ابن طحنون أحد رؤساء عمان بالسرية التي أرسلها الإمام فيصل بقيادة سعد بن مطلق المطيري إلى عمان، فرصد لهم ابن طحنون بالطريق وهاجمهم على غرة ففتك بهم وفر من سلم منهم إلى بلد دبي وفيهم المطير، وقام معه سلطان بن صقر صاحب الشارقة، ومكتوم صاحب دبي، وقصدوا ابن طحنون وحاصروه في قصر البريمي، وأخرجوه منه واستولوا على بقية القصور التي بيد ابن طحنون، واستردوا منه جميع ما أخذ من السرية، ولكن الإمام غضب على المطيري لسوء تدبيره وعزله وحرمه من الخدمة مدة حياته.

١٢٦٥هـ

انتقاض عبد العزيز المحمد وأهل القصيم على الإمام فيصل

ومن الغريب في هذه القضية انتقاض السحيمي أمير عنيزة الذي ما كاد يستقر في إمارته التي منحها إياه الإمام فيصل، ولم نقف على الأسباب التي أوجبت هذا الانتقاض ومما لا ريب فيه أنها لم يحدث بدون سبب ولكننا لم نقف على تعليل معقول وليس لدينا من المصادر ما نعتمد عليه في استخلاص الأسباب، فأما عبد العزيز المحمد فيمكننا أن نعزو الأسباب بالاستنتاج الذي نظن أنه يقرب من الحقيقة، وهو الفتور الواقع في علاقاته مع الإمام فيصل منذ اليوم الأولى من قدوم الإمام فيصل من مصر، لأن عبد العزيز لما علم بوصول الإمام فيصل خايل استدعى عبد الله بن ثنيان إلى بريدة وتابعه وساعده، ولما رحل ابن ثنيان من بريدة والإمام فيصل في عنيزة لم يقدم إليه يهنيه بسلامة القدوم، ولا مد له يد المساعدة، ورحل من القصيم دون أن يواجهه، وعمل كهذا لا بد أن يبقى

أثرًا سيئًا في نفس الإمام على رجل يعد من أمراءه الذين لهم الفضل عليه في منصبه وحمايتهم إجماعه من أبناء عمه، الذين لولا رعاية الإمام، إياه لما قدر أن يقيم في منصبه، ولكن الإمام لم يبادره فيما يكره، إلاَّ أنه لا يخفي نعمته عليه، وقد أراد أن يزيله أكثر من مرة فيعترض دون ذلك أناس يشفعون له، ولكن عبد العزيز داخله شيء من الخوف وأخذ يتصور كل حركة هي موجهة ضده، فأدخل الشك في نفس الإمام سلوكه لأنه جمع جيشًا وأخذ يغير على البوادي ذات اليمين وذات الشمال، وهذا ما لا يحتمله، الحاكم الذي لا يريد أن يكون هنا، راية غير رايته، اجتمعت هذه وغيرها فحملت الإمام على أن يعمل على تخفيف غلوائه أو إزالته عن مركزه إذا اضطرت الأمور هذا ما رأينا واستنتجنا من الأمور التي حملت عبد العزيز على الذي لا يراه انتقاضًا وإنما يراه دفاعًا عن نفسه فإن كان تعليلنا صحيحًا فأمر مطلق السحيمي وموافقته عبد العزيز المحمد وإعلانه العصيان بالوقت الذي كان أخوه عند فيصل بالرياض، لا نرى له تعليلًا إلاَّ بأمر واحد وربما كان هو السبب الوحيد المعقول، وهو أن الإمام فيصل أرسل عبد اسمه المداوي ومعه رجال فأمره أن ينزل القصر وكان فيه مطلق السحيمي، فأمره أن يخليه فأبى أن يخرج من القصر، فركب المداوي إلى بريدة وأقام فيها، وكان عبد العزيز في أحد غزواته، ثم فيم عنها إخراج المداوي فاستدعاه وأنزله في بيت من بيوت البلد فكتب في المداوي إلى الإمام يخبره. وكأن السحيمي ظن أن الإمام لا يغتفر له هذا العمل فانضم إلى عبد العزيز المحمد وكاتبه، هذا ما رأينا من الأسباب وهي فيما نظن أقرب ما تكون من الصواب.

تعليل ابن بشر لأسباب هذا الانتقاض

وإذا رجعنا إلى ابن بشر لاستخلاص الأسباب رأيناه يضرب على نغمته القديمة التي قد ذهب إليها أكثر من مرة إذ لا يتسع تفكيره إلى أبعد من ذلك، وإليك ما قاله في هذا الصدد.

وفيها جرت المحادثة العظيمة من رؤساء أهل القصيم بالخروج عن طاعة الإمام ومنابذة أهل الإسلام، وذلك أن أهل القصيم يحاولون هذا الأمر من قديم، فأرادوه بالترك والعساكر المصرية، وكانت حوادث العساكر عن نجد ومسيرهم، إليها عديدًا صاحب مصر، فلما أراد أن موته وهلكه وضعف أمره واختلاف ملكه وانقطعت أوامر الترك عن نجد وكفي الله المسلمين شرهم.

فقام رجال من رؤساء أهل القصيم يجادلون شريف مكة فيد بن عون بالخروج إلى نجد بالعساكر والاستيلاء عليها، فظهر بعدته إلى نجد، ونزل القصيم، فلما رأى أن نجدًا لن تحصل له إلاَّ بحرب شديد رحل من القصيم راجعًا إلى بلده وشتمهم ومقتهم.

ثم إنهم نظروا إلى أنفسهم فأعجبهم كثرة من الأموال وصناديد الرجال الأبطال والبلدان القوية والقصور الشامخة العلية والسلاح الثمين... إلخ.

هذا هو المصدر الوحيد الذي نستنير منه ضوء الحوادث وهذا تعليله في أسباب انتقاض أهل القصيم، فهل نجاريه في هذا التعليل السخيف، أو نسلم له الأمر بإلقاء التبعة عليهم دون تمحيص، فنحن نجزم أن هناك أسبابًا خطيرة أوجبت هذه الحركة، ولكننا مع الأسف الشديد لا نملك

معرفة تلك الأسباب. إذًا يرجع إلى سياق الأخبار مضطرين إلى أخذها عن المصدر المذكور.

ناصر السحيمي يطلب من الإمام إطلاق سراحه

فلما جرى من مطلق السحيمي من إنفراج مندوب الإمام فيصل من عنيزة وإعلانه العصيان، كان ناصر السحيمي عند فيصل بالرياض وكان هو الذي طلب من الإمام فيصل الإذن بالرجوع إلى عنيزة لإرجاع أخيه إلى الطاعة فأذن له الإمام فيصل ورجع، ولكن لم يرجع أخيه إلى الطاعة، بل انضم إلى رأيه ودخل فيما دخلوا به، وصمم على الحرب، فيل يا ترى أنه اقتنع ووجد أن هناك أسبابًا توجب ذلك.

قال ابن بشر وكان عبد العزيز إذ ذاك قد غزا بأهل القصيم ونزل على جراب الماء العروف وأقام عليه نحو شير يخوف المسلمين.

أهل عنيزة يستدعون عبد العزيز المحمد

وأرسل أهل عنيزة إلى عبد العزيز يستدعونه فرحل من مكانه وقدم عنيزة وتعاهدوا على الحرب.

الإمام فيصل يجرد الجنود لحرب أهل القصيم

خرج الإمام فيصل من الرياض ونزل الحسي وكتب إلى أهل النواحي يأمرهم بالغزو، فلما اجتمع عليه باقي غزاوته رحل ونزل الجمعة وأقام أيامًا، ثم رحل ونزل ساجر وأقام عليه أيامًا، وأمر علي عبد الله البجي، وزامل العبد الله السليم أن يرحلوا برجال معهم وينزلوا العوشزية عند أرحام لهم هناك لعله يحصل لهم فرصة في البلد ثم رحل هو ونزل المذنب

وكتب إلى أهل القصيم يدعوهم إلى الطاعة وترك الحرب الذي لا يطولهم منه إلاَّ الدمار والخراب. فأرسلوا إليه مهنا الصالح أبا الخيل وقال للإمام أنه إنما جاء لطلب الصلح، وإن سبيلهم غير سبيل عبد العزيز المحمد، ثم عرض نفسه للخدمة وأبدى له من الإخلاص ما جعله يثق به، وكان هذا أول اتصال دام، بعد ذلك سيأتي بيانه، فكتب معه الإمام لأهل القصيم بأن يدفعوا له الزكاة ويركبوا معه غزاة ولا نعلم إذا كان جاء مهنا عن نفسه أو عن أهل البلاد، ولكننا نقول إنه أخذ يناهض عبد العزيز بعد ذلك سرًّا ويرسل التقريرات للإمام فيصل عن أعمال عبد العزيز.

وكان مهنا الصالح من تجار بريدة ورؤسائها، وكان يسير أميرًا على الحاج الغريب فيأخذهم من أماكنهم ويتفق معهم ذهابًا وإيابًا على قدر معلوم، وكان رجلاً ماديًا فاجتمع عنده ثروة لا بأس بها، وكان يتطلع إلى الرئاسة فاتصل بالإمام فيصل في الخلاف الذي وقع بينه وبين عبد العزيز، فاستمرت هذه الصلة، فكانت عاملاً قويًا على استمرار الوحشة حتى انتهت بالحادث المؤسف الذي ستقف عليه سنوات.

ولما نزل الإمام فيصل المذنب كان عبد العزيز المحمد وجنوده في عنيزة فجاءه الخبر أن عبد الله الفيصل أغار على قبيلة الدهامشة في عنزة على العراقية، وكانوا في أتباع عبد العزيز المحمد فما لبث أن جاءه الصريخ منهم فركب عبد العزيز...

١٢٦٥هـ

وقعة اليتيمة

ورصد لهم في موضع يسمى اليتيمة بين الشماسية والطعمية، فلما

قفل عبد الله راجعًا بعد غارته على عنيزة، وجد آثار جيش عبد العزيز المحمد، فأشار عليه من معه أن يسير في طريقه ويتركهم ما دام أنهم لم يعترضوه، فقال: لا والله لا أرجع عنهم حتى يطأهم جيشي، فقصدهم في موضعهم وجمع ما معهم من إبل الغنيمة كراديس، وأمر أهل الخيل أن تسوقها عليهم وتجشمهم إياها لتفرق جمعهم، فلما ثار القتال ساق عليهم الإبل ووراءها الفرسان ووراءهم المقاتلة فكروا عن وجد الإبل وصمدوا للقتال وحمي وطيسه، ثم انهزم عبد العزيز المحمد ومن معه وتركوا بالميدان نحو مائة وخمسين قتيلاً من الطرفين، وقصد عبد العزيز عنيزة وتلاحق عليه فلول جيشه. وكان يظن أن أهل عنيزة يساعدونه على إعادة الكرة، ولكن الشيخ عبد الله أبا بطين ثبط عزمهم، وأشار عليهم بعدم الدخول في أمر عبد العزيز، ثم ذهب إلى عبد العزيز المحمد وقال له: يا هذا، إربأ بنفسك وجنّب أمور أهل هذه البلد، فإنها ليست بلادك وليس لك أمر على أهلها، فدعهم وشأنهم فإنهم يريدون أن يصلحوا أمرهم مع حاكمهم، فإما أن تسلك سبيلهم أو تتركهم، فرحل من عنيزة وقصد بريدة. وهرب السحيمي قاصدًا ابن رشيد، فوافاه في القوارة مقبلاً لنصرة الإمام فيصل.

صلح أهل عنيزة مع الإمام فيصل

فلما فارق عبد العزيز عنيزة وهرب السحيمي، انتدب أهل البلاد الشيخ عبد الله أبا بطين فركب إلى الإمام فيصل، فأكرم وفادته، فأبدى لهم الشيخ مهمته، وقال: إن أهل البلاد يطلبون العفو عما مضى، وفوضوني أن أقدم لكم خضوعهم، وإنهم بالسمع والطاعة. وكان عبد الله اليحيى،

وزامل العبد الله مع الإمام فيصل، فاستشرفا للإمارة، ولكن الإمام فيصل أرسل محمد بن أحمد السديري في عدة رجال وأمره أن ينزل القصر، فدخل البلد ونزل القصر، ورحل الإمام فيصل ونزل خارج البلد، ثم دخلها بنفسه وحاشيته، فبايعوه على السمع والطاعة.

عبد العزيز المحمد

ثم أرسل الإمام فيصل إلى عبد العزيز المحمد يدعوه إلى الطاعة أو للحرب، فقالوا: إنه لم يمتنع مكابرة ولكن خجلاً من سوء عمله، فما زالوا يعتذرون ويتوسلون له بالرضى عنه وإرجاعه لمنصبه، فلم يقبل الإمام إلا أن يكفلوه عن أي حدث وإلا فبو لا يقره، فكفلوا له كل ما يحدث منه، فعفى عنه وأقره بمنصبه في بريدة فقط، وفصل عنه ولاية القصيم وأسنده إلى أخيه جلوي.

إدارة جلوي بن تركي في عنيزة
سنة ١٢٦٥هـ

ولما أقر الإمام فيصل عبد العزيز المحمد في منصبه ولكنه حصر نفوذه في بريدة فقط، وفوض أمر القصيم إلى أخيه جلوي بن تركي وجعل مركزه عنيزة، وأمر عليه أن ينزل القصر، وأبقى عنده قوة من أهل الرياض وغيرهم وقفل راجعًا إلى وطنه.

١٢٦٦هـ

هرب عبد العزيز المحمد إلى الشريف

استقام عبد العزيز المحمد في بريدة ولكن لم يطمئن على نفسه وساورته الأفكار بعد فصل القصيم عن ولايته ومجاورة جلوي له في عنيزة

و السلطة، وفي هذه الأثناء ورد الأمر من الإمام إلى أهل النواحي ومنهم عبد العزيز، فخرج جلوي بغزو أهل القصيم وتجهز عبد العزيز بغزو بريدة. ولما خرجوا قاصدين الإمام فيصل صرف نظره عن مرافقتهم وأمرهم يتوجهون إلى قصدهم، وذهب هو إلى الحجاز، وقصد الشريف محمد بن عون ومعه أولاده وخواص رجاله، فلما علم فيصل قصد بريدة ونزلها، فالتمس منه إخوة عبد العزيز العفو عن أمواله فتركها لهم، وأسند الإمارة إلى عبد المحسن أخي عبد العزيز، وجعل على بيت المال عبد العزيز ابن الشيخ عبد الله أبا بطين، أما عبد العزيز فقد استقام عند الشريف بضعة أشهر ثم سئم الإقامة هناك، فطلب من الشريف أن يتوسط له عند الإمام فيصل، فكتب الشريف إلى فيصل يطلب العفو عن عبد العزيز، فما زالت الرسل تتردد بذلك حتى أذن له أن يرجع إلى وطنه، وأن يكون أميرًا في بلده، فرجع إلى بريدة. وكان فيصل غازيًا إلى أطراف قطر حيث أن أمراء البحرين قد استولوا على بعض قراه الساحلية، فأمر على عبد العزيز المحمد أن يركب بغزوه مع جلوي بن تركي، فركب معه في ربيع الأول، فلما قدم على الإمام فيصل وبّخه وعاتبه على أعماله، فقال: يا حضرة الإمام التوبة تغسل ولا تكدر صفو عفوك بالتأنيب على ما مضى، وانظر إلا ما يأتي، قال: لا تثريب عليك. وأقام عنده حتى قفل راجعًا إلى بلده وأيده في مركزه.

نهاية تاريخ ابن بشر

يعلم المطّلع أننا لخّصنا أكثر الحوادث مستمدين ذلك من تاريخ ابن بشر، ما عدا بعض الحوادث التي استقيناها من مصادر أخرى، وهي

معروفة، كما أن فيه تعليقات وملاحظات من تأليفنا ليست من تاريخ ابن بشر ولا غيره، وهي وصف النهضة الإصلاحية، ونشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعلاقاته قبل اتصاله بمحمد بن سعود، وتراجم الأمراء الأربعة الذين قاوموا محمد بن سعود وحالوا دون توسع نفوذه، وتعليقاتنا على حوادث قتل المطاوعة وعلى جلب الحكومة المصرية، وجلب الشريف على نجد وما شاكل ذلك.

المصادر الجديدة للحوادث الآتية

وبما أن تاريخ ابن بشر انتهى في حوادث هذه السنة فقد اعتمدنا على وريقات منسوبة لإبراهيم بن عيسى، ذكر فيها: أربع أو خمس حوادث من حوادث القصيم فقط، وعن تاريخ ألفه إبراهيم المحمد القاضي استخلص منه جزء قليل من حوادث البادية التي لم نقف عليها وهي قليلة جدًا، إنما يلزمنا التنويه بذلك. وما عدا ذلك من حوادث نجد فهو من روايتنا ومحفوظاتنا، إذ أنني قد عاصرت الحوادث من العقد الثاني من القرن الرابع عشر، وحرصت على حفظها وتدوينها من مصادر الحوادث نفسها، وتتبّعت ما شذَّ عني، فأخذته ممن شاهده أو حضره من الثقات، وحرصت كل الحرص على تمحيص الحقايق كما هي لا كما أشتهي أن تكون، ولم أرسم إلا ما ثبت عندي متجنّبًا الميل جهد الطاقة، ولم أبخس العدو حقه من الحقيقة ولا أعطيت الصديق منها أكثر ما يستحق، لأنني أكتب للتحقيق وللحقيقة وحدها، وما توفيقي إلا بالله.

حوادث سنة ١٢٦٨هـ

وفي هذه السنة ساقت الحكومة التركية العساكر علي عايض بن

مرعي ومعهم شريف مكة، ففتك بها أهل عسير ولم يرجع منهم إلا القليل، وقد ذكرنا ذلك في كلامنا على عسير.

حوادث سنة ١٢٦٩هـ

لم يستجدّ من الحوادث في هذه السنة ما يستحق الذكر.

حوادث سنة ١٢٧٠هـ

وفي هذه السنة حصل اختلاف بين أهل عنيزة وأميرهم جلوي بن تركي، فأخرجوه منها ونزل بريدة وكاتب أخاه الإمام فيصل، وأخبره بالأمر، وكتب أهل عنيزة إلى الإمام فيصل ينتقدون شدة وطأة الأمير جلوي عليهم، وعدم مراعاته لذوي المقامات منهم، وتكليفهم بأمور ليست من مقامهم، وإنه يتعمد اضطهاد الأعيان وإذلالهم مما لم يسعهم الصبر عليه، وإنهم اختاروا له العزلة إلى أن يأتي أمركم بإرسال من يخلفه، ولكنه فارق البلاد، ونحن لم نخرج عن الطاعة، ولا زلنا بالسمع والطاعة.

ولكن الإمام أرجع الرسول ورسالته لم يقرأها، وكأن عبد الله الفيصل قد أخذ يتدخل في الأمور، وكان يميل إلى الشدة في أعماله، فصمم على الحرب، فلما كان في شهر الحجة من هذه السنة خرج عبد الله ومعه غزو الرياض، والخرج، والجنوب، والمحمل، وسدير، والوشم، فأغار على وادي عنيزة، فخرج إليه أهل عنيزة وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه سعد بن محمد بن سويلم، أمير ثادق، فرحل عبد الله الفيصل ونزل العوشزية. ثم رحل ونزل روضة العربيين، ثم ركب الأمير عبد الله اليحيى إلى الإمام فيصل وبسط له الأمر، وقال: إننا لا نزال على السمع

والطاعة ولا نحتاج إلى تجريد الجيوش وأمرك نافذ بدون هذه الوسائل التي حملك عليها أهل الأهواء، فرضي عنهم وأيده بمركزه على السمع والطاعة، وكتب لابنه عبد الله يرجع مع عمه جلوي إلى الرياض، فرجعوا دون أن يكون مصادمة غير الأولى، وبهذا رجع آل سليم إلى إمارة بلدهم ولم يوجدوا هذه الحركة إلا لهذا القصد لأنهم خشوا أن يطول الأمر فتكون عنيزة مركزًا لإمارة القصيم من قبل الحاكم بدلاً من بريدة فتضيع إمارتهم بذلك.

حوادث سنتي ١٢٧١هـ ــ ١٢٧٢هـ

لم نجد في هذه السنين حوادث ذات بال.

حوادث سنة ١٢٧٣هـ

وهذه السنة كسابقتيها ليس فيها من الحوادث؛ غير أن ابن مبليب رئيس الوساما من مطير نوخ حاج أهل القصيم عنيزة وبريدة وقراهما، وهو على الداث الماء المعروف وطلب منهم أشياء يدعي أن له عليهم حقوقًا فامتنعوا عن إعطائه شيء؛ لأن ليس له شيء من عنيزة. وإنما أراد أنه يؤسس له ليدعيه بعد ذلك، فلما لم يجيبوه أغار عليهم وأخذهم ورجعوا لم يحج أحد منهم.

١٢٧٥هـ

قتل ناصر السحيمي

تقدم الكلام على ما كان من أعمال ناصر السحيمي سنة ١٢٦٥هـ وقتله إبراهيم السليم، ولما دخل الإمام فيصل عنيزة ١٢٧٠هـ، هرب منها إلى ابن رشيد. وفي هذه السنة وصل إلى البلالية، فركب الأمير عبد الله

اليحيى، وزامل العبد الله وبعض رجالهما إلى الهلالية، وقتلا ناصر السحيمي بعمهما إبراهيم ورجعا إلى عنيزة. وقد ذكرنا رجوع عبد العزيز المحمد إلى إمارته في بريدة بعد أن استرضى الإمام فيصل، ولكن لم تكن الثقة بينهما تامة، فالوحشة لم تفارق عبد العزيز بل ازدادت. ذلك لأن الإمام لا ينظر إليه بالعين التي كان ينظره فيها، ولا زال متهمًا عنده لكثرة نزعاته وعدم استقامته، ويزيده ما يتواتر عليه من مهنا الصالح من أخبار عن عبد العزيز لم تكن في مصلحة، ومهنا كما قد ظهر أخيرًا كالطامع بمركز عبد العزيز، ولهذا فإن الأخبار التي يسوقها عن عبد العزيز لا يمكن الركون إلى صحتها، وأنى لعبد العزيز أن يتقيها وهو لا يعلم عنها، ولكن ذلك أثر على الإمام، فاستدعى عبد العزيز إلى الرياض فقدم ومعه ابناه علي وعبد الله فأمرهم بالبقاء عنده وجعل عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان أميرًا في بريدة وهو من بني عم عبد العزيز.

حوادث سنة ١٢٧٦هـ

وفي هذه السنة، في شهر صفر، قام بنو عم عبد العزيز المحمد، وهم: حسن العبد المحسن، وأخوه عبد الله، ومحمد الغانم، وأخوه عبد الله، وقتلوا عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان، أمير بريدة، فلما بلغ الإمام فيصل الخبر جعل محمد الغانم أميرًا فيها، وبعد مدة قليلة أطلق الإمام سراح عبد العزيز وأمره أن يرجع أميرًا على بلده، وأبقى ابنه عبد الله في الرياض كرهينة؛ لأن هذا الإطلاق لم يكن عن رضى ولكن رأى أن البلد لا يستقيم فيها أمير بسبب آل ابن عليان، وكان عبد الله الفيصل لا يرى رأي والده في عبد العزيز ويود التخلص منه بأي وجه من الوجوه،

ولكن الإمام فيصل يغلب عليه الحلم والصفح، وفيما نرى أن عبد الله قد صمم على تنفيذ الأمر دون أن يراجع أباه.

وفي هذه السنة أغار عبد الله الفيصل على العجمان وآل شامر وبني حسين وآل عذبة من المرة وأخذهم على الدوادمي الصبيحة، وملأ يده من أموالهم، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وقد كانوا يعيثون في أطراف الأحسا فسادًا، وكان الشيخ أحمد بن مشرف يرسل القصيدة يحرضه عليهم ويبين له خطرهم على نفس البلاد. وإليك مقتطف من جوابه بعد هذه الإغارة:

لقد سرّنا ما جاءنا من بشارة ... فزال هموم النفس وانشرح الصدر
قبيل عبد الله أقبل عاديًا ... يقود أسودًا في الحروب لها زأر
نصبح قومًا بالصبيحة اعتدوا ... وقادهم للبغي من شأنه الغدر

إلى أن قال:

أساؤوا جميعًا في الإمام ظنونهم ... فقالوا ضعيف الجند في عزمه حصر
نغير على بلدانه ونخيفها ... ليعرفنا الوالي وينمو لنا الوفر
فإن لم نصب ما قد أردنا فإنه ... صفوح عن الجاني ومن طبعه الصبر
وما أنكروا في الحرب شدة بأسه ... ولكن بتسويل النفوس لها غروا
وقد قسموا الأحسا جبلاً بزعمهم ... لعجمانها شطر وللخالدي شطر
أماني غرور كالسراب بقيمة ... يرى في الفلا وقت الضحى أنه بحر

إلى أن قال:

ولا تبن للأعراب مجدًا فإنهم
كما قيل أوثان لها البدم والكسر

إذا أودعوا النعماء لم يشكروا لها
وإن رمت نفعًا منهم أبدًا ضرّوا

فوضح الندى في البدء وملخ ومفسد
فأصلحهموا بالسيف كي يصلح الأمر

١٢٧٧هـ

وقعة كاظمة (والكل يسمونها وقعة الطبعة)

في هذه السنة جرت الوقعة الكبرى على العجمان، وذلك أن العجمان بعد وقعة الصبيحة انتزحوا إلى الشمال ونزلوا إلى كاظمة ـ الساحل المقابل إلى الكويت من الشمال ـ وذلك ليبتعدوا عن عبد الله الفيصل الذي لا زال يطاردهم لإزالة شرهم. وفي شهر شعبان خرج عبد الله من الرياض وانضم إليه سبيع ومطير وبني هاجر، فسار قاصدًا من كان في جبل، ومن انضم إليه من العجمان، فجاءهم من جهة الشمال؛ فجعلهم بينه وبين البحر، وكان ذلك الساحل غزيرًا بحرُه، ولكن وقت جزر البحر، لما دهمهم عبد الله بجيوشه تابلوه وقاتلوه قتال المستميت، لكنه تغلب عليهم وأخذ أموالهم وهربوا من وجهه ودخلوا البحر خوفًا من عبد الله لعلمهم أنه سيفتك بهم، ولم يعرفوا حالة مد البحر وجزره وقد دخلوا وقت الجزر، وكانوا لا يحسنون السباحة، ولم يلبثوا أن مد البحر عليهم وجيش عبد الله لا زال في موضعه، فهلك منهم خلق كثير غرقًا غير من قتل منهم في ذلك.

يقول؟؟؟

وقعة كاظمة

أو كما يسميها أهل نجد (كون الطبعة)

وفي ذلك يقول الشيخ أحمد بن مشرف في قصيدة:

همو حاولوا الأحساء ومن دون نيلها ... زوال الطلى ضربًا وقطع الحناجر

إلى أن قال:

وقدم فيهم نجله يخفق اللوا ... عليه رفي يمناء أيمن طائر
فأقبل من نجد خيل سوابت ... ترى الأكم فيها سجدًا الحوافر
فوافت في الدفرى جموعًا توافرت ... من البدو أمثال البحار الزواجر
سبيعًا وجيش من مطير عرمرما ... ومن آل قحطان جموع الأواجر
ولا ننس جمع الخالد فإنهم ... قبائل شتى من عقيل بن عامر
سار بجوار من أجيش أظلمت ... لم الأفق من نقع ثائر
فصبح أصحاب النفاسد وانحنا ... بسمر القنا والمرهنات البواتر
بكاظمة حيث التقى جيش خالد ... بنهرمز نفارًا جاءنا بالتواتر
فما اعتصموا إلا بلحية مزيد ... من البحر يعلوه رحم غير جازر
فغادرهم في البحر للموت مطعمًا ... وقتلى لسرحان ونمر وطائر

ثم قتل عبد الله في ١٥ رمضان فبلغه أن ابن سقيان ومعه بني عبد الله قد نزلوا (المنسف) فأغار عليهم وأخذهم، وقتل حمدي بن سقيان، ثم قصد بريدة يريد القبض على عبد العزيز المحمد فانتذر به وهرب من بريدة ومعه أولاده، فأرسل عبد الله خلفهم سرية مع أخيه محمد، فلما وصل محمد إلى بريدة وإذا عبد العزيز قد هرب ولم يستطع اللحاق به؛ لأن جيشه الذي أتى عليه قد كلّ. وجاء منا الصالح الذي ينتظر هذه الفرصة

فأعطاهم جيشًا قويًا، فركبوا خلف عبد العزيز، ويقال: إنه لولا أن مهنا أبدل جيش السرية لما أمكنهم اللحاق به.

قتل عبد العزيز المحمد وأولاده

وأدركوه بالشقيقة فقتلوه وقتلوا معه أولاده: حجيلان، وتركي، وعليًا وخدامهم ورجعوا. وكان عبد الله بن عبد العزيز المحمد مع عبد الله الفيصل في غزوته، فلما أحس بالسرية التي أرسلت للقبض على أبيه هرب واختفى في غار في أحد الجبال، فوجدوه وأرسلوه إلى القطيف، وهناك مات أو قتل، وأرسل عبد الله إلى أبيه يخبره بمقتل عبد العزيز وأولاده ويطلب أن يرسل إلى بريدة أميرًا على نظره، ثم قام عبد الله الفيصل وهدم بيوت عبد العزيز المحمد وأولاده وأعوانه. ثم رحل عبد الله من بريدة وأغار على، من عتيبة وأخذهم على الدوادمي ثم قفل إلى الرياض وأذن لغزواته النواحي بالرجوع لأوطانهم.

ثم أرسل الإمام فيصل عبد الرحمن بن إبراهيم أميرًا في بريدة.

١٢٧٨هـ

حرب عنيزة الثاني

وهو بعد حادثة عبد العزيز المحمد مباشرة

وفي هذه السنة حصل اختلاف بين الإمام فيصل وأهل عنيزة، ولم نعرف وجه هذا الاختلاف ولا أسبابه، ولكننا فهمنا أن أهل عنيزة قد بذلوا الأسباب لإزالة هذا الخلاف، ولكن لم يسمع لهم كلام، ولم يقبل منهم قول، وكانوا يرسلون الرسل بالكتب فترجع إليهم كما هي، لم يقبلوا أن يطلعوا على ما فيها، وكان الإمام فيصل قد تخلى عن الأمور لابنه

عبد الله، وكان عبد الله مائلاً إلى الشبرة والجبروت متصفًا بالغلظة والقسوة، فجرَّد الجيوش على إثر حادثة عبد العزيز المحمد بقليل، وساقها إلى ابن إبراهيم في بريدة مقدمة لحرب عنيزة، فأرسل سرية مع صالح بن شليوب إلى بريدة، ثم أرسل غزو أهل الوشم وسدير وأميرهم عبد الله بن دغيثر، فاجتمع في بريدة عند ابن إبراهيم خلائق كثيرة، ثم أمر ابن إبراهيم على غزو أهل القصيم فأتوه، فسار بالجميع ونزل رواق.

وقعة رواق

فخرج إليه أهل عنيزة ولم ينتظروا قدومه، فصادموه وهزموه حتى دخل بريدة، وقد قُتل من جنوده نحو عشرين رجلاً، منهم عبد الله بن دغيثر، أمير غزو الوشم وسدير، ولم يحدث بعد هذه الوقعة مصادمات إلا مناوشات عصابات من الطرفين، وكان عبد الله الفيصل يستحث غزو البلدان ليرسلها إلى عنيزة.

حوادث سنة ١٢٧٩ هـ

دخلت هذه السنة والحرب قائم بين أهل عنيزة وعبد الله الفيصل وجنوده، وفي هذه السنة سار محمد بن فيصل ومعه غزو الرياض ومن اجتمع عنده من غزو أهل الجنوب وقصد بريدة وانضم إلي من فيها وسار بالجميع ونزل طرف الوادي.

وقعة الوادي

فخرج إليه أهل عنيزة، وحصل بينهم قتال لم يتفوق فيه أحد من الجانبين، فلما قرب الليل رجع أهل عنيزة إلى بلدهم.

ثم رحل ونزل طرف الوادي من الشمال، فلما كان النصف من جمادى الثاني، خرج إليه أهل عنيزة وصادموه واقتتلوا قتالاً شديدًا تأخر فيه جند محمد الفيصل، ووصل أهل عنيزة إلى المخيم، فبينما القتال دائر إذ هطلت الأمطار، فبطل سلاح أهل عنيزة؛ لأن سلاحهم الفتيل، فكرَّ عليهم جند محمد الفيصل بالسلاح الأبيض الذي كان أهل عنيزة خالين منه يومئذ، فانهزم أهل عنيزة، وقتل منهم قتلى كثير، وفي ذلك يقول شاعر هل عنيزة من قصيدة حربية:

يوم الجدا قومك عديناك الخيام　　　رب العرش مدّك من سماه

يقول ما معناه: لما كان الأمر بيننا وبين جندك عديناك ـ أي أبعدناك عن المخيم ـ لكن رب العرش أمدك بالمطر الذي أبطل مفعول البندقية.

وبعد هذه الوقعة لم يخرج أهل عنيزة إلى القتال، بل اكتفوا بالدفاع من وراء الأسوار، ذلك لأن الإمدادات تواصلت من الحسا ومن جبل شمر فما دونهما، عبد الله الفيصل بنفسه، فاستداروا على البلاد وأخذوا يهاجمونها، ولكن أهل البلاد دافعوهم عنها دفاع الأبطال ولم يدركوا منها أية نتيجة، ذلك بأن الله حبا عنيزة بميزة لم يشاركها فيها بلد من البلاد الأخرى وذلك أن نخيلها ومزارعها داخل السور مما يكفي حاجة أهلها مدة الحرب مهما طالت، وذلك ما ساعدها على تحمُّل الحصار مدة سنة ونصف دون أن تتأثر، فلما طال الحصار ولم تفدهم المدافع التي جلبوها شيئًا أمر عبد الله الفيصل تلك الجنود بقطع نخيل الوادي الذي يبعد عن عنيزة نحو ساعة لعلها تؤثر في أهل البلاد، فقطعوا الشيء الكثير منها فلم يبال أهل البلاد بذلك، فرجعوا إلى الحصار، وأخذت المناوشات مجراها

كل يوم كلما قاربوا الأسوار خرج إليهم أهل البلاد وأبعدوهم منها، وإذا كان الليل أخذ شاعر أهل الرياض يساجل الخياط من أهل عنيزة الشعر الحماسي الحربي وهم في مراكزهم ويرد عليهم، ومع الأسف أني لا أحفظ من ذلك إلا مبادىء القصايد ولعلّي أقف عليها كاملة فازين بها هذه الصفحة وإن كانت من الشعر النبط.

قال شاعر الرياض:

وين انت يالخياط عن حدب الجريد ... يوم العوارض تطعوا جمارها

قال الخياط:

قطع النخيل ما هو ب فخر والوقيد ... عيب على الي ما تتم أقوالها

قال شاعر الرياض:

وين انت يالخياط يا عفن العبيد ... يالي تقول الدار نحمي جالها

قال الخياط:

هذه عنيزة ما نبيعه بالزهيد

لي بندق ترمي اللحم لو هو من بعيد ... ما وقفت بالسوق مع دلالها

وله قصائد حماسية قالها في أثناء هذا الحرب وفي شؤونه، ولكن لم أقف منها على شيء، وسأحرص إن شاء الله على جمعها ووضعها في محلها.

وعلي الخياط: هو أبو حمد العلي، الذي مات في العقد الثاني من هذا القرن، وعلي هذا وإن كان من بيت غير معروف بالأصالة، إلا أنه من رؤساء أهل عنيزة وأهل الكلمة فيهم، لوطنيته الصادقة، وشجاعته وكرمه،

فهذه صفات ألحقته بمقام الرؤساء، وله أخبار في هذه الحرب اشتهر فيها بصدق الوطنية والإخلاص.

وللمرحوم زامل العبد الله السليم قصائد حماسية حربية مشهورة، إلا أني ــ مع الأسف الشديد ــ لم أحفظها، وسأحرص على جمعها ووضعها في محلها إنشاء الله، إنها القصيدة التي يعاتب فيها الإمام فيصل ويذكر معه، منها: استقبالهم إياه بعد رجوعه من مصر، والمسير معه حينما كانت نجد كلها مع ابن ثنيان، ويقول: إننا عادينا. ابن ثنيان من أجلك واليوم هذا جزانا منك.

حوادث سنة ١٢٧٩هـ

ومنها قصيدته التي ينصح فيها أهل القصيم ويحضهم على جعل كلمتهم واحدة ويقول: إن القصيم قصر وعنيزة بابه فإذا فتح الباب لم يبق قيمة للقصر، يقول في القصيدة الأولى ومطلعها:

سلام يامن سار لبلادي حريب	الحكم لله ثم له ما أحدث لنا
كزيت رسولي وعياب تجيب	ومن الغضب ردة خطوطي ما قراه

يقول فيها معاتبًا الإمام:

يوم أن نجد تختبط لك بالشعيب	في ظل شيخ كل نجد في سناه
مع حاكم كل القبايل في ذراه	واليوم يا فرز الوغى هذا جزاه

ثم أخذ:

والله ما يجلي عن الكبد اللبيب	إلاَّ أكثر في يوم يطلع من خباه
وكصقلات معتبينة للحرب	تصح إلى أورجست اللحم عَلْوٍ شباه

ويقول في الثانية: يخاطب أهل القصيم ويحثهم على جمع الكلمة:

وبنى حبة رقطا بصدع لـه سيالين والسم بأنيابه

خبّر أهل القصيم وقل بكم علّة حار فيها الطبيب وضاعت أطبابه

لو تعرفون أو تدرون بالخلّة إنكم قصر عزّ وإننا بابه

ثم أخذ يتحمس:

إن حربنا نحنا للعدو علّة وأن صفينا كما السكر لشرّابه

استمر الحرب ما يقرب من ثمانية عشر شهرًا والبلاد في أشد الحصار دون أن يحصل فيها شيء من الحاجة، ولا بدر ما يدلّ على اضطرارهم للتسليم، وكانت هذه الجنود الكثيرة المحاصرة تكلف عبد الله الفيصل مصاريف باهظة ولكن أخذته عزة الملك من أن يفك الحصار من نفسه وكان معه طلال بن رشيد وكأنه تفرس في عبد الله رغبته في الصلح فأرسل سرًا إلى الأمير عبد الله اليحيى، وزامل العبد الله يقول: إن الإمام لا يكره الصلح ووقف القتال إذا كان طلب منكم فجاوبوه: إنك مفوض من قبلنا بمخاطبة عبد الله ثم جاء إلى عبد الله وهو في مجلسه العام وقال: أن أهل عنيزة طلبوا مني التوسط لهم بالصلح، وذلك بسمع من كبراء وأعيان الذين معه، فقال عبد الله: إذا وافقتنا الشروط قبلنا منهم الطاعة، فقال طلال: إذا تسمحون بمقابلة مندوب عنهم لسماع ما ترغبون من الشروط، قال: لا بأس، فأرسل طلال يقول أرسلوا من قبلكم من تعتمدون لمواجهة ابن الإمام، فخرج زامل ومعه رجل من أتباعه صباحًا ونزل عند طلال بن رشيد فجلس معه ينتظرون وقت جلسة عبد الله الفيصل وكانت هذه أول مرة تعرف بها طلال شخصيًا بزامل وأخذا يتحدثان، فقال

طلال ممازحًا: يقولون إنك من دهاة الرجال، وكنت أظنك كذلك أما الآن فقد ثبت عندي ضد ما سمعته عنك، قال زامل: إن النواية دائمًا تكون أكبر من تحقيقه ولكن أخبرني ما الذي رأيته مني حتى غير اعتقادك قال: نعم وإليك هذا إن ابن سعود قد بذل ما بذل في هذه الحرب كله للوصول على القبض عليك، والآن تجيء تدربي رأسك وتمكنه من نفسك على غير عقد، وأنت كما يقول المثل «عين حمرة»، فإذا قبض عليك انتهى الأمر وتمكن من كل ما يريد قال زامل: وهل هذا كل ما عندك وغيّر رأيك فقال نعم. قال زامل: إنني لست بالمحل الذي تراه، فقد خلفت من ورائي الكثير ممن هو جدير بالقيام بأكبر مما أقوم به أنا، وما أنا إلاّ واحد من جملتهم، لا يؤثر وجودي أو عدم وجودي بينهم ولا يعتبر شيئًا من مجاري الأمور، ولكن ما دمت تنكر بهذا الأمر وتخشى وقوعه فكان الواجب أن تنكر في ذلك في شانك في الأخطار الذي تخشاه علي هي عليك أكبر منها علي، ومطامع ابن الإمام في بلادنا ليست أكبر من مطامعه فيكم فأنا خرجت وحدي خلفت ورائي عشرات يتبوءون مقامي، وأما أنت فقد حشدت معك آل الرشيد جميعهم ولم تترك منهم أحدًا من بلغ الحلم، فلو تراء لابن الإمام شيء مما ذكرت وقبض عليكم وعلى من معكم من آل الرشيد فهل ترى أن في البلاد من يقدر أن يدفع عنها قال حسبك فقد نبرت واعيًا، ثم قال طلال، إن ابن الإمام قد قرب وقت جلوسه وسنسير إليه للمقابلة وأعلم أنه سيتكلم عليك قدام أهل المجلس، ويؤنبك ويشدد في المطالب فلا تعارضه بكلام يستدعي غضبه فهو [...][1].

---

(١) بياض في الأصل.

إلاَّ مظاهر عند أمراء وقواد جنوده، ومهما اشترط أو طلب فاقبله وعلي تدبير الأمر بعد ذلك فلما جلس عبد الله الفيصل بالمجلس العام تقدم إليه الأمير طلال وقال بعد السلام هذا خادمكم زامل أتى لتقديم الطاعة وطلب العفو والصفح من الإمام ومنكم فقابله عبد الله بجفاء ظاهر ثم أخذ يتكلم عليه وعلى أعماله، وقال: إنكم اغتريتوا بحلم الإمام عنكم وتغاضيه عن أعمالكم، فاجترأتم عليه، ونقضتم العهود، وجندتم الجنود، وشققتم عصا الطاعة، أكثر من مرة ولم تعتبروا بمصير من قبلكم ممن كان عمله مثل عملكم ثم أخذ يتهم ويتوعد، وهنا اعترض الأمير طلال وقال: يا طويل العمر كفى مسيء عمله، وقد جاءه ما يكفيه، وهم بالسمع والطاعة للإمام، وإنما ينتظرون صدور العفو، قال: لا حتى يؤدوا ما هو مطلوب منهم، وقد ذكر مطالبه من السلاح والمال، فقال طلال: جميع ما تطلبونه يحضر وأنا كفيل عليهم بذلك، فتم الأمر ثم استأذن طلال من عبد الله بأن يضيف زاملاً في هذا اليوم فأذن له وذهبا إلى مخيم طلال، فقال زامل لماذا تكفل علينا بهذا المبلغ وأنت تعلم أننا لا نستطيع أن ندفعه ولا يقبل ذلك من ورائي، قال ألم أقل لك لا تهتم في هذا الأمر، فما هي إلاَّ مظاهر يراد إشاعتها ولما جلس عبد الله الفيصل ذهبا إليه وكان مجلسًا خاصًا فخاطب الأمير طلال عبد الله الفيصل وقال: إن خدامك أهل عنيزة لا يستطيعون هذا الحمل الثقيل الذي فرضته عليهم، وقد أنهكهم هذا الحصار وذهب بأموالهم، فهم يلتمسون أن تتفضلوا عليهم وتعفوهم من ذلك، قال: لا بد من أداء ما قررنا عقوبة لهم وردعًا لأمثالهم ممن تحدثه نفسه بشق عصا الطاعة، فقال طلال إن زاملاً يقول إنه لا يجب أن يرجع إليهم بهذه الشروط، وإذا كان لا بدَّ من ذلك فهو يود أن

يبقى بخدمتكم ولا يرجع إلى بلاده، فما زال به طلال حتى اتفقا على شيء يسير من السلاح يصحبه شيئًا من الهدية يؤتى به إلى المعسكر، فطلب طلال أن ينعم على زامل بشيء من الكسوة حتى تكون إعلانًا لرضاكم، فأمر له بكسوة فاخرة وشيء من الدراهم فلما كان الغد أقبلت حملة من عنيزة محملة بطعام وقهوة وسكر وشيء من السلاح، فدفعت إلى مخيم عبد الله الفيصل وانتهى الأمر وكانت كلمة زامل إلى طلال قد أثرت فيه، فلما كان الغد جاء طلال إلى عبد الله الفيصل يستأذن بالقفول وقال له: إن أمر الإمام جاءنا ونحن نستعد لزواج أولادنا فأخرناه وقدمنا أمر الإمام فلما قضى الله الأمر على ما تحبون نرجو أن تتفضلوا علينا بالإذن لأجل تزويج الأولاد فأذن له وكساه وأكرمه بإعانته على زواج أولاده فقفل راجعًا وأرخص عبد الله لأهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم وذهب هو إلى بريدة وأقام بها أيامًا ثم رجع إلى الرياض في أواخر سنة ١٢٧٩هـ.

ومن المفهوم أن الذي أثار هذه الحرب عبد الله الفيصل، رغبة منه بضم القصيم بأكمله لا أكثر ولا أقل لأن عبد الله قد استولى على الأمور واستبد بها ولم يبق بيد الإمام فيصل شيء من الأمور لكبر سنه وضعف بصره، فكانت أكثر الحوادث تجري دون أن يعلم عن أسبابها ولا يطلعونه إلاّ على ما يوافق خطتهم الذي يريدون وعبد الله معروف بنزعته الاستبدادية ومتصف بالغلظة والشدة لا يفوقه بذلك إلاّ عبد العزيز متعب الرشيد، وهذه الخصال هي السبب التي أدت إلى إسقاط كل منهما عن منصة الحكم فعبد الله لم يتمتع بالحكم بعد أبيه أكثر من سنة واحدة حتى انتقض عليه إخوته، ثم انتقضت عليه الولايات الواحدة تلو الأخرى لسوء أثره فيهم ولم يجد له مساعد إبان محنته، وكذلك كانت حالة ابن رشيد فما كاد

يظهر ابن عبد الرحمن حتى انضمت إليه أكثر الولايات وقامت ضد ابن رشيد حتى اسنطوى.

حوادث سنتي ١٢٨٠هـ ــ ١٢٨١هـ

لم يحدث في هذه السنين شيء يستحق الذكر إلاَّ وفاة الشيخ إبراهيم بن محمد بن محمد بن عيسى قاضي بلدان الوشم، توفي في بلد شقرا في التاسع من ذي الحجة سنة ١٢٨١هـ، كان له معرفة بالفقه أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وعن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين قاضي القصيم.

١٢٨٢هـ

وفاة الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود

وفي ٢١ من شهر رجب من هذه السنة توفي الإمام فيصل بن تركي وتولى بعده ابنه عبد الله.

ترجمة حياة الإمام فيصل رحمه الله

حارب في الدرعية وأرسل إلى مصر مع أمراء آل سعود فتمكن من الهرب بعد تسع سنوات، وجاء إلى نجد بعد أن استولى والده على نجد، ثم كان ساعد أبيه الأيمن في مكافحة الأعداء ولما قتل أبوه كان هو في غزوته إلى القطيف، ثم جاء وقتل قاتل أبيه وتولى الأمر بعده فجهزت الحكومة المصرية العساكر لحربه فكافحها حتى تغلبوا عليه وأرسلوه أسيرًا إلى مصر سنة ١٢٥٤هـ فبقي هناك إلى سنة ١٢٥٨هـ، حيث قيض الله له عباس باشا بن طوسون باشا فسعى بتخليصه وجهز له جيشًا ساعده على

الفرار، فوصل نجد واسترد الملك من عبد الله بن ثنيان بعد حرب قصيرة، ثم تولى ولايته الثانية والأخيرة.

وفاة طلال بن عبد الله بن رشيد

وفي هذه السنة حصل اختلال في عقل الأمير طلال بن عبد الله بن علي بن رشيد، وقتل نفسه وكان يعد من أفضل رجال آل الرشيد وحصل له شهرة واسعة بما عرف عنه.

١٢٨٢هـ

عبد الله الفيصل

بويع له بعد وفاة أبيه وكانت الدولة في إبان عزها ومجدها تسيطر على نجد بأجمعها حاضرتها وباديتها، تولى عبد الله زمام الأمور بأواخر أيام أبيه، واستبد بها، وكان متصفًا بالشدة الخالية من المرونة السياسية؛ ولما توفي الإمام فيصل اشتدت وطأته وزاد صلفه، ولم يلبث إلاَّ مدة يسيرة حتى أوجد له أعداء لا يستهان بهم، لا من الخارج فحسب بل من أهل بيته أيضًا من ذلك ما حصل بينه وبين أخيه سعود بن فيصل من النفور الذي أوجده اضطهاد عبد الله لأخيه سعود، وتضييقه عليه، حتى إنه أمره أن لا يخرج من بيته ومنع الناس من الدخول إليه أو الاتصال، مما اضطر سعود إلى الثورة ضد أخيه تلك الثورة الهوجاء التي قوضت أمر الملك وأخرجته من بينهما كل ذلك نتيجة سوء السياسة.

١٢٨٣هـ

ابتداء الحرب الأهلية

وفي هذه السنة هرب سعود بن فيصل من الرياض مشاقًا لأخيه

عبد الله، وقصد محمد بن عايض أمير عسير يستنجده فلم ينجده لأن آل عائض يخلصون الولاء للجميع ولا يحبون الدخول في أمورهم، فرجع سعود من أبها وقصد نجران للغرض نفسه، فانضم إليه عدد كبير من العجمان الذين قد أجلاهم عبد الله إلى وادي الدواسر، وانضم إليه أيضًا بعض الدواسر وآل مرة فأقبل بهم فجهز عبد الله جيشًا سيره بقيادة أخيه محمد بن فيصل، فالتقوا بموضع يسمى «المعتلا» وحصل بينهم قتال، فجرح سعود وانهزم جيشه فأقام عند آل مرة، ثم سار إلى عمان يستنجد صاحبها فلم يجد عنده ما يحب، فرجع إلى البحرين وكان حاكمها يومئذٍ الشيخ محمد بن خليفة فأمده بمساعدات مالية وأدوات وحربية، فكاتب العجمان وهو لم يزل في البحرين فلباه منهم آل منجد رؤساء آل سفران فاستدعوه وأوعدوه النصرة.

حوادث سنة ١٢٨٤هـ

سار سعود من البحرين وقصد آل سفران وأقام عندهم نشدًا وأزرة وقاموا بنصرته، فأخذ يشن الغارة على قبائل خصمه ولم يحدث بين الأخوين تصادم.

حوادث سنة ١٢٨٥هـ

وفي هذه السنة لم يقع فيها حوادث مهمة إلَّا حوادث البادية، فإن سعود أخذ يشن الغارات المتوالية على القبائل الموالية لأخيه عبد الله مما كان له أثر بعيد في البادية، فانحاز كثير منهم إلى سعود اتقاء لغاراته حتى كثر أتباعه.

وفي هذه السنة توفي الأمير عبد الله اليحيى السليم أمير عنيزة،

وخلف من الأولاد خالدًا وعبد العزيز، وتولى الإمارة زامل العبد الله.

قتل متعب بن عبد الله الرشيد

وفي هذه السنة قام أولاد طلال بن رشيد على عمهم متعب وقتلوه في ٢ ربيع الثاني وقيل في ٢٠ رمضان وتولى الإمارة بندر بن طلال الذي يقول فيه شاعر شمر:

يـا مـن يبشـر شمـر شـاخ بنـدر   كل الخلايق من غلا أبوه تغليه

ولم يكن لمتعب من الأعمال ما يستحق الذكر، وهرب محمد بن عبد الله بن رشيد خوفًا من أبناء أخيه، وقصد عبد الله الفيصل وأقام عنده نحو سنة، ثم توسط عبد الله بين أولاد طلال وعمهم محمد فأصلح بينهم ورجع إلى حايل وتولى إمارة الحاج العراقي كعادته، وفيها توفي محمد العبد الله القاضي الأديب المشهور ومن أعيان بلد عنيزة، وقد اشتهر بشعره أكثر مما اشتهر بغيره، مع أنه الشعر من أقل خصاله ولكن عفته وكرمه جعل لشعره هذه الشهرة.

١٢٨٧هـ

وقعه جـودة

ذكرنا انضمام كثير من القبائل إلى سعود، وكان أمره يزداد قوة وانتشارًا بقدر ما يضعف نفوذ عبد الله. فرأى عبد الله أنَّ أمر سعود قد استفحل فجهز جيشًا سيره بقيادة أخيه محمد ومعه بعض القبائل منهم، راكـان بـن حثليـن زعيـم العجمـان، فـالتقـى الأخـوان علـى جـودة المـاء المعروف فالتحم القتال بينهما فمال اشتد القتال انقلب بعض جنود محمد من سبيع على المخيم وأخذوه فانهزم جنود محمد وأسره سعود وحبسه في

القطيف ويقال: إن لهزيمة محمد سببًا آخر وهو أن راكان بن حثلين لم ينس وقعة الطبعة التي أوقعها فيهم عبد الله سنة ١٢٧٨هـ وارتبط سرًا مع سعود ولما اشتد القتال أغار على جيش محمد وأخذه وانقلب سبيع على المخيم ونهبوه جريًا على عادة الأعراب إذا كان لا بد للأعداء من نهب متاع الصديق فالصديق أولى به وفي هذه الحادثة يقول راكان بن حثلين وهو يرتجز:

يـايـام يـا سُقـم للحـريـب ردوا لعبـــد الله قضـــاء

مـن كـان لـه حـق مصيـب يـوم اسمنـت يـاخـذ وفـاه

كتب سعود إلى أهل الأحساء والقطيف يدعوهم إلى الطاعة فأجابوه وقدم إليه كبراؤهم وأعيانهم في جوده وبالقوة، فجعل عندهم أمراء من قبله ثم سار إلى الرياض وقد خرج منها عبد الله فدخلها ونهب رجاله المدينة ثم كتب إلى أمراء البلدان أن يقدموا إليه فجاءه أهل الوشم، وسدير والمحمل والشعيب وبايعوه أما عبد الله فقد قصد قحطان وانسحب إلى وادي حنيفة وأخذ يستميل بعض القبائل فاجتمع لديه بعض من الحضر وشراذم من البدو.

أما القصيم لما حصل هذا الاختلاف بين آل السعود رجع أمره إلى أهله ولم يدخلوا في هذا الصراع، فقام منها الصالح أبا الخيل وتولى إمارة بريدة وتبعه القصيم، إذ لم يكن فيها أمير ومنها يرشح نفسه لهذا الأمر من زمن طويل، فلما سنحت الفرصة بهذه الحروب بين آل السعود واغتنمها وتولى الإمارة بعد مراجعة جماعته وكانت هذه أول إمارة آل مهنا في بريدة.

١٢٨٨هـ

وقعت البرّة

عندما استولى سعود على الأحساء والقطيف اقتضى نظر عبد الله أن يكاتب حكومة التركي يدعوها إلى احتلال الأحساء والقطيف نكاية بأخيه سعود فكتب، إلى والي ولاية بغداد وكان يومئذٍ مدحت باشا المشهور، وأرسل الكتاب بيد عبد الرحمن أبا بطين يدعوه إلى احتلال القطر المذكور على شروط شرطها فأجابه مدحت باشا إلى القسم الأول من الكتاب، وأرسل جيشًا فاحتل البلاد وأطلق سراح محمد الفيصل من سجنه في القطيف فعاد إلى أخيه.

وكانت نجد مجدبة في هذه السنة وفيها غلاء شديد، وقد مات ناس جوعًا ولكن ذلك لم يمنع الأخوين من متابعة الحرب، فجمع كل منهما ما يستطيع جمعه واجتمعا في البرة القرية المعروفة في الوشم وحصل بينهم قتال شديد، قتل فيه من الطرفين عدد كبير، فانهزم جند عبد الله واستولى سعود على مخيم عبد الله بما فيه، وأقام بموضعه نحو شهر يستقبل الوفود من رؤساء القبائل والبلدان، ثم رجع إلى الرياض وتعتبر هذه الوقعة هي الحاسمة، واجتمعت نجد لسعود ما عدا جبل شمر والقصيم، ولم يبق لعبد الله من الأنصار ما يؤمل به إعادة الكرة على سعود بين القبائل.

قتل أولاد طلال بن رشيد وإمارة محمد العبد الله الرشيد

ذكرنا فيما سبق أن عبد الله الفيصل أصلح بين محمد بن رشيد وأبناء أخيه طلال ورجع إلى حايل بعد أن أمنه بندر على حياته، تولى إمارة الحاج العراقي الذي يخرج من المشهد وكان على ذلك أيام إمارة أخيه

متعب، ولما كان في هذه السنة ذهب إلى المشهد لأجل مصاحبة الحاج كجاري العادة ولكن لم يجد أحدًا من القبائل يحمل الحاج إلاَّ قبيلة الظفير، فطلب ذلك منهم فامتنعوا خوفًا من بندر بن طلال لعداوة بينهم، فضايق الوقت الحاج فرأى محمدًا نفسه بين أمرين إما أن يرجع ويترك الحاج وألاَّ يكفل للظفير ولأنهم من سلوة ابن أخيه، ففضل الثاني وكفل للظفير سلامة أنفسهم وأموالهم وعاهدهم على ذلك.

١٢٨٨هـ

قتل أولاد طلال وإمارة محمد العبد الله بن الرشيد

فاتفق معهم وحملوا الحاج وساروا من طريق حايل، فلما قاربوها تقدمهم محمد ودخل البلاد وأخبر الأمير بقدوم الحاج وأنه لم يجد من يحملهم إلاَّ الظفير وأنه اضطر إليهم خوفًا من فوات الحج، وضمن لهم رضا الأمير عنهم، فاستشاط الأمير بندر غضبًا وقال: أتجير أعداءنا بدون أمر منا أو مراجعتنا، قال: يا ابن أخي لم يكن في الوقت متسع للمراجعة، وأخذ يكرر فيها أسفه ويبدىء من غضبه وبندر لا يزداد إلاَّ غضبًا، ثم أخذ يتهدد ويتوعد، فما زال محمد طيلة ذلك اليوم يلاطف بندر ويرجو منه أن لا يقطع وجهه ويغفر له عمله هذه المرة ووعده بأن لا يعود لمثله، فلم يفده شيئا. وعلم محمد أن بندرًا صمم على أخذ أموال الظفير فرجع عنه ونفسه تجيش غضبًا إذ أن بندر سيتخذ هذا الأمر وسيلة ليفتك به أيضًا، فذهب إلى حمود العبيد فأخبرهم بكل ما وقع وأخبر أنه صمم أن يفتك بالأمير وإخوته إذا لم يغير رأيه، فاتفقا على أن حمود وأتباعه من آل عبيد وأتباع متعب يهجموا على القصر ويستولوا عليه، وأخذ محمد على نفسه وأتباعه

قتل بندر وإخوته، فرتبوا أمورهم بتلك الليلة وأحكموا تدبير خطتهم، فلما كان الغد وهو يوم دخول الحاج إلى البلد خرج الأمير بندر وإخوته وبعض خدمه ليستقبلوا الحاج، فخرج معه محمد وأتباعه وأخذ يباري بندرًا وهما على فرسيهما واستأنف محمد استعطاف بندر بالعفو عن الظفير وبندر لم يزل مصرًا على رأيه، فلما أيس منه أخرج سيفه وأغمده برأس بندر وصرعه، فمال أتباع محمد على إخوة بندر وخدمهم فقتلوهم، واستولى حمود العبيد على القصر ورجع محمد إلى البلد وأخذ يتتبع أتباع بندر وقتلهم إلاّ من هرب، وتولى محمد إمارة حايل وتوابعها وشمر. وكانت هذه الحادثة بعد وقعة البرّة، وكان الصراع بين آل سعود لا يزال قائمًا ودولتهم آخذة بالتلاشي والاضمحلال.

حوادث سنة ١٢٨٩هـ

وفي هذه السنة، ثار أهل الرياض على سعود بن فيصل لسوء أثره فيهم، وأخرجوه من الرياض وقد حموا عمه عبد الله بن تركي أميرًا فيها، خرج سعود من الرياض وقصد الخرج ومنها سار إلى الأحساء يستنهض العجمان وآل مرة على الترك، فاجتمع لديه خلق كثير من البوادي ونزل الحويرث شمالي الحساء فخرج إليه عسكر التركي وهو في منزله وهاجموه وهزموه، ثم رحل وقصد الأفلاج، فخرج إليه عبد الله بن تركي ومحمد بن فيصل ومعهما أهل الرياض، فقاتلوه في الدلم عاصمة الخرج فانتصر عليهم وهزمهم وأسر عمه عبد الله بن تركي، وسجنه ومات في السجن بعد أيام قليلة، فبقي في الدلم لأنه قد بلغه أن عبد الله الفيصل دخل الرياض فمشى إليه سعود فخرج إليه عبد الله معه أهل الرياض فاتفقوا بموضع

يسمى الجزعة، فحصل بينهم قتال انهزم فيه جند عبد الله، فهرب من الرياض ولم يستطع الإقامة فيها، وقصده الصبيحية ودخل سعود الرياض.

وقعة بين أهل شقرا وأهل أثيثية

وفي هذه السنة حصل خلاف بين أهل شقرا وأهل أثيثية، فخرج أهل شقرا وهاجموا أهل أثيثية، فحصل بينهم قتال شديد في وسط البلد قتل فيه من أهل أثيثية عبد الله بن أميرها سعد بن عبد الكريم بن زامل، وعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن زامل ورجع أهل شقرا إلى بلدهم، ولم نقف على أسباب ذلك.

وقعة طلال

١٢٩٠هـ

في هذه السنة خرج سعود بن فيصل من الرياض غازيًا وقصد مسلط بن ربيعان رئيس الروقة من عتيبة، وكان ناقمًا عليه إلى عبد الله الفيصل على أنه لم ينشغل في أمورهم، ولكنه لم يفد على سعود مع رؤساء القبائل الذين وفدوا للتهنئة بعد وقعة البرة وحملة الدويش ورؤساء مطير فخرج وانضم إليه العجمان ومطير عِلْوًا وبريم، وسبيع، والسهول، والدواسر.

وبلغ ذلك عتاب بن حميد رئيس برقا من عتيبة فأرسل من ينذر مسلطًا فوصل النذير قبل أن يصل سعود إليهم وكانوا في حرة كشب عند الجبل المسمى طلال، ومنزلهم هذا من أحصن الحصون الطبيعية لا مثيل لها.

وقعة طلال

جمع ابن ربيعان رؤساء قومه فاستقر رأيهم أن يرسلوا أموالهم وعائلاتهم ومعهم بعض القوة إلى محل بعيد يتحصنون فيه ويبقى أهل النجدة على أهبة الاستعداد، فأبعدوا أموالهم وأولادهم إلى وسط نجدة وبقي موضعهم ثمانمائة مقاتل من أهل النجدة، فلما أصبحوا استعدوا لمقابلة العدو، كل رئيس على قسم منهم، فلم يلبثوا حتى بدت طلائع سعود، وكان مع سعود ما لا يقل عدده عن ثلاثة آلاف مقاتل، فوقع القتال الشديد من الصبح إلى وقت الظهر، ثم انهزم جيش سعود هزيمة شنيعة، واستولى الروقة على جميع مخيم سعود بما فيه وكثيرين من الخيل والجيش، ثم تبعوا المنهزمين مسافة بعيدة وقتل من جند سعود قتلى كثير، وهلك أناس ظمأ، وتفرق الباقون شذر منه، ولم تقم لسعود بعد هذه الوقعة قائمة، ودخل سعود الرياض ممن سلم من جيشه وقد أصيب بجرح بليغ فحملوه إلى الرياض.

وفي هذه السنة توفي الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر صاحب التاريخ المشهور (عنوان المجد في تاريخ نجد)، كانت وفاته في جمادى الثاني من هذه السنة في بلد جلاجل، وقد أدرك زمن عبد العزيز بن محمد أواخر حكمه، وعاصر سعود بن عبد العزيز معرفة عليم، وعاصر من بعده من آل سعود، وشاهد حوادث الحروب التي وقعت بين عبد الله وسعود، ولم يمت حتى شاهد دلائل انحلال الدولة، ولكنه لم يدخل في تاريخه شيء من ذلك بل وقف عند مسألة تخلى الإمام فيصل عن الأمر لابنه عبد الله، فلم يذكر حادثة قتل عبد العزيز، ولا ذكر حرب عنيزة الأول والثاني، لأن ذلك كله من عمل عبد الله وربما أن لم ير أمر مشروع يدعي

إليه ذلك فتركه لأنه لا يستطيع مشايعة عبد الله على عمله ولا أن ينتقده ففضل إهمال ذلك.

احتلال عبد الرحمن الفيصل الأحساء

سنة ١٢٩١هـ

دخلت هذه السنة وسعود بن فيصل في الرياض، وعبد الله بن محمد مع عتيبة وعبد الرحمن مع العجمان، وكان عبد الرحمن يطمح إلى الاستيلاء على الأحساء فعرض الأمر على العجمان فوافقوه، وشجعوه، وأوعدوه بالنجدة، فكاتب رؤساء الأحساء فأجابه أهل الفضائل وأهل الرفعة بالترحيب وأوعده بالمساعدة وفتح أبواب البلاد، أما أهل الكوت فاعتذروا أنهم لا يستطيعون عمل شيء لوجود العسكر عندهم وبيدهم الحصون والمعاقل المحيطة بالبلاد، فرتب أمره مع أهل الفضائل، فجاءهم وفتحوا له الأبواب ودخل البلاد وأقام فيها، وحصر الترك في الكوت نحو أربعة أشهر، ولم يدرك نتيجة لأن الكوت محاط بسور ضخم وفيه قصور حصينة لها أسوار خاصة غير السور المحيطة بالبلاد، فرتب أمره مع أهل الفضائل، فجاءهم بسور ضخم وفيه قصور حصينة لها أسوار خاصة غير السور المحيط، وفيها حاميات قوية لديها من الأسلحة والمدافع ما عند عبد الرحمن. وليس غريبًا إذ لم يتمكن عبد الرحمن من التغلب عليهم ولكن الغريب أنهم لم يحاولوا أن يخرجوا عبد الرحمن من أقسام البلاد التي استولى عليها ولو حاولوا ذلك لأمكنهم التغلب عليه بسهولة، ولكن داخلهم الفشل واكتفوا بالمحافظة على ما بأيديهم وكتبوا إلى حكومة العراق يستنجدونها.

إخراج عبد الرحمن من الأحساء ونهب البلاد

جهزت حكومة بغداد جيشًا كثيفًا سيّرته بقيادة ناصر السعدون فسار ناصر باشا بقواته برًا وبحرًا فانضم إليه قبائل عنزة فاحتلت القرى البرية القطيف وتوابعها للمحافظة وكانت لم تزل بأيديهم أما القوة البرية التي يصحبها ناصر باشا فقد تابعت سيرها إلى الأحساء، فلما قاربوها خرج عبد الرحمن الفيصل من البلاد وقصد الرياض. ودخل ناصر باشا الأحساء دون أن يلقى مقاومة فأباحها ثلاثة أيام فنهبت جنوده البلاد، وفعل بأهلها أفعالاً سوّدت صحيفته وتاريخه، من الفتك والسلب والنهب وهتك الأعراض مما يشمئز الإنسان من ذكره، ويتحاشى عن تسطيره، إذ لو كان فيه ذرة من الشهامة العربية لما رضي على قومه بمثل هذا مخالفًا في ذلك ما عرف عن بيت آل السعدون من الشهامة والعزة، والشرف تاركًا آثار أجداده الكرام ومقتفيًا آثار سادته إلى الأتراك، مؤيدًا لاستعمارهم لبني دارته، وقد كانت في جريانها على يده أشد وأنكى من المصيبة نفسها ترسخت أقدام الترك في البلاد ورجع ناصر باشا حاملاً نياشين الخزي والعار.

وفاة سعود بن فيصل

دخل عبد الرحمن الفيصل الرياض راجعًا من الأحساء فوجد أخاه سعود مريضًا ولم يلبث أن توفي في ذو الحجة سنة ١٢٩١هـ وولي الإمارة فيها عبد الرحمن.

وفيها توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن حمدان بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهيبي التميمي

في عنيزة وهو والد الشيخ عبد العزيز القاضي في عنيزة المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، والشيخ عبد العزيز قد قضى في عنيرة وتوفي سنة ١٣٠٧هـ.

حوادث سنة ١٢٩٢هـ

وكان عبد الله الفيصل مع عتيبة، فلما بلغه وفاة سعود وإمارة عبد الرحمن أقبل محمد الفيصل ومعه جيش من عتيبة لإخراج عبد الرحمن من الرياض، فحشد عبد الرحمن جيشًا من أهل الرياض والخرج وانضم إليه العجمان ومطير، التقى الأخوان في ثرمداء البلد المعروفة في الوشم فحصل بينهما مناوشات، ثم تفاوضات واصطلحا، وسلم عبد الرحمن الأمر لأخيه الأكبر ودخل في الحاشية، وكان معه أولاد سعود بن فيصل فأبوا أن يدخلوا تحت طاعة عبد الله ورجعوا إلى الرياض واستولوا عليها، فتوقف محمد عن الزحف عليهم، فجاء عبد الله الفيصل ومعه جيش من عتيبة والتحق به محمد وانضم إليه وسارا جميعًا إلى الرياض لمحاربة أولاد سعود، فلما قرب من البلد خرج منها أولاد سعود وقصدوا الخرج فأقاموا فيه فدخل عبد الله الرياض وترك أولاد سعود في الخرج لأن ليس لديه قوة تمكّنه من إخراجهم، لأنه كان منهوك القوى وفي حاجة إلى لمّ شعثه. سكنت الأمور نوعًا مّا وصفى لعبد الله القسم القليل مما يليه شمالاً، ولكن هذا السكون لا يصحبه شيء من هيبة الملك ولكن عبد الله قنع بما تحت يديه ولو مؤقتًا، ولكن هذا الضعف لم يمنع عبد الله من مطالبة الترك بالجلاء عن الأحساء وإرجاعها إليه حسب الشرط الذي شرطه عليهم حينما دعاهم إلى احتلال الحساء والقطيف وقال: إنما وضعته بيدكم أمانة نكاية بأخي سعود، والآن لما مات سعود يجب إرجاعه إلي

وطلب كهذا لا نؤيده القوة مصيره إلى الفشل فإن الحقوق لا تسترجع إلاً بالسيف.

قتل مهنا الصالح أبا الخيل أمير بريدة

وفي هذه السنة ثار آل ابن عليان محاولين استرجاع الإمارة، فقام منهم أحد عشر رجلاً فرصدوا لمهنا يوم الجمعة ولما خرج إلى الصلاة قتلوه، وهو في طريقه إلى المسجد وتحصّنوا في القصر وأرسلوا إلى أهل عنيزة يستنجدونهم فلم ينجدوهم فقام عليهم حسن بن مهنا وجماعته آل أبا لخيل وساعدهم أهل بريدة وحصروهم في القصر أيامًا ثم حفروا لغمًا وحشوه بارودًا فأشعلوا فيه، فنسفوا عليهم القصر ومات كثير منهم تحت الأنقاض، وهرب من سلم منهم إلى عنيزة وقتل من آل أبا لخيل علي بن محمد الصالح وحسن العودة. وتولى حسن المهنا إمارة بريدة بعد أبيه.

حوادث سنتي ١٢٩٣هـ ــ ١٢٩٤هـ

لم يحدث في هذه السنين حوادث توجب الذكر فالأمراء على مراكزهم، فعبد الله الفيصل على الرياض ونواحيها وأولاد سعود في الخرج، والقصيم فيه أمراءه، وابن رشيد على بلدانه وعربانه.

المحالفة بين ابن رشيد وحسن المهنا

رجعت الأمور إلى ما كانت عليه بعد انحلال قوة دولة آل سعود، وصارت إمارات لا يرتبط بعضها ببعض، وكان ابن رشيد أقوى هذه الإمارات فلديه من قوة في السلاح وما يتجزء من القبائل، وكانت قد كثرت الانتفاضات في نجد من المحاضر بعد ضعف الحكم فأخذ ابن

رشيد على نفسه عهدة تأديبهم، وبدأ يعمل لتقوية سلطته، ولكن كان حسن المهنا حاجزًا بينه وبين ما يريد ولديه قوة لا يستهان بها. فأراد التقرّب من حسن واستخدامه لغايته، فعقد بينه وبين حسن محالفة على أن تكون يدهما واحدة. وهذه المحالفة أطلقت يد ابن رشيد في العمل، فأخذ يشن الغارات على القبائل وساعده الأيمن في ذلك حسن المهنا وأهل القصيم. وكان في كل غاراته موفقًا كل التوفيق، فهابته القبائل، وقدم كثير منهم إليه، ولجأ إليه بعض أهل الوشم وسدير وقدموا له الطاعة. وبدأ نجمه يتلألأ في سماء نجد، وكان عبد الله الفيصل في الرياض وأولاد سعود بالخرج، لا يستطيع أحد منهم أن يعمل عملاً بينما ابن رشيد مجدًا في إضعاف نفوذهم وتأييد مركزه بالرغم مما يتظاهر به من العطف على عبد الله وأنه إنما يعمل لتأييد مركزه أي مركز عبد الله.

حوادث سنة ١٢٩٥هـ

كانت عنيزة خارجة عن هذا التحالف ومسالمة للفريقين، ولكن هذه المسالمة لم تمنع عنها اعتداء البوادي الذين لا يفهمون لذلك معنى ولا يردعهم، إلاّ القوة، فصاحب عنيزة ليس له بيرق (علم) يقويه على البوادي فهو طعمة سائغة بنظرهم. فلا ابن سعود يحميه ولا ابن رشيد يدافع عنه. على هذه النظرية أغار حزام بن بشر رئيس آل عاصم من قحطان على إبل لأهل عنيزة فأخذها. فأرسل إليه زامل رسولاً يطلب منه أداء ما أخذ من حلال أهل عنيزة فرفض ذلك، فجهز زامل جيشًا لا يقل عدده عن ستمائة ذلول، فخرج من عنيزة قاصدًا قبيلة حزام بن بشر. فأرسل رسولاً ثانيًا بكتاب إلى حزام يكرر فيه الطلب بإرجاع ما أخذه، وكان قصده يدخل

الطمأنينة في نفسه ليأتيه على غرة. وسار بأثر الرسول إلى البث زامل إلى أن صبحهم على غرة فملأ يديه من الغنائم ورجع إلى جهاده وقتل في هذه الوقعة حزام وبشر رئيس القبيلة.

حوادث سنة ١٢٩٩ هـ

مضت الثلاث السنوات الأولى دون أن يجد فيها من الحوادث ما يوجب الشرح إلاَّ حوادث بوادي لا أهمية لها. وفي هذه السنة حصل خلاف بين عبد الله الفيصل وأهل بلد المجمعة (قاعدة سدير) وكانوا منحرفين عن عبد الله عن امتثال أوامره، فجهز عبد الله جيشًا وانضم إليه قبائل قليلة فخرج قاصدًا المجمعة لتأديبهم، فأرسل أهل المجمعة إلى ابن رشيد يخبرونه بتجهيز عبد الله عليهم ويستنجدونه، فخرج بأهل حايل وتوابعها ومعه شمر وحرب، فلما وصل القصيم انضم إليه حسن المهنا بأهل القصيم. ثم ساروا ونزلا الزلفي، وكان عبد الله الفيصل لم يزل في ضرما فلما بلغه نجدته ابن رشيد لأهل المجمعة رأى أن القوة التي معه غير كافية فرجع إلى الرياض ورحل ابن رشيد ونزل المجمعة وجعل فيها أميرًا من رجاله، وقفل إلى بلاده وفي بعض الروايات أن هذه الغزوة كانت سنة ١٣٠٠هـ.

حوادث سنة ١٣٠٠ هـ

وفي هذه السنة شرع أهل عنيزة في حفرْ آبار بالبدايع لأجل الزراعة ولأنها أرض مخصبة وقابلة للزراعة ويكتنفها وادي الرمة ووادي النسا المعروف بالحجناوي، فهي حرية بكثرة المياه فنجحوا في ذلك، وكان أول من حفر فيها سليمان الصالح ابن سلطان حيث حفر البئر الذي أسماه

العميرية، ثم حفر غيرها ثلاثة آبار. وتابعه أهل عنيزة وحذى حذوهم بقية أهل القصيم حتى بلغ عدد الآبار ما يقرب من مائة وخمسين على أقل تقدير. وكان الجانب الأكبر يملكه أهل القصيم والقليل منها لأهل عنيزة، ولكنها جميعها صارت تابعة لأمير عنيزة لأنه أول من ابتدعها. وصارت الآن من أكبر مزارع القصيم التي يعتمد على حاصلاتها. وبها استغنى القصيم عن استيراد الأطعمة من سدير ومن السر كما كان ذلك سابقًا. ثم غرسوا فيها ما يقوم بحاجتهم من النخيل حيث كثر سكانها، وأسسوا لهم فيها ثلاث قرى سكنوها.

١٣٠٠هـ

البدايع

واجتمعوا بها مما لا يقل عدد سكانها الآن عن الثمانماية على أقل تقدير وهي في ازدياد عمران لأنها أصبحت الركن الأهم للزراعة.

حوادث سنة ١٣٠١هـ

ذكرنا ما كان من عزم عبد الله الفيصل على غزو المجمعة عندما خرجوا عن طاعته ورجوعه عن ذلك حينما بلغه نجدة ابن رشيد لهم. وفي هذه السنة استأنف حشد القوات من حضر أهل الرياض وتوابعها وبعض من أهل سدير، والوشم، والمحمل، والشعيب ومعه من القبائل بعض بادية عتيبة مع رئيسهم عقاب بن حميد، وبعض من قحطان والدواسر. وسار بهم قاصدًا المجمعة، وكان أهل المجمعة قد كتبوا إلى ابن رشيد يخبرونه عن مسير عبد الله إليهم ويستنجدونه، فخرج ومعه أهل حايل وتوابعها ومعه شمر وحرب، ولما وصل القصيم انضم إليه حسن المهنا

معه أهل القصيم ما عدى أهل عنيزة، وكان عبد الله الفيصل قد تقدم ونزل أم العصافير في حمادة سدير، فأقبل ابن رشيد وحسن المهنا ونزلا بالقرب منه فتصافا للقتال واقتتلوا قتالاً شديدًا صبر فيه الفريقان، وقتل من الطرفين قتلى كثيرة، ثم انهزم جيش عبد الله الفيصل ودخل هو إلى الرياض. وكانت هذه الوقعة هي آخر غرة. ومن أشهر من قتل من جند عبد الله عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين وعقاب بن حميد رئيس برقا من عتيبة أقام ابن رشيد في موضعه وأرسل إلى أمراء بلدان الوشم وسدير ورؤساءهم يأمرهم بالقدوم إليه للمبايعة فأتوه وبايعوه، فعزل أمراءهم الذين من قبل عبد الله ابن الفيصل وجعل في كل بلد أميرًا من قبله سواء أكان من أهل البلد أو من رجاله، فلما تم ترتيب الأمور قفل إلى بلاده. وكان أولاد سعود بن فيصل لا يزالون متغلبين على الخرج ولم يدخلوا في شيء من أمور عمهم عبد الله ولم يتعرض لهم ابن رشيد، ومع ما بينهم وبين عمهم عبد الله من الاختلاف فقد ساءهم دخول خصم ثالث في أمور نجد خصوصًا وأن هذا الخصم أجنبي عنهم فخافوا أن يخرج الأمر عن آل سعود، فقام أحدهم محمد وطلب من إخوته الاتفاق مع عمهم وجعل يدهم واحدة على هذا العدو الجديد فلم يوافقوه، فخرج بنفسه وقصد عتيبة يستنجدهم على ابن رشيد، فاجتمع عليه عتيبة الروقة وبرقا لميلهم قديمًا وحديثًا إلى آل سعود، فبلغ ابن رشيد اجتماعهم على محمد بن سعود بن فيصل.

وقعة عروى

خرج ابن رشيد من حايل في قوة ومعه باديته، وانضم إليه حسن المهنا بأهل القصيم، وقصدوا محمد بن سعود ومن معه من عتيبة والتقوا

على ماء يسمى عروى في عالية نجد، فاقتتلوا قتالاً شديدًا. وثبت محمد بن سعود ومن معه وهزموا ابن رشيد، وثبت أهل القصيم. ثم تراجع جند ابن رشيد لما رأوا ثبات أهل القصيم وكروا على محمد بن سعود وهزموه واستولوا على كثير من غلالهم وإلى هذه الوقعة يشير شاعر عتيبة وهو الحمد لله خير محمد بن هندي بن حميد شيخ برقا:

لـولا حـسـن بـذر بيـن الإيمـان صارت عليكم يا بو ماجد كسيره

رجع ابن رشيد وابن مهنا إلى بلاديهما، وبعث عبد الله الفيصل أخاه محمدًا إلى ابن رشيد يطلب منه أن يترك له الوشم وسدير ليكتفي بهما مع ما هو تحت يده ويطلق يده فيما سوى ذلك. وكان ابن رشيد بالرغم مما جرى لم يزل يتظاهر بالعطف على آل فيصل الأكثر عطف لا يتعدى الأمور، فهو يحسن المجاملة ويبالغ في ذلك حتى أنه يجعل الإنسان يشكك فيما يعتقده فيه. وصل محمد بن فيصل فقابله ابن رشيد مقابلة جميلة للغاية وأبدى له ما يحفظ لهما من الود القديم والصداقة الخالصة وأجابه إلى كل ما قدم لأجله شفاهًا، وأصحبهم كتبًا تضمن أوامره، ولم يشك محمد بن فيصل في نجاح مهمته وأن تلك الكتب لم تكن إلاّ الأوامر ذي المسئلة، ولكن عبد الله الفيصل عرف الحقيقة عندما أراد إرسال أمراء من قبله يحلون محل أمراء ابن رشيد، فإنهم صارحوه بأن ليس لديهم اوامر من ابن رشيد بالتخلي عن مراكزهم.

١٣٠٢هـ

استيلاء أولاد سعود بن فيصل على الرياض

وقعة أم العصافير التي انخذل فيها عبد الله الفيصل آنس أولاد سعود

من عمهم عبد الله الضعف حينما أوفد إلى ابن رشيد، فحدثتهم أنفسهم القضاء عليه وضم العارض إلى المخرج لأنهم يرون أنفسهم أقدر على حفظ الباقية بأيديهم من البلاد. فساروا إلى الرياض بما عندهم من القوة ودخلوا البلد واستولوا عليها وقبضوا على عبد الله وحبسوه فبلغ الخبر ابن رشيد فأقام النكير على أولاد سعود وشنع عليهم عملهم بعمهم، وكتب بذلك إلى البلدان وخرج من حايل ومعه أهل حايل وتوابعها وقبائلها، وكتب إلى رؤساء البلدان فأجابوه وسار معه ابن مهنا بأهل القصيم، وانضم إليه أهل الوشم وسدير وقصد الرياض متظاهرًا بنصرة عبد الله الفيصل. ولما وصل الرياض خرج إليه وفد من أهلها يرأسهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ والإمام عبد الرحمن الفيصل بنواياه فأخبرهم أنه لم يأت فاتحًا ولا طمع له في شيء أو إنما جاء نجدة لعبد الله الفيصل وإخراجه من سجن أولاد سعود ليعود عبد الله إلى الحكم، فرجعوا وجرت المفاوضات بينه وبين أولاد سعود، فتم الاتفاق على أمن أولاد سعود على أنفسهم وأموالهم وأن يخرجوا من الرياض، فخرجوا منها وقصدوا الخرج، فدخل ابن رشيد وأخرج عبد الله من السجن وبدلاً من أن يردّه إلى الحكم في بلاده كما زعم أرسله وأخاه عبد الرحمن وعشرة من آل السعود لحايل زاعمًا أنه لا يأمن عليه رجوع أولاد سعود، لهذا اختار له أن يكون عنده إلى أن تستقر الأمور السياسية الاستعمارية لا يختلف معناها سواء في الإمارات البدوية أو الدول المتمدنة الاستعمارية للتظاهر بنصرة الضعيف للوصول إلى أغراضها. سار عبد الله الفيصل ومن معه إلى حايل ونصب ابن رشيد ابن علي السبهان أميرًا في الرياض، وكان هذا جبارًا ظالمًا شديد القسوة لا يعرف قلبه سبيلاً إلى الرحمة.

حوادث سنة ١٣٠٣هـ

هذه السنة توفي الشيخ علي المحمد، قاضي عنيزة، كان رحمه الله فقيهًا متضلعًا بعلم الفقه وله شهرة حسنة في عنيزة وسبره، ولم يزل أثره في البلاد.

تولى القضاء بعده الشيخ عبد العزيز المحمد في مانع.

١٣٠٤هـ ــ ١٣٠٥هـ

قتل أولاد سعود

استولى ابن رشيد على الرياض وترك أولاد سعود في الخرج مؤقتًا ووكل إلى ابن سبهان أمر القضاء عليهم وإيجاد الفرصة المناسبة. وقد اختلفت الأخبار عن كيفية الأسباب التي اتخذها ابن سبهان ذريعة إلى قتلهم في السنة التي جرت فيها هذه الحادثة، ونحن نورد كلام كل منهم فيقول الريحاني: إنه قد جاء وفد من أهل الخرج إلى سالم السبهان يتظلمون من أعمال أولاد سعود، فبادر لنصرة هذا الوفد وسطى على أولاد سعود في الدلم، فهربوا منها وتبعهم وأدركهم في زميقة القرية المعروفة جنوب الدلم وتبعد عنها نصف ساعة وقد تحصنوا في قصرها، فحصرهم حتى سلموا، ثم أخفاهم وقتلهم، وهم محمدًا، وسعدًا، وعبد الله، أما عبد العزيز بن سعود فقد كان وافدًا على ابن رشيد قبل الحادثة. وبلغ الخبر ابن رشيد وعبد العزيز عنده فأمسكه ومنعه من الرجوع وبقي هناك، إلى أن توفي، ويقول الريحاني: إن هذه الحادثة وقعت بعد إخراج أولاد سعود من الرياض بخمسة أشهر أي في سنة ١٢٠٢هـ ــ ١٢٠٣هـ.

ويقول إبراهيم المحمد القاضي في تاريخه: إنها جرت بعد حادثة الرياض بثمانية أشهر، وإن ابن سبهان خرج فأغار على غنم لأهل الخرج وأخذها فخرج إليه أولاد سعود وأهل الخرج، وقاتلوه وهزمهم وقتل محمدًا وسعدًا أولاد سعود. أما إبراهيم بن عيسى فقد ذكر الحادثة كعادته مجملاً، حيث قال: وفي سنة ١٣٠٥هـ قتلوا أولاد سعود بن فيصل ومحمدًا وسعدًا وعبد الله، قتلهم سالم السبهان. وكان عبد العزيز بن سعود قد ركب قبل ذلك لابن رشيد، ولما بلغ بن رشيد قتل أولاد سعود حبس عبد العزيز عنده. ولم يزد على ذلك.

وسواء أكان السبب هذا أو ذاك فقد نفذ ابن رشيد سياسته وأدرك مرامه بالقضاء على البقية الباقين من نفوذ آل السعود. وليس أسهل على ابن رشيد من استرضاء الرأي العام حينما ضج ونقم على ابن سبهان فخله بأولاد سعد، من أن يتظاهر بالغضب على ابن سبهان والتبرأ من عمله، نعم عزل ابن سبهان وجعل مكانه فهاد بن رخيص من كبار رجال شمر ولكنه لم يغير سياسته. فقد أخذت السياسة مجراها بتأييد نفوذ ابن رشيد الذي مدّ نفوذه على القسم الجنوبي العاملة، ولم يبق عنده من يعكر عليه صفو سياسته غير حليفه العزيز حسن المهنا، الذي كان له الفضل الأكبر في تأييده ومساعدته في القضاء على البقية من نفوذ آل سعود. فعلم إن ابن رشيد لا ينكر هذه الخدمات التي أداها حسن ولكن ابن مهنا يملك قوة لا يستهان بها، وهو فوق ذلك صار حاجزًا بينه وبين مملكته الجديدة، وأكبر من هذا كان يملك القصيم الذي هو سنام المملكة وابن رشيد لا بد وأن يتذرع بالوسائل للقضاء على حليفه ويضم القصيم فيتم بناء مملكته الجديدة المستقبلة، وليس هذا الأمر من تصوير الخيال بل هو الحقيقة

الواقعة. فقد ظهر ابن رشيد من بلاده وكتب إلى أمراء القصيم وغيرهم يأمرهم إرسال غزوهم وموافاته بالمستوى ـ الموضع المعروف وخرج غزو عنيزة للمرة الأولى مع ابن رشيد. وظهر حسن بأهل القصيم وقصد ابن رشيد وهو بالنبقى بأرض المستوى، وأقام في منزله نحو شهر ثم رجع وأرخص لأهل النواحي الرجوع إلى أوطانهم، وبعد رجوع حسن من هذه الغزوة ظهرت الوحشة والتنافر بين ابن رشيد وابن مهنا لأن ابن رشيد أخذ يعامل ابن مهنا غير معاملته الأولى، وينظر إليه بغير نظره السابق، فتبين لابن مهنا أنه مخدوع بهذه المحالفة التي لم يستفد منها شيئًا، وعلم أنه لم يكن إلاَّ مسير لصالح ابن رشيد، ولما لم يعد في حاجة إليه، تنكر له وطمع فيما تحت يديه، والسياسة لا قلب لها ولا عواطف ولا تنظر بعين المصاعة، والقصيم ضروري لا يرتاح حاكم ما لم يستولي عليه، وليس محمد بن رشيد أول من امتد نظره إلى ذلك وهو جرى على سياسة من تقدمه وجرى على سياسته من أتى بعده. استوحش حسن المهنا من ابن رشيد وزادت الوحشة والنفور حتى انقلبت عداء ظاهرًا، فتقرب ابن مهنا من زامل أمير عنيزة ولم يزل به حتى تم بينهما محالفة، حتى أن ابن رشيد حرص كل الحرص على عدم دخول زاملاً في الأمور التي بينه وبين ابن مهنا وأكد له عدم مطامعه عنيزة ولكن لم يتوفق.

حوادث سنة ١٣٠٧هـ

في هذه السنة أذن ابن رشيد لعبد الله وعبد الرحمن الفيصل أن يرجعا إلى الرياض فرجعا، وبعد وصولهما الرياض توفي عبد الله الفيصل في ٢ ربيع الثاني، والمتوافر على ألسنة الناس أنه مات مسمومًا والله أعلم بحقيقة ذلك، وكان رحمه الله أكبر أولاد الإمام فيصل، وتولى الأمر بحياة

أبيه، فكانت وطأته مستديمة على الناس، وفيه بعض الكبرياء وهي حالة الضرورة للحاكم لتثبيت هيبته خصوصًا على رؤساء البوادي الذين لا يؤمنون إلاَّ بالقوة، والذين يرون أن المرونة في الحاكم دليل ضعفه. وإليك بعض الدلائل على عقلية أولئك البوادي. كان عبد الله رحمه الله مهيمنًا جدًا على رؤساء البوادي يرون فيه من الشرع والترفع عند مقابلتهم إياها، وصادف أن مر في أواخر أيامه على شبان وقفوا في طريقه ومعهم رؤساء البادية، فلما حاذى الشبان تلطّف لهم بإلقاء السلام عليهم، فلما رجع هؤلاء الرؤساء قال بعضهم لبعض أمامكم أخذ يسلم على الورعان وعدوا ذلك عليه من دلائل الضعف. وبالجملة فإنه لم يشرع فيما بعد وفاة أبيه أيامه كلها فتن وحروب بينه وبين أخيه، فأنهكت قواتهم وانتهت إلى الحالة التي تراها في هذا الوقت عما قد مشى الدرعان أي الشبان الصغار.

١٣٠٧هـ

إمارته عبد الرحمن الفيصل في الرياض

تولى الإمارة في الرياض عبد الرحمن الفيصل بعد وفاة أخيه عبد الله، وكتب إلى ابن رشيد يخبره بوفاة عبد الله، وأن يعزل عامله على الرياض حسب العهد الذي أعطاهما إياه فأجابه ابن رشيد إلى طلبه وعزل سالم بن علي السبهان فباد أولاد سعود، ولا يخفى باقي هذا التعيين من التحدي ولم يلبث مدة طويلة حتى أعلم لعبد الرحمن أن ابن رشيد قد عهد إلى ابن سبهان بالقضاء على عبد الرحمن بالفرصة المناسبة، ولكن ابن سبهان حصينًا في هذه المرة فقد اختار أيام العيد للغدر بعبد الرحمن حينما يريد زيارة في العيد، فعفى عنه ابن سبهان فسبقه إلى العمل ووثب عليه

وعفى رجاله وقتلوا عددًا منهم واختفى ابن سبهان ورجاله في القصر وأخرجوه من القصر بل من البلاد قبل أن يتمكن ابن رشيد في إيجاده ـ ودارت المراجعات بين الإمام عبد الرحمن وأمراء القصيم وتعهد كل منهم بمساعدة الآخر فيما لو دهمه ابن رشيد، فلما بلغ ابن رشيد ثورة الإمام عبد الرحمن أخذ يتجهز لنجدة ابن سبهان.

اجتماع حسن المهنا وزامل في الوادي

كتب حسن المهنا، إلى زامل يطلب الاجتماع للمفاوضة فيما يجب عمله إزاء ابن رشيد، فاجتمعوا في وادي عنيزة يومين، وتعهدوا أن يقفوا بوجه ابن رشيد ويصدوه عن المسير إلى الرياض، تجهزوا في الحال وخرج من عنيزة، نحو خمسماية ذلول، وخرجوا يترصدون إلى رشيد وقد بلغه خروجهم فسار من غربي القصيم وفاتهم فتابع سيره إلى الرياض فنزل فيها وحاصرها نحو أربعين يومًا دون أن يدرك شيء، وعلم أنه يتعذر عليه الاستيلاء على الرياض عنوة، وعلم فوق ذلك أن أهل القصيم انضموا إلى الإمام عبد الرحمن فرأى أن يصالح الإمام عبد الرحمن، فصالحه على ما تحت يده ورجع ليعالج أمور أهل القصيم أولاً.

الريحاني في ذلك رواية غريبة فندناها في فصل عقدناه لهذا الغرض تحت عنوان (أغلاط المؤرخين).

حوادث سنة ١٣٠٨ هـ

لجّ ابن مهنا في عداءه مع ابن رشيد، وكان ابن رشيد قد عزم على القضاء على ابن مهنا، ولكنه أراد أن يفعله عن الإمام عبد الرحمن ويحول دون مساعدته إياه، فكتب للإمام يقول: إن ابن مهنا قد حصل منه تعديات

على أننا لا نزال ندافعه بالتي هي أحسن ولكن تمادى في غروره مما اضطررنا إلى القيام بالدفاع عن حقوق رعايانا وكتب إلى أمير عنيزة قريب من ذلك وطلب منه أن لا يتداخل في الأمور التي بيننا وبين ابن مهنا ويعطيه عهد الله وميثاق أن لا نتعرض إلى عنيزة وأطرافها وأنه يبقون على ما أنتم عليه إذا تجنبتوا أمور ابن مهنا ولم يقتصر على هذا الكتاب تابع مرسله ومكاتبه بهذا المعنى، وكانت بعض هذه الكتب ترد بواسطة عبد الله العبد الرحمن البسام، وكان عبد الله في هذا الرأي ويشير على زامل أن لا يزج بنفسه بين ابن رشيد وابن مهنا، ويقول: إن لا مصلحة لنا بهذا الحرب بلادنا من فضل الله قوية، فإن رأينا ما يعجبنا ممن انتصر منهم، وإلاَّ فنحن بحول الله مقدرين على بلادنا والدفاع عنها فكان هذا هو الرأي بأن تحفظ قوات البلاد الدفاع عنها لا أن تدفع إلى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل فإن صاحب عنيزة لا يستفيد شيئًا سواء انتصر حلفاءه أو أعداءه، بل عليه الغرم ولغيره الغنم ولكن لا يكون إلاَّ ما قدر وقد فازت سياسة حسن الجذب زاملاً إلى صفه.

تحرش ابن رشيد بابن مهنا

قام بعض بوادي ابن رشيد على أطراف القصيم وأخذوا بعض الإبل والغنائم، فكتب حسن إلى ابن رشيد يطلب إرجاع ما أخذ لأهل القصيم فأبى ابن رشيد، إرجاع شيء وصارح بالعداء.

١٣٠٨هـ

استيلاء ابن رشيد على الرس

كان حسين بن عساف أميرًا في الرس من قبل ابن مهنا، فعزله وجعل

مكانه صالح لعبد العزيز بن رشيد ولما حصل الخلاف بين ابن رشيد وابن مهنا التحق ابن عساف بابن رشيد، فجهز معه سرية وأمره أن يذهب إلى الرس لإخراج أمير ابن مهنا ولما قرب من البلد هرب صالح بن رشيد ودخل حسين بن عساف واستولى على البلد.

ذهب أهل القصيم إلى الإمام عبد الرحمن يخبرونه عن أعمال ابن رشيد واعتداءه على بلدانهم، وطلبوا منه النجدة العاجلة، وأخبروه بأنه سيخرجون لحفظ أطراف البلاد، وأنهم يتوقعون مسير ابن رشيد، إليهم في القريب العاجل، فجاء منه الجواب أنه سينجدكم ابن مهنا ومعه نحو ألف رجل، وزامل ومعه نحو خمسمائة أو ستمائة، وانضم إليهم بعض البوادي المشايعة لهم وهم قليل والرس أخرجوا سرية ابن رشيد، ثم رحلوا ونزلوا السعيبية، لأجل المحافظة على قرى القصيم، وكانت مراسليهم للإمام عبد الرحمن يستحثونه، فبلغ ابن رشيد أن الإمام عبد الرحمن يتجهز لنجدة أهل القصيم فأراد أن يعاجلهم قبل دخول عبد الرحمن إليهم، فخرج من بابها معه أهل حايل وأطرافها وشمر وحرب وقصد القصيم، ونزل العيون قرية تبعد عن بريدة سبع ساعات ونهب ما وصلت إليه من أدباشهم، ثم رحل عنها ونزل القرعا وهي قرية تبعد ستة ساعات عن بريدة شمالاً.

وقعة القرعا

كان أهل القصيم يتجنبون الاشتباك مع ابن رشيد انتظارًا لوصول الإمام عبد الرحمن، لأنه بلغهم خروجه من الرياض، ولكنه تأخر في مسيره ينتظر بقية غزواته من الحضر والبادية، ولما نزل ابن رشيد في هذا

المنزل لم يسعهم التأخر عنه، رحلوا من منزلهم ونزلوا الشقة، وهي قرية تبعد عن بريدة ساعتين ونصف، ثم رحلوا ونزلوا بالقرب من منزل ابن رشيد، فبدأت المناوشات في ثالث من شهر جمادى الثاني، ولم يقع حوادث ذات بال، يريدون اكتساب الوقت، ففطن ابن رشيد لمقصدهم، فمشى عليهم وحصل قتال كان الفوز فيه لأهل القصيم، لأن الخيل لم تشترك في هذا القتال، لأن الميدان غير صالح لها، وهي الركن الأقوى الذي يتفوق منه ابن رشيد على خصومه فلما أقبل الليل تحاجان فجمع ابن رشيد كبار قومه ورؤساء البوادي واستشارهم فأشاروا عليه ينسحب إلى محل فسيح يكون فيه ميدان صالح للخيل فلما أصبح رحل من موضعه ونزل طرف أغضمي من الشمال تتبعه أهل القصيم ونزلوا قبالته من الجنوب فأقاموا نحو ثمانية أيام لم يجر بينهم إلاَّ مناوشات خفيفة، وقد مضى على نزول ابن رشيد نحو أربعين يومًا وهم يتجنبون الاشتباك معه رجاء أن يصل الإمام عبد الرحمن أو يصل منه نجدة ولكن الإمام عبد الرحمن أخذ مسيره من الرياض إلى الزلفى نحو شبر، وفي اليوم الثاني عشر من جمادى الثاني رحل ابن رشيد من أغضمي ونزله بالطرف الثاني من المليدا، فظن أهل القصيم أنه سيرجع إلى بلاده، وأرادوا أن يمنعوه حتى يخرجوه من حدود القصيم، أما أهل الرأي فقالوا أرسلوا وراءه من يكشف خبره إن كان هو قصد الشمال فقد كفاكم الله شره وإن كان هذه خدعة منه يريده يستجذبكم بها فالتريث في الأمر أوفق، والمطاولة في صالحنا أكثر مما هي بصالحه، فقام نفر يندِدون بهذا الرأي ويصفون قائليه بالجبن، وساعدهم الكثير من الناس فتم لهم ما أرادوا وساروا خلف ابن رشيد.

وقعة المليدا

فما ساروا إلاّ قليلاً حتى وجدوه نازلاً أمامهم بالطرف الشمالي من المليدا فنزلوا قباله من الجنوب يوم السبت الثالث عشر من جمادى الثاني، وكان قد استعد للحرب فلم يمهلهم حتى مشى عليهم، والتحم القتال بين الفريقين من الصبح إلى بعد الظهر وكل منهم يتقدم نحو المليدا حتى التحم الفريقان، وصار القتال بالسلاح الأبيض يد بيد، فقتل زاملاً وابنه عليّا والمعركة حامية الوطيس، فجاء رجل وأخبر حسن بأن زاملاً وابنه قتلا فما كان منه إلاّ أن ركب خيله وجيشه هو رخدمه وطوارفه وانهزموا ناجين بأنفسهم تاركين جماعتهم أهل بريدة، وأهل القصيم، وأهل عنيزة في الميدان يقاتلون ولم يشعروا بهزيمة حسن واستمروا في قتالهم إلاّ وخيل ابن رشيد قد طوقهم من خلفهم، ذلك لأن ابن رشيد بلغه هزيمة حسن فأمر أهل الخيل أن يقطعوا عليهم الرجعة.

١٣٠٨هـ

وقعة المليدا

رجعوا فكانت الهزيمة العامة في آخر نيارهم، فأشحن فيهم ابن رشيد القتل، فقد تتبعت الخيل فلول المنهزمين وقتلوا منهم كثير بعد أن ألقوا سلاحهم، ولولا أن الليل حال دونهم لاستأصلوهم، وكان مجموع القتلى كبير جدًا ولم يجر على أهل القصيم أعظم منها ولا أشد وقعًا، وخصوصًا أهل عنيزة لا لكثرة القتلى ولكن لأن الذين خرجوا كلهم من البيوت الكبيرة المشهورة يقال بحق أنه لم يبق في عنيزة بيت لم تدخله المصيبة إلاّ حمولة، آل البسام فلم يشهدها منهم أحد لأنهم أشاروا عليه

بعدم مساعدة ابن مهنا كما قدمنا، فلما لم يقبل منهم اعتزلوا هم أنفسهم ولم يخرج منهم أحد.

ابن رشيد عملهم وشكر لهم صنيعهم وشورهم على زامل وقد كان بينه وبينهم صلات وروابط قبلها لأمور ولكنها مصالح تطورت بعد ذلك حتى استحكمت، وتعدت المصالح المادية وتناولت الأمور السياسية.

استولى ابن رشيد على مخيم أهل القصيم بما فيه وأقام بموضعه نحو أربعين يومًا يستجلي الوقت لا يستقبل الوفود لأنه خشي أن ابن مهنا يتحصن في القصر ويقاوم فيه، ولكن ابن مهنا عندما وصل بريدة لم ير من أهل البلاد حاشية وقيل له: الأوفق أن تلتحق بالإمام عبد الرحمن، وكان الإمام عبد الرحمن يومئذٍ بالزلفى قادم لنجدة أهل القصيم، فلما بلغه الوقعة رجع إلى الرياض والتحق به إبراهيم بن مهنا، أما عن ابن مهنا فقاد مركب خيله وجيشه وقصد عنيزة، رجاء أن يشفع فيه آل البسام، وهكذا إذا أراد الله تنفيذ أمره سلب ذوي العقول عقولهم، ولو أراد الله له السلامة في طريقها، نعم نزل عنيزة على هذا الأمل الخاطىء، وذهب عن باله أن آل البسام مهما سمى مقامهم عند ابن رشيد لا يمكن أن يجيب طلبهم ويصفح لهم عن رجل قد جنّد عليه الجنود وساق إليه الجيوش، وأخذ ينازعه الملك إن هذا بعيد عن المعقول بلغ ابن رشيد أن ابن مهنا نزل عنيزة، ثم رحل ابن رشيد ونزل الرفيعة بالقرب من بريدة يستقبل الوفود ويتلافي حالة البلاد، فتوافد إليه رؤساء البلدان ووفد عليه عبد الله العبد الرحمن البسام وبعض أعيان الحمولة، ووفد إليه أولاد يحيى الصالح عبد الله، وصالح، ومحمد، وعبد الرحمن، وحمد، وكانوا ممن تخلف عن الحرب فأكرمهم ابن رشيد وأقبل أهل الثرى ولم يعاقب أو يعاتب

منهم أحدًا، ثم جهز سرية مع سالم السبهان وأرسلهم إلى عنيزة للقبض على ابن مهنا وأولاده فقبضوا عليهم وجاؤوا به إلى ابن رشيد، فأخذ ما معهم من الخيل والجيش والسلاح، وسيرهم إلى حايل فحبسهم فيها. وتتبع ما كان لآل مهنا وخدمهم وطوارفهم فأخذه، وسبى ونكل من وجد منهم، ولم يعاتب غيرهم، وأقام مدة يرتب أمور البلدان وجعل حسين ابن جراد أميرًا في بريدة، ونزل قصر مبنا، وجعل عبد الله الحيى الصالح أميرًا في عنيزة، وعزل الشيخ صالح القرناس عن منصب القضاء في عنيزة وعين بدله الشيخ عبد الله بن عايض، فلما رتب الأمور رجع إلى بلاده في أواخر شهر رجب.

حوادث سنة ١٣٠٩هـ

لما تم لابن رشيد الاستيلاء على القصيم، لم يبق في نجد له معارض إلاَّ الإمام عبد الرحمن الفيصل في الرياض، وليس له من القوة ما يستطيع بها مجابهة ابن رشيد، أما ابن رشيد فقد اعتزم تصفية الحساب مع الإمام عبد الرحمن ليتم له الأمر فخرج من بلاده في شهر ربيع ومعه قوات كبيرة، وانضم إليه أهل القصيم، والوشم وسدير، وسار قاصدًا الإمام عبد الرحمن.

وقعة حريملاء

بلغ الإمام عبد الرحمن إقبال ابن رشيد لحربه فخرج من الرياض ومعه أهلها وغزه وأطراف الرياض التابعة له وبعض البادية فالتقى بابن رشيد في سبل حريملاء القرية المعروفة بالشعيب، فوقع القتال بينهم، فكان النصر بجانب ابن رشيد ورجع الإمام عبد الرحمن إلى الرياض، فلم

يتبعه ابن رشيد بل رجع إلى بلاده حيث ترك الإمام عبد الرحمن بشأنه، لعلمه أن لا يثبت فيها فترك له الفرصة وعلم الإمام عبد الرحمن أنه لم يبقى أية فائدة للمقاومة لأن ابن رشيد تغلب على جميع نجد.

حوادث سنة ١٣٠٩هـ

فخرج من الرياض ومعه عائلته وقصد الأحسا وكان متصرفها يومئذٍ عاكف باشا، فلما وصل بالقرب منها يقول الريحاني، أن المتصرف أرسل له وفدًا اجتمع به في عين نجم المعروفة غربي المبرز للمفاوضة، فعرض عليه ولاية الرياض يحكمها باسم الدولة على خراج جزئي يؤديه للحكومة على شرط أن يعترف بسيادتها، فرفض ذلك محتجًا بتغلب العشائر وخياناتهم، وأن لا يستطيع أن يثق بها أو يركن إليها — والحقيقة أن الإمام عبد الرحمن يعرف أن الحكومة لا تملك هذا الأمر ولا تستطيع تأييده إذا فرضنا أنَّ ابن رشيد يوافق على ذلك. فلم يسع الإمام إلاَّ الرفض مؤملاً بالله وواثقًا من عنايته. رحل من الأحسا قاصدًا الكويت كان أميرها يومئذٍ محمد الصباح، فمنعه من الدخول إلى الكويت، فعاد إلى البادية وأقام مع العجمان بضعة أشهر ثم رحل عنهم وقصد الشيخ قاسم بن ثاني في قطر وأقام نحو شهرين، وكانت الحكومة التركية مهتمة بأمره وراغبة في الاتفاق معه لتأمن حركاته، فأوعزت إلى متصرف الأحسا أن يتفق معه، فأرسل إليه المتصرف فلبى الدعوة، وتم الاتفاق على أن يقيم وعائلته في الكويت على أن تدفع له ستين ليرة راتبًا شهريًا، فسار إلى الكويت واستوطنها، ولم يعترض ابن صباح على ذلك فأقام فيها إلى أن رد الله لهم ملكهم كما يأتي بيانه.

أمراء القصيم

أما آل مهنا الذي لم يقبض عليهم، فهم: عبد الله بن مهنا وأولاد محمد وإبراهيم فقد وصلوا الكويت وأقاموا فيها، وأما إبراهيم فقد هرب بعد وقعة المليدا إلى الإمام عبد الرحمن وحضر معه وقعة حريملاء، وقبض عليه ابن رشيد وقتله صبرًا وأما آل سليم أمراء عنيزة فلم يعترضهم ابن رشيد فبقوا في عنيزة أحرارًا في أنفسهم، ولكن عبد العزيز العبد الله وصالح الزامل ذهبا إلى الكويت من أنفسهما ورغبا الإقامة هناك، وأقام بقيتهم في عنيزة على أملاكهم وبيوتهم وعائلاتهم.

حوادث سنة ١٣١٠هـ

وفي هذه السنة توفي عبد العزيز الزامل السليم في مكة بعد قضاء حجه، وكان رحمه الله على جانب من التقوى، وله إطلاع على الحديث والفقه.

حوادث سنة ١٣١١هـ

في هذه السنة، توفي محمد بن الإمام فيصل في الرياض.

حوادث سنة ١٣١٢هـ

الكلام أن ابن رشيد لم يعارض آل سليم ولم يمنع أحدًا منهم الإقامة في عنيزة، وجعل لهم مطلق الحرية في الذهاب والإياب حيث يريدون. وذكرنا أن عبد العزيز العبد الله، وصالح وحمد الزامل رغبوا الإقامة، في الكويت وأقاموا، ولكن عبد العزيز سئم الإقامة واشتاق إلى زيارة العائلة، فصمم على ذلك وركب من الكويت وقصد ابن رشيد ليستأذن، ولم يخبر

بذلك. فوصل حايل وأكرمه ابن رشيد ورحب به، فأقام أربعة أيام ثم جاءه رجل سرًا ونصحه أن ينجو بنفسه قبل أن يقبض عليه، فدبر أمره سرًا وهرب ليلاً، وسافر مجدًا حتى وصل الكويت بعد خمسة أيام، فكتب الله له النجاة بعد أن ألقى بنفسه إلى التهلكة، وكانت خواطر آل سليم وجماعته عليه حينما عملوا بمسيرة، ولما رجع لاموه وفندوا رأيه وحمدوا الله على رجوعه سالمًا، فأخبرهم بالأمر الذي كانوا منتظرين وقوعه لولا لطف الله.

حوادث سنة ١٣١٣هـ

في ليلة ٢٥ ذي القعدة من هذه السنة قتل مبارك الصباح أخويه محمدًا وجراحًا لخلاف قديم وقع بينهم، وقيل أن من أسباب الخلاف وتطوراته يجب أن نذكر مقدمات الأمور لنصلها بنتيجتها، ليكون المطلع على إلمام بالمسألة، أوليا فنقول: لما توفي صباح بن جابر سنة ١٢٨٣هـ كان له أربعة أولاد، وهم: عبد الله، ومحمد، ومبارك، وجرّاح.

١٣١٣هـ

الخلاف بين مبارك الصبّاح وإخوته، وقتله إياهم

تولى الإمارة ابنه الأكبر عبد الله بن صباح، وكان أخيه مبارك نزاعًا، إلى الشهرة وميالاً إلى عيشة البداوة، فولاه أخوه الدفاع، فنزع إلى الغزوات، وتولى قيادة الجيش، فكان يمضي أكثر أوقاته في البر بحكم وظيفته، وكانت هذه المهمة دائمًا في حاجة إلى المال وكان بطبعه سخيًا، فما كان أخيه عبد الله يضن عليه بما يقوم بحاجاته، فاستمرا طيلة أيام عبد الله، فلما توفي عبد الله سنة ١٣٠٩هـ، تولى بعده أخيه محمد لأنه هو الذي يليه بالسن، وكان محمد السليم طيب القلب ولكنه ضعيف الإرادة

يميل إلى الهدوء والسكون، غير مبال إلى الشهرة. فأخذ جراح يتقرب من ابن أخيه محمد حتى تمتع بثقته وشاركه في حكمه مشاركة فعلية لا رسمية فأصبح جراح صاحب النفوذ الأكبر على محمد فأخذ ينعي على مبارك آراءه وأعماله، يساعده على ذلك الشيخ يوسف بن عبد الله بن إبراهيم، الذي هو محرق محمد وموضعُ ثقته فأخذ بضع سنين حتى ضاق ذرعًا. فأخذ يناقشهما الحساب على ما يستحق من ربع الأملاك الذي استولوا عليهما وطلب منهما حساب ما دخل عليهما، وإليك تفصيل هذا الخلاف منقول عن تاريخ الكويت:

أسباب الخلف بين مبارك وأخويه

قال مؤرخ الكويت نقلاً عن السيد خلف باشا النقيب:

قال السيد المذكور مما وقف عليه بنفسه واطلع عليه دون كثير من أقرانه:

قال: طلب مبارك من أخويه الاعتراف له بقسطه من الأملاك فامتنعا من إجابته ولم يصغيا لطلبه، حتى كاد الأمر يمضي إلى غير محمود، لولا أن سالمًا آل بدر وثلة من أشراف البلد توصلوا إلى إقناع الأخوين بالنزول إلى حكم مبارك، وأن يكتبا ثلاث أوراق إحداهما: يحصى فيها لامة الحرب من أسلحة وذخيرة ويبقى ذخرًا للجميع، واثنتان فيهما الاعتراف له بما أراد، وتبقى إحداهما عنده والثانية بأيديهما. توصلوا إلى ذلك وكتب الأوراق كلها يوسف بن إبراهيم طائعًا مختارًا، وبهذه رجعت المياه إلى مجاريها، وصفا وجه الإخاء.

تدخل يوسف وتعكيره صفوة الإخاء

احتاج مبارك بعد هذا إلى شيء من المال (والحاجة أم البلاء) فما وجد من أخويه، إلاّ إعراضًا وصدودًا وهناك تساقطت شرفات السلم، وهدّ جانب الولاء، وثارت الزوبعة بعد سكونها، فتدخل وجهاء البلد وتشفعوا إلى محمد بإرضاء أخيه وإعطاء ما يريد قطعًا للنزاع، فما خيب لهم برجاء، وأمر في الحال فهد الخالد الخضير بقضاء ديونه التي بلغت ستة آلاف ريال وستين ريالاً أوشكت الأمور أن تنتهي بسلام لولا الدور الذي مثله الشيخ يوسف بن إبراهيم عفى الله عنه، فما أحكم عقدة البغضاء، وشيد أركان العداء، فإنه منع فهد الخالد من إعطاء مبارك شيئًا وأردفه بإرسال عبد العزيز السميط إلى مبارك بطلب منه تسليم الورقة التي بقيت بعيدة، فامتنع مبارك من تسليمها لأنه حسّ بالمكيدة من يوسف. وكان الأمر ظن فقد صارح يوسف السيد خلف بقوله غرضنا من الإرسال عليها إنما هو لأجل تمزيقها لئلا تكون له حجة علينا. بلغ مبارك كل ما بدى من مراوغة يوسف فتميز غيظًا وطفق يسبّه سبًّا شنيعًا. عقد الأمور يوسف وتركها وسار إلى البر يطلب الصيد وترويح النفس فرجع مبارك إلى أعيان البلاد يرجوهم أن ينصحوا أخيه محمد لعله يرعوي ولا يتمادى في الإساءة. فأجابوا رجاء، ولا كنهم يعملون أن لا حل للإشكال بدون حضور يوسف إبراهيم، فكتبوا له كتابًا يستقدمونه لعلم يشاركهم في حل الإشكال، وانتدبوا لتبليغه الأمر وإيصال الكتاب إليه السيد خلف باشا النقيب، وفهد الخالد، وعبد العزيز الفارس وعبد العزيز الصميط، وكان يوسف إذ ذاك قد نزل الرقعي، فذهبوا إليه وعرضوا عليه مهمتهم وما يراد منه، فامتنع عن إجابتهم.

السعي لحسم الخلاف بين مبارك الصباح وأخويه

ولكن النقيب قال له: إذا لم تجب فإن أحد الأخوين لا بد أن يقتل أخاه. قال: لماذا؟ قال: لأن محمدًا بعد أن دعا مباركًا من البر، خشي أخوه مبارك أن يكون وراء هذا الاستدعاء شرًّا فاستعد هو وخدامه بالسلاح اتقاء للحوادث الطارئة أثر ذلك في يوسف، فقال: سأذهب أولاً إلى الصبية، ثم أذهب إلى الكويت، فوصل الكويت بعد ثمانية أيام، وما خفف مع هذا ويلاً ولا حل إشكالاً، بل زاد الطين بلة، وعلم مبارك أن ليس في استطاعة يوسف أن يكون واسطة في حل النزاع، فانتدب السيد خلف، وعبد العزيز الزين، وفهد الخالد الدويرج إلى أخيه يرجونه تصفية الحساب الذي بينهما فلبوا طلبه وساروا إلى أخيه في داره، فأمرهم أن يذهبوا إلى يوسف بن إبراهيم في بيته وهناك يكون الملتقى. ذهبوا إلى يوسف كما أمر محمد فرفض مقابلتهم رفضًا باتًا، وأمر أن يرجعوا من حيث أتوا. جرى هذا وهو لا يعلم بما جاءوا إليه، ولا ماذا يريدون منه، فاقتضى رأي أحدهم أن يذهب إليه وحده ويبين له الباعث لمجيئهم، فقابله وأخبره أنهم إنما جاؤا بأمر محمد. فأسف على ما بدر ودعاهم إلى الحضور، فما كادوا يستقرون في مقاعدهم حتى أقبل محمد، فسألهم عن غرض مبارك من أرسالهم، فقالوا: إنه يريد أن نقدم له حسابًا إلى السيد خلف ليقدمه إلى مباركِ. ولما قرأ على مبارك قال إن بلع الأمواس أهون من بلع هذا الحساب، فقال له السيد خلف: إن كنت تريد خلع الشقاق فابلعه فقال حنا ما قلت وها أنا بلعته والذي يظهر لنا إن هذا قول من المجلس، لأن مباركًا أخيرًا طلب حسابًا آخر من أخيه مصحوبًا (بيمن بالله

أنه من الصادقين) فيما قدم، فأجابه ولكنه قدم إليه نفسه. عرض النقيب على الأخوين الاجتماع في بيته لعلهما يتفاهمان وأخذ منهما العهد أن لا يجابه أحدهما الآخر بما يكره، فأجاباه إلى ما طلب وحضرا في الوقت المعين ففاتح مبارك أخاه وعتب عليه بعض أمور حصن واعتقرها ثم قال إني لا أريد أن أكلفك شططًا فأنا أطلب إشرافي على الحساب الحقيقي لأعرف مالي وما علي، ولك علي قبول ذلك إذا كان بيمين بالله أنك لم تزد فيه ولم تنقص منه. رضي محمد بهذا الاقتراح وأظهر الارتياح له ولكن مضت عدة أيام وهو يعد ويخلف والسيد النقيب يتردد بين الاثنين، وأخيرًا قال له محمد: أنا لا أجيب مباركًا إلى طلبه، إلاَّ بعد أن آخذ منه صكًا في قبول ما أقدمه له مهما كان، فحاول النقيب إقناعه بأن مثل هذا الطلب بعيد عن المعقول، فأصر على رأيه: فذهب النقيب مصممًا على عدم الدخول في شيء من أمورهم وأبلغ مباركًا بكل ما جرى. فاضطرمت النار في قلبه، وكاد يقضي على أخويه في تلك الساعة ولكنه تجلد إلى اليوم الموعود، ثم بعد هذا صادف أن مباركًا صادف أخاه محمد في الطريق فدنى منه وسلم عليه وأخذ يلاطفه في الحديث ويستعطفه في إنجاز ما وعد، فلم يجد منه إلاَّ إباءً وامتناعًا في نزوله على حكم، وما زال وإياه في هذا الجدال الطريف حتى وصل البيت ورجع عنه. ثم أعقب هذا أن أخاه جرَّاحًا دخل سوق اللحم فصاح بين أهله بقوله إياكم أن تعطوا مباركًا شيئًا، فقد تبين أنه من المفلسين وأن عليه ديونًا عظيمة، وكان مبارك إذا احتاج إلى لحم أخذ منهم على ذمة أخويه إلى هنا انتهت رواية مؤرخ الكويت عن أسباب الخلاف، ثم أخذ يشرح تفصيل بقية القتل مما لا نرى حاجة إلى شرحه.

قال مؤلف هذا الكتاب

وصلت الكويت مع خالي مقبل العبد الرحمن الذكير من عنيزة في ٢٥ ربيع الثاني من هذه السنة، وعمري إذ ذاك بالرابعة عشر، أبقاني خالي في بيت الشيخ يوسف بن إبراهيم لتعلم الكتابة، فأفرد والي حجرة خاصة في المجلس، وجرت هذه الحوادث كلها وأنا في البيت المذكور، وكنت في معية أولادهم عبد الرحمن بن عبد العزيز وعلي بن إبراهيم، وكان يومئذٍ في الكويت، ومصطفى بن الشيخ يوسف وكنا متقارس في السن فصحبناهم في القنص، والتحقنا بمخيم الشيخ يوسف وأقمنا نحو شهر إلى أن جاءه الذي ذكره مؤرخ الكويت يطلبون حضوره للصلح بين مبارك وأخويه. وعندما رجع لهذه الغاية رجعنا معه إلى الكويت.

حوادث سنة ١٣١٣هـ

أذكر أننا بعد وصولنا وجدنا الشيخ محمد الصباح ووجهاء الكويت ينتظرون قدوم الشيخ يوسف على الرصيف، أنني لصغر سني لم أقف على مجرى الحوادث ولم أفهم أن هناك خلافًا، وقد وقع القتل وأنا في البيت المذكور، ولما كان عيد الأضحى وقد مضى ما يقرب من نصف الليل ما راعنا إلاَّ الخدم يوقظون من في المجلس من الضيوف، وكنت وفهد العبد الله المحمد الخنيني من جملتهم فطلبوا أن نساعدهم في نقل ما يريدون شحنه في السفينة التي في الحوض المقابل، فلما كمل الشحن ركب مشاري بن أحمد بن إبراهيم ومعه السحرم وساروا بساعتهم وسار معهم حمد الخنيني إلى الدوة وبقيت في البيت مع من بقي، وبعد أيام توجهت إلى البحرين.

رجوعًا إلى سياق الحوادث

الشيخ يوسف بن إبراهيم قد كان في الصبية وقت وقوع الحادثة، وقد كان له فيها قصرًا على ساحل البحر يقيم فيه بعض الأوقات لترويح النفس لأنه يحب العزلة وقلما يستقيم في الكويت، فلما وقعت الحادثة هرب سعود بن محمد الصباح فورًا عند يوسف في الصبية ولم يتمكن الباقون من الهرب فبقوا عند عمهم الذي أخذ يلاطفهم ليخفف عنهم ألم المصاب وهيهات.

صبيحة ليلة المحادثة بعد أن واروا جثتي القتيلين، استدعى مبارك وجهاء البلد وأشرافها فقال لهم: قد قضي الأمر لما قضاه الله ــ والآن فما هو رأيكم وماذا أنتم عازمون عليه ــ قال هذا وهو على خوف من عدم تأييدهم ــ ولكن لا بد لهم من مبايعته، فبايعوه فاطمأن بالهم من هذه الجهة ــ فبقي عليه أن يسعى ليأمن عدوه الألد الشيخ يوسف إبراهيم، أن يفاوضه ويلاطفه ويستدعيه للقدوم مقدمًا التأكيدات اللازمة بأنه آمن على نفسه وماله، وأرسل إليه رسولاً، ثم أرسل وفدًا من جماعة أهل الكويت ظاهر أمرهم يسترضون يوسفًا وباطن أمرهم يستكشفون حالته ومعرفته ومن نظره ونواياه وصل الوفد وعرضوا على يوسف الرجوع إلى الكويت، وقدموا له ما أصحبهم مبارك من التأمينات، أجابهم وأظهر لهم القبول وأوعدهم أنه سيرجع بعد أن يقضي شؤون فرجعوا. وبعد يومين شحن ما عنده في السفن بعد الدورة وأقام فيها ولكنه حافظ على السكون ولم يبدر منه شيء، ذلك لأن أولاد محمدًا وجراحًا لم يزالوا عنده في البيت. وبهذا الأثناء طلب مبارك من أولاد أخويه أن يكتبوا له وكالة عامة بصفته عمهم والمحافظ على حقوقهم، ليتسلح عند يوسف بن إبراهيم فتوقفوا، ولم يشأ

مبارك إجبارهم ظاهرًا وأجل الأمر إلى فرصة أخرى. ويقول يوسف في بعض أن جابرًا تهددهم بالقتل إذا لم يمضوا الوكالة. وبعد أيام رجع إليهم مبارك لهذه الغاية فوجد خواطرهم منقبضة وكان حريصًا على تسليتهم فلم يفاتحهم بشيء. ثم بعد ذلك طلب صباح من عمه الرخصة لترويح النفس بأحد الأماكن، رخص له وحده ومنح إخوانه، فأعاد الالتماس بالسماح لهم جميعًا فأجابهم وأرسل معهم رجالاً من حاشيته لمراقبتهم للمحافظة عليهم، فذهبوا إلى الموضع الذي اختاروه. وبعد يومين من وصولهم استغفلوا الحراس وهربوا ليلاً ماشين على أرجلهم حتى وصلوا المعامر، فقام منهم صاحبها وأوصلهم إلى الدور حيث مقر الشيخ يوسف بن إبراهيم.

ابتداء النضال بين مبارك ويوسف

أخذهم الشيخ يوسف وذهب بهم إلى البصرة، وأحضرهم عند الوالي حمدي باشا وقرروا حقيقة الواقع، وكان الوالي المذكور [...] عن مبارك، وقدم أولاد محمد وجراح دعواهم على عمهم عند الوالي حمدي باشا، وطلبوا أنصافهم منه، فأصغى إلى دعواهم وعطف عليهم ولجأوا أيضًا إلى قنصل الإنكليز في البصرة فنصرهم وسعى في سبيلهم، وكادت تنجح مسألتهم إذ أمرت الدولة حمدي باشا والي البصرة بسوق العسكر إلى الكويت وإخراج مبارك منها، ولكن مباركًا لم يكن غافلاً فقد رفع دعواه لباشا بغداد المشير رجب باشا السريحي، فساعده وكتب إلى الدولة يقول إن هذه الحادثة من الحوادث العادية التي ما زال يقع الكثير مثلها وخير للحكومة أن لا تتدخل في القضية، فإن تدخلها قد يهدم

آمالها في الكويت، فعدلت الحكومة عن اتخاذ الشدة، وأمرت من المحكمة أن تفاوض مباركًا، فأمرت حمدي باشا والي البصرة أن ينتدب من يعتمد عليه لمفاوضة مبارك فانتدب الوالي، ابن مشري أحد أعيان البصرة ففاوض مباركًا، ورجع يبلغ الحكومة نتيجة مفاوضته، ولعلها اقتنعت بنتيجة هذه المفاوضة فركنت إلى السكون.

حوادث سنة ١٣١٤هـ

مبارك يرمي يوسف بقتل أخويه

استكتب مبارك مضبطة يرمي بها يوسفًا بقتل أخويه وأجبر أهل الكويت على إمضائها، فأمضوا فيها ولم يمتنع منهم إلاَّ بضعة أشخاص، وقدمها إلى حكومة البصرة وبما أن حمدي باشا صديق ليوسف فقد تمكن يوسف من أخذ صورتها.

محاولة مبارك إرضاء يوسف لاستكفاء شرّه

كان مبارك في مبتدإ أمره ولما يتأيد مركزه لأن قضية قتله أخويه أوجدت له خصومًا كثيرين، كراهة لعمله وعطفًا على أبناء أخويه المظلومين، حتى إن أهل الكويت أنفسهم كانوا يميلون إلى الأولاد ويتمنون نجاح قضيتهم بأول الأمر. وكان مبارك يعلم أن أنصار أولاد أخويه والذين يعطفون عليهم كثيرين، ولكن الذي يهم مباركًا من هؤلاء كلهم واحد فقط ذلك هو يوسف بن إبراهيم الخصم الألد، وصاحب الثروة العظيمة التي أوقفها لهدم كيان مبارك، فلهذا أخذ يعمل على استرضاءه فأرسل جماعة من أهل الكويت يرأسهم حمود الصباح إلى الدورة حيث يقيم الشيخ يوسف، واجتمعوا به وحسنوا له الرجوع إلى

الكويت فلم يجدوا منه ميلاً إلى ذلك وألح عليه حمود وبالغ في ترغيبه، فما كان منه إلاَّ أن أخرج له صورة المضبطة التي قدمها مبارك بإلقاء تبعة القتل عليه، وقال: كيف تطلب مني الرجوع والثقة على نفسي منكم، وهذا عملكم معي تشهدون علي بأني أنا القاتل، فهل بلغت بي البلاهة إلى هذا الحد الذي تريدون أن ألقي بنفسي بين أيديكم، فما كان من حمود إلاَّ أن أنكر علمه بهذه المضبطة، وقال: قد يكون مبارك هو المزور لها على ألسنتنا، قال يوسف: وها أنتم تدعوني إلى الرجوع إليه وهذا عمله، فهل تظن أن من أقدم على سفك دم أخويه يتورع عني، فهذا أمر لا سبيل إلى الكلام فيه فرجع الوفد.

محاولات أخرى

ولما لم يفد مساعي مبارك مع يوسف أرسل يوسف الخميس إلى بومبي لمقابلة الشيخ محمد والشيخ عبد العزيز آل إبراهيم أصحاب البيت المشهور في بومبي يرجوهم أن يكفّوا يوسف عن العمل ضده. ولم يلقَ نجاحًا، فأرسل أخيرًا إليهم عبد العزيز الصميط لهذه الغاية فأجابوه كما أجابوا الأول: بأن يوسفًا حرًّا في تصرفاته، وليس باستطاعتنا منعه، ففشلت أعمال مبارك من هذه الناحية، فركن إلى السكون وقد اطمأن باله من جهة الحكومة التركية في العراق.

يوسف بن إبراهيم يحاول العمل

لم يكن فشله بالعراق بالذي يفت عضده عن العمل، ولكنه تظاهر بالسكون ليخدع خصمه، وأخذ يعمل سرًّا، وجعل التكتّم سياجًا لأمره، وكان من أقدر خلق الله على التكتم، فكان الغموض يحيط به وبأعماله من

جميع النواحي، فلا يعلم حتى أخص أقرباءه وأصدقاءه بشيء مما يعمل. فسافر وأشاع أنه يقصد الهند لترويح النفس ومنها إلى أوروبا، ومن أغرب الأمور أن تأتي البرقيات من الهند مخبرة عن وصوله إليها وسفره إلى أوروبا، بينما هو قد نزل بلاد العجم وذهب إلى هنديان العثور وألف جيشًا مسلحًا.

هجوم يوسف على الكويت

شحن أربعة عشر سفينة من الجنود المسلحين وسار بهم يقودهم بنفسه إلى الكويت، خرج بأسطوله البحري دون أن يعلم عنه أحد من أصدقائه ولا أعدائه إنه عمل غريب يشبه ما في الروايات الخيالية، ولكنها حقيقة واقعة لا ريب في صحتها، كاد يفوز في عمله لولا غلطة بدرت منه هدمت آماله وأحبطت مساعيه من أساسها.

١٣١٥هـ

حملة يوسف بن إبراهيم على الكويت

فقد كان آمنًا مطمئنًا حينما فشلت مساعي خصمه في العراق، بل وثق أن خصمه غادر هذه القارة إلى قارة أخرى يندب حظه، فلم يرعه إلاَّ وعلي أبو كحيل النذير قد جاء ينبهه من غفلته، ويخبره أن عدوه الألد على بضعة أميال يقود أسطولاً بحريًا أعده للهجوم عليه. وهذه الغلطة من يوسف هي التي أحبطت مساعيه، ذلك لأن يوسفًا عندما طاح بأسطوله من الشط صادف علي أبو كحيل شاحن حبوه إلى البحرين فأسروه ولكن تشفع فيهم أن يطلقوا سراحه، ذهب إلى البحرين فأطلقوا سراحه بعد أن عاهدهم على أن لا يرد عنهم منبرًا، فما كاد يختفي عن أنظارهم حتى سبقهم إلى الكويت وبلغ خبرهم، ذهب مبارك مذعورًا فأمر بالنفير العام،

فخرج أهل البلد وتجمهروا بالساحل الشرقي الجنوبي من بلد الكويت يستعدون لاستقبال هذا الأسطول الذي شرفهم بزيارته لأول مرة، ولم يمضِ مدة طويلة حتى بدت طلائع السفن بانت النواظير تعمل عملها بيد قواد الأسطول يستطلعون حالة البلاد، فلما رأوا تجمهر الأهالي على الساحل علموا أن الخبر سبق أهل البلد فعادوا من حيث أتوا، وكان طراد إنكليزي يراقب سيرهم ليستفيد من الحادثة حينما تدعوا الحاجة، فلما رجع الأسطول رجع الطرّاد لرجوعهم، وكان ذلك في منتصف شهر محرم ١٣١٥هـ، وفي اليوم نفسه جاء مركب عثماني قادمًا من الفاو والقطيف فظنه الطراد الإنكليزي الذي كان يراقب الأسطول ظن أنه آتٍ في مهمة سياسية، فتبعه متظاهرًا احتجاج على مبارك في إخراجه السفن إلى البحر، فأراد قائد الطراد النزول في البر فمنعه مأمور الحجر الصحي من قبل حكومة الترك للنزول إلاّ بعد تطهيرهم بالحجر الصحي نحو خمسة عشر يومًا، فخضع للقانون واكتفوا بمقابلة محمد أو مندوب عنه فأبلغوه نجاحهم فأجابهم بعدم وجاهة هذا الاحتجاج، وكان عليهم أن يحتجوا على من سير الأسطول في البحر ليغزوا به بلدًا آمنًا ويحتجوا على الحكومة التي خرج الأسطول من موانيها، فانتهى بذلك الأمر ورجع الطراد بعد أن رجع المركب العثماني وتم سرد حوادث الكويت غير مراعين ترتيب السنين لأننا كرهنا تقطيعها.

إلحاق بعض حوادث سنة ١٣١٤هـ

القبض على آل السليم في عنيزة

وهدم بيوتهم وإجلاء عائلاتهم

شهر جمادى الأول من هذه السنة قدم عبد العزيز بن المحمد الذكير

عنيزة من العراق بعد غيبة طويلة، فجاء عبد الله العبد الرحمن البسام قاصدًا السلام عليه، وكان عبد الله مكفوف البصر بصحبة عبد الرحمن الخطيب، وكان طريقه على بيت عبد الله الزامل السليم، فلما حاذى بيته خرج عبد الله وبيده مسدس مزند خراب من الطراز القديم فأخذ يطقطق فيه فلم ينطلق منه شيء لأنه خراب، فلم يحس عبد الله العبد الرحمن بذلك، ولكن الخطيب أخبره أن هذا عبد الله بيده مسدس يحاول قتلك، وكان عبد الله الزامل معروف عند الخاص والعام بأنه مختل الشعور وتغلب عليه السوداء، والذي بعثه إلى هذا العمل زعم أن آل البسام هم الذين قتلوا ولده بجدة، وكان قد توفي هناك فأراد بزعمه أن ينتقم منهم. بلغ الخبر آل السليم الذين هناك فقصدوا عبد الله العبد الرحمن وأبدوا أسفهم على عمل عبد الله، واعتذروا له، وأقسموا الإيمان بأنهم لم يعلموا بذلك قبل وقوعه ولا رضوا به، وقالوا: إن حالة عبد الله الزامل واختلال عقله ثابت عندكم قبل هذه المسألة، فأجابهم عبد الله العبد الرحمن أنه ثابت عندي حالة عبد الله، وأنه خارج عن حدود المؤاخذة، وأعلم يقينًا أن ليس لكم يد في الأمر، ولكن أخشى أن تكون الفوائد أكبر من الحقيقة، وكان الأمير يومئذٍ صالح اليحيى الصالح.
ويقال: إنه قبض على عبد الله الزامل إثر الحادثة وضربه وحبسه، وكتب إلى ابن رشيد بالخبر، فأرسل سرية يرأسها حسين بن جراد فوصل عنيزة، وقبض على أولاد زامل، عبد الله، ومحمد، وعبد الرحمن، وأولاد حمد البراهيم السليم: إبراهيم، وسليمان، وأرسلوهم إلى حايل وحبسوا هناك، وهرب علي السليم، وهو يومئذٍ شيخ كبير يتجاوز عمره ثمانين سنة، خرج على رجليه، وقصد عين ابن فهيد، وتوفي هناك بعد أيام قليلة، وهرب عبد الله العلي السليم وابنه سليمان إلى الكويت.

١٣١٤هـ

القبض على السليم وهدم بيوتهم وصادروا أملاكهم

وهدموا بيوت آل السليم، واستولوا على ما كان لهم من الأملاك و بيدهم من الأوقاف، وأمروا بإجلاء عائلاتهم، آل السليم الذين في الكويت مقبل العيسى مولى عبد الرحمن الذكير آل عنيزة، فوصل عنيزة ودخل خفية وترك جيشه خارج البلد، وأخذ الأولاد الصغار الذين بقوا، وهم إبراهيم الزامل، وأولاد علي الزامل: عبد الله، ومحمد، فوصل الكويت ثم أرسل آل سليم إلى حرمهم فأتوهم واستقرّوا في الكويت، فاجتمع آل السعود وآل السليم وآل مهنا كلهم في الكويت، وهم الذين نجوا من الأسر.

حوادث سنة ١٣١٥هـ

بعدما فشل يوسف بن إبراهيم في حملته على الكويت عقد أمله في مساعدة محمد بن رشيد وقاسم بن ثاني أمير قطر فكاتب الأول واستغاث به واستنجده فوعده خيرًا وأرضاه بكلام ظن فيه الإجابة، فاعتمد ذلك وسار من قطر ثم رحل إلى البحرين في شهر صفر من هذه السنة وأقام فيها ثلاثة أيام في بيت مقبل العبد الرحمن الذكير، ثم سار إلى قطر قاصدًا الأمير الشيخ قاسم لما بينهما من الروابط التجارية، ولما يعلم من نقمته على مبارك وكراهته له، فأقام عنده خمسة أيام ثم رجع إلى البحرين وأقام فيها عشرة أيام، ورجع إلى قطر حيث استقبله الشيخ قاسم بالترحيب، وأوعده النصرة والمساعدة، وأخذ يتظاهر بنصرته، وكتب إلى الأمير محمد بن رشيد يستنجده ويحسن له احتلال الكويت. وأشاع قاسم أن

الأمير محمد بن رشيد وعده بالمساعدة وأنه بالوقت الذي يمشي هو من قطر يخرج ابن رشيد من حايل ويكون الاتفاق بالقرب من الكويت، ولكن ظواهر الأمور لا تدل على أن ابن رشيد أوعدهم بشيء لأنه لم يبدو عليه ما يدل على ذلك، ولكن ابن ثاني ربما أراد بذلك استجلاب القبائل التي هو أرسل يستنجدها ومضى في خطته العدائية وهو يعلم أن ابن رشيد لا يمكن أن يسعده ذلك، لأن الحكومة التركية أمرته بعدم التعرض للكويت وأطرافها، لأنها تعلم أن أقل حركة تبدر على صاحب الكويت تفقدها مركزها فيه وهي لا يهمها أن يكون حاكم الكويت مباركًا أو غيره، وإنما يهمها أن يكون صاحب الكويت محافظ على تابعيته لها، لهذا أصدرت أمرًا حازمًا لابن رشيد تحذره من التعرض للكويت وأهله. وكان لابن رشيد من الأسباب ما يمنعه عن ذلك، غير منع الدولة له، ويعلم أن عند ابن صباح حكام نجد الشرعيين وأمراءها الذين شرّدهم من بلادهم واغتصب حقوقهم. فهو إذًا أعلن عداءه لابن صباح فكأنما فتح على نفسه أبواب الفتنة التي قد تُزَعْزِعْ مركزه، وربما تكون سببًا للقضاء عليه، فرأى أن الحكمة تقضي عليه بالسكون، ويرضي يوسف وابن ثاني بأن الحكومة لا ترضى بذلك، علم قاسم بسره: إنه لا يستطيع مهاجمة الكويت بدون مساعدة ابن رشيد من عدة وجوه. أوّلاً: أن بينه وبين الكويت مفازة واسعة يسكنها قبائل قويم يضطر إلى إخضاعهم قبل أن يجتاز بلادهم، وليس لديه القوة الكافية التي تمكّنه من ذلك، وإذا فرضنا المستحيل وجعلنا اجتيازه هذه المفازات بما فيها من القبائل ممكنًا، فماذا يمكن أن يعمل إزاء بلد لا يقل سكانها عن خمسين ألفًا متوفرة لديهم أسباب الحرب، من أطعمة وأسلحة وذخيرة، ولها جيش مسلح مرابط، ويحوطها قبائل مخلصين

لا يقل مقاتليهم عن ألفي مقاتل، ألا يكفي هؤلاء فقط للقضاء عليه وعلى قوته. بلى إن في أقل منها ما يكفي ــ بقطع النظر عما يعترضه من الصعاب، التي أهمها بُعد المسافة بينه وبين بلاده، وعدم المراكز التي يمون منها جنوده، فالأحسا والقطيف مقفولة بوجهه ومتصرّفها من ألدّ أعدائهم، نعم علم قاسم بكل هذا ــ ولكن لا يسعه النكوص عما تظاهر فيه إلا بعذر ظاهر.

السعي في الإصلاح بين الفريقين

كانت بين مقبل بن عبد الرحمن الذكير والشيخ يوسف بن إبراهيم روابط ودية قديمة يرجع عهدها إلى أكثر من خمسة عشر سنة، قبل هذه الحوادث حينما كان يوسف يتعاطى تجارة اللؤلؤ، وكان مركز إقامته أيام صيد اللؤلؤ في البحرين في بيت مقبل الذكير الذي يعتبره هو بيته، ولم تزل هذه الروابط لم يطرأ عليها تغيير حتى فرق بينهما الموت، وكان مقبل يهمه أمر يوسف ويشفق عليه من اندفاعه في أمور الصباح، وكان دائمًا يراجعه في الموضوع، وقد كتب له قبل أن يهاجم الكويت ببضعة أشهر يفاتحه في مسألة موضوع الصلح فجاءه الجواب التالي:

كتاب من الشيخ يوسف بن إبراهيم

مؤرَّخ ٢٥ رمضان سنة ١٣١٤هـ وهو بخط يده

يقول فيه بعد السلام: عرفت أن الأمور طالت من دون فائدة، وأنتم ترون ما منها خلاص، ومرادكم تداركون [الأرب]، يا خي الصلح ما أحد من الأول وهو خير. ولكن الصلح مع من يقنع. هذا فاجر، ولأنا من منه ومن ما يقف على كلامه ولو أعطاه أخلفه. وحقيقة أن هذي مصيبة ابتلينا

بها ونحن ما لنا إلا الصبر. وعمل الذي لنا منه راحة لنا وله. يا خي الصلح نحن من أول ممنونين فيه، ولكن أجزم أنه يصير علينا أكبر وبال، لأنه ولا نمسكه، وأنتم آخر الأمر ما تقدرون تعملون شيء معه. ولكن بقاء الأمور منها ومنه على المحذر أوفق من الله. هذا الذي أرى ورأيكم فيه البركة. ولا تقول إني معاند، حاشا وكلاً، إن عندي هذا حيث تعلم أن الصباح بينهم ينجازون. ولكن الأعمال الذي عملتها أنا مع العيال ما هي خافيتكم. والشبيلي وسليمان الصالح (المصالح) ما هم أقرب بأفعالكم مع مبارك، وولد سالم وابن بشر والسادة الرفاعية كلهم ما عدّيته. كيف يكون عمل هؤلاء ما منه خلاف. وعملي مع العيال الذي رابين عندي وزابنين عندي يكون منه خلاف وهو بطريق حق لجنابك لتعلم عدم ملاحظتي في شيء، غير أني لست أميِّزه من هذا الرجل. وكلامي يلزمني وكلامه لا يلزمه والأمر منه ثم لكم.

❊ ❊ ❊

هذا أول بحث جرى في هذه المسئلة، مما يدل على أن مقبلاً مهتم للسعي في المسئلة من أول الأمر. ولكن وقت الأمر هذه لمحمد، لأن يوسفًا سافر بعد هذا الكتاب بمدة وجيزة سفره المجهول ليسعى في تجهيز حملته التي حاول أن يهجم بها على الكويت. وبعد وصوله البحرين وسفره إلى قطر اهتم مبارك الصباح لأمره وأخذ يستعلم عن حركاته، فكتب إلى مقبل الذكير يستفهم منه عن ذلك، وإليك نص الكتاب:

كتاب من مبارك الصباح

مؤرَّخ ٢٦ صفر سنة ١٣١٥هـ

يقول بعد المقدمة: ثانيًا ــ لا بدَّ بلغكم حركة السفيه الشقي يوسف

إبراهيم، فمن سوء أعمالهم البطالية الفاسدة زين لهم سوء أعمالهم. ولا شك هذي عقوبة أصابتهم الله رايد تلافهم في هالنوع، ونحن وبعد الحمد والمنة هكذا مجنون ما ندير له بال. ولا هو قدّ ولا هو كفو، لكن الجنون يا خي فنون. وبما أن الشقي يوسف المذكور الآن بالبصرة تقيد اسم رئيس الأشقياء والبلشتية ومطلوب حيًا ميتًا، كما أنه أيضًا مطرود من جانب حاكم المحرة وحاكم شط فارس، ولا له ملجأ بتلك الأطراف. والآن يذكر أنه أجنب إلى طرفكم، لأجل أن تعرفونا إن كان أنتم علي صلى به، حيث أن الشقي المذكور أينما توجه لا يأتي بجبر، والشقاوة له قرين، وبمنّ الله قاصد الشر معقور ومخذول.

❊ ❊ ❊

شرحنا هذين الكتابين عن الأصل حرفيًا لم نتصرف فيهما، ومن شعاراتهما يتضح للقارىء رأي كل منهما بالآخر. وبهذا الأثنا وصل كتاب من الشيخ قاسم بن ثاني إلى مقبل الذكير يفيده أن الشيخ يوسف وصل قطر وأنه أنعم له بالمساعدة. فلما وصل هذان الكتابان من مبارك ومن قاسم جعلهما مقبل وسيلة لمفاوضة الطرفين بالصلح، وهذا نص الكتاب الوارد من قاسم حرفيًا عن الأصل.

كتاب قاسم بن ثاني بخط يده

مؤرّخ ٢٢ سفر سنة ١٣١٥هـ

قال بعد المقدمة: الشيخ يوسف وصلنا وحصل الاجتماع معه، وهنا هو سابق معترفين الرخص على الممشا إلى الكويت بر، وجميع العشاير والقبايل أهل البر والبحر مجيبينا على ذلك، وودهم حتى وإن جونا

وعاهدونا، وإذا أراد منه ومشانا ما يبقى أحد إلا ويمشي ممشانا، ونرجو أن الله ينصفنا منه وهو والله فيمن أمثاله الله بجعل تارهم على أيدينا، وحنا إنشاء الله متوكلين على الله، إلا أن يقضي الله فيه قبل حل ممشانا.

* * *

كتب مقبل إلى مبارك جواب كتابه يقول: إن يوسفًا توجه إلى قطر لاستنجاد الشيخ قاسم، والذي يظهر لنا أن المذكور سيسعى من وراء ذلك إلى فتن لا يعلم أحد مصيرها، ويحصل الضرر. والمصلحة لا تعود عليكم، ونحن كثير مكدرتنا هذه الأمور من أول ولا نود اتساعها، فإن كان يقتضي نظركم وتوافقوننا أن نراجع الشيخ قاسم لعلنا ندرك بواسطته تلاقي الأمر على ما يوافق مصلحة الطرفين، فنرجو إشعارنا بما ترون.

وكتب إلى الشيخ قاسم جواب كتابه، يقول فيه: إن الواجب يقتضي عليه إن كان يريد منفعة الشيخ يوسف والقيام بحقه وحفظ حقوق أن يقنعه بفائدة الصلح لا أن يشجعه على خطته التي يعود ضررها عليه أكثر مما هي على خصمه.

وكتب أيضًا إلى الشيخ الجليل عبد الرحمن الفيصل وإلى عبد العزيز الدخيل بن صالح يستعين بهما على السعي لدى مبارك في هذه المسألة.

وكتب إلى الشيخ يوسف بن إبراهيم أيضًا يقنعه بوجوب معالجة الأمور بالمفاوضات. وأخبره: إنه ساعي في هذا السبيل يساعده الشيخ عبد الرحمن الفيصل، ويرجوه الموافقة على ذلك. ولم يقف مسعاه عند هذا الحد، فقد استعان أيضًا بالشيخ محمد بن عبد الوهاب قاضي أمير

دارين، فانضم إليه في مسعاه، وإليك الأجوبة التي وردت إليه من الطرفين:

الجواب الوارد من الشيخ قاسم بن ثاني
مؤرَّخ ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣١٥هـ

من طرف مادة مبارك الصباح وسعواكم بالزين فالنفس ما هي قابلته ولا مترته بالزين بموجب فعله، وسبب ذلك أنه ساقه فعله القبيح كسف وآسف على ما مضى، ومعروف في عيال أخوه وجماعته سبي حلاليهم، وقام يعطيه شياطين من الكبار إلى الصغار، وحن (نحن) مستعينين عليه بالله إنشاء الله، وراجين من الله أن يصرعه ببغيه. وأما من مثل ما قال. أرى الناس مذ كانوا عبيد الغاشم وخصمًا لمغلوب وجند لغالب.

(نحن) مقامنا أوّلاً لله، ثم نبيّه يبلغ عند السلطان وغيره ولا يزيدنا إنشاء الله إلاّ عزًّا وعلوًّا. ومقامنا ما هو بقوة على الدولة بل حمية على هالمظلمة الشنعاء الذي حدثت على منصوبهم والسلام.

الجواب الوارد من الشيخ يوسف إبراهيم بقلم يده
مؤرخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣١٥هـ

خصوصًا مادة ابن صباح أخي عرفناك أننا نحن ما تعرضنا له طريق غير أننا ضفينا هالأولاد ولقّيناهم. وهو عمل معنا خسيس جزا عملنا ضنة عيال أخوه. أخي لو تطلع على مكاتبه وتقابلها بأفعاله وأعماله لكان تقنع، أما قوله إنه ما أبقى من الزين ما عمله فهو كاذب، خطوطه وأوراقه محفوظة عندي، يكتب لي بالخط جواب ويحط بوسطه ورقة فيها جواب. وحالاتهم. بالشكايات من عيال أخوه عليه وهو ما يتعرض منهم يجعل

شكاياته علي. كل هذا وأنا تاركه لعلمي أنها ما بها ثمة. ولكن كله هباء. ونحن الله المطلع ما لنا بمداخلتهم، وأبرك الساعات البعد عنهم، ولا نود لهم إلا الخير. لكن بلوا أنفسهم وعمّوا ولا بيدنا على الأمر الذي مضى شيء. والآن أنا عرفتك ما لي معه أدنا مدخل. بل هو هدم الصبية ونهب جميع. حتى هنا ناس مكسورين اسمهم عندنا بالدورة بعد الذي سلموا عليه، نهب منهم ألف ومايتين قران وحبسهم ، ومع ذلك نحن تاركينه ولا نحب أن يقال: ثم تشبث بأمور هي من مقامه وينسبها لنا. كذلك ما عاملناه بمقابيل، ونحن نعامله على قدرنا وهو يعاملنا على قدره. وهو الذي أحب قومتنا واستعنّا عليه بالله، ولا بعد جاه منا شيء يذكر، إنه يريد الزين نحن ما نصدق ولا نأمن من حيث هالرجال ما كان له كلمة، عاهده أخوه الذي بمنزلة أبوه وقتله وهو شقيقه وأخوه الصغير، فإذا كان الأمر كذلك، أخي كيف يكون أمرك به. نحن نعرف أن مطلبه هذا حيلة منه حتى يماطل بالأمر ولا تأخذ جوابه بالقبول، أما الشيخ عبد الرحمن الفيصل وعبد العزيز الدخيل معلوم أن مطلبهم الزين، الآتي من زيادة على الذين غفلوا عن حالة رفيقهم الذي هو متركب علينا. فيا أخي أجزم والله إننا ما نكره الزين، وأهل البلد ما نرضى عليهم بالمغشة عامة ما هو خاصة ولكن هالرجال ركبه الشيطان، واستولوا عليه الأشرار الذي حاصروه، هو والله يعرفهم بالسابق ويعترض عليهم، لكن أعمى الله بصره وعاقبه باعتراضاته، وإلاّ ياخي نعرف نحن مالنا منهم مطامع، ونشفق على هذا البيت أزيد من غيرنا، بحسب القرابة من دون ملاحظة أمور دنيا وهو أشقاه بأفعاله وتصور له أننا لنا مطالب، ما يدري ثناة أنفسنا هي تبعدنا عن المطامع. ونحن والله المطلع نحب لهم الزين وهم بعيدين، فلو أنّه بأول الأمر، قال: الأمر

قضاه الله، وحقوقهم يأخذونها وسنَّ بها على يد أحد من جماعته أو من أهل البصرة كان ما جرى من هالأموز شيء، لكن الطمع الذي حدَّه على إخوانه حدَّه علينا، وحصل له أعوان سوء غرُّوه وأغروه وحصلوا به الفرصة ولعبوا في عقله. الآن أخي ما دام هو ملازم المغوين، فلا يمكن أخي صلح أبدًا، حتى أن يرجع ويعرف حاله، وتبين له قصده إخوانه والراحة وإعلال (كذا) وصار ملعبه لكل عدو ومطمع لكل الْبَنْيِيْ، كسليمان الطالح (الصالح) وأصحابه الذي هم على شاكلته، والحذر أخي من الأمر الذي فيه ظهر هالأيتام واليوم واصل من هو مساعدهم بالحث وهو الوالد الشيخ قاسم لما جاء مبارك زاد نشاطه وقومته لله جهاد ولا عنده صدود إلاّ إن كانت الحكومة قامت فعلى كل حال بعد هذا ما له مدخل وإلاّ هو واعد عربانه وتابعه جميع من يكره الشقى، وعليه إنشاء الله تدور الدوائر، إلاّ أن الله ما يريد أمره، فذلك ما أحد يعطي عليه جواب، وإنشاء الله يشوف عذاب الدنيا قبل الآخرة، والسلام. انتهى.

أرسل هذا الكتاب وأتبعه بكتاب آخر مؤرخ سلخ ربيع الأول، وإليك نص الكتاب الأخير.

الجواب الثاني من الشيخ يوسف بن إبراهيم بقلم يده

مؤرخ سلخ ربيع الأولى

أخي تقدم لكم منا كتاب، وعرفناكم عن حالة ابن الصباح، إن أفعاله كلها موحشة، ولكن من حيث إن رأيكم اقتضى ذلك عرفناكم، وأنا مالي مقصد إلاّ مصلحة العيال، إن كان هو يجي على المطلوب فالأمر لا يكون إلاّ على يد الولد الشيخ قاسم، ومن دون تداخله في الأمر أجزم

ما يصير شيء أبدًا ومع ذلك الذي يجي يكون متوطي على جميع الشروط وبهذه الأيام بلغنا أفعاله الرديئة الذي عملها في حرم جراح وهذه من سوء تدبيره. فإن كان صار لرأيكم الأول محل كون على بصيرة. بموجب الخبر الوارد بهذه الدفعة من الأستانة أن الاتهامية التي ألقى علينا الشقي ما صار لها قبول والوالي أكد بقوله من طرفها إننا تحققنا ولا لقينا لها صحة، وأنت لا تكون من طرفها في فكر، وخطوطهم يقولون إن الوالي يتأمل الدراهم من كل أحد عن جواب رفقاء الشقي، أما القرار الذي صدر بموجب أمر الداخلية أنه يجرى حجز على الأملاك، والوالي موعد لكن ما هو خافيك كل بريد، الوالي مع الشقي ورفقاءه بخلاف الأول أما أمر سوق العسكر «أي على الكويت» قد وصل ولكن المشير نايم عليه بموجب تعريف سليمان الصالح للشقي وصورة الورقة، كان أرسلتها لكن ما أمكن، أيضًا موجب تمرينات من بغداد يفيدون أن الأمر لا بد يقع لكن بُعده من قربه ما نعلم عنه وأهل البصرة يقربون ولكن الأحوال الماضية ما تدعينا نقبل شيئًا إلاّ بالعيان، موعدين بعد هذا الجواب لأن القرار يكون يقضي أمره نهار السبت وإلاّ هو القاضي أمضى عليه فقط يطلع من الإدارة على موجب قرار عام الماضي يكون الحاج محمود وكيل كما هو في العام الماضي، وإذا حصل هذا كثير فيه الكفاية والسلام.

شرحنا الرسائل الواردة من قاسم بن ثاني ومن يوسف إبراهيم، وها نحن نشرح الرسائل الواردة من الطرف الثاني ونبدأها بالكتاب الذي ورد من مبارك الصباح، ونتبعه بالورق الذي داخل الكتاب المذكور ثم نتبعهما الكتب الواردة من الشيخ عبد الرحمن الفيصل وعبد العزيز الدخيل.

الجواب الوارد من الشيخ مبارك الصباح

مؤرخ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ

وردنا كتابكم الشريف المؤرخ ربيع الأول، وكذلك كتاب الأخ محمد بن عبد الوهاب أطلعنا على مضمونهم أيضًا مكتوبكم إلى عبد الرحمن الفيصل، وعرفتو عن مجيئكم لطرفنا فالله يحييكم إذا وصلتوا ورئيتوا الذي عندنا ظاهر وباطن إنشاء الله يرضيكم .

مضمون الورقة الذي ضمن هذا الكتاب

ذكركم أنكم متكدرين من هذه الحركات فلا شك أنت وغيرك لأنه جابيها فسق، وأنا ماني متكدر بل إني مستر إنشاء الله، لأن الإحسان قتال، هذا المغرور أول أرسلت له أعز جماعتي ومكاتيب تحت المهر، وثم لما جاء أخوي حمود من الحج أرسلته كذلك، أرسلت إلى إخوانه الذي في بومبي أولاً يوسف بن خميس، وبعده عبد العزيز الصميط، أرسلته وقت غلاق البحر، مصدر من ذلك أداء واجبات الرجال لأنهم محسوبين من الجماعة وعلاوة على ذلك الله المطلع بحقيقة أمري ونيتي. إني مع كل وهم غيرهم سليم النية، فلهذا والله الحمد كل أمورهم صارت عكس عليهم من أولها إلى آخرها وزيادة على ما أتلفوا من الفلوس مثقال خواطرهم لأنهم مشوا في أمر ما يعنيهم وكحملها في هذه الحركة الذي سوّاها ضربة وأسرني ولله الحمد، وتذكر أن [. . .] إلى قطر يثير فتن فنحن يا خي من توفيق الله إنشاء الله قطعًا ما له أهمية عندنا في كل مكان يكون. فأما هذا المكان هو الآن فيه راعية الشيخ عيسى عنه: إنه هالشقى جاء إلى بلدكم، فالعاقل يعتبر ويشوف الدلائل يوم أنه في البصرة ويعطي

فلوس أهلها وغير أهلها بالبصرة والأستانة لله الحمد ما ثمر شيء، فالآن من لطف الله هو صار شقي مطلوب عند الحكومة وقطر وأطراقها معلوم عند الحكومة الذي يحبها تزيد شقاوته، فنحن من فضل الله العرب ما نيالي، ولا لأحد علينا دليل، والذي يجيها من عيله الله يكفينا إياه وينعثر إنشاء الله وأما من حركة هالشقي الذي سواها يا خي سرّتني وضرّته، لأنها صقلت أهل الكويت، وتبينت عند العالم، عاد هذا شي الله مريده عليهم فالفلوس الذي مجتمعة السود والاغتشاش، تروح في مثل هذا النوع، أما ذكركم باقي أننا تنظر والمصلحة لغيرها، باقي الدنيا لها مدبر الله سبحانه وتعالى والمظره والنقص على المسبب الباقي العايل وأما أنا من الأول إلى الآخر معتدل إنشاء الله ولا وفي بدني وإني أحمد الله وأثني عليه على ذلك، ولا بد يبلغك منطوقي من الأول إلى الآخر وإني أود الزين لكن الذي أثنى عليه له حد محدود وإلاً أنا ما شحيت لا بالاحترام ولا بالأمنية ولا بالمال. لكن هالشقي بقي له درب ما هو قادر عليه لا اليوم ولا ما دامت الأيام والليالي إنشاء الله، لأن يا خي من تردى برداء ما نراه أبيه يأتيه زمان الموت فيه، ومع هذا والله يا خي ما خليت قصور وإني إلى اليوم ولله الحمد لي عفة ولي مروءة وشوفة بعيدة ما يشوفها هذا ولا هي من حاجة لهم لكن هكذا شأن الرجال وإلاّ في الحاجة لله والسلام.

الجواب الوارد من الشيخ عبد الرحمن الفيصل

مؤرخ ٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ

كتابكم وصل في خصوص اجتهاد جنابك في إصلاح الأحوال هذا هو الواجب على كل من به حمية دين ودينًا، وأنتم إن شاء الله من أهل

ذلك ومضانة. وأما أخي ما أشرت إليه من أموال الدولة والعربان، فليس خافي على جنابك الحركات من جهة البحر، فالدولة مجبورة على اعتراض من أجرى ذلك ومنعه، وإن كان من جهة البحر فلا يمكن إلاَّ بواسطة العشائر المنسوبة إلى متصرف الحسا وقطعًا إنه لا بد يعاكس من سعى بذلك. وابن صباح في دبرته ولا حدث منه حتى يصير عليه اعتراض ومعلوم جنابك أن الاعتراض يصير على من أحدث الحركات. وأما العربان فلا ناس من عانتهم يتصدون طمع أو شبهه. فجميع عربان ديرة بني خالد مالهم درب يخالف درب الشيخ مبارك.

تابع كتاب الشيخ عبد الرحمن الفيصل

ولا هو قصدهم طمع، ولكن المتحقق بأذهانهم أن استقامة الشيخ مبارك وعزّة عزّ لهم وحنا مطلعين على أكثر غاياتهم ومطير كذلك في هذه الأيام سلطان الدويش ملقي على الشيخ مبارك وموافقة على جميع ما أراد والكويت وتوابعها من العشائر ما هي خافية على جنابكم إنها بيد الشيخ مبارك، ولا يظن جنابكم أن هنا أحدًا بيخلف الشوف ويظهر عن الإرادة وكذلك يا خي كل أهل وطن ما يرضون ولا تسمح أنفسهم أن أحدًا يستذلهم وهذه الأمور لا تخفى على شريف عملكم بقي سلمك الله ما نرى لهذه الأمور إلاَّ الزبن والسعي فيه، والذي غيره تراه مسدود. أما عن الشيخ مبارك فالذي يعلم منه ومتحقق عندنا أن نفسه سامحة بجميع حقوق أبناء أخيه ويقول لنا ولغيرنا والله إن أبخس من حق نفسي لهم، وهو ما يكره قدومكم إليه والاجتماع بكم. وكتابه يصل لجنابك وبه كفاية، والذي أنا أشوف عدم الغفلة عن هذا الأمر والمبادرة فيه وأن تجعلون ذلك من

جميل مناقبكم المحمودة، لأنه واجب على كل مسلم الاجتهاد في هذا الأمر نرجو أن الله يجعلنا مفاتيح للخير ويحسن العاقبة للجميع والسلام.

الجواب الوارد من عبد العزيز الدخيل بن صالح
مؤرخ ٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٥هـ

كتابكم وصل اليوم، واجتمعنا مع الشيخ عبد الرحمن الفيصل والشيخ مبارك وأشرفنا على خطوطكم، فقط نحن لم يحضر أحد والشيخ من صارت هذه الحركات وهو كلامه ما تبدل إلى اليوم والله يا خي إنه مرضينا كلنا ونفسه قوية وعزيزة ما هو ضعيف نفس، ولا يتبدل عن كلام يمشي منا، ومنا كثير مرضينا كلامه وإذا جيتوا إنشاء الله ترضون مثلما منا راضيين واجزموا إنشاء الله على كل علم غانم يحصلونه من الشيخ مبارك. والجرايب تراهي ما تكلفه ولا يخسر فيها شيء أنتم مطلعين سبب إني أشوف البدو والحضر ألستهم معه ومنا الله ما مقصدنا إلاّ رفيقنا «يعني يوسف» يتكلف والسبب أنه ضارب له درب ليل ما به مسري. ولا والله لي قصد إلاّ أبي راحة بدنه عن الشي الذي ما به صالح للجميع وأنت يا ولد عبد الرحمن إنشاء الله من مفاتيح الخير ولا بد تشرفون على خطوط الشيخ عبد الرحمن، والشيخ مبارك، وأبو فيصل الله يسلمه إنشاء الله فيه البركة والسلام.

هذي هي الأجوبة الأولية من الطرفين، وقد استمرت هذه المراجعات إلى شهر جمادى، ولدينا كثير من رسائلهم في هذا الموضوع تركنا شرحها خوفًا التطويل بما لا فائدة منه، إذ أن المراجعات مع الأسف لم تتقدم، والأجوبة كلها على وتيرة واحدة لا يختلف معناه عنه رسائلهم

التي شرحنا، خصوصًا من جانب ابن ثاني وابن إبراهيم أما يوسف فهو لم يزل سابح في أحلام الآمال، ولم يقطع أمله من مساعدة الدولة وابن رشيد، بالرغم أنه يعلم أن الدولة قد حذرت ابن رشيد من التعرض إلى الكويت وأطرافها ويعترف بكتبه بذلك، ولكن يقول في أحد كتبه إن الأمير محمد بن رشيد لا بد يخدر بأول البراد وإن الدولة بالغها الأمر ولا زالت تكتب له لا يكون يقرب الكويت ولكن الأمير ما له عن الذي بخاطره وإن كان ما يرضي الدولة هذا ما يقوله يوسف ويعتقده، وعلى هذا الأمل اتخذ خطة سلبية أثناء المفاوضات أما الشيخ قاسم فهو في حيرة من أمره وقد تجسمت أمام عينيه الصعوبات ولكن لا يسعه النكوص عن أمر قد تظاهر فيه بأكثر من الوعد والوعيد إلاَّ بعذر واضح يعذر فيه، فأخذ يسوف ويؤجل المسير من وقت لآخر وهو يرجو أن يحدث من الأمور ما يجعل لنكوصه مبرر ليحفظ هيبته في البادية على الأقل، فكتب إلى متصرف الأحسا يخبره بعزمه على المسير لغزو الكويت انتصارًا لأبناء محمد الصباح كما يقول وكان المتصرف سعيد باشا منحرفًا عنه وناقمًا عليه كما قلنا وأسباب هذا الانحراف أن يوسف ابن إبراهيم لما علم بصداقة سعيد باشا لمبارك الصباح أو عز إلى عبد الرحمن بن سلامة من أهل الأحسا أن يثير عليه القبائل وأمده بالمال فلما حبط سعيه أمره أن يستكتب مضبطة من أهل الحسا يندرون فيها بأعمال سعيد باشا وسوء إدارته الذي أوجدت عدم الأمنية بالبلاد، ولكن مبارك اقتنصها قبل أن تصل إلى المراجع العليا وأرسلها إلى سعيد باشا، فاكتسب بذلك عطف سعيد باشا، وشكره على عمله لما وصله الكتاب فاستمر أن الحركة هي ضد مباركًا كتب إلى ولاية البصرة، يخبرها بما عزم عليه ابن ثاني من إثارة الفتن وتحريك القبائل

على الكويت اضطرت الحكومة أن ترسل السيد رجب النقيب ومعه محمد علي مدير أوقاف السنية في مركب زحاف، فوصلوا قاسمًا باسم الدولة، وأن الحكومة إذا لم يقلع عن عزمه تعتبر عمله خروجًا منه عن الطاعة، فكان لهذا الإنذار ولعل هذا ما كان يتمناه فقد أخلد في الباطن وعلم يوسف أنه حبط مسعاه من هذه الناحية، ولكنهما أخذا من ناحية المفاوضات لعلهما يدركان شيء مما فاتهما، فلانت عريكتهما وأجابا بقبول المفاوضات في كتبهما بعدما أبديا من التعنت الشي الكثير ولما رأى مقبل وابن عبد الوهاب قبولهما رأيا أن يتوجها إلى مقرهما لمفاوضتهما فسار وجرت المذاكرة بين الجميع ولم نقف على ما دار بينهم، فرجعا إلى البحرين وتوجها إلى الكويت، ونزلا بضيافة الشيخ مبارك وكان الوفد أطلع مبارك على سفر السيد رجب باشا ومهمته إزاء قاسم بن ثاني ومنعه فاطمأن، والظاهر أنه قد تغير فكره نحو هذه، ولكن لم يبد منه شيء، فأخذ مقبل وابن عبد الوهاب يتراجعان في الأمور تمهيدًا لمفاتحة مبارك بهذه المسئلة وبينما هم في ذلك إذ أرسل إليهما عبد الرحمن الفيصل، فلما حضروا قال مبارك لعبد الرحمن: إن قدوم الجماعة إلينا كله بركة، نبشركم أن محمدًا بن رشيد قد مات، وهذا الرسول الذي قدم إلينا بهذا الخبر، وهكذا خدم الحظ مباركًا مرة أخرى، ولما خرجوا قال عبد الرحمن الفيصل لجماعة إن وجه القضية سيتغير، فكان الأمر كما قال، لأنه أخذ بعد ذلك ينحى باللائمة على يوسف، ويصفه بالمتطفل وقال إن هذا المغرور يظن أنه سيملي علينا إرادته ويرغمني على قبولها، ولولا حركات هذا السفيه الذي أخذتها بالعيال أكثر مما لفتتهم فلمت الأمور بأول سنة على أسهل الأمور. علم الوفد أنه لم يبقى فائدة من

بقائهما، فرجعا دون نتيجة، وأبلغا بفشل مسعاهما بسبب وفاة الأمير، فركنا إلى السكون وسافر يوسف من قطر إلى الهند وسنلتقي به في الميدان بعد بضع شهور.

ترجمة حياة الأمير محمد العبد الله الرشيد

تولى الإمارة في حايل وانفرد بها بعد أن ثار على بندر ابن أخيه وقتله، وألحق به أخوته سنة ١٢٨٨هـ، كما قدمنا، ولم يزل أمره يعلو حتى استولى على نجد بأسرها بعد وقعة المليدا بينه وبين أهل القصيم؛ ووقعة حريملا بينه وبين عبد الرحمن الفيصل وصفى له الحكم حتى توفي في الثالث من شهر رجب من هذه السنة، وكان مرضه بذات الجنب، وكان واسطة عقد آل الرشيد، وكان بعيد النظر شديد الرمي حكيمًا حليمًا عادلاً، مبرزًا في سياسة محمود السيرة، شديد الوطأة على البادية، عطوفًا على رعاياه من الحضر، محافظًا على حقوقهم عفيفًا عن أموال رعيته، وكانت حكومته حكومة بدوية لا تحتاج إلى شيء كثير من المال، لهذا لم يفتح عينه لشيء من الضرائب والمكوس ولا غيرها، فكانت مواردة مقتصرة على زكواة الثمار وسوام الإبل والغنم، وما عدا ذلك فكلٍ حر في تصرفات التجارة تأتي القوافل من الكويت، والعراق والشام، والحجاز مثقلة في الأموال، لا يسئل صاحبها من أين أتى بها ولا يعترض من آمر ولا مأمور، فلهذا كنت تجد في نجد من بضائع الهند وأوروبا ما لا تجده في الشام والحجاز، وتجد فيها من بضائع الشام ومصر والحجاز ما لا تجده في العراق والكويت، وكانت نجد تصدر أكثر مما تستهلك واتّسع نطاق التجارة، وتأسست الروابط التجاربة بين أهل نجد والأقطار المجاورة،

وعلى الأخص بينهم وبين أهل سورية، وبينهم وبين أهل الكويت بصورة قوية جدًّا لم يسبق لها مثيل في تاريخ نجد، فتوفر لأهل نجد أسباب الرزق وتوسعوا في أمورهم، وكانت حاصلات نجد متوفرة جدًّا لتتابع الحقيقة وهذه السنوات السبع، وصارت نجد تصدر من محصولاتها الشيء الكثير فكانت زراعة البلاد تكفي حاجات أهله من الحاضرة البادية ولا يحتاجون إلى استيراد شيء من الخارج إلاَّ اليسير جدًّا. وكان يصدر من السمن إلى سورية والحجاز والكويت والبحرين ما يكفي لسد حاجتهم، ومن أهم ما يصدر إلى سوريا الإبل، والغنم فقد قدر ما يصدر من الإبل عشرين ألف متوسط قيمة ما يباع فيه الرأس الواحد عشر ليرات عثمانية، فيكون مصلحة نجد نحو مائتي ألف ليرة عثمانية، ما يصدر من الغنم، والسمن، والصوف وغيره إلى الأقطار المجاورة الأخرى. وبالإجمال فإن محمد بن رشيد أفضل ما كان الرشيد، أما سياسته تجاه الحضر فيغلب عليها المرونة، وله طريقة طبيعية تشبه سياسة الأول استولى على الكثير من نجد بهذه الطريقة فإذا أراد جهة من الجهات أي البلدان وأراد الاستيلاء عليها أوجد الخلاف الزيقين حتى يبلغ قصده وأما سياسته البادية فالغالب عليها الشدة، لأنه يعلم طبيعة، يراول من أسس روابطه مع حكومة الترك، فاتصل بالسلطان عبد الحميد المشهور وتقرب من رضا السلطان، وكان يرسل في كل سنة عددًا كبيرًا من الخيل للجياد فحظي عند السلطان حظوة لم يبلغها أحد من أمراء العرب عندًا تامًّا فانتفع خلفه بهذه الخطوة واستغلها في حربه مع ابن سعود، حيث أمدته بالجنود والعتاد، شمر ونجدًا عدد من سياح الإفرنج مثل البارون نوله، وبلونت، وهوبر، وأوتنغ وغيرهم.

الساقط من الحوادث

١٢٠٢هـ: ... من عنيزة.

١٢٠٢هـ: الرشيد مع حجيلات وقتله الدجان الرشيد.

١٢٠٣هـ: سطوة حجيلات وسعود في عنيزة.

١٢٧٦هـ: قتل آل أبو عليان وأسباب إمارة مهنا.

١٣٢٤هـ: شيلة صالح الحسن لمهنا من بريدة وأسبابها.

* * *

سوابق



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وهو رب العرش العظيم

[1]وفي سنة ١٠٥٩هـ: توفي الشيخ الإمام العالم، محمد بن أحمد بن إسماعيل في بلد أشيقر، وهو من البكر من سبيع رحمه الله تعالى، أخذ الفقه عن عدة مشائخ، من أجلهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرّف، العالم المعروف في أشيقر. وأخذ عنه جماعة منهم أحمد بن محمد القصيّر، والشيخ أحمد بن محمد بن بسّام، والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان وغيرهم.

وفي سنة ١٠٩٧هـ: ظهر الشريف أحمد بن زيد بن محسن إلى نجد، ونزل بلد عنيزة العقيلية المحلّة المعروفة بعنيزة، وفعل بأهلها من القبح والفساد ما لا يفعله غيره.

وفي سنة ١١١٠هـ: سطر آل بو غنام والبكر على فوزان بن حميدان بن حسن، الملقّب ابن معمر، من الفضل الجرّاح أهل عنيزة من سبيع، سطو عليه في المليحة واستنقذوا منه منزلتهم

وفي سنة ١١١٥هـ: قتل الأمير فوزان بن حميدان بن حسن، الملقّب

---

(١) سوابق للمؤلف.

ابن معمّر، من الفضل الجرّاح من سبيع، واستولوا الجناح على عنيزة كلّها. وآل جناح من الجبور من بني خالد.

وفي سنة ١١١٦هـ: في ١١ ذي القعدة غرقة عنيزة، وتسمى غرقة السليمي – وهو رجل أعمى غرق في بيته. وفي هذه السنة هدم قصر عنيزة، هدموه الجناح أهل بلد الجناح من بني خالد.

وفي سنة ١١٤٣هـ: هدمت الجادة المحلّة المعروفة في عنيزة.

وفي سنة ١١٥٣هـ: قتل حمود الدريبي رفاقه آل بو عليّان في مسجد بريدة، قتل منهم ثمانية رجال. وفي السنة التي بعدها قتل حمود الدريبي المذكور وآل أبو عليان من العناقرة من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم.

وفي سنة ١١٥٥هـ: قتل حسن بن مشعاب أمير بلد عنيزة، وجلوا الجرّاح، واستولوا آل جناح من بني خالد هم والشختة المعروفون من المشاعيب من آل جراح من سبيع على عنيزة كلها، والشختة منزلتهم الجادة المعروفة في عنيزة. وفي هذه السنة غرس نخل الجادة في عنيزة.

وفي سنة ١١٥٦هـ: سطا رشيد بن محمد بن حسن في المليحة وملكها.

وفي سنة ١١٦٠هـ: ركدة عنيزة وغرس فيها أملاك الخنة وأملاك آل زامل وآل أبا الخيل، والطعيمي في المسهرية، والبيضاء، وذلك في مدة عشر سنين، وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيب الناصري التميمي، ودفن في مقبرة الضبط في عنيزة، رحمه الله تعالى، ومات بعده تلميذه الشيخ علي بن زامل بشهرين رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١١٧٤هـ: قتل رشيد بن محمد بن حسن رئيس بلد عنيزة من المشاعيب من آل جراح من سبيع، هو وفراج رئيس الجناح من بني خالد، ورشيد هذا هو ابن عم فوزان بن حميدان بن حسن، المقتول سنة ١١١٥هـ، كما تقدم، قتلوهما عيال الأعرج من آل أبو غنام هم وآل زامل، قتلوهما في مجلس عنيزة، وسبب ذلك أن أهل عنيزة وآل جناح كانت بينهم حروب وفتن كثيرة يطول ذكرها، فلما استولى رشيد المذكور على عنيزة وتولّى فراج على الجناح اتفقوا، رشيد ورؤساء بلده، وفراج، ورؤساء بلده، واصطلحوا على وضع الحرب بينهم، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثين سنة، حتى امتدّ أهل عنيزة وأهل الجناح في الفلاحة وغرسوا نخلاً كثيرًا، وكثرت أموالهم ثم إن الشيطان وأعوانه حرّشوا على أهل عنيزة وأهل الجناح، فاتفق رجال من عشيرة رشيد ورجال من عشيرة فراج على قتليهما فقتلوهما، فثارت الفتن بين الفريقين بعد ذلك.

وفي سنة ١١٩٢هـ: في ٢٢ ذي القعدة جاء عنيزة سيل عظيم، أغرق البلد ومحى بعض منزلتها، فخرج أهل عنيزة وابتنوا بيوت الشعر وسكنوها حتى عمروا منازلهم.

وفي سنة ١١٩٥هـ: سطوا آل بو غنام وآل جناح في العقيلية المعروفة في عنيزة، واستولوا عليها.

وفي سنة ١٢٠١هـ: هدم الجناح المعروف في عنيزة، هدمه عبد الله بن رشيد بن محمد بن حسن أمراء عنيزة.

وفي سنة ١٢٢٥هـ: في ذي الحجة توفّي الشيخ العالم العلامة

حمد بن ناصر بن عثمان بن معمّر، وكانت وفاته في مكة المشرّفة رحمه الله تعالى، والعامرة من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

وفي سنة ١٢٢٧هـ: بني مسجد الجوز في عنيزة ومحلته.

وفي سنة ١٢٥٧هـ: الوقعة المشهورة بين أهل القصيم ومن معهم من عنزة، وبين عبد الله بن علي بن رشيد في بقعاء، صارت الهزيمة على أهل القصيم وقتل في هذه الوقعة يحيى بن سليمان بن زامل أمير بلد عنيزة وأخوه محمد.

وفي سنة ١٢٥٨هـ: قتل محمد العلي بن عرفج قتله صالح المرشد من بني عمه في دم بينهم.

وفي سنة ١٢٦١هـ: أغار عبيد بن رشيد على غنم أهل عنيزة ففزعوا عليه فجعل بينه وبينهم قتال، قتل فيه الأمير عبد الله بن سليمان بن زامل وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي، ومجور الخنيني، وصار بعد الأمير عبد الله المذكور في عنيزة أخاه إبراهيم بن سليمان. وفيها في ذي الحجة توفي الشيخ عبد الرحمن المحمد قاضي في عنيزة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١٢٦٢هـ: توفي الشيخ قرناس في بلد الرسّ، رحمه الله تعالى، وفاته في رجب من السنة المذكورة.

وفي سنة ١٢٦٣هـ: عمرت بلد الفيضة من بلدان السر، بناها فاهد بن نوفل، وبطي الصانع، وإبراهيم بن عبيد. ثم انتقل النوافلة إليها من الريشيّة القرية المعروفة من قرى السر وسكنوها، وهم رؤسائها اليوم، وهم من بني حسين، وفي هذه السنة توخ آل عبيدي ابن فيصل ابن وطبان الدويش حاج القصيم على الدّاث وأخذ منهم أموالاً كثيرة.

وفي سنة ١٢٧٠هـ: قام أهل عنيزة على جلوي بن تركي، وكان قد جعله أخوه الإمام فيصل بن تركي أميرًا في عنيزة، فأخرجوه من القصر فخرج إلى بريدة، وذلك في شعبان من السنة المذكورة، فلما كان في ذي الحجة منها تجهز عبد الله بن فيصل يغزو الرياض، والخرج، والجنوب، والمحمل، فلما كان منتصف ذي الحجة أغار على الوادي، فخرج أهل عنيزة لقتاله، فحصل بينهم قتال شديد، فقتل سعد بن محمد بن سويلم أمير ثادق، فرحل عبد الله ونزل العوشرية، ثم رحل منها ونزل روضة الربيعي. ثم إن عبد الله آل يحيى ركب إلى الإمام فيصل في الرياض، فوقع الصلح بينهم، فكتب الإمام فيصل إلى ابنه عبد الله فأمره أن يرجع إلى الرياض، وكان إذ ذلك في بريدة، فقفل راجعًا إلى الرياض ومعه عمه جلوي، وأذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفي سنة ١٢٧٣هـ: نوّخ ابن مهيلب رئيس الوساما من مطير حاجّ أهل عنيزة ومن معهم من أهل القصيم على الدّاث، وطلب أشياء منهم يدعي أن له عليهم حقًا فامتنعوا من إعطائه، فأخذهم ولم يحجّ منهم أحد تلك السنة.

وفي سنة ١٢٧٥هـ: قتل ناصر بن عبد الرحمن السحيمي في الهلالية، قتله عبد الله اليحيى السليم وزامل العبد الله السليم. وسبب ذلك أن ناصر بن عبد الرحمن المذكور في إمارته في عنيزة قام هو وأخوه مطلق الضرير على إبراهيم السليم فقتلوه ذلك سنة ١٢٦٥هـ.

وفي سنة ١٢٧٥هـ: أصر الإمام فيصل بن تركي علي عبد العزيز المحمد أمير بلد بريدة أن تقدم عليه في الرياض، فقدم عليه ومعه ابناه

علي وعبد الله، فأمرهم بالمقام عنده. وجعل في بريدة عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان أميرًا، وهو من آل أبو عليّان.

وفي سنة ١٢٧٦هـ: في صفر قتل عبد الله بن عدوان أمير بريدة، قتله جماعة من بني عمه آل أبو عليان وهم: عبد الله الغانم، وأخوه محمد، وحسن العبد المحسن المحمد، وأخوه عبد الله. فلما بلغ الإمام فيصل بن تركي الخبر جعل في بريدة محمد الغانم أميرًا، فلما كان في جمادى الأول من السنة المذكورة أطلق الإمام فيصل عبد العزيز المحمد من الحبس واستعمله أميرًا في بريدة وعزل محمد الغانم عن إمارة بريدة، وأمر الإمام فيصل على عبد الله بن عبد العزيز المحمد أن يقيم عنده في الرياض، وفي رمضان من هذه السنة أخذ عبد الله الفيصل العجمان على الصبحية، وقتل منهم نحو سبعمائة رجلاً، وأخذ منهم من الأموال ما لا يحصى.

وفي سنة ١٢٧٧هـ: أخذ عبد الله بن فيصل العجمان قريبًا من الجبراء، وقتل منهم خلقًا كثيرًا في البحر خلائق كثيرة، وهذه الوقعة يسمونها أهل نجد الطبعة، لأن العجمان انهزموا إلى البحر جازر فمد عليهم فهلك منهم خلق كثير وذلك في ١٥ من رمضان من السنة المذكورة، ثم قفل عبد الله بن فيصل، لما وصل إلى الدهناء بلغه، أن ابن سقيان ومن معه من بوادي ابن عبد الله على المنسف، فأغار عليهم وأخذهم وقتل حمدي بن سقيان، ثم قصد بريدة وكان أميرها عبد العزيز المحمد قد نقض العهد، فلما بلغه الخبر خرج من بريدة منهزمًا هو وأولاده حجيلان، وتركي، وعلي، وأناس من خدامه، فأرسل عبد الله بن فيصل خلفهم سرية مع أخيه محمد بن فيصل، فلحقوهم بالشقيقة

وقتلوهم، وذلك في شوال من السنة المذكورة، وأقام عبد الله بن فيصل في بريدة، وكتب إلى أبيه الإمام فيصل يخبره بمقتل عبد العزيز الحمد وأولاده، ويطلبه أن يجعل في بريدة، أمير على نظره فأرسل الإمام فيصل عبد الرحمن بن إبراهيم، وجعله أميرًا في بريدة، وهدم عبد الله الفيصل بيوت عبد العزيز المحمد وأولادهم وأعوانهم.

ثم ارتحل عبد الله من بريدة وأخذ الرّوسان من عتيبة على الدوادمي، ثم قفل إلى الرياض وأذن لأهل النواحي أن يرجعوا لأوطانهم. وكان عبد الله العبد العزيز المحمد قد أمر عليه الإمام فيصل بالمقام عنده في الرياض لكن أذن لأبيه عبد العزيز المحمد بالمسير إلى بريدة ويكون فيها أميرًا كما تقدم. فخرج مع عبد الله الفيصل في هذه الفترة وعليه عيون مخافة أن يهرب. فلما كانوا بالقرب من الرياض هرب واختفى في غار هناك، فوجدوه فقبضوا عليه وأرسلوه إلى القطيف، فمات هناك.

وفي سنة ١٢٧٨هـ: وقع الحرب بين الإمام فيصل وبين أهل عنيزة، وأرسل سرية مع صالح بن شلهوب وأمره بالقدوم على عبد الرحمن البراهيم في بريدة، فقدم عليه، ثم أمر على غزو الوشم وسدير أن يسيروا إلى بريدة واستعمل عليهم أميرًا عبد الله بن دغيثر، فساروا إلى بريدة، واجتمع عند عبد الرحمن البراهيم خلائق كثيرة، وكثرت الغارات على أهل عنيزة، ثم أنه حصل وقعة بين ابن إبراهيم وبين أهل عنيزة في رواق، وصارت الهزيمة على ابن إبراهيم ومن معه، وقتل منهم نحو عشرين رجلاً، منهم: عبد الله بن دغيثر.

وفي سنة ١٢٧٩هـ: أمر الإمام فيصل على ابنه محمد أن يسير بغزو

أهل الرياض والجنوب إلى بريدة، ويسير بمن في بريدة من غزو أهل الوشم وسدير لقتال أهل عنيزة. فلما وصل إلى بريدة أمر على من فيها من أهل الوشم وسدير أن يسيروا معه إلى عنيزة، فساروا، فلما وصل الوادي خرج عليه أهل عنيزة وحصل بينهم قتال، فرجع أهل عنيزة إلى البلد.

ثم نزل محمد الفيصل بقطاع الوادي من الشمال فلما كان في ١٥ جمادى آخر من السنة المذكورة خرج إليه أهل عنيزة فحصل بينهم وقعة شديدة، فانهزم أصحاب محمد بن فيصل، ووصل أهل عنيزة إلى خيام محمد، فأمر الله تعالى السماء بالمطر، وكان غالب سلاحهم الفتيل فبطل عمل البندق من المطر، فكرّ عليهم محمد وأصحابه فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم قتلاً كثيرًا، ويسمونها وقعة المطر وفي شعبان من هذه السنة أمر الإمام فيصل على ابنه عبد الله أن يسير بنفسه عزماً من الرياض والجنوب إلى قتال أهل عنيزة، فسار بهم عبد الله واجتمع بأخيه محمد بن فيصل ومن معه، وحاصروا عنيزة، ثم أنه وقع الصلح بين أهل عنيزة وبين الإمام فيصل، وقفل عبد الله بن فيصل هو وأخوه محمد إلى الرياض، ورجع أهل النواحي إلى أوطانهم.

وفي سنة ١٢٨١هـ: في آخر ليلة تسع الحجة توفي الشيخ إبراهيم بن حمد بن محمد بن عيسى، قاضي بلدان الوشم توفي في بلدة شقراء رحمه الله، كان له معرفة في الفقه، أخذ العلم عن الشيخ العالم عبد الرحمن بن حسن والعالم عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين.

وفي سنة ١٢٨٢هـ: في ٢١ رجب توفي الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن

موسى بن ربيعة بن مانع الريدي رحمه الله تعالى في بلد الرياض، والمردة من بني حنبقة.

وفي سنة ١٢٨٥هـ: في ربيع أول توفي الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع بالأحساء رحمه الله. وفي رمضان من هذه السنة الوقعة المعروفة بين سعود بن فيصل وبين أخيه محمد بن فيصل في حوادث صارت الهزيمة على محمد ومن معه، وقتل منهم عدد كثير، واستولى سعود بن فيصل على الأحساء والقطيف وقبض سعود على أخيه محمد وحبسه بالقطيف.

وفي سنة ١٢٨٨هـ: الوقعة المعروفة في البر بين الإمام عبد الله وابن فيصل وبين أخيه سعود بن فيصل، صار الهزيمة على عبد الله، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة.

وفي سنة ١٢٨٩هـ: حصل بين أهل شقراء وبين أهل أثيفية، قتال في وسط بلد أثيفية، قتل فيها من أهل أثيفية عبد الله ابن الأمير سعد بن عبد الكريم بن زامل، وعبد الله بن عبد العزيز العبد الله بن زامل، وآل زامل أهل أثيفية المذكورين من عائذ.

وفي سنة ١٢٩٠هـ: في ربيع آخر، سار سعود بن فيصل من بلد الرياض ومعه غزو أهل نجد، ومعه العجمان والدوشان مطير، وبرية، ومعه الدواسر وسبيع، والسهول، فأغار على الروقة من عتيبة، على طلال، ورئيسهم إذ ذاك مسلطًا وفي ربيع آخر من هذه السنة توفي الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر في جلاجل، وهو صاحب عنوان المجد في تاريخ نجد وهو من بني زيد.

وفي سنة ١٢٩١هـ: توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهيبي التميمي، كانت وفاته في بلد عنيزة رحمه الله وفي ١٨ من ذي الحجة توفي سعود بن فيصل في بلد الرياض.

وفي سنة ١٢٩٢هـ: قتل مهنا الصالح في بريدة قتل وهو خارج لصلاة الجمعة، قتلوه آل أبو عليان رؤساء بلد بريدة في الماضي، وهم من بني سعد بن زيد مناة تميم، وأما آل أبا الخيل فهم من عنزة أجتمع لقتله أحد عشر رجلاً وقصدوا قصر مهنا المعروف فتحصنوا فقام عليهم آل أبا الخيل وأهل بريدة وحاصروهم في القصر، فحصل بينهم رمي بالبنادق، فأخذ علي لمحمد الصالح أبا الخيل حزمة حطب وقصد بها باب القصر وأخذ معه نارًا يريد أن يحرق باب القصر فضربوه برصاصة فوقع ميتًا، ثم ضربوا حسن العودة آل أبا الخيل برصاصة فوقع ميتًا ثم إن أبا الخيل وأهل بريدة حفروا حفرًا تحت المنصورة الذي فيها آل بو عليان المذكورين، فوطنوا فيه بارودًا وأغلقوا فيه النار فثار البارود، فسقطت المنصورة بمن فيها فمات بعضهم تحت الهدم وبعضهم أمسكوه فقتلوه.

ولم يسلم منهم إلاّ إبراهيم بن غام، وزيد الحائك، وتولّى إمارة بريدة حسن المهنّا الصالح.

وفي سنة ١٢٩٥هـ: أخذوا أهل عنيزة آل عاصم من قحطان وقتلوا رئيسهم حزام بن حشر.

وفي سنة ١٣٠٠هـ: شرعوا في حفر قلبان البدائع التابعة إلى عنيزة

وحفر في[1] ذلك الموضع القليب المسماة العميرية.

وفي سنة ١٣٠١هـ: الوقعة المعروفة بين محمد بن رشيد وبين الإمام عبد الله الفيصل في أم العصافير، وصارت الهزيمة على عبد الله الفيصل في هذه الوقعة، وقتل في هذه الوقعة قتلاً كثيرة منهم: عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين وعقاب بن حميد من عتيبة.

وفي سنة ١٣٠٣هـ: توفي الشيخ علي بن محمد قاضي بلد عنيزة رحمه الله تعالى في ٥ رمضان.

وفي سنة ١٣٠٥هـ: قتلوا عيال سعود بن فيصل وهم: محمد بن عبد الله وسعد قتلهم سالم بن علي السبهان، وكان عبد العزيز بن سعود قد ركب قبل ذلك لابن رشيد في الجبل فلما بلغ ابن رشيد قتل عيال سعود حبس عبد العزيز عنده في الرياض.

وفي سنة ١٣٠٧هـ: توفي فيصل في الرياض.

وفي سنة ١٣٠٨هـ: في ١٣ جمادى الأول وقعة المليدا بين ابن رشيد وأهل القصيم كانت الهزيمة على أهل القصيم، وقتل منهم قتلاً كثيرة، منهم: زامل العبد الله السليم أمير عنيزة، وابنه علي، واستولى عليها وربط حسن المهنا وأرسله إلى حائل فحبس هناك إلى أن مات.

وفي سنة ١٣١١هـ: توفي الإمام محمد بن فيصل في الرياض.

---

(١) أول من حفر في البدايع سليمان الصالح بن [...]، حفر القليب المعروفة الرمث بالعميرية.

وفي سنة ١٣١٠هـ: توفي عبد العزيز الزامل السليم في مكة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١٣١٣هـ: قتل محمد صباح وأخوه جراح، قتلهما أخوهما مبارك بن صباح، واستقل بولاية الكويت.

وفي سنة ١٣١٥هـ: توفي محمد بن رشيد في حائل، توفي في ٣ رجب واستولى الإمارة بعده ابن أخيه عبد العزيز بن متعب بن رشيد في حائل، وفي آخر رمضان سار الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل من الزرنوقة ماء من مياه الأحسا وتوجه إلى الرياض وسطا على عجلان بن محمد نائب ابن رشيد ومن معه في قصر الرياض، وقتل عجلان المذكور، وقتل معه اثنا عشر من أصحابه، وأخرج الباقين وتوجهوا إلى حائل، وذلك صبيحة الأربعاء رابع شوال، واستولى عبد العزيز بن سعود على الرياض.

وفي سنة ١٣٢٠هـ: في ذي القعدة قام أهل شقراء على عبد الله الصويغ ومن معه من خدام ابن رشيد وأخرجوهم من البلد، فتوجهوا إلى المجمعة. فلما علم بذلك مشاري بن عبد العزيز العنقري أمير ثرمداء أرسل خلفهم من ردّهم وأمرهم بالقدوم عليه في ثرمداء فرجعوا إلى ثرمداء، وكان ذلك سببًا لهلاكهم وهلاك أهل شقراء طلبوا من الإمام سرية تكون عندهم فأرسل إليهم مساعد بن عبد المحسن، ومنه عدة رجال موطأة من بعض أهلها فقتلوا الصويغ وأصحابه، وهم ثلاث عشر رجلاً وقبضوا على مشاري العنقري فحبسوه هناك إلى أن مات في حبسه ذلك وأقام ابن سويلم ومن معه في شقراء.

وفي سنة ١٣٢١هـ: [...] خرج ابن رشيد لمحاربة أهل شقراء، فنزل على قصور شقراء المعروفة وذلك في يوم الصغر أقام هناك ثلاث أيام لم يدرك منهم شيئًا، فقفل راجعًا إلى بريدة. وفي هذه السنة قدم على الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن من سدير آل سليم وآل بالخيل ومن معهم من أهل القصيم من الكويت، فسار الإمام من سدير إلى الزلفي سرية مع عثمان المحمد إلى الزلفي فدخلوه، وقتل الأمير محمد بن راشد السلمان، واستولوا على [...] من السنة المذكورة ولما علم بذلك أهل عنيزة طلبوا سرية من ابن رشيد تكون عندهم، فأرسل إليهم فهيد السبهان سبعون رجلاً وكان ابن رشيد إذ ذاك في بريدة. ثم كتب أهل عنيزة إلى الإمام وإلى السليم أن لا تقدموا علينا وإلاّ فنحن مستعدّون لحربكم. فلمّا وصلت خطوطهم إلى الإمام وإلى السليم ارتحل الإمام من الزلفي وذلك في السنة المذكورة، وأمر من معه من أهل عنيزة وأهل بريدة أن يقيموا في شقراء، وتوجه إلى الرياض ابن رشيد من بريدة، وتوجه إلى بوادر على حسين بن جراد، ومعه نحو مائتين رجلاً أن حرب في أرض القصيم وأبو علي ماجد بن حمود العبيد بن رشيد ومعه رجلاً أن [...] ثم وجه من جراب إلى السماوة، وأخذ يكاتب الدولة ويطلب منهم النصرة فأعطوه سنة ٢٧٠٠هـ واجتمع معه خلائق كثيرة من بادية شمر وغيرهم، وأخذ يجهّز المسير بتلك الجنود إلى نجد، وكان عليه بوادي حرب وبني عبد الله، فتوجه بهم إلى السر وكان الإمام عبد العزيز قد بلغه ذلك خرج واستجرد عتيبة وأهل القصيم الذي في شقراء، وخرج معه عدة رجال من أهل شقراء، وتوجه إلى السر فلما نزل ابن جراد فيضة السر صبّحه الإمام بتلك الجنود فقتله وأكثر من معه، ولم يسلم منهم إلاّ القليل، واحتوى

الإمام عن جراد وأخذ ما معه من الركاب والأمتعة والسلاح والفرس، ذلك في ٢٨ القعدة من السنة المذكورة، ثم قفل الإمام إلى الرياض وأمر على أهل القصيم أن يقيموا في شقراء، وكان إذ ذاك ماجد: أن حمود على البر يريد أن يلحق ابن جراد، فلمّا بلغه مقتل ابن جراد ارتحل من البربك ونزل الملقاء النخل المعروف خارج عنيزة وصارت الرسل تتردد بينه وبين ابن رشيد، وهو إذ ذاك فينفة أرض السماوة يستحثه ويقول أدرك بلدان القصيم قبل أن تؤخذ من بين أيدينا.

وفي سنة ١٣٢٢هـ: في ٥ محرم ليلة الأربعاء وصل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، ومعه أهل القصيم، وخلائق كثيرة من البادية والحاضرة إلى عنيزة ونوّخوا في الجهيمية، وكان الخبر قد جاء أهل عنيزة بأنّ الإمام قد توجه إليهم بمن معه من الجنود فارتحل ماجد بن حمود العبيد ومن معه من الملقاء ونزل باب السافيه، وخرج أهل عنيزة بسلاحهم خارج البلد فدخل السليم ومن معهم من أصحابهم البلد بمواطات من بعض أهلها، وقتلوا عدّة رجال منهم فهد السبهان واستولوا على البلد، وأغار الإمام بخيله على ماجد بن حمود ومن معه، فانهزم ماجد وقتل من أصحابه عدة رجال منهم أخوه عبيد بن حمود، وتولى إمارة عنيزة عبد العزيز بن عبد الله السليم.

ولما كان بعد الوقعة بيومين ذهب آل أبا الخيل وأتباعهم إلى بريدة فدخلوها، وتولّى إمارة بريدة صالح الحسن بن مهناء أبا الخيل، فتحصن عبد الرحمن بن ضبعان ومن معه من أهل الجبل في القصر وامتنعوا فتوجه الإمام ومن معه من الجنود من عنيزة إلى بريدة، وحاصروهم واستمر الحصار إلى سلخ ربيع الأول من السنة المذكورة ثم إنهم طلبوا الصلح

والأمان فأعطاهم الإمام الأمان، فخرجوا وتوجهوا إلى الجبل، واتفق خروجهم في اليوم الذي وصل فيه ابن رشيد ومن معه من العساكر والربان إلى قصيباء فتقدم عليه ابن ضبعان ومن معه في قصيباء، ثم ارتحل ابن رشيد من قصيباء ونزل الشبحيّات فلما بلغ الإمام ذلك ارتحل من بريدة ونزل البكيرية، فحصل بينهم وقعة شديدة وقتل من الفريقين خلق كثير فصارت الهزيمة على ابن رشيد وعلى الإمام ووصل الإمام إلى المذنب فبلغه هزيمة ابن رشيد، واستلحقوه أهل عنيزة، فرجع من المذنب إلى عنيزة وأما ابن رشيد فأتاه الخبر بهزيمة ابن سعود فرجع إلى البكيرية.

وكانت هذه الوقعة بعد الظهر من يوم الخميس في ٢٩ ربيع آخر من السنة المذكورة، وقتل في هذه الوقعة ماجد بن حمود العبيد، ورمضان باشا. ومن العساكر نحو خمسمائة رجل. ثم إن الإمام خرج من عنيزة ومعه أهل القصيم البادية والحاضرة، وتوجه إلى البكيرية، وكان ابن رشيد إذ ذاك محاصرًا بلد الخبراء، فلما نزل الإمام البكيرية بمن معه ونزل الرّبن، فلما كان في يوم ٨ رجب من السنة المذكورة حصل بينهم وقعة شديدة، وصارت الهزيمة على ابن رشيد وأتباعه، وغنم منهم الإمام أموالاً كثيرة، ثم إن الإمام رجع إلى الرياض وأذن لأهل القصيم بالرجوع إلى بلدانهم.

وفي سنة ١٣٢٤هـ: في ١٧ صفر الوقعة المشهورة بين الإمام عبد العزيز الفيصل وبين عبد العزيز بن متعب بن رشيد في روضة مهنا قتل فيها عبد العزيز بن متعب بن رشيد المذكور وعدّة رجال من أهل الجبل، منهم عبد الرحمن بن ضبعان وفي ذي القعدة من هذه السنة توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم قاضي بلدة بريدة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١٣٣١هـ: في ٢٨ جماد أول استولى الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل على الأحساء والقطيف وأخرج عسكر الترك الذي في الكوت، وفي خزام وفي صاهود، والعقير، والقطيف، وأعطاهم الأمان، وجهزهم إلى البصرة، وبذل العدل والإحسان للرعيّة، وأقام فيه عدة أيام، وجعل فيه أميرًا عبد الله بن جلوي. ثم قفل إلى الرياض.

وفي سنة ١٣٣٣هـ: في سابع ربيع أول الوقعة المشهورة بين الإمام عبد العزيز الرحمن الفيصل وبين ابن رشيد في جراب، صارت الهزيمة على الإمام، وتوجه الإمام بعدها إلى بريدة وأقام بها، وقتل في هذه الوقعة عدّة رجال، منهم: صالح الزامل السليم، ومحمد بن شريده.

وفي هذه السنة وقعت جراب بين ابن رشيد وبين الإمام فتوجه الإمام إلى الحساء، وكان في نفسه شيء على العجمان لأمور بدرت منهم، فحصل بينه وبينهم وقعة قتل فيها أخوه سعد بن عبد الرحمن بن فيصل، وذلك في شعبان من السنة المذكورة، ولما كان في آخر رمضان من هذه السنة نقض ابن رشيد العهد وأغار على شوايا أهل القصيم على الدويحرة، وأخذ منهم إبلاً، ونزل الطرفية، وأخذ يكاتب أهل القصيم فلم يلتفتوا له، وحصل بينه وبينهم قتال فهزموه، وقتلوا منه عدة رجال وركابًا، فلما أعياه أمرهم ارتحل من الطرفيّة، وقفل راجعًا إلى حائل، والإمام عبد العزيز إذ ذاك في الحساء ولم يزل مشمّرًا في حربهم إلى أن مزّقهم الله شذرًا مذرًا وأجلاهم الإمام من الأحساء، فتوجهوا إلى جهة الشمال مخذولين، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آل وصحبه أجمعين.

إمارة عبد العزيز بن متعب الرشيد

تولى الإمارة بعد وفاة محمد وأرسل إلى أمراء عمه في البلدان وأقرهم على أعمالهم، وأمرهم أن يأخذوا له البيعة على من قبلهم فبايعوا ولم يختلف عليه أحد. وكانت ولايته مفتاح المصائب والنكبات والفتن والقلاقل والحروب، وكان طالعه نحس على نفسه وعلى أهل نجد عمومًا، فقد كان غشومًا ظالمًا وجبارًا لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً فكان في خلقه وأخلاقه وسياسته على النقيض من عمه على خط مستقيم. تولى الإمارة وحالة نجد أشبه ما تكون في حالتها وقت وفاة الإمام فيصل آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، هادئة ساكنة حاضرتها وباديتها كل منصرف إلى عمله من تجارة أو زراعة أو صناعة، فما كاد يتربع على كرسي الإمارة حتى أخذ سوء سياسته يفتح على نفسه أبواب الشر والفتنة.

سنة ١٣١٦هـ وسنة ١٣١٧هـ

في هذه السنتين لم يحصل حوادث توجب الذكر إلاَّ غزوات على البوادي ليس من كبيرها فائدة.

وفي هذه السنة قلّت الأمطار وضعفت المواشي وحصل قحط غلت أسعار الأطعمة وكثر الجرب بالإبل وهو داء يكثر في سني الجفاف وقلة الأمطار وغالبًا يصاحب ضعف المواشي، وفي هذه السنة توفي عبد الله الناصر البتيلي في ١٧ رمضان، وأحمد عبد الرحمن الذكير ٢٠ رمضان وعائد المحمد التميمي ٢٣ شوال سنة ١٣١٨هـ.

وفي هذه السنة تمكن أولاد آل أبا الخيل المسجونين عند ابن رشيد

من الهرب، وكان حسن المهنا قد توفي وهو بالحبس وعمل الأولاد الأسباب ونقبوا جدار السجن وخرجوا، فأطلبهم ابن رشيد فلم يجد لهم أثرًا منهم فركتوا في بعض الجبال حتى خف الطلب فوصلوا إلى الكويت.

وفي شهر صفر من هذه السنة وصل يوسف بن إبراهيم إلى حايل قاصدًا ابن رشيد يستنجده على ابن صباح خصوصًا بعد أن فشلت مساعيه لدى التركي، وقاسم ابن ثاني أمير قطر فرأى ابن رشيد أن الفرصة سانحة له في ابن صباح خصوصًا بعد أن قدم عليه ابن مهنا الذي شرد من الحبس. أما ابن صباح فقد اضطرب لما علم أن ابن رشيد استقبل يوسف بن إبراهيم وأنه يوشك أن يساعده، فكتب إلى ابن رشيد يبين له أعمال يوسف وأنه لا يريد إلَّا تكدير العلاقات بيننا وبينكم ويرجوه أن ينفاه لأنه لا يسكن عن حركاته وإفساده.

فجاوبه ابن رشيد أن أعدائي عندك وتحت حمايتك فمنذ نحو عشر سنين لم أفي من طرفهم ولا طلبت منك أن نتفاهم، فلما وصل عندي هذا الرجل تطلب مني أن أنفاه، نعم إذا لقيت من عندك من جلوية أهل نجد وأخرجتهم من بلادك، فأنا أخرج هذا الرجل من عندي.

علم ابن صباح أن ابن رشيد مصمم على مساعدة ابن إبراهيم فأراد أن يعمل ليضطر ابن رشيد إلى الصلح، فجهز جيشًا من أهل الكويت يقوده حمود الصباح والتحق به بوادي الكويت وبعض بوادي نجد، فأغار على شمر وأخذهم على الرخمية الماء المعروف، ثم جهز جيشًا يقوده عبد الرحمن الفيصل ومعه أمراء القصيم آل سليم وآل مهنا فأغاروا على

قحطان وأخذوهم على روضة سدير، وقد بدا له بعد خروج عبد الرحمن الفيصل ومن معه أن يكتب لابن رشيد فكتب له يقول طلبت مني أن أنفي من عندي من الجلوية وتنفي أنت ابن إبراهيم فقد رجحت رأيك وفضلت صحبتهم ونفيت من عندي وأخرجتهم من الكويت وأمرتهم أن لا يعودوا إليها وفعلاً نفذ هذا الأمر وكانت حقيقة فكتب إلى عبد الرحمن الفيصل يقول إني اتفقت وابن رشيد فلا ترجعوا إلى الكويت ولا تقربوا حولها، وصل إليهم الكتاب بعد إغارتهم على قحطان، فضاقت عليهم الأرض لا يعلمون أي جهة يسلكون فبلدان نجد وبواديها كلها تحت أمر ابن رشيد فاقتضى رأيهم أن يتعلقوا مع العجمان إلى أن يدبروا أمرهم فرجعوا معتمدين على ذلك بعد أن أغلق عنهم ابن صباح أبواب الكويت فبينما هم في طريقهم إذا برسول آخر من ابن صباح يستدعيهم للرجوع إلى الكويت، ويستحثهم على ذلك لأن ابن رشيد بلغه وقعة عبد الرحمن الفيصل على قحطان، فغضب ابن رشيد غضبًا شديدًا، وقال: إن ابن صباح يهزأ بي، فكتب إلى مبارك كتابًا شديد اللهجة يقول فيه: بينما أنت تراجعني بالصلح وتقول إنك أخرجت من عندك من الجلوية وإذا أنت من الجهة الثانية تجهزهم بمعدات الحرب وتأمرهم أن يغيروا على رعايانا. نعم ثبت لدينا إنك أخرجتهم ولكن بعد أن جهزتهم فلم يبقى بعد هذا العمل محل للمراجعة، وليس بيني وبينك إلاَّ السيف.

هذا الكتاب هو الذي دعى مباركًا لاستدعاء عبد الرحمن الفيصل، إذ علم أن ليس سبيل للصلح بعد هذا التهديد من ابن رشيد. رجع عبد الرحمن الفيصل ومن معه إلى الكويت، وأخذ ابن صباح يكاتب القبائل التي حوله، ويستدعيهم، وأخذ يجهز ويجند من الكويت، وجعل

موضع معسكره بالجهرى خوفًا من مهاجمة ابن رشيد للكويت وحماية لقبائله.

أما ابن رشيد فقد خرج من حائل بشهر ربيع الثاني فبلغه أن ابن صباح يجند وأن معسكره على الجهرى، فأقبل قاصدًا الهجوم على ابن صباح، فلما وصل الحسن موضع في الباطن قريب من الحفر نزل فيه واستدعى شمر فنزلوا عنده، وكتب إلى أمراءه البلدان يأمرهم بارسال غزوهم، فأقام بموضعه إلى أن تكامل عنده جنوده، وأخذ ينتظر الفرصة بابن صباح، وكانت سبور ابن رشيد عند ابن صباح تمده بالمعلومات عن جميع حركاته، فلما أجمعت قوات ابن صباح بالجهرى عزم على أن يغزو أحد القبائل الموالية لابن رشيد فجاء الخبر ابن رشيد عن حركة ابن صباح فظن أنه يريده، فاستعد ولكن باليوم التالي جاءه الخبر أن ابن صباح أرخص للقبائل يرجعون إلى أهلهم، وذلك لأن ابن صباح تكفى عن عزمه ولكنه استأنف العزم واسترجع القبائل، وسار من الجهرى قاصدًا شمر ورؤساء جيشه حمود الصباح وعبد الرحمن الفيصل، أما ابن رشيد لما تحقق أن ابن صباح أرخص لغزو سار قاصدًا سعدون لسابق عداوة بينهما ولحلفه مع ابن صباح.

أما جيش الكويت فقد أغار على عرب ابن رشيد الذين غزوا معه ولم يلقوا مقاومة إلاَّ أنهم قبل هجومهم رأوا نيران قد أوقدها ابن رشيد ليهتدي بها من تخلف عنه من قومه فسألوا عنها فبلغهم أنها نيران ابن رشيد فاستخفوا واستكفوا بما وصل إليهم من الحلال خوفًا أن يدركهم ابن رشيد، فرجعوا سراعًا وبلغوا الجهرى، أما ابن رشيد فلم يعلم بما جرى وسار بقصده وأغار على سعدون وأخذه، ورجع. وكان سعدون قد

استصرخ ابن صباح لما علم أن ابن رشيد يقصده فبادر ابن صباح لنجدة سعدون، ولكن بعد فوات الوقت، رجع ابن رشيد بعدما أخذه سعدون ونزل رجم البيازع، وأرسل إلى أمراءه في بلدان نجد يأمرهم بإرسال زيادة غزو فجاؤه وهو بمنزله. أما ابن صباح فقد كتب إلى سعدون يستنجده على عدوهما المشترك فأجابه ولبى دعوعته، ثم استنفر القبائل وأخذ يعد العدة للغزوة الكبرى، فانضمت إليه مطير بأجمعها وقسم كبير من العجمان وآل مرة وجاء سعدون ومعه قوة غير قليلة، فاجتمع عند مبارك جيش كبير لا يقل عدده عن عشرة آلاف، زحف هذا الجيش الجرار في شهر شوال من هذه السنة يقوده مبارك بن صباح بنفسه ومعه عبد الرحمن الفيصل وابنيه عبد العزيز ومحمد وأمراء القصيم، آل سليم، وآل مهنا، وعندما وصل خبري الدويش (خبري النفضم) جاءه رؤساء البوادي يستأذنونه بتخلف أهلهم وأموالهم التي كانت معهم بحجة بعد المسافة المقصودة، وعدم وجود مراعي لإبلهم في البلاد التي هم فارين عليها.

وأما الجيش والخيل تمشي مع البيرق فأذن لهم فتخلف نصف المقاتلة بحجة المحافظة على الأموال والعائلات، وكان ابن صباح يرى أنه لا حاجة به إليهم لما معه من العدد والعدد، فرحل وما زال يتنقل من موضع إلى موضع إلى أن نزل الشوكي وهو ماء غير بعيد عن الرياض، فأقام عليه أيامًا فاستأذنه عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل أن يسير بقسم من هذا الجيش إلى الرياض، فأذن له فأخذ معه ألف ذلول من البادية وقليل من الحضر، فزحف عبد العزيز إلى الرياض واستولى عليها إلا القصر، فإن الأمير من قبل ابن رشيد عبد الرحمن بن ضيعان قد تحصن فيه هو والسدير التي معه، وحاصرها عبد العزيز مدة أيام ولم يدرك نتيجة

فابتدأ يحضر نفق على القصر لينسفه على من فيه، وباشر العمل، فلما كاد ينتهي فاجأه خبر هزيمة ابن صباح أمام قوات ابن رشيد فانسحب ولم يتم عمله.

أما ابن صباح فقد وصل من الشوكي وقصد القصيم فلما قاربه استأذن آل سليم وآل مهنا ابن صباح بالمسير إلى بلدانهم فأذن لهم، فساروا معهم ورحل بعدهم ابن صباح ونزل قريب بلد بريدة، فدخل آل سليم عنيزة وآل مهنا بريدة بدون مقاومة، وفتر أمراء ابن رشيد سعد لمحاربي أمير بريدة وصالح البحيى الصالح أمير عنيزة ورحب أهل القصيم بأمرائهم، ثم إن ابن صباح استدعى الأمراء وأعيان جماعتهم الموالين والمخالفين فخطب فيهم، وقال: إني لم آتي فاتحًا ولا مطمع لي ببلادكم، وإنما جئت مساعدة لحكامكم وأمراءكم لإرجاعهم إلى أوطانهم التي أخذها منهم هذا الظالم وشتت شملهم، وصادر أموالهم وأملاكهم، وبعد قضاء مهمتي سأرجع إلى بلادي تاركًا شأنكم لكم ولحكامكم وأمراءكم.

فشكروه على عمله فطلب منهم أن يبايعوا أمراءهم على السمع والطاعة، فبايعوهم على ذلك فرجعت الوفود إلى بلدانهم ثم أذعن أهل القصيم أن يغزو مع أمراءهم ليسيروا معه إلى مطاردة ابن رشيد فعرفه عليه غزو بريدة وتوابعها من القصيم، وجاءه قسم من قبيلة عتيبة فانضم إلى ابن صباح فأخذ في منزله نحو عشرة أيام يتجهز للمسير إلى ابن رشيد.

أما ابن رشيد فقد انسحب بأول الأمر وترك الميدان لخصمه، بينما يلم شعثه، لأنه لا يريد أن ينازل مثل هذا الجيش اللجب قبل أن يستكمل

استعداده، وثانيًا أراد أن يجر خصمه إلى قلب البلاد ويبعده عن بلاده، ولأن المطاولة في الأمر تفيده وتضر بخصمه، لأن أكثر جنود ابن صباح بوادي ولا صبر لهم بالابتعاد عن أهلهم وأموالهم، فأرسل يستجيش شمر وحرب وهتيم، فأقبل إليه منهم خلق كثير، وإن قد بلغه استيلاء أهل القصيم على بلدانهم، ورحل إليه أمراءه الذين هو بدا منها، فأقبل قاصدًا ابن صباح، فلما قارب القصيم شديد ابن صباح ونزل النبقية قرية من قرى بريدة فما راعهم إلاّ ابن رشيد ينزل قبالتهم في الطرفية وهي قرية من قرى بريدة أيضًا، وكان الوقت ظهرًا ولم يظن ابن صباح أن ابن رشيد سيهاجمه بذلك اليوم، ولكن ابن رشيد أخلف ظنه فإنه لم ينزل إلاّ وقد عبىء جيشه وقرّن الإبل وجعلها صفًا واحدًا تتقدم الجنود، وساقها عليهم ومشت الجنود من خلفها وكانت جنود ابن صباح مشتتة هنا وهناك، ولم يستعد استخفافًا بابن رشيد فداهمهم وهم على هذه الحال فتلاحقوا على غير تعبئة والتحم القتال إلى آخر نهار ذلك اليوم ٢٦ القعدة، فانهزم ابن صباح وجنوده، فانتحى بنفسه ومعه عبد الرحمن الفيصل وشرذمة قليلة، وخرج آل مهنا من بريدة وتبعوه، وكان غزو عنيزة قد خرج بتلك اليوم ورجعوا من عرض الطريق لما بلغهم الخبر، وبقي آل سليم تلك الليلة في عنيزة يحاولون جماعتهم على الحرب والامتناع في بلدهم فخذلوهم، فدخلوا صباح اليوم الثاني والتحقوا بابن صباح وأدركوه قبل أن يصل الكويت، وأرسل عبد الرحمن الفيصل لابنه عبد العزيز في الرياض يخبره بالأمر ويأمره بالأقبال إليه، فخرج من الرياض وقد كاد أن يستولي على القصر فلم يسعه إلاّ أن يفك الحصار، وينهزم بمن يتعد من قومه إلى الكويت.

أما فلول جيش ابن صباح فقد تفرقوا بالبلدان القريبة منهم واختفوا

بها، ولكن ابن رشيد أرسل السرايا تتبع فلول المنهزمين فمن وجدوا قتلوه حتى وصلوا الزلفى، ثم رجعوا وأخذوا يتبعون الذين في البلدان فأخرجوهم من البيوت والمساجد وقتلوهم، بقوا على ذلك نحو ثلاثة أشهر وقد اشتهر بيوت في عنيزة آوت إليها عدد غير قليل من هؤلاء التعساء، وأخذوا يقومون بحاجاتهم، فلما أمنوا الطلب جهزوهم بما يحتاجون إليه وأرسلوهم إلى أوطانهم.

أما عدد القتلى فقد اختلف فيه، ولكن القول المتوسط الخالي من المبالغة ألف ومائتين من الطرفين منهم ثمانمائة من جند ابن صباح، والباقي من قوم ابن رشيد، المشهور من قوم ابن صباح حمود الصباح، وعبد الله المنصور أخي سعدون وابنه حمود. ومن قوم ابن رشيد سالم بن حمود العبيد الرشيد وأخاه.

وبعد هذه الوقعة تجلت نفسية بن رشيد فبدلاً من أن يستميل رعيته بالعقل أخذهم بالشدة العنيفة، رحل من موضعه ونزل بريدة ونكل بأهلها تنكيلاً شديدًا قاسيًا، فقد أخذ من الدبري أحد تجار بريدة خمسين ألف ريال وقتله، وأخذ من سليمان الشبيلي أحد تجار عنيزة عشرة آلاف ريال، وفرض على عموم بلدات القصيم ضرائب فادحة، ونزع السلاح من أهلها وعمل غير ذلك أعمال بغاية القوة والشدة، وهذا مثال قليل من الواقع. ثم أرسل سالمًا ابن السبهان إلى الرياض ونواحيها، وعمل بهم مثل عمله بالقصيم وأعظم، فلما بلغ ما أراد من التنكيل وشفى ما بنفسه من الانتقام من أهل نجد عمومًا، رحل ونزل البطانيات ثم رجع ودخل بلاده في أول سنة ١٣١٩هـ وكان يوسف بن إبراهيم مع كاظم باشا قبل الوقعة بأيام قليلة، وكان كاظم باشا قد خرج لمواجهة ابن رشيد.

رجع يوسف إلى العراق بعد أن بلغه كاظم باشا عفو الدولة عنه التهمة التي ألقاها عليه ابن صباح. فاستأنف عمله مع الدولة ضد ابن صباح، وأخذ يشحذ عزم مناصيب الدولة واغتنم أولاد محمد الصباح الفرصة بعد خذلان عمهم فرفعوا شكواهم إلى الآستانة التي أخذت تصغي إلى دعواهم وتعطف عليهم، وقد رأت الفرصة سانحة بعد خذلان مبارك أمام ابن رشيد فأخذت تمهد الأمور لاحتلال الكويت، فأصدرت أمرها إلى المشير في بغداد أن يجهز جيشًا لا يقل عن عشرة طوابير يكون على أتم الأهبة والاستعداد، فجهز ذلك بقيادة محمد باشا الاغستاني، ولكن المشير أراد أن يستنير برأي والي ولاية البصرة محسن باشا، فذهب إلى البصرة وقابل محسن باشا فأظهر له هذا عدم الارتياح من هذا التدبير خوفًا من أن يضطر ابن صباح إلى الالتجاء للدولة الانكليزية، ورأى محسن باشا مفاوضة مبارك قبل الإقدام على إجراء عمل ضده، فاستحسن المشير رأيه وكلفه بمقابلة مبارك ومفاوضاته وإقناعه بوجوب انقياده لأمر الدولة العثمانية.

ذهب محسن باشا إلى الكويت واجتمع بمبارك وأقنعه بوجوب الذهاب معه إلى الفاو ومخابرة الدولة فذهبا إلى الفاو، وعمل مبارك بنصيحة محسن باشا، لأنه يثق به ورفع إلى الدولة خضوعه وانقياده. عملت الدولة هذا العمل خوفًا من تدخل الانكليز، ولم تعلم أن مباركًا قد اتفق ورئيس الخليج في معاهدة سرية تخولهم حق الحماية بعد أن أرسل مبارك التلغراف للحكومة العثمانية عدلت عن إرسال العسكر الذي قد أعدته ولكنها طلبت تحقيق ما يدعيه [...] مبارك من التبعية للدولة

فأرسلت تلغرافًا من ربيع الثاني سنة ١٣١٩هـ من باشكاتب المابين إلى مشير بغداد يقول: «بلغوا الشيخ مبارك أنه بموجب المعاهدة الدولية إذا وجد في إحدى المواضع سنجف (عثماني أو مركز عسكري أو مأمور للحكومة فلا لجميع الدول تدخل فيلزم بأي صورة مشيسة تبلغون مباركًا باشا الأمر».

ولكن مبارك تغافل عن هذا ويقال إن حكومة الانكليز. نصحت للحكومة العثمانية أن لا تفتح بابًا من الشر لا يستطاع إقفاله فعدلت عن رأيها لما تعلمه من مطامع الانكليز.

وفي شهر ربيع الثاني خرج ابن رشيد من بلاده وهو يقصد الزحف إلى أطراف الكويت، فلما قارب حدود الكويت، وهم بالهجوم على مخيم ابن صباح بالجهري بلغه التجاء مبارك للانكليز وأنهم أمدوه بمركب حربي أقام في مياه الكويت، فعدل ابن رشيد عن عزمه ورجع ونزل حفر الباطن، وشرع يفاوض الترك بشأن مبارك الصباح، ويطلب منها نجدة تساعده على احتلال الكويت وتداركت رسله وشكاوته ضد مبارك وساعده على ذلك يوسف بن إبراهيم، فتطعت الحكومة عليه ولم تقرب ولم تبعد فدافعته بالأمل.

أما مبارك الصباح فقد كان جيشه مستعدًا في الجهرى فاغتنم الفرصة وأغار على قبيلة سالم بن طوالة من شمر بأطراف الخميسية وأخذهم ورجع إلى الجهرى، وذلك بشهر جمادى الأول، فلما بلغ ابن رشيد خبر ابن صباح سار من الحفر وتعد أطراف الكويت، وأغار على الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت، وكان أهلها قد انتذروا به وهجو فتابع مسيرة جهة

الكويت، فلما وصل (داره) صادفته قافلة كبيرة من مطير خارجة من الكويت وحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه كاتب ابن رشيد الخاص (جار الله ابن يوسف بن عتيق) ولكنه بالأخير تغلب عليهم، واستولى على جميع ما معهم، ورجع إلى الحفر وهكذا الرعايا دائمًا تكون هي الضحايا لمطامع الحكام، فابن صباح أخذ ابن طوالة انتقامًا من ابن رشيد وهذا أخذ مطير انتقامًا من ابن صباح والنقص على رعايا الطرفين فلا ابن رشيد عوض على ابن طوالة ما أخذ منه بسبعين ولا ابن صباح عوض مطير لكونهم أخذوا بجنايته. وفي شهر رجب سار ابن صباح وأغار على الظفير وأخذهم ورجع إلى الجهرى.

وهنا حادث جرى قبل الحوادث التي سردناها وهو أهمها لأنه محور لما سيحدث بعد هذا من الحوادث الجسام، أخرناه لأننا كرهنا قطنها ذلك أنه في ربيع الثاني من هذه السنة بالوقت الذي خرج فيه ابن رشيد من بلاده خرج رجلاً آخر من الكويت ولكنه كان مجهولاً بتلك الوقت فلم يكن لخروجه أهمية، ذلك هو عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل فإنه بعد وقعة الطرفية لم يشأ الركون والخمول ونازعته نفسه أن يتذف بنفسه في لجة هذا المحيط المضطرب فإما أن يدرك ما تتوق إليه نفسه أو يموت، ولكن أبوه دافعه ومنعه فامتثل، لكن النفس الجياشة لا تركن إلى الخمول فقد أعاد الكره على أبيه بصورة جازمة فوافقه أبوه على ذلك وأبلغ مباركًا بما عزم عليه، فشجعه على ذلك وأمده بثلاثين بندقية وأربعين ذلولاً ومائتي ريال فقط. وشيء من الزاد فسارو معه من إخوته وأبناء عمه وأتباعهم أربعون رجلاً فقصد العجمان فتردد رؤساءهم بقبوله ولكن كثير من عامتهم انضموا إليه، وكذلك انضم إليه جماعة من آل مرة وبيع والسهول فتكون عنده

جيش لا يقل عن ألفي ذلولاً ومن الخيل نحو أربعمائة نمشي من عوينة كنهر المعروفة بالعطف طف بني خالد وبعد خمسة أيام ورد حفر النّش والماء المعروف بأطراف العارض على حافة الدهناء من الغرب، وصدر منه وورد الشمسين ماء معروف ثم صدر منه وجعل العرض عن يمينه وورد الحفاير، ومنها أرسل كشافته ورجعوا يخبرونه بمنازل القبيلة التي هو قاصد ولما أصبح عبىء جموعه وأغار على عتيبة وأخذهم على الرفائع ورجع بيومه، وقصد قحطان وأغار عليهم وأخذهم قريب من التيه جنوبًا، ورجع ونزل قريب من الحسا وأقام أربعة أيام والقوم يجلبون غنائمهم ويبيعونها في الأحساء ويمتارون منه ويأخذون ما ينقصهم من اللوازم والحكومة التركية تعلم ذلك، ولم تحاول منعهم لأنها لا ترغب فتح أبواب قد تؤدي إلى مشاكل بينهم وبين البادية، ولا بينهم وبين ابن سعود.

وبعد هذه الغزوات الموفقة انضم إليه كثير من البادية الذين يميلون إلى الكسب من هذا الطريق فاجتمع لديه قوة لا يستهان بها وبما أن جميع بوادي نجد تابعة لابن رشيد فقد أخذ يشن عليهم الغارات ليضمهم إلى جانبه، وهي الوسيلة الوحيدة لإذعان البادية، ومن حيث ليس عنده قوة لمقابلة ابن رشيد وجهًا لوجه أخذ يشن الغارة على أتباعه من البوادي ليكسب نفوذًا في البادية وليستميلهم لجانبه، فكل من انضم إليه من قبيلة زادت في قوته ونقصت من قوات خصمه، وهذه هي المرحلة الأولى لطريقة الفتح في نجد، ثم زحف من موضعه وسار قاصدًا ما يليه من بوادي ابن رشيد فعلم وهو بطريقه أن أقرب من يليه بُرَيْه من مطير ومعهم آل عاصم من قحطان فجد السير نحوهم، وأغار عليهم في مُجَدَّلْ موقع شمالي بريدة وأخذ منهم حلالاً كثيرًا إبل وغنم، ورجع ونزل الحسين

مجمع الغنائم وعزل خمسة منها، ثم سار من موضعه وقصد الجنوب وأغار على الدواسر وملأ يديه من الغنائم ورجع إلى الحساء، وأقام قريب منه، فجلبوا غنائمهم وباعوها واشتروا ما يحتاجون إليه ثم التهق وسار جنوبًا وأقام على حفاف الربع الخالي.

كل هذه الوقعات جرت وابن رشيد قابع في موضعه على حفر الباطن ينتظر مساعدة الدولة ويعلل نفسه بالآمال، فلما طال عليه الأمر ورأى أن ابن صباح يغير في الشمال وابن سعود يغير من الجنوب وهو لا يحرك ساكتًا رأى أن يخابر الحكومة التركية بنفسه فرحل من موضعه ونزل قرب بلد الزبير وخابر الحكومة بشأن ابن صباح وابن سعود وحركاتهما على رعاياه وطلب منهما منعه من الإيثار من بلدانها أو تسمح له أن يجعل في المراكز معتمدين من رجاله يراقبون منعهم فأجابته إلى ذلك. وجعل في بغداد والسماوة والزبير... معتمدين من قبله وأرسل سعد الحازمي معتمدًا من قبله في الأحساء لأجل مقاومة نفوذ ابن سعود وتثبيط بادية النقرة عن مساعدته، وحمل حكومة الحساء على منع طوارف ابن سعود عن التموين من الأحساء يقصد بذلك حصره في الصحراء وجعلت الحكومة التركية مراكز عسكرية في سفوان والغبيشية والخميسية وفي بوبيان دام قصر، وذلك موجب طلب ابن رشيد إلاّ المركزين الآخرين، فقد وضعتهما الحكومة بحجة من حدود العراق، وكان صاحب الكويت يدعيهما فاحتج على حكومة التركي في احتلالهما وعلى وضعها مركز في سفوان الذي يعتبرها من جدود الكويت، فلم تضع الحكومة لاحتجاجه وأهملته واستعان برئيس الوكلاء السياسي في الخليج فتعامت عنه.

أما بقية المراكز فقد صارت السلطة فيها لرجال ابن رشيد، ولكن

هذه التدابير جاءت متأخرة، وصل سعدًا الحازمي بشهر رمضان إلى البحرين ونزل بضيافة مقبل الذكير، وسار إلى قطر لمواجهة أميرها الشيخ قاسم بن ثاني ليسلم له كتب من ابن رشيد يطلب منه منع ابن سعود عن التموين من بلاده، ورجع إلى البحرين ليسير منها إلى مقر عمله في الأحساء، حيث لم يستطع السفر إليها من قطر لعدم وجود الآنية، فما كاد يصل إلى البحرين حتى فاجأه خبر استيلاء ابن سعود على الرياض، فأسقط في يده وبينما هو يتجهز للسفر إلى الأحساء إذ بلغه أن بعض أهل الرياض وأهل الخرج المقيمين في البحرين جهزوا لهم سفينة يريدون أن يتعقبوه في البحر ويقتلوه حينما يبتعد عن حدود البحرين، فاضطرب، وكان الأمر حقيقة فاستعد بالسلاح وأخذ معه زيادة جند للمحافظة، فتوجه إلى العقير ومنها إلى الأحساء.

فتح الرياض

ذكرنا أن ابن سعود أقام على حفاف رمال الربع الخالي طيلة أيام شهر رمضان وبلغه ترتيبات ابن رشيد وأنه يريد أن يحصره في الصحراء، صمم على أن يشق لنفسه طريقًا، فمشى من يبرين في أواخر شهر رمضان فلما كان بمنتصف الطريق أخبر جنوده بأنه يَقصد الرياض، فمن أراد أن يمضي معه أو يرجع عنه فهو بالخيار فرجع جميع من كان معه من البادية إلاَّ عشرون رجلاً ولم يبق معه إلاَّ الذين خرجوا معه من الكويت وعشرون رجلاً غيرهم، فوصلوا في ٤ شوال إلى حدود الرياض ونزلوا في الساعة الثانية من الليل جبل يبعد عن الرياض ساعتين فترك عند الجيش عشرين من قومه وتقدم بالأربعين الآخرين وفيهم أخوه محمد وعبد الله بن جلوى،

فلما وصل النخيل التي خارج السور أقام أخاه محمدًا ومعه ثلاثون رجلاً كاحتياطي ومشى بالعشرة الباقين إلى غرضه ولم يتمكن من الدخول إلى السور الخارجي إلاّ من بيت محاز له وهو لفلاح يتجر بالبقر، فرع عبد العزيز الباب ففتح له صاحب البيت وقبض عليه وتهدده إذا هو تكلم، فعرفه أهل البيت فركنوا إلى السكوت فأغلق عليهم الباب ثم تسلق الجدار إلى البيت الذي يليه عند الحصن، فإذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد وإذا هما امرأة عجلان الأمير وأختها امرأة أخيه فأيقظهما فاستوتا جالستين دون أن يراهما شيء من الخوف فعرفته زوجة عجلان، وسألته من يريد قال: أريد زوجك قالت إنه بالقصر قال: متى يخرج قالت: إنه لا يخرج إلاّ بعد طلوع الشمس فاكتفى بهذه المعلومة، وأقفل عليهما واستدعى رجاله، فاجتمعوا في بيت عجلان وكانت الساعة قد بلغت الثامنة ليلاً فاستراحوا وعند طلوع الفجر أخذوا يدبرون طريقة الهجوم على الحصن الداخلي، فلما طلعت الشمس فتح ذاك الحصن، فأخرج بعض العبيد الخيل إلى الشمس فلما رأى عبد العزيز البوابة مفتوحة خرج عاديًا فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلاً فقط واتفق أن الأمير عجلان بن محمد كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم إلى بيته، فلما رأى عبد العزيز وبيده السيف سلت عراه الدهش والرعب، فنكص ورجاله على أعقابهم، وهم يريدون الرجوع إلى القصر ولكن بعدما خرج عجلان أغلق باب القصر، ولم يبق إلاّ الخوخة (الباب الصغير فيها) وبين كان ورجاله يدخلون مع خوخة الباب أطلق عبد العزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله ثم أدركه وقد صار نصفه داخل الباب، فأمسكه وسحبه إلى الخارج فتصارع الإثنان برهة فرفس عبد العزيز على كبده رفسة قوية فأغمي عليه

وأفلت منه، وبينما هو يحاول الدخول ثانية من تلك الخوخة أدركه عبد الله بن جلوى فضربه بالسيف فرده الباب وبقي أثر السيف بالباب فأفلت منه، فأطلق عليه ابن جلوى مسدسه وأصابه فدخل عليه وقتله، وكان عبد العزيز قد أخاف وكان رجال عجلان الذين قد دخلوا الحصن [...] رمدوا إلى أحد الأبراج المشرفة على السوق وأخذوا يطلقون النار من المصاليت على رجال ابن سعود فقتلوا اثنين وصوبوا أربعة فتراجع قوم ابن سعود إلاّ عبد الله بن جلوى فإنه دخل وراء عجلان فنادى عبد العزيز برجاله واستنفرهم فامتنعوا أثر عبد الله بن جلوى فهجموا على الحصن هجمة رجل واحد فقتلوا أكثر من فيه، وكان بعشيم قد تحصن في أحد جوانب القصر وأرادوا المدافعة إلاّ أن عبد العزيز دعاهم بالأمان فسلموا، واستولى على القصر يوم الرابع من شوال أو بالأحرى استولى على الرياض فجاءه أهل البلاد مستبشرين فبايعوه على السمع والطاعة، بل على الموت، ذلك لأن ابن رشيد قد هيأ الأمور لابن سعود بأعماله فزرع بذور البغضاء في قلوب أهل نجد عمومًا فلا عجب إذا استقبلوا ابن سعود هذا الاستقبال، فلما طهر ابن سعود البلاد من العدو أخذ يباشر بناء السور الخارجي فأحكمه وحصنه فتم بناءه لمدة لا تزيد عن الشهر، وإلى هذا يشير العوني بقصيدة طويلة منها:

وادلج علينا بالمسير وبالسورى	لما غدت مثل الحنى ارقابنا
وصلّه على العارض بليل دامس	ولا حد من اوباش الأمير درى بنا
عجلان بامر بالرياض وينتهي	طير العشا وكر المحرار اربابنا
مُقْبوش رأسه بديرة فيصل	وطيور شلوى خما حسب بحسابنا
خمسين شغموم نديبهم ضاري	حدر الدجى ذيب الظلام سرابنا

دخـل بليـل واستكـن بخفيـة	لما جلت شمس النهار حجابها
قـام الفـريـر فـك بـابـه وانتشـر	عمى البصر والنفس محى كتابها
طلـع والـي عبـد العـزيـز بعينـه	مثل ارنب شافت خيال عقابها
وانكـف الـى قصـره شيـخ هـارب	وادبح يبى الفتحة يخش ببابها
وضمه خمى الوفدات قبل ادخوله	تعيـش بمنـا جـوده مخـلابهـا
يعيـش ابـو تـركـي شظـاه بصـارم	من ناش بدوروحه يحل ذهابها
يتلـونـه المقـرن واخـو محمـد	شندرة صقيل باليمين اقضا بها
عنـد ابـو تـركـي مـا يفـاخـت رايـه	هـو وآل مقـرن كلمته يمضـى بهـا
هنـادي يضـرب بهـا روس العـدا	مثل امس عند المعضلات صطابها
ستيـن مـا فهـم بعـد لمســالـم	قبل ارتفاع الشمس جذ ارقابها
كلـه لعينـي نجـد هـي واطـرافهـا	يـوم ان سكـان الجبـل مـاشـا بهـا
إلا بنهـب ضعـوفهـا وتجـارهـا	مـن سنّيـا جنّـابهـا نهـا بهـا
الى ورى الجدران تاخذه العدى	وهـو آخـذ مـا كـان داخـل بـابهـا
يا نجد طيبي وابشري جاك الفرج	باسباب ابو تركي عريب انسابها
ان سـاعـف المعبـود دور الليلـة	خيلـه تـركـز فـي سمـاح حـرابهـا

رجوع ابن رشيد إلى بلاده

وكان ابن رشيد لم يزل في منزله على الحفر فبلغه استيلاء ابن سعود على الرياض فجمع كبار قومه ورؤساء شمر فأخبرهم بأمر ابن سعود واستشارهم فيما يجب عمله وكانوا قد سئموا طول الإقامة، وخشوا أن يجرهم إلى الرياض، فأشاروا عليه أن يرجع إلى بلاده، ويستعد استعدادًا لحصار الرياض، فرجع ودخل بلاده.

أما ابن سعود فقد أخذ يعزز مركزه وقد وصله نجدة من ابن صباح مع أخيه سعد من الرياض وقصد الخرج واستولى عليها، ثم سار إلى الحوطة والحريق والافلاج.

فاستولى عليهن وإذا قلنا استولى معناه أنه فتح هذه الأماكن بقوة جنده بل إنهم هم الذين أدوا له السمع والطاعة عن حب وإخلاص لميلهم إليه ومحبتهم لهذا البيت وإخلاصهم لهم قديمًا وحديثًا. وهذا الميل والمحبة هما اللتان ساعدتا عبد العزيز، على فتح نجد، لأنه إذا توجه لبلد فليس له فيها خصم إلاَّ أمير بن رشيد ورجاله القليلين فيخذلونه أهل البلد ويساعدون عبد العزيز بتسهيل مهمته للقضاء على خصمه كراهة منهم لابن الرشيد وعماله وأعمالهم ومحبة لآل سعود.

وكان صالح ابن حسن آل مهنا قد سار إلى الشام بعد حوادث الطرفية وكان فيها جالية كبيرة من أهل القصيم، فأخذ يستنجدهم لمساعدته وأرسل لهم محمد العبد الله العوني الشاعر المعروف قصيدة حماسية يستنفر بها جماعته أهل بريدة وأهل القصيم عمومًا، فأخذتهم الحمية والشهامة فأقبل منهم نحو مائتين وخمسين من أهل بريدة مع صالح الحسن، ونحو خمسين من أهل عنيزة كبيرهم على الصقيري وأخاه عايد، فوصلوا الكويت في شعبان ١٣١٩هـ، والتحقوا بجيش ابن صباح الذين بالجهر تبع أمراءهم آل مهنا وصالح العلي آل سليم، وهذه قصيدة العوني نقتطف منها ما يناسب الموضوع:

مطلعها:

خلوج تجذ القلب يأتلا عوالها تكسر بصيرات يحطم سلالها

إلى أن قال:

وابكـى علـى دار ربينـا بـربعهـا   معلومها خشم الرعن من شمالها
ومن شرق لهين الأراضم تحدها   بين اللوى والسر ما طيب اسبالها
دار بنجـد جنـة كـان قبـل ذا   ومن صكته غير الليالي عنالهـا
وصفه من الخضرات بيضا عفيفة   يفـوق كـل البيـض باهـر جمالهـا
حصودها يغض إلى مرّ حولها   مـن خـوف عيـال تـربـوا بجـالهـا
هـن امنـا وآحلـو مطعـوم درهـا   غـذتنـا وربتنـا وحنـا عيـالهـا
بـدور بنـا مـا مثلهـا يكـرم الظنـا   وصـول بنـا لكـن نسينـا وصـالهـا
تلقى علينا الجوخ والشال فوقنا   وهن عارية تبكى ولا احد بكى لها
ولا احد جزع من صحة يوم سلبت   ولا أحد تشد من ذا ويش جالها
قلـت الا واويـلاه وآخيبـة الـربـى   كيـف امنـا تبغيهـم ومنـا قبـالهـا
يا طاوش من فوق سراقة الوطى   هيـم الـى سـارت غيـرهـا ظـلالهـا

إلى أن قال:

أوصيك بامرسال بالسير والسدى   واحدرك نوم الليل عينك ينالها
إلى سرتها عشر وخمس مغرب   مـرواحـك الميـدان منهـا منـالهـا
الى جيت سوق العصر يأتيك غلمه   تخشـع بـزنبـات البـرسيـم نعـالهـا
يقولون لك يا صح عطنا علومك   بلـدان نجـد عتينـاوش جـرالهـا
كـل بلـدات القصيـم وغيـرهـا   عن الخوف زاموا دون جاله رجالها
حذا داركم من عقبكم تندب الثرى   تبكى على الماضين واعترتا لها
لعبوبها الاجناب لا رحم حكيم   والبيـض بـالبلـدان شـت لحـالهـا
شيبانم تضرب على غير موجب   من عقب كبر الجاه تنتف سبالها

أولاد على اليوم ذا وقت نفعكم	لا رحم ابد نفس تتاجر بماليا
اولاد علـى فـالليـالـي قصيـره	ولا اللفتى غيدا الثنا من نوالها
اولاد على اليوم ما هوب باكـر	قوموا بعزم الليث ماضي فعاليا
لا تتبعون الهوى والفجر والعسا	أو ربمـا اوليـت يتعـب سـوالهـا
جود اورجا يا ناس ما هيب عندكم	هذيل ما لحقوا هل القول جاليا
وذى قـالـة مـا يعظمـه كـودنـادر	اولاد علـى مـن بكـم قـال انـا لهـا
ترى مركب الاخطار هو مصعد العلى	ولا يدرك المقصود غير احتمالها
ترى بالسيوف المال والعزو البقا	والجنة الخضراء بخضرة ظلاليا

ثم أخذ يمدح سعدون ويستفزه في بقية هذه القصيدة فقال:

أقسمت بالكرسي وبالنور والعمد	وأشهد بسكان المطر من اخياليا
فلا جابت الخضرات سعدون اومش	مثله على وجه الوطى من رجالها
من مثل ابو ثامر الى ضبضب الفتر	والخيـل زاد مـن البنلتـرا جفـاليـا
لـه هـذه مـا قيـل ابـا زيـد هـدهـا	ولا غتـر المشهـور مـا قيـل نـالهـا
على سابق تعطى على ما يريدها	بيتيـم ضعـافيـن القبـائـل الميـاليـا

ثم أخذ يستفز آل شبيب لعدم أخذهم بثأر عبد الله المنصور الذي قتل في كون العريف:

أبا الحق انا بعض الشبيب ملامه	وتكرم على مشين الملامه سباليا
قل كيف عبد الله تعدون وابنه[1]	ملحق تصيـرات السبـايـا طـواليـا
خليّ مساعير العريف تزودهم	والضيعـة العـرمـا تنـادي عيـاليـا
وهم يزرخون الحب مالي كارهم	ويـلاه يـا عيـن تـزايـد اهمـاليـا

(١) بن عبد الله المنصور هو حمود الذي قتل بيا من الوقعة مع أبيه.

ثم استأنف مدح سعدون المنصور:

لـولا ابـو تـامـر يـرد بفعلـه	فرض سنة المشغوم ميتم طفالها
سنـة مهلهـل عـن كليـب خليعـه	فرضها ابو تامر وجدد شمالها
ذبـح بعبـد الله شيـوخ كثيـرة	مصابيح ظلما بالدجى ينعتي لها
ومن عتبهم ما يد وسبعين لجة	نفسه وعنه ما قضى عشر مالها
وان عاش ابو تامر وساعف له الهوى	كم خفرة ترمى الغطى من اهبالها
بتكـن فصـايـرهـا فـرقـا حليلهـا	وبتكـن مشـافيقـه وتـرمـى دلالهـا

ثم أرسل قصيدة يستنفذها وله فالح السعدون ويعيب عليه استقالة بالزراعة وانصرافه عن عادة آباءه وأجداده، فلم يحصل بتأثير من ذلك، لأن آل منتفق لم يشتركوا في حوادث نجد بعد وقعة الصريف إلّا ما كان شابهم مباشرة كبعض الحوادث التي ستقف عليها فيما يأتي، فيقف موقف الصديق أحيانًا وتارة موقف الخصم حسبما تقضيه مصاحة.

وفي هذه السنة وقع اختلاف بين العجمان وآل مرة في الرقيقة بالأحساء، فوقع بينهم قتال قتل فيه من الطرفين رجال، وكان عبد الله بن يحيى الذكير يومئذٍ بالأحساء يشتري إبل فخرج باليوم الذي حصلت فيه الوقعة، ومعه مائتان وخمسون ريالاً لأجل مشترى إبل كالعادة، وكان معه رفيق من آل مرة من أعيال أولاد أبا لنفوس، فلما ثار القتال بين العجمان وآل مرة قال أزبن الديرة وراح به من طريق جنوبي [...] بين النخيل والبلد خوفًا عليه بزعمه، فلما توسط في الطريق واختفيا عن أعين الناس قتله المربي وأخذ الدراهم التي معه، وبقي ليومه ما يعلم عنه أحد، وباليوم الثاني وجدوه مقتولاً، فذهب دمه هدرًا لأن حكومة التركي عاجزة

عن تأديب المجرم سيما إذا كان من البدو. وكان ذلك في شهر [...] سنة ١٣١٩هـ.

دخلت هذه السنة وابن رشيد في بلاده وابن سعود في الرياض، فلما تحققت ابن سعود أن ابن رشيد في بلاده وليس عنده حركة قريبة خرج غازيًا وأغار على قحطان وأخذهم، وبعد شهر واحد أعاد الكرة على قحطان وغزاهم وأخذهم. وهم على حلبان ماء معروف بعالية نجد. ثم خرج أخوه محمد ومعه أهل الرياض وبوادي النقرة ابن ويلان وابن جمعة من العجمان وابن نتاد أن من آل مرة وقصد قبائل مجتمعة بالشعرى القرية المعروفة بعالية نجد وهم بن بصيص رئيس بُرَيَّه من مطير، وفيصل ابن حشر رئيس آل عاصم من قحطان، وابن حميد رئيس برقا من عتيبة، وأغار عليهم وأخذه منهم حلال، وانكفى إلى الرياض. وكان ابن سبهان ومعه غزو أهل القصيم وأهل الوشم وسدير قريب منهم وأراد أن يمدهم فسار بمن معه يقصدهم ولكنهم فاتوه.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة خرج ابن رشيد من حائل عاصمة ملكه وقد آلى على نفسه أن لا يرجع إليها حتى يخرج ابن سعود من الرياض أو يقتل دون ذلك، وشاء ربك أن لا يخرج ابن سعود من الرياض وأن لا يرجع ابن رشيد إلى حائل فبر بيمينه، وجاهد جياد الأبطال طيلة أربع سنوات قتل في أثنائها.

خرج من حائل ومعه أهل حائل وقراها وشمر وأهل القصيم وأهل الوشم وسدير وأهل المحمل والشعيب ونزل رغبة القرية المعروفة في المحمل، فأرسل عبد العزيز بن سعود إلى أبيه في الكويت يخبره بقدوم

ابن رشيد ويستحقه على المجيء، وأرسل أخاه محمدًا ليصحب والدهما، وكان ابن صباح قد أمر على معسكره الذين في الجهرى بالغزو فوصل محمد بن عبد الرحمن وهم على وشك المسير، فانضم إليهم من حف من هذا الجيش من الجهرى، وبعد ثمان ليال أغار على شمر وهم على قبة الماء المعروفة قرب الأسياح، وأخذوهم وقفلوا راجعين إلى الكويت، فبلغ ابن رشيد خبرهم وكان يومئذٍ على الحسي فرحل على أثرهم ليحول دونهم ودون الكويت، ولكنهم فاتوه، فرجع إلى منزله، وبعد رجوع غزو ابن صباح خرج عبد الرحمن الفيصل من الكويت ومعه ابنه محمدًا في مائة وسبعين ذلولاً، فخرج عبد العزيز لاستقبالهم مسافة ثلاثة أيام عن الرياض، فدخلوا الرياض وابن رشيد في منزله على رغبة، وكان قد تفشى المرض في جنده، فبلغت الوفيات فيهم نحو الخمسين يوميًا، أخبرني بذلك عبد العزيز بن دعيلج، وكان في معسكر ابن رشيد يومئذٍ مع غزو أهل بلده، ثم رحل من رغبة ونزل الحسي والمرض لم يزل يفتك في جنده، إلاَّ أنه تقاصر قليلاً، فكانت الوفيات يوميًا نحو عشرين، أقام بموضعه نحو شهرين زال المرض في أثنائها. فأرسل سالمًا السبهان، ومعه أهل القصيم وبادية قحطان وأمره أن ينزل فرمى ضرما لعتيبة ليمتاروا من الوشم وسدير والقصيم، وكتب إلى معتمده بالأحساء سعد الحازمي بأن يستنهض قبيلتي العجمان وآل مرة، وطلب من حكومة التركي هناك موازرته، ولكن ابن سعود سبقه إلى مثل ذلك، فأرسل أخاه محمدًا وابن عمه عبد الله بن جلوي إلى الجنوب يستنهضان آل مرة والدواسر، ففشلت محاولات الحازمي وفازت مساعي ابن سعود. رحل ابن رشيد من الحسي ونزل حفر العتش ماء بين على حافة الدهناء من الغرب شمال الرياض ثلاث رحلات،

فلما بلغ ابن سعود نزول ابن رشيد بهذا المنزل خرج من الرياض، وقصد حائر سبيع جنوبي الرياض، فرحل ابن رشيد ونزل نبيان الماء المعروف شمالي الرياض، وكان لابن سعود سرية في الدلم قاعدة الخرج بقيادة أحمد السديري، فأمره ابن سعود أن يتأهب للزحف معه إلى الرياض فيما لو هجم عليها ابن رشيد، أما إذا تجنبها ومشى إلى الخرج فأهل الرياض يتعقبونه من خلفه، وكان عبد العزيز بن سعود ننتظر هجوم ابن رشيد بعد أن نزل منزله الأخير، ولكن لا يعلم على أي جهة يكون هجومه، فخرج يؤلب من حوله. ترك عبد الله ابن جلوى بمن كان معه من الجنود، وأمرهم أن يقيموا في عليه ــ وهو جبل حصين بين الحريق والحوطة ــ ثم أرسل أخاه سعدًا إلى الحريق يستنجد أهلها، وراح هو إلى الحوطة للغاية نفسها.

أما ابن رشيد فقد رحل من نبيان ونزل أطراف الرياض، وأغار على ما كان خارج البلاد، واتلف بعض ثمار النخيل، ثم هجم على البلد، ولكنهم صدوه فرحل منها وقصد الخرج وهاجم الدلم قاعدة الخرج، فامتنعوا عليه، فبادر ابن سعود وجمع جيوشه من أهل الحوطة والحريق فانضم إليهم الجند الذين في علية مع عبد الله بن جلوى فكان مجموعهم نحو ألف وخمسمائة مقاتل، اجتمعوا في مادان ماء يبعد عن الدلم قدر عشر ساعات وأسروا في ليلتهم فوصلوا الدلم فدخلوها.

وقعة الدلم

قبل انبثاق الفجر ولم يشعر بهم ابن رشيد وكان نازلاً في نعجان قرية

تبعد عن الدلم نحو ساعتين شمالاً، فأرسل سرية تهاجم الدلم فخرجت لها خيل ابن سعود فتصادم الفريقان وحصل بينهما قتال شديد، فانهزمت سرية ابن رشيد وخيله فعلم بعدئذٍ أن ابن سعود في الدلم يظنه لم يرجع من الحوطة، وفي اليوم التالي خرج ابن رشيد إلى النخيل كعادته، فأحسن ابن سعود بذلك فسار بقسم من جيشه، فكانت الوقعة الأولى التي قابل فيها ابن سعود ابن رشيد وجهًا لوجه فكانت الوقعة شديدة، تحمس فيها كل من الطرفين استمرت ستة ساعات إلى غروب الشمس، ولم تسفر عن نتيجة، وقد أسر ابن سعود جماعة من قوم ابن رشيد من أهل لبدة، ولكنهم تمكنوا من الفرار ليلاً.

وكان في اليوم التالي مناوشة خفيفة طارد فيها ابن سعود ابن رشيد فتقهقر إلى معسكره وكادت تنفد الذخيرة التي مع ابن سعود وجنوده فأرسل إلى الحوطة يطلب قسمًا منها، ولكن ابن رشيد عندما جاء الليل أشعل نيرانه ليوهم أنه في منزله، وسرى في ليلة وسار شمالاً فنزل المسلمية التي تبعد نصف نهار على الدلم ولم يتمكن ابن سعود أن يتعقبه لقلة الجيش والخيل عنده، ثم رحل ابن رشيد من السلمية وسار قاصدًا القصيم ونزل في أطراف بريدة.

غزو ابن سعود عتيبة

بعدما رجع ابن رشيد إلى القصيم كان بعض عتيبة الموالين لابن رشيد نازلين بين سدير والوشم، فخرج عبد العزيز بن سعود ومعه أهل الرياض ونواحيها وبعض القبائل، وسار قاصدًا عتيبة، فأغار عليهم وأخذهم، وهم نازلين في عرق رغبة بين الوشم وجبل طويق.

غزو ابن رشيد وعريب دار

ثم سار ونزل حفر الباطن، ثم سار منه قاصدًا بوادي الكويت، فأغار على عريب دار قرب الكويت، وأخذ الحلة والغنم وسلمت الإبل، ثم رجع ونزل العزبية والرحيل، ومنها شد ونزل رقبة الباطن، فتخوف ابن صباح من قرب ابن رشيد، وكان سلطان الدويش قد مال إلى ابن رشيد، فكتب ابن صباح إلى عبد العزيز بن سعود يستنجده فلبى طلبه، وأقبل ومعه من الجيش ما ينوف على خمسة آلاف مقاتل على أقل تقدير.

فتأمل في قدرة الله سبحانه فقد صار منجدًا من كان بالأمس مستنجدًا، وقد خرج قبل سنة واحدة بأربعين جنديًا وصل الكويت، وقد كان ابن صباح قد جهز ابنه جابرًا فاتحد جيشهما وسارا قاصدين ابن رشيد، وكان ابن رشيد قد بلغه مسير ابن سعود إلى ابن صباح فأراد أن يخالفه على عربانه فرحل من موضعه، وسار جنوبًا، فبلغ ابن سعود وابن صباح خبر ابن رشيد وأنه ارتحل من موضعه ولم يعلما إلى أي جهة قصد وكان سلطان الدويش رئيس مطير قريب منهم، فأغاروا عليه في موضع يسمى (جَوْلَبن) بالعمان، فحصل بينهم قتال شديد أبلى فيه مطير بلاء حسنًا، ولكنهم في النهاية غلبوا على أمرهم فأخذهم القوم وحصل منهم حلال كثير وقتل من الطرفين عدد غير قليل لأن مطير بتلك الوقعة استبسلوا وقاوموا مقاومة عنيفة، وكان حلالهم يومئذٍ بين أيديهم فدافعوا عنه مدافعة شديدة، ولكنه القوة التي هاجمتهم تفوقهم عدد وعدة، فتغلبوا عليهم وقتل يومئذٍ عماش الدويش وابنه، وكانت هذه الوقعة في أواخر شهر شوال.

أما ابن رشيد فقد قلنا إنه رحل من الباطن قاصدًا الجنوب، وأغار على سبيع والسهول وأخذهم وكانوا في الدهناء ثم رجع ونزل حفر القش ورحل منه عاديًا على عتيبة الموالين لابن سعود فصبحهم على البطانيات، وأخذ منهم بعض الحلال، وإليك تفصيل ذلك من كتاب ابن رشيد نفسه، وإن كان لا يدل على الحقيقة التامة والكتاب مؤرخ ٢٠ القعدة سنة ١٣٢٠هـ، يقول فيه بعد الاسم والسلام:

نخبركم أننا ثورنا على بركات الله من فوق حفر الباطن، وصار دربنا على الطوال وخلينا حسين ابن جراد وغزوة، وقيامنا فوق القرعا عنده شمر ومطير بأهلهم، وصار معدانًا مع الصمان على عربان الجنوب.

تابع كتاب ابن رشيد مؤرخ ٢٠ القعدة سنة ١٣٢٠هـ.

ويسركم أن الله أخذ على أيدينا سبيع أبو اثنين وبن بحثل والسهول أجمعين، ومعهم أخلاط آل شامر وغيرهم وصبحناهم بالدهناء من توالي حفر القش أخذهم الله نحمد الله ونشكره، وردنا حفر القش ومنه عدينا على عربان عتيبة (الموالين لبني سعود) وكنا عليهم بأطراف البطانيات وأخذهم الله وهم عربان واجد بن عقيل. وابن جامع والعصمة، ومعهم أخلاط من عتيبة كثير والجميع رزقنا الله بحلالهم جاء منهم كسب واجد خيل وطرش ودبش وحلة ولا صار بهل اكوان إلاَّ الخير لله المحمد ومنافعنا غزوات كثير شمر كلهم ومطير علوى وبريه وقحطان، وبعض الظفير وكلنا رزقه الله من حلال العدو ولا والله نقصوا لا برجال ولا بفرس، ووافقنا غزو لعتيبة الرغالبة مع المهدي أهل ثلاثين ذلولاً، وأخذهم الله وقضى الله عليهم يا الله العافية، هذا صفة ما أجر الله أرجوا أن

الله يعزنا وإياكم بالطاعة، ولا يذلنا بالمعصية ويخذل كل عدو اجينا اخياركم بذلك لأن الذي يسرنا يسركم والسلام (مهر).

هذا كتاب ابن رشيد أما ما ذكر من كثر الغنيمة فلا تخلوا من المبالغة وهذه عادة اعتدنا سماعها في كتب الأمراء والحكام وأكثر ما تكون المبالغة حين يكون الفشل.

وبما أن هذه الوقائع جرت لوقعتنا وتحت سمعنا وبصرنا فلم نعتمد عليها في نقلنا إلاّ في تعيين الزمان والمكان، ويندر أن يكون وقعة إلاّ وعندنا فيها كتب من ابن سعود أو من ابن رشيد أو منهما معًا: وستطلع على مثال منه ذلك في وقائع سيأتي ذكرها، نعود إلى سياق الكلام.

بعدما رجع ابن سعود من غزوته مع ابن صباح بلغه أن ابن سبهان ومعه قحطان نازلين بأطراف الغاط، فخرج من الرياض، وقصدهم فانتذروا به ورحلوا من موضعهم ورجعوا إلى القصيم، فلم يشأ ابن سعود أن يرجع، فقسم جيشه قسمين سار هو على رأس قسم وأخوه محمد على القسم الثاني، فكانت وجهتهما مطير.

فأما عبد العزيز فقد أغار على ابن بصيص والقريعة وابن عشوان من بريه، وأخذهم ونزل المنحة بالصمان، وأرسل مائتي بعير للكويت للميرة عليها.

وأما محمد بن عبد الرحمن فقد أغار على ابن شقير من علوى وأخذه، وسار قاصدًا سلطان الدويش فانتذر به وهج وزين الكويت وطاح على ابن صباح، وطلب منه أن يصلحه مع ابن سعود فأصلحه.

ملاحظة

فإننا إن نذكر أنه بعدما أغار ابن رشيد على عريب دار، ونزل رتبة الباطن قرب خليج الشمالي، جاءه رسول من حكومة التركي يحمل أمرًا رسميًا تحذره فيه من التعرض إلى ابن صباح وطوارف الكويت، فعلم غاية التركي ويئس من مساعدتها له، فأرسل ماجد بن حمود العبيد إلى الأسلم وعبده من شمر يستنفرهم، وأرسل طلال بن نايف الرشيد يستنفر شمر الجزيرة قصده أن يعيد الكره على الرياض، لعله يجد فيها فرصة أما ماجد فقد وجد الأسلم وعبده مشتبكين في حرب مع عنزة، وهم على الأجلال والشبكة، واعتذروا بما هم فيه. وأما طلال فلم يكن حظه أحسن من حظ ماجد، فرجعا دون فائدة.

حوادث خارجية

في شهر جمادى الأولى من هذه السنة، خرج مبارك بن عذبي الصباح بن الزبير، ومعه شرذمة بدو وحضر، وأغار على غنم لأهل الصبية، وأخذها وظهر جابر المبارك الصباح ومعه غزو من الكويت والعسكر الذي في الجهر من أهل نجد، وطلبوا مبارك العذبي وانتذر بهم ودخل الزبير ونزل جابر بوادي النسا، وأغارت خيله على أطراف بلد الزبير على أمل أن يظهر منهم أحد من البلاد، فلم يظهر أحد ورجع إلى الكويت.

حركات يوسف بن إبراهيم وأولاد محمد الصباح

كانت حركة ابن عذبي بسعي يوسف بن إبراهيم وكان نجاحها نشطة على العمل فجهز من الدورة سفينتين فيها نحو مائة وخمسون رجلاً

يرئسهم أحد أولاد محمد الصباح وولد جراح وساروا قاصدين الهجوم على الكويت، وقبل أن يخرجوا من الشط علم فيهم جابر الصباح أخي الصباح مبارك وكان يومئذٍ في الفاو فرفع تلغرافًا إلى أحد البوارج الإنكليزية المقيمة في البصرة، يخبره بالأمر فسارت البارجة إلى الكويت، وكان جابر قد رفع الأمر إلى أبيه مبارك، فطلب رئيس البارجة من مبارك أن يرسل معه من يعرف هذه السفن، فأرسل معه عبد الله بن إبراهيم السمكة أحد النواخذة المشهورين فصادف السفن المذكورة عند خروجها من الشط فأحسوا بالأمر، فهربوا فطاردتهم البارجة وأدركتهم بعد أن دخلوا الشط، وكاد يقبض عليهم، ولكنهم تمكنوا من الالتجاء إلى شاطىء القصبة، فنزل ثلة من رجال البارجة الإنكليزية في أحد زوارق البارجة ليتمكنوا من القبض على من في السفن قبل فرارهم، فلما قاربوا الشاطىء عاجلهم أهل السفن بإطلاق الرصاص عليهم فقتلوا ضابطًا إنكليزيًا وجنديًا واحدًا، وانهزم أهل السفن وتركوها خالية فقبضوا على السفن ودخل بها البصرة، وخاطب والي البصرة فأنكر علمه بتجهيزها، وكذلك يوسف بن إبراهيم أنكر علمه بذلك، ولكن مباركًا اهتم لهذا الأمر وحاول أن يثبت الجريمة على يوسف وخابر رئيس الخليج، وأرسل شهود الاثبات إلى البصرة في شهر رجب، وأحرق الانكليز السفن المقبوض عليها، أما الحكومة التركية فقد علمت بسيرها وأن هذه الحركة من صنع يوسف بن إبراهيم، وأنه لا يركن إلى السكون، فأصدرت أمرها إلى ولاية البصرة، بأن إقامة يوسف بن إبراهيم بهذه الأطراف غير مرغوب فيه، وأنها تستحسن له سكنى الحجاز. فبلغته الولاية أمر الحكومة، فكتب إلى ابن رشيد يخبره، فأرسل له سرية فخرج

منها في ٢٨ رمضان من الزبير، وقصد ابن رشيد في الباطن ومعه أولاد الصباح الصغار ومبارك الغربي، وأقام عند ابن رشيد.

ثورة أهل شقرا وإخراجهم منصوب ابن رشيد

وفي شهر الحج من هذه السنة كان في بلد شقرا كغيرها من البلدان حزبان مضادان فحزب يميل إلى آل السعود، وحزب يميل إلى آل الرشيد، ولكن أعمال ابن رشيد بعد وقعة الصريف وجوده وعسفه وحدت الكلمة وجمعت القلوب فصاروا كتلة واحدة، وقد صدق القائل بأن هذه الوقعة كان الظافر فيها مغلوبًا لأنها فريدة في نتائجها وعواملها، بل كانت هي السبب الأقوى لسقوط إمارة ابن رشيد وتقلص نفوذه. وقد رأينا مبادىء هذا الانقلاب حينما استولى ابن سعود على الرياض أطاعت له البلاد الجنوبية كلها دون أن يوجه إليهم جندي واحد، بل قدموا طاعتهم بطوعهم ورضاهم عنه حب وإخلاص. وكانت أعمال أمراء ابن رشيد في البلدان قد زاد الخرق اتساعًا، ومن هؤلاء الأمراء عبد الله الصويغ الأمير في شقرا من قبل ابن رشيد، فقد اشتدت وطأته على أهل البلد، وضيق عليهم الخناق، وأخذ يحاسبهم عن أقوالهم، فيزعم أن هذا يذم ابن رشيد وهذا يمدح ابن سعود حتى سئمت نفوسهم من هذه السخافات، فاجتمع رؤساءهم وأعيانهم تذاكروا، ما وصلة إليه الحالة وأنهم لا صبر لهم على ذلك، فقر رأيهم إجماعًا على إخراج أمير ابن رشيد وخدامه من البلد، فلما أصبحوا استعدوا وأرسلوا للأمير من يبلغه أن الجماعة قرروا خروجك من البلد، فأما أن تخرج وتحقن الدماء، وإلاَّ فنحن مضطرون لاستعمال القوة ضدك، وبما أن ليس لديه قوة يدافع بها فقد خرج ورجاله وساروا إلى

المجمعة، وبلغ الخبر إلى مشاري بن عبد العزيز العنقري أمير ثرمداء فأرسل رسولاً إلى الصويغ يأمره بالرجوع إلى ثرمداء، فرفع إليه وأقام عنده.

أما أهل شقرا فقد أرسلوا إلى ابن سعود يخبرونه أنهم أخرجوا أمير ابن رشيد الذي عندهم، ويطلبون منه أن يرسل سرية تكون عندهم فأرسل الإمام عبد الرحمن مساعد بن عبد المحسن بن سويلم ومعه قوة فهاجم ثرمداء ودخلها بمواطأة من بعض أهلها، فقتل الصويغ ومن معه من خدام ابن رشيد، وهم ثلاثة عشر وقبض على مشاري العنقري وأرسله إلى الرياض فحبسوه هناك، ومات في سجنه. ودخل ابن سويلم شقراء وأقام فيها.

وبعد هذه الحوادث انضم أهل الوشم والمحمل والشعيب إلى ابن سعود، ودخلوا تحت الطاعة، ولم يبق تحت نفوذ ابن رشيد إلاّ أهل سدير الذين كانوا تحت نفوذ ابن عسكر أمير المجمعة.

بلغ ابن رشيد ثورة أهل شقراء وإخراجهم منصوبه، وانضمام أهل الوشم إليه فزحف من القصيم قاصدًا الهجوم على الرياض لعله يجد فيها فرصة لغياب عبد العزيز بن سعود عنها، لأنه لم يرجع بعد في غزوته على مطير التي تقدم ذكرها، فنزل على قصور شقراء في العاشر من شهر صفر وحاصرها ثلاثة عشر يومًا، فلم يدرك نتيجة، فراسلهم وأوعدهم وتوعدهم، فلم يدرك منهم مطلوبه، وكان قد أرسل أميرًا ومعه قوة، فأغار على فريق من سبيع وأخذ منهم خيل ورجع إلى ابن رشيد، ثم رحل ابن رشيد قاصدًا الرياض فعدل عنها، وأغار على الدواسر والقبابنة والقرينة وكان قد بلغهم خبره فاجتمعوا وزبنوا حلالهم، ولما أغار عليهم صدوه

ولم يدرك منهم إلاَّ شيء قليل (على الرمحية)، ثم أراد مهاجمة الرياض على غرة فسار من الرمحية، ونزل الجنادرية وصار الساعة اثنين من الليل أسرى من الجنادرية ليس معه الأخيل وجيش كان يريد مهاجمة فريق بادية وترك حملته مع سالم السبهان على الجنادرية وقبل الفجر بساعة ونزل في أبو مرزوق ضلع على مسيرة ساعة من الرياض، وكان قد أرسل قبل مسيره خيل تكشف حالة البلاد، ولكن النذير قد سبقهم ونبه أهل الرياض، فلما وصل الرياض وجدهم مستعدين فخرجوا ونازلهم خارج السور فصدوه، ثم انفهق ونزل نخيل تبعد عن البلد قدر ساعة، وأقامة فيها ثلاثة أيام دون أن يأتي بحركة إلاَّ أنه قطع بعض النخيل وهدم بعض الآبار، ثم رحل إلى الوشم من طريق الحائر وضرمي ونزل ثرمداء وبنى فيها قصرًا وجعل فيه قوة أميرهم حمد بن إبراهيم بن عسكر ووضع فيه طعام وذخيرة وزودهم بما يلزمهم[١]، ورجع إلى القصيم، وأرسل قوة مع ماجد بن حمود العبيد وقوة مع حسين ابن جراد.

أما ما جد فقد أغار على عتيبة في عالية نجد وأخذهم فيم حلال أما حسين بن جراد فقد أغار على عتيبة أيضًا وهزموه ورجعا إلى بريدة، وإليك ما يقوله ابن رشيد في هذه الحوادث.

كتاب ابن رشيد مؤرخ ٢٧ صفر

قال بعد الاسم والمقدمة:

صار منا عدة أكوان على أهل الفساد من برادي نجد والحاضرة

---

(١) الملاحظة: لما رعتب ابن رشيد قصر ثرمداء، جعل في روضة نذير سرية ورحل ونزل ماء شمالي الأسر طاوية.

بعداكوانا الذي عرفناكم عنها، روحنا سرية مع جزاع ابن عجل وبيرق معه حضر وبوادي عتيبة على شيوخهم ابن ربيعات وابن حميد وقحطان وأخذ الله على أيديهم عربان بأطراف الرياض وبعد ذلك غزيت شمر وحرب وقحطان وعتيبة وأخذ الله على أيدينا الدواسر والقبانية والقرينية ناس واجد طالعوا سبورنا قبل الكون بيوم، واجتمعوا حسبوا أنها غزية بدو وصبحناهم وقطعهم الله هالكون وخذ الحلال وذبحوا الرجال صار عليهم الكون فوق الرعية وعقبه غزيت على بيات الرياض، توجهنا له عشينا بالجنادرية روضة تبعد عن الديرة ستة ساعات، ورفت الخيل نجد[1] البلاد هي متنبهة أم لا وجبت الخيل نخبرنا أن ما عندهم خبر وعند الساعة اثنتين من الليل سريت من الجنادرية بسلة خيل وجيش وخليت (الفود)[2] عند سالم السبهان يصبح بالمراح ومشينا إلى أن جا قبل الفجر بساعة نوخنا (بابو مخروق)، وسرنا خيل ورجل وجعلت من القوم ثلاث عدوات لكل باب عدوه معهم سلاحهم وما يحتاجون ويوم أننا قربنا الديرة وياهم مستحسين بنا عند مناخنا ومنعت القوم عن قرب البلاد لأجل أن أكثر أهل الديرة طالع البلاد بفلايحهم ومنازله وأمرت القوم يوم أننا صبحنا إغارة عليهم وجميع ما ظاهر السور انعدم الرجال ذبحوا والمال وخذ أقمت بالرياض عدة أيام هدمنا به منازل وقلبان وأذهبت الثمرة وشربنا ووطينا الحائر وضرمى وليا[3] الوشم جاري به حوادث.

وصلنا ثرمداء وبيننا بها قصر وحطينا به رتبة أميرهم حمد إبراهيم بن

---

(١) تحبر: أي تستكتن خبرهم.

(٢) الفود: الرحلة.

(٣) وليا بمعنى إذا وليا معنا (وإذا أن).

عسكر وأهل الوشم حالهم من حاله كذلك ومليام ذكرت لماجد يغزى وكان على عتيبة النوقين، وأخذهم الله وعقبتهم حسين بن جراد وكان عليهم وأخذهم. الله يعزنا بالطاعة ولا يذلنا بالمعاصي أحببت أخباركم، لأن الذي يسرنا يسركم هذا ما لزم وصلّى الله على محمد وآله وسلم.

هذا نص كتاب ابن ريد بلفظه ومعناه لم نغير فيه شيء بل كتبناه على أصله.

ابن سعود

أما ابن سعود فبعد مغزاه على مطير سار إلى الكويت، وبلغه أن ابن رشيد قصد الرياض فهمّ أن يرجع إليها ولكن جاءه رسول من والده يخبره بهجوم ابن رشيد على الرياض وطرده عنها، فاطمأن باله واهتم في نقل عائلتهم التي لم تزل في الكويت، فعاد بها ولم يكد يصل العاصمة حتى بلغه أن ابن رشيد رجع عن الوشم ونزل شمالي الارطاوية، خرج عبد العزيز من الرياض ونزل شقراء، وأرسل عبد الله بن جلوى لمهاجمة سرية ابن رشيد التي في ثرمداء فبذل الأمان لأهل البلد فأبوا القتال فقاتلهم وهزمهم وتحصنت السرية في القصر الذي بني ابن رشيد حديثًا فحاصرها وبدأ بضم عليهم فلما أحسوا به نقبوا الجدار وانهزموا منه ليلاً فاستولى عبد الله على ما فيه من طعام وذخيرة فلما تم استيلاءه على البلد والقصر أرسل عبد العزيز سرية مع أحمد السديري لمهاجمة سرية ابن رشيد في روضة سدير فهاجمتها وهزمتها، واستولى السدير على الروضة، ثم مشت سرايا ابن سعود على بقية بلدات سدير، فسلمت له ما عدى المجمعة، فقد دافعت دفاعًا شديدًا، فتركها ابن سعود لفرصة أخرى، وقنع بما

أدرك، فترك سريتين أحدهما في روضة سدير، والثانية في جلاجل، وأقر أحمد السديري في شقرا، ورجع ابن سعود إلى الرياض بشهر ربيع الأول.

وكان ابن رشيد قد رحل من موضعه ونزل بريدة لأنه خشي على القصيم لما رأى سرعة تقدم ابن سعود وفي شهر جمادى الأولى خرج ابن رشيد غازيًا من بريدة فأغار على عتيبة الموالين لابن سعود فأخذهم وهم على المخامر بعالية نجد ثم رجع وجعل طريقه على سدير وحاصر قرية التقويم، فأمر ابن سعود أحمد السديري وأهل الوشم أن ينجدوا أهل سدير، وخرج هو أيضًا من الرياض منجدًا لهم، ولكن ابن رشيد كان قد رجع عن التقويم، ونزل بريدة، وسار ابن سعود ونزل جلاجل فأقام فيها عشرين يومًا.

خروج أمراء القصيم من الكويت وانضمامهم إلى سعود

وكتب ابن سعود إلى آل سليم وآل مهنا أمراء القصيم الذين لم يزالوا مع جيش ابن صباح المرابط في الجهري، يأمرهم بالقدوم إليه بمن عندهم من أهل نجد، فقدموا ومعهم أربعمائة مقاتل من أهل القصيم، وكان ابن سعود قد عزم على غزو القصيم، فأخذ يعد العدة واستلحق غزوان الجنوب والوشم وسدير والمحمل والشعيب وبعض البوادي، فاجتمع لديه خلق كثير حضر وبوادي، وكانت السنة شهباء والأرض مجدبة من قلة الأمطار، والبعير ضعيف والأطعمة غالية، بل يكاد يكون بحكم المعدوم، وليس هذا الوقت بالمناسب لجر مثل هذا الجيش اللحب، علاوة على ذلك أن هذا الجيش الكثيف لا يوجد فيه أكثر من أربعمائة ذلول لا تكاد تكفي لحمل أمتعتهم، وبقية الجند يمشون على أرجلهم، ولكن رغمًا عن

هذه الموانع فقد زحف ابن سعود بهذا الجيش في القصيم ونزل المجمعة وحاصرها دون نتيجة، واتفق وأهلها على التسليم إذا هو استولى على القصيم، فأرسل من موضعه سرية يرأسها عثمان المحمد (عثمين) إلى الزلفى، فدخله وقتل أميره محمد بن راشد السلمان، واستولى على البلد، ثم رحل ابن سعود إلى الزلفى ونزله.

ابن رشيد يستشير أهل القصيم

وكان ابن رشيد قد نزل بريدة بعد رجوعه من سدير، ورأى أن ابن سعود قد خالفه واستولى على الوشم وسدير وجميع بلدان الجنوب، ولم يبق بيده إلاَّ القصيم والمجمعة من سدير، فهاله سرعة تقدم ابن سعود، فعلم أنه ليس بإمكانه الاحتفاظ بما بقي في يده، واعتزم استنجاد حكومة الترك ولكن يخشى أنه إذا أبعد عن القصيم يستولي عليه ابن سعود، لما يعلم من ميلهم إليه، ولا يقدر على تنفيذ ما اعتزم عليه قبل أن يطمئن باله على القصيم، إذ أن بقاء نفوذه ورجحان كفته على ابن سعود ببقاء القصيم تحت سيطرته، فاحتار في أمره فاستدعى عبد الله العبدالرحمن البسام، وكان يتيمن برأيه وهو رجل القصيم دهاء وحنكه وروابطه قديمة مع آل الرشيد، وله ميل إليهم، فقدم عليه في بريدة فأبدى له ما اعتزم عليه من استنجاد الحكومة التركية، وأنه لم يمنعه من ذلك إلاَّ تخوفه على القصيم من ابن سعود فيما لو ابتعد عنه، وأنا محتار في هذا الأمر، وأحببت آخذ رأيك، فما هو الرأي الذي تراه لي.

قال عبد الله: الذي أرى أن تحتفظ البلدان بالسرايا اجعل في قصر بريدة أربعمائة رجل واجعل عليهم إحدى رجالك الذين تعتمد عليهم،

وجهزهم بما يحتاجون من طعام وذخيرة، وأما عنيزة فيبين قصر الصفار، ويجعل فيه قوة ثلاثمائة أو أربعمائة رجل بقيادة فهيدا السبهان أو غيره ممن تثق به، وتجعل عندهم الكفاية من الطعام والذخيرة، وبث السرايا بينك وبين ابن سعود، يكونوا ردأً دون القصيم وابن سعود، فإذا رتبت هذا الترتيب فأنت وما تريد، وبغير هذا العمل لا يمكن أن تأمن جانب ابن سعود وأهل القصيم، قال ابن رشيد: ما رأيت هو الصواب ولكن لا يمكن تنفيذ هذا إلاّ في استعمال الشدة ولا ودنا نوحشهم خوفًا من تفاقم الأمور ومجاراتهم بالوقت الحاضر أوفق وقصدنا نراجعهم، ونعرض عليهم الأمر لعل أنهم يوافقون على ذلك.

وهذه هي المرة الأولى التي أخذ يعرف فيها للرأي العام حقه، فكتب إلى وجهاء أهل عنيزة وأمراءهم يستدعيهم، فأتوا إليه وفي اليوم التالي جمعهم، وقال: من المحتمل أني أتوجه إلى الشمال، وأخشى أن ابن سعود والسليم يتغانمون الفرصة بابتعادي عنهم ويفتونهم والبلد مثلما تعلمون سورها بتهدم ونبي منكم المساعدة في بنيانه لأجل يساعدكم على صد العدو، ونبي نجعل عندكم سرية مساعدة لكم والعم عبد الله يشير علينا في بنيان قصر الصفا، وأن نجعل فيه قوة قدر أربعمائة رجل، لأجل راحة الجميع عن المفسدين في داخل البلاد وخارجها ولا نحب نمضي هذا الأمر دون مراجعتكم فما هو رأيكم بذلك. قالوا: إن كان الأمير يرى ذلك صالح ويرى تنفيذه فنحن سامعون ومطيعون، ولا عندنا معارضة، وإن كان القصد مراجعتنا وأخذ رأينا فنحن نبدي ما عندنا، قال نعم وأنا ما جمعتكم إلاّ لأخذ رأيكم. قالوا: نحن ما نرى في ذلك صلاح لنا ولا للأمير، لأن بنيان السور يقتضي له عمل كبير ونفقة باهظة

ترهق الناس في تكاليفها، وأما السرايا في وسط البلد فلا بد يحصل منها مضايقة لأهل البلد، وربما يحصل تقربات توغر خواطر الناس ويحدث ما لا نحمد عقباه، خصوصًا مثل هذا الوقت، فالمسألة بين وجهين وللأمير علو الرأي في اختيار أحدهما. قال: وما هو هذان الوجهان. قالوا: إما أن الأمير في شك من إخلاص أهل البلاد وطاعتهم، فلو أن يعمل من التدبير ما تقتضيه ومصلحته. وإما أن يكون واثقًا من إخلاصهم وطاعتهم فيكل إليهم أمر الدفاع عن أنفسهم. فلم يستحسن أن يجابهم بعدم الثقة فيهم، بل قال: إني أثق فيكم الثقة الثابتة وأكل إليكم أمر الدفاع عن البلاد ولا أعتقد إلاَّ أنتم خاصة لن دون غيرنا، ولكن رغبة بزيادة تأكيد ذلك، أحب أن تبايعوني من جديد، فبايعوه على السمع والطاعة ، وأنهم سلم لمن سالم، وحرب لمن حارب، ثم أذن لهم في الرجوع، ثم رحل من بريدة، ونزل البطانيات. وكان ابن سعود يومئذٍ في سدير ولما كان في أواخر شعبان، ونزل ابن سعود الزلفى كما ذكرنا أننا أراد أن يجس نبض أهل القصيم ليعلم قبولهم واستعدادهم، فاستدعى ابن سليم فسأله رأيه في جماعة أهل عنيزة، فقال: إني واثق منهم، ولكن أخشى أن يغلبوا على أمرهم.

مكاتبة ابن سعود لأهل عنيزة فهيد السبهان إلى عنيزة

كتب ابن سعود إلى جماعة أهل عنيزة وكتب آل سليم كتاب إلى عبد الله العبد الرحمن وجماعة أهل عنيزة يخبرونهم عن دخولهم الزلفى، وأنهم سيتقدمون إلى القصيم ويرجون منهم المساعدة لتخليصكم من حكم ابن رشيد وجوره الذي أرهقكم بأعماله، ونؤمل أن تكونوا عند ظننا فيكم.

وصلت الكتب إلى عبد الله العبد الرحمن فجمع أعيان أهل عنيزة، وعرض عليهم كتب ابن سعود والسليم، وقال: وش ترون في هذا الأمر

قالوا: الرأي مشترك، ونحب أن نستنير برأيك أولاً، قال: الذي أنا أرى أن هذه فتنة سيعم ضررها، فلا نحب أن نتعجلها ونحن الآن في عافية من الطرفين والخلاف هو بين الحكام، فهذا ابن سعود بالزلفى وابن رشيد قريب منه، فنحن في أرقابنا بيعة لابن رشيد، لا يمكن أن نحلها بدون نقض منه، فإذا كان ابن سعود راغب في القصيم فما عليه إلاَّ أن يقضي على ابن رشيد وإذا تغلب عليه فنحن سامعين ومطيعين، فوافقوا على ذلك، وكتبوا إلى ابن سعود والسليم جواب كتبهما يقولون: إن بأرقابنا بيعة لابن رشيد ولا يمكن أن نحلها ما دام هو موجودًا ولم يأتي منه ما ينقضها، وهذا ابن رشيد قريب منهم إذا قضيتوا عليه فنحن بالسمع والطاعة. أما الآن فلا تقدمون إلينا.

لما وصلت كتب أهل عنيزة إلى ابن سعود وعرف مضمونها رحل من الزلفى ودخل الرياض، أما أهل القصيم فقد نزلوا بلد شقراء بلغ ابن رشيد كتب ابن سعود إلى أهل عنيزة وجوابهم له، أرسل لهم فهيد السبهان ومعه سبعون رجلاً فنزل فهيد في بيت ونزل جنده في القصر داخل الديرة، وأقبل ابن رشيد ونزل بريدة وأقام فيها شهر رمضان، وفي أول شوال خرج ابن رشيد من بريدة، ونزل جراب الماء المعروف، واعتزم المحدار لتنفيذ خطته التي أوضحنا فيما سبق، وجد من الحوادث ما جعله يزعج رأي عبد الله العبد الرحمن في ضبط البلدان بالسرايا، فأرسل حسين ابن جراد ومعه نحو مائتين وخمسين رجلاً وأمره أن ينزل في السر بين الوشم والقصيم وأمر بعض بوادي حرب أن ينضموا إليه، نزل ابن جراد فيضة السر إحدى قراه ليحول دون تقدم ابن سعود إلى القصيم، وأرسل ماجد ابن حمود العبيد ومعه سرية عددها نحو خمسمائة مقاتل، فنزل الشقية

وأمد عبد الرحمن ضبعان في زيادة قوة، ونزل قصر مهنا في بريدة لما رتب أمور القصيم رحل من جراب، وقصد السماوة، ومعه شمر وحرب لأجل التموين، وأخذ يخابر الحكومة التركية، ويستنجدها فأقام هناك قدر خمسة أشهر فلنتركه في موضعه ليتم عمله ونعود إلى سياق الكلام لتتميم الحوادث التي جرت أثناء غيابه.

الهجوم على سرية ابن جراد
وقتله ٢٨ القعدة

فلما علم ابن سعود بارتحال ابن رشيد إلى العراق خرج من الرياض في ١٢ القعدة ونزل الوشم فانضم إليه من فيها من أمراء القصيم، وأرسل طلائع تستكشف له، فنزل ابن جراد فرجعت الطلائع تخبره أنه مقيم في قبضة السر فترك حملة بالجريفا فأسرى تلك الليلة وصبح ابن جراد في منزله فقتله وانهزم قومه فاستولى ابن سعود على جميع بهائمهم ومخيماتهم بما فيه، ثم رجع إلى الرياض، وأهل القصيم نزلوا شقراء، وفي هذه الوقعة يقول علي الصغيري:

يا ذيب عيّد من فقار حسين	من كف شغموم ذبح عجلات
فالي شبعت من الغفار الذين	فاقبل على ماجد وابن سبهات

أما فأول قدم ابن جراد فقد جنبوا بلدان القصيم وقصدوا ماجد بن حمود العبيد، وكان يومئذٍ نازلاً الشقيقة فأخبروه بالأمر فتخوف أن يكون هو الهدف الثاني فرحل من موضعه ونزل الغزيلية ماء يبعد عن عنيزة ساعة واحدة جنوبًا ثم رحل منه ونزل الملقى وهو نخل لعبد الله العبد الرحمن البسام يبعد عن الديرة قدر نصف ساعة شمالاً وحصل معه رهب ودخل

الديرة واجتمع بفهيد السبهان وعبد الله العبد الرحمن البسام وأبدى لهما تخوفه من هجوم ابن سعود والسبب عدم ثقته بأهل البلاد لأنه رأى منهم ما يؤخذ ظنه، وقال: لا يمكنني الإقامة في بلد هذه حالها، وسار نخل إلى بريدة وانضم السرية التي فيها جيش ليتمكن من المحافظة على القصيم، أما اجتماع القوة في عنيزة وترك بريدة خالية وهي مفتاح القصيم ما هو صلاح، فإذا كنا هناك نكون أقدر على الدفاع، فإن قدم ابن سعود على مهاجمة القصيم، فإن كان وجهه على بريدة كفيناكم إياه وإن كان وجهه على عنيزة نمدكم، فقال عبد الله: هذا رأي ما يوافق، فالأمير قد جعل في بريدة قوة كافية ولاهم في حاجة إلى زيادة والأمير لم يرسلك إلى بريدة بل أرسلك محافظًا لعنيزة، فإذا وقع أمر وأنت ببريدة فما هو عذرك عند الأمير، وساعده فهيد السبهان على هذا الرأي، فاقتنع ظاهرًا بصواب رأي عبد الله، ولكن أعاد الكرة في طلب بناء السور، أجابه عبد الله أن السور يحتاج إلى تكاليف باهظة، ولا نحب تشويش الناس، ولكن إذا كان لا بد من هذا الأمر فاجمع وجهاء أهل البلاد وراجعهم، فإن وافقوا فهو المطلوب وإلاّ تركه أولى، لأن الوقت يقتضي ذلك[1].

أقام ماجد بموضعه وهو على أشد الحذر، وكان يرسل في كل يوم طلائع ويجعلهم قسمين أحدهما من الجنوب، والثاني من الشرق يتحسسون الأخبار عن ابن سعود لئلا يدهمهم على غرة هذا من جهة.

ومن جهة ثانية كان يرسل الرسول إلى ابن رشيد يخبره بحوادث القصيم، ويستحثه على سرعة المجيء، ويقول: أدرك بلدان القصيم قبل

(١) فراجع الجماعة ولم يوافقوا ولم يشأ أن يكرههم.

أن تؤخذ من أيدينا، ولكن ابن رشيد أصم أذنه عن إجابته، لأن حكومة التركي قد أصغت لكلامه وأوجست خوفًا من توسع سلطة ابن سعود في نجد، فأملته بالنجدة، فترك الميدان لابن سعود يعمل ما يشاء ثقة منه أنه بمساعدة الترك لن يستطيع أن يسترد القصيم فقط، بل يستطيع أن يخرج خصمه من نجد جميعها، وما النصر إلاَّ من عند الله.

حوادث سنة ١٣٢١هـ

وفاة سبهان السلامة ٢٢ جمادى الثانية.

فتح عنيزة والقصيم

وفي أواخر شهر ذي الحجة خرج عبد العزيز بن عبد الرحمن من الرياض، ولما وصل ثادق أرسل يستدعي أهل القصيم أن يوافوه فيها فأتوه وأشاع أنه يريد الكويت، فترك حملته وثقيل ما معه في قصر الجريفا من قصور الوشم، واتجه شمالاً بشرف، ثم عطف إلى القصيم، فلما وصل الشريمية ماء بالنفوذ رجع عنه بعض البوادي الذين معه لما علموا أنه يقصد عنيزة ولا طمع لهم فيها، ثم أسرى تلك الليلة فضلوا الطريق طيلة ذاك الليل، ثم وجدوا الطريق بعد أن خرجوا من النفوذ، وكانت كشافة ماجد يخرجون كل يوم يتحسسون الأخبار عن ابن سعود، فصادفوه حين خرج من النفوذ، فرجعوا يخبرون ماجد أن ابن سعود نزل الحميدية ماء يبعد عن عنيزة ثلاث ساعات، فرحل ماجد من الملقى ونزل عند باب مربيدة على حد السور من الغرب، فأخبر أهل عنيزة عن نزول ابن سعود الحميدية فقام ابن سبهان وأمراء عنيزة آل يحيى الصالح وأمروا على أهل الديرة بالعرضة

وتوعد كل من يتخلف عن ذلك، فلما اجتمع أهل عنيزة واستعدوا بسلاحهم أمروا عليهم أن يتفرقوا على محيط السور فيجمعون الأربعين والخمسين ويجعلوهم في مكان، ويجعلوا عليهم أحد رجالهم الذين يثقون بهم، ويجعلون مثلهم على بعد قليل منهم، فرتبوا أهل البلاد الجنوبي على طول السور ومحيطه، وكان ظنهم أن ابن سعود سيأتي إما من باب شارخ الشقة الغربي أو من باب البابية الشرقي، أو من بينهما فجعلوا في هذه المراكز قوة أكثر مما سواها وعلى الخصوص الشقة جنوبًا لأنها هي التي تلي مناخ ابن سعود، وبقي فهيد مع بعض من الجماعة على القباوي لأنهم أمروا خواص كل فريق أن يستعدوا ويجتمعوا في إحدى القباوي ليكونوا رهن الأمر، وأما آل يحيى وأتباعهم فقد أخذوا به يدورون على المراكز الخارجية يشجعونهم خوفًا من تسللهم. بقوا على هذه الحال إلى أن مضى كثير من الليل فترجح في ظنهم أن ابن سعود أخر الهجوم في هذه الليلة وإن الكشافة لم يتأكدوا أن الذي رأواه هو ابن سعود ففترت مراقبتهم وتسلل الناس من مراكزهم، ولم يبق في كل مركز إلاّ قليل منهم، وكذلك الذي بالقباوي قد تفرقوا أو راح كل منهم إلى بيته، فلما كانت الساعة السادسة ليلاً زحف ابن سعود من الحميدية ونزل الجهمية النخل المعروف يبعد عن السور قدر ربع ساعة جنوبًا ولم يحس بهم أهل البلد فانتدب ابن سعود أمراء أهل القصيم أن يتقدموا إلى بلادهم، فتقدموا مشاة وليس معهم أحد من غير أهل القصيم، فلما قاربوا الشقة وفيها أكبر المراكز وأقواها وهو المركز الوحيد الذي لم يرجع من أهله أحد قبل المصادمة، وكانت الساعة نحو الثامنة والنصف من الليل، تقدم المهاجمون ولم يشعر بهم حتى أخذهم الرصاص فاضطرب أهل

المركز وذعروا من هذه المهاجمة المفاجئة، ولم يكونوا على استعداد، فلم يقاوموا مقاومة تذكر، لأن المهاجمين قد داخلوهم والرمي لم يزل متواصلاً، فانهزم أهل المركز، وتفرقوا يمينًا وشمالاً، ودخل أكثرهم النخيل وتركوا الطريق مفتوحًا، وقتل لأول وهلة من أهل البلاد محمد بن عبد الله المحمد البسام، وتقدم آل سليم وآل مهنا ومن معهم منه طريق البويطن[1] ولم يعترضهم أحد حتى وصلوا المجلس من تهم السرية التي كانت في القصر لأنهم افترقوا فرقتين فرقة من طريق البويطن صار طريقها على سوق المسوكف، والثانية صار طريقها من الجادة وكلا الطريقين. يعود رهن القصر فاجتاز منهم قسم وتمركز عند بيت علي السليم على طرق المجلس من الغرب، فقبضوا الطرق الثلاثة الغربي الذي يأتي من قبل العقيلية الجنوبي الذي يأتي من قبل الجادة والشرقي الذي يأتي من قبل سوق المسوكف وبقي الشمالي الذي يأتي من قبل المفرق مفتوحًا وهنا بدأ إطلاق الرصاص من بيت عبد الله العبد الرحمن البسام من الشرق وبيت محمد العبد الله إبراهيم البسام من الشمالي مساعدة للسرية التي في القصر فصارت مراكز المهاجمين مكشوفة لا يستطيعون التقدم فتقدم قسم من الذين عند بيت علي السليم ودخلوا مسجد الجامع وتحصنوا فيه وصعد منهم رجال إلى منارة المسجد وكانت متسلطة على القصر فأخذوا يرمون منها أهل القصر فتمكنوا من إسكاتهم فنزلوا من أماكنهم وتحصنوا بأسفل القصر، ولكنهم لا يتمكنون من صد المهاجمين فتقدم أهل المراكز الجنوبي الشرقي، وكان فهيد السبهان يبيت في البلد عند زوجته، فلما

---

(١) آل سليم دخلوا من باب ساير والتقوا باللذين دخلوا في البويطن في المجلس الساحة التي أمام القصر.

سمع الرمي خرج على فرسه يريد أن يخرج إلى ماجد، ولكنه أراد أن يعلم حقيقة الأمر فجاء قاصدًا السرية التي في القصر وعندما وصل عند بيت علي السليم وإذا فيه جماعة مسلحون، كان يظنهم من حزبه فسألهم عن الأمر، فأجابته البنادق التي صوبت إلى صدره فخر قتيلاً، فأخذوا فرسه وسلاحه وتركوه مجندلاً.

أما بيوت البسام فقد سكتت لسكوت أهل القصر، خرج الأمير حمد بن عبد الله اليحيى الصالح إلى ماجد يطلب منه أن يمدهم فأبى وسلم القصر بالأمان فخرجوا منه واستولوا على جميع ما كان لآل الرشيد وأعوانهم ولم يبق في البلاد معارضة فأرسل آل سليم إلى ابن سعود يخبرونه أنهم استولوا على البلاد، وأخرجوا من في القصر، وقتلوا فهيد السبهان، ولم يبق إلاّ ماجدًا بطرف الديرة وكان ابن سعود قد تأهب لذلك فأغار على ماجد مع طلوع الشمس فوجدوه قد تأهب للهزيمة وهو على وشك المشي فعاجلوه، فأخذ يداخلهم وهو ينهزم حتى أثخنوه وقتل من قومه نحو خمسين رجلاً، فيهم أخاه عبيد [...] هو وانهزم قومه على غير طريقه، فالتحق بعضهم بعبد الرحمن بن ضبعان في بريدة أما ماجد فلم يقف دون حائل، وكان آل سعود المسجونين في حائل كلهم مع ماجد فأسرهم الإمام عبد العزيز واستبقاهم معه، فأطلق عليهم يومئذٍ اسم العرائف.

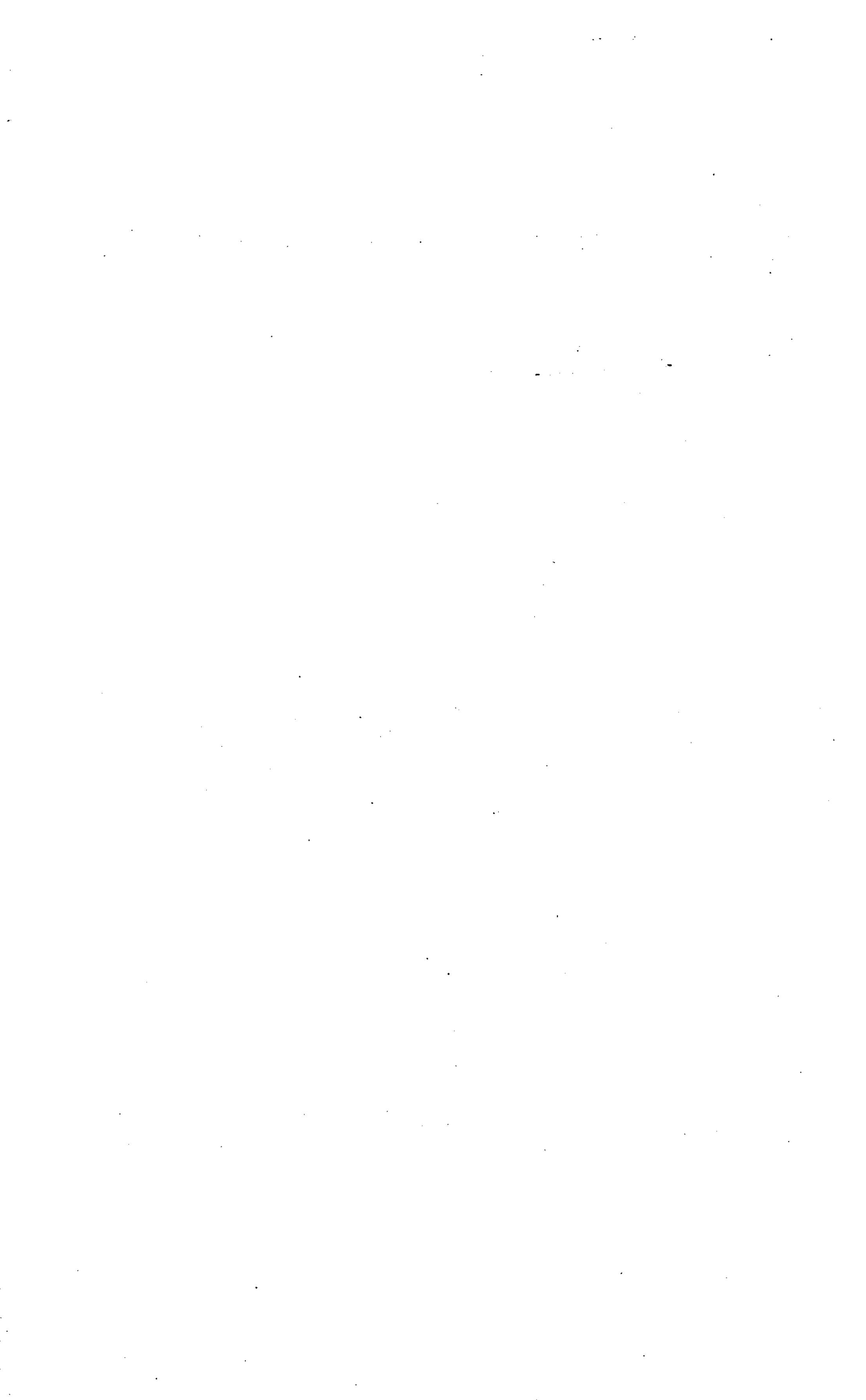
رجع ابن سعود ودخل عنيزة وجاءه وجهاء البلاد وسلموا عليه وبايعوه وبايعوا السليم، ولم يتخلف أحد ممن يشار إليه إلاّ البسام، فإنهم استوحشوا أولاً أحبوا مجانبة الأمور بتلك الساعة إلى أن تركز هذه الشوشة، واختفوا بحيث لا يعلم بمكانهم، فأرسل إليهم ابن سعود

يدعوهم لمواجهته، فلم يتصل بهم أحد، وأرسل إليهم ثانية وكذلك لم يحصل نتيجة. فغضب بن سعود وأمر من يقتحم عليهم من بيوتهم ويأتي بهم جبرًا فما سمعوا هذا الأمر حتى حصل شوشة في تلك الجنود الطائشة فاقتحموا بيوتهم ونهبوها، وما كان ابن سعود والسليم يقصدون هذا الأمر، ولكن دائمًا في مثل هذه الحالة يصحبها حوادث لا يمكن إتقاءها.

والحقيقة أن هذا الأمر ساء أهل البلاد جدًا ويسؤنا أن نسطر مثل هذا العمل، ولكن التاريخ يتطلب الحقيقة، نعم إن آل سليم قد عمل فيهم مثل هذا العمل وأكثر فقد صودرت أملاكهم وهدمت بيوتهم وجررت نساءهم بالأسواق بيد رعاع من أهل البلاد مستخدمين عند أمراء البلاد من قبل ابن رشيد، ولكن مع ذلك نرى أن بعض آل سليم قد تألموا من وقوع هذه المسألة، لا نقول ذلك اعتذارًا عنهم وما كانوا محتاجين إلى العذر، لأن مقدمات الأمور وتوابعها أعظم من هذه والدماء أعظم من جميع ذلك، ولكنها حقيقة أردنا إيضاحها. قبض آل سليم على أولاد عبد الله اليحيى الصالح: حمد وصالح، حبسوهما. وفي اليوم الثاني قتلوا صالحًا. وتشفع محمد بن عبد العزيز السبيع في حمد، لأنه خال عيال حمد، فشفعوه به، واختبر أحد أولاد السليم، فدخل عليه وقتله وهو في حبسه، وتتبع آل سليم بعض خدام الأمراء السابقين الذين كانوا قد أساؤوا على حرمهم أو أهانوا بعض رجالهم بوقت ما قبض عليهم ابن جراد فقتلوهم ونجى بعضهم فرارًا كان ذلك اليوم الخامس من محرم سنة ١٣٢٢هـ.

انتهى الدفتر الثاني من تاريخ مقبل الذكير

ويليه الدفتر الثالث



فلما كان يوم السابع من شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ قدم وفد من أهل بريدة يطلبون من ابن سعود أنْ يرسل آل مهنا معهم لإخراج سرية ابن رشيد التي في قصر بريدة، فأجابهم وأرسل معهم صالح الحسن وبني عمه وجماعته، فاستقبلهم أهل البلد ورحّبوا بهم وباشر ابن مهنا حصار السرية، وكان رئيسها ابن ضبعان قد تحصّن في القصر، وعندما رأى حركة أهل بريدة قال لهم: إني لست في حاجة إلى مساعدتكم ولكني أُحذِّركم من عواقب عملكم، فابن رشيد قد أقبل وهو قريب عندكم، قالوا: مثلما أنت لست في حاجة إلى مساعدتنا فنحن لسنا في حاجة لهذا الإنذار منك، فإن تولي ابن رشيد تركنا البلاد لكم وله. ثم بعد ذلك سار ابن سعود ونزل بريدة، فباشر حصار السرية وشدد الحصار، ولكنها تمكنت من الدفاع نحو شهرين ونصف حتى نفد ما عندهم من الزاد، وطلبوا الأمان فأُجيبوا، فخرجوا من القصر وجهزهم ابن سعود وساروا إلى حايل، وقدمت وفود أهل القصيم إلى ابن سعود في بريدة ما عدى حسين بن عساف أمير الرس والعقيلي أمير المذنب، فقد انحازا إلى ابن رشيد.

أما محمد بن عبد الرحمن الفيصل من بعد ما تم فتح عنيزة سار منها غازيًا وقصد الذي يليه في حرب، فأغار عليهم وهم على الدليمية وأخذ عليهم إبلاً كثيرة ورجع إلى القصيم.

وفي ١٤ محرم سنة ١٣٢٢هـ: وقع مطار غزيرة في عنيزة في الليل،

وكان لإحدى القلاع الكبيرة مجرى يباري الديرة في الشرق، بينها وبين النخيل يبتدىء مدخله من شرقي باب البابية، ثم يعرج من عند المداق على الجعيفري ويمتد مسيره على السويطي على حياله حمد الزامل شمالاً، ثم يعطف شرقًا على الشريعة على سوق الشملانية، ثم يجعل مقبرتي الجميدي والطعيمية شمالاً، ثم يعطف شمالاً على الجناح.

وكان هذا المجرى قديمًا قبل أنْ تتسع البلد وبقي على حاله، وكان له عرصات في حيالة الجعيفري لها أبواب، وكانوا يسدونها أيام الفيض، ومن الصدف أنّ السيل جاء ليلاً وأبواب العرصات مسدودة، ولم يتنبه لها أحد، لأن أهل البلاد في تلك الأيام مشتغلون عنها أيام دخول ابن سعود والسليم، فجاء السيل على مجراه العادي فحالت السدود دونه ومجراه، ففاض السيل من مجراه من عند الجعيفري ودخل البلاد من الجهة الشرقية، فأحدث ضجة كبيرة لما دهمهم، وخرج الناس من بيوتهم هم وعائلاتهم وكان هم الناس النجاة بأنفسهم، وكان مقرة الهفوف تتهدم نحو مائة، وبيت طاحة من أساسها ومائة أخرى حصل فيها خلل، ولكن لم يصب فيها نفوس.

استتب الأمر في القصيم لابن سعود عدا قصر بريدة، فإنه لم يسلم.

وفي ١٧ محرم (عندما هدأت الأمور): أرسل عبد الله العبد الرحمن وبقية من اختفى من البسام إلى ابن سعود يطلبون الأمان، فطلب عليهم ابن سعود عشرة آلاف ريال، فسلموها فأمّنهم، وخرجوا إليه وسلّموا عليه، وكان محمد بن عبد الله العبد الرحمن البسام قبل أنْ يدخل ابن سعود عنيزة على وشك السفر إلى الشام كعادته، فخرج منها قاصدًا

الشام لأجل تصريف الإبل التي قد اشتراها من أسواق الشام، وكان مجموع ما عنده في تلك السنة نحو مائة بعير، وخمس رعايا أو بالحري نحو عشرة آلاف رأس من الإبل، فعطف على ابن رشيد وهو في العراق يخابر حكومة الترك، فأخبره باحتلال ابن سعود القصيم، فأرسل ابن رشيد إلى تجّار الإبل من أهل القصيم وأخذ منهم ثمانين بعيرًا انتقامًا منهم على عمل ابن سعود.

القبض على آل بسام وإرسالهم إلى الرياض

كان ابن سعود قد أرسل لابن صباح يبشّره بفتح القصيم، فرجع الرسول من مبارك ومعه كتاب لابن سعود يأمره بالقبض على آل بسام، ويقول لأنهم أساس كل حركة وهم عضد ابن رشيد في هذه الأطراف، وبقاؤهم في عنيزة بالوقت الحاضر ما هو صلاح.

ويقول بكتابه: إنّ محمد العبد الله وصل عند ابن رشيد، وبعد وصوله أخذ ابن رشيد من تجار القصيم ثمانين بعيرًا لأجل شيل رحلة العسكر، لأن الحكومة أمدته في عسكر وأنه سيتوجه من السماوة عن قريب، ويحثّ ابن سعود على الاستعداد لذلك.

جاء ابن سعود من بريدة إلى عنيزة واستدعى ابن سليم وبعض جماعته وبلّغهم نجدة الترك لابن رشيد، ثم أرسل إلى عبد الله العبد الرحمن وابنه علي وصالح الحمد المحمد وحمد المحمد العبد العزيز وحمد المحمد العبد الرحمن،، ومحمد العبد الله البراهيم آل بسام، وأخبرهم أنّ ابن رشيد قد أقبل وقد أمدته حكومة الترك بعسكر

ولو وثقت أنا فيكم فالجماعة ما هم واثقين، والذي أرى أن تبعدوا أنفسكم عن مضان القيل والقال ما دام الأمور على هذه الحال، ولا أرى لكم أحسن من الاعتزال في الرياض على بساط الكرامة إلى أنْ تنقضي هالأمور، لأني أخشى من هرج ينسبه عنكم عدو ويحملنا على مقتلكم، نحن نودُّ أن لا يصير لأحد مدخل في كلام، وأنتم في وجهي وأمان الله ما يجي عليكم ما يكدركم.

قالوا: حنا بالسمع والطاعة، وإذا كان ترون في إبعادنا شيء من المصلحة لكم أو لنا فحنا حدر الأمر، إنما نطلب من الله ثم منكم تمبلونا يومنا هذا، ونطمئن خواطر عائلاتنا، وبكرى إنشاء الله نكون مستعدين.

قال: ما هنا أمور إنشاء الله تدعي إلى مضته، فالذي تريدون يلحنكم واكتبوا بخواطركم لعائلاتكم وطمنودم، والجيش حاضر توكلوا على الله واركبوا.

فركبوا في الحال وقدموا الرياض، فأنزلوهم في بيت يليق بهم، وتركوا لهم حريتهم في الخروج والدخول، ورتبوا لهم كفايتهم وجعلوا عندهم خدّام يخدمونهم بصفة مراقبين، ولم يحصل عليهم تضييق.

ذكرت السبب في القبض على آل بسام ولم أذكر إلاّ ما ثبت عندي، واطّلعت عليه وعندي بذلك وثيقة من مبارك الصباح كتبها إلى مقبل بن عبد الرحمن الذكير، مؤرَّخة ١٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ، تتضمن كتابته لابن سعود بهذا الأمر فدوّنته إثباتًا للحقيقة، لأن آل بسام اتهموا بعض الجماعة بأنهم هم الساعين بذلك عند ابن سعود، ولكنهم على خطأ في ظنّهم، فالأمر من ابن صباح مباشرة، وسيطلع القارىء على ما يؤيد ذلك في كتاب

الإمام عبد الرحمن للشيخ قاسم بن ثاني في كلامنا هذا على التوسط لإطلاق سراح آل بسام في حوادث السنة التي بعد هذه.

ولكنْ ــ مع الأسف ــ أنَّ هذا الظن صار عندهم بحكم اليقين، وحملوا ابن رشيد على أن يكتب للدولة في إبعاد بعض الأشخاص من تجّار أهل عنيزة في البصرة، فوقعت النكاية بأناس هم أبعد الناس عن أمور السياسة، بل وأمور ابن رشيد وابن سعود، وذلك أنّ الحكومة اعتقلت محمد العويد الشعيبي وأخاه عبد الله العويد، وحمد الحماد الشبل القائم بأعمال الشبيلي بالنيابة وأرسلتهم إلى قونية فبقوا هناك مدة.

إقبال ابن رشيد من العراق بالعسكر

ذكرنا أنّ ابن رشيد سار إلى العراق في شهر شوال الماضي وأخذ يراجع حكومة الترك في الأستانة ويستنجدها على ابن سعود، وأقام على ذلك نحو خمسة أشهر وهو يرسل التلغراف تلو التلغراف، دون أن يظهر له بوادر من النجاح، ولكن الدولة أخيرًا عطفت على طلبه وأوعدته لأنها أوجست خوفًا من امتداد سلطة ابن سعود في نجد وأمدت ابن رشيد بنجدة مؤلّفة من أحَدَ عشر طابورًا وأربعة عشر مدفعًا، وشيء كثير من الذخيرة والمؤن والمال.

وقد ذكرنا مصادرته جمال تجّار أهل القصيم فحمل عليها العسكر والذخيرة واستنفر شمر وحرب والظفير وبعض من عنزة والشرارات وبني عبد الله، فأقبل يزحف بهذا الجيش الجرار قاصدًا ابن سعود في القصيم، فلما وصل قصيبا التقى بعبد الرحمن بن ضبعان فيها، وكان قد سلم قصر بريدة قبل بضعة أيام عندما نفد ما عندهم من الطعام،

وكان ابن ضبعان مريضًا، فتوفي بعد مدة قليلة، أخبره ابن ضبعان بقوات ابن سعود فأقبل ابن رشيد، وكان ابن سعود قد كتب إلى بلدان نجد يطلب زيادة غزوه فجاءوا وانضموا إلى مَنْ معه فاجتمع عنده قوة ما هي قليلة حاضرة وبادية.

وقعة البكيرية

هذه الوقعة من أكبر الوقعات التي صارت في نجد بل هي أكبرها على الإطلاق بتاريخ نجد الحديث الذي وصل إلينا علمه، لما توفر فيها من الاستعدادات الحربية والأسلحة الحديثة الطراز عند الفريقين، وبكثرة ما حشد فيها من الجيوش، حيث إنّ نجدًا شطرتها هذه الحوادث شطرين متضادين، فمن حدود القصيم الشمالية إلى وادي الدواسر بيد ابن سعود، وقد حشد غزوان هذه البلدان وبواديها، ومن حدود القصيم شمالاً إلى جوف آل عمرو بيد ابن رشيد.

وقد حشد غزوان هذه البلدان وبواديها غير ما أمدته به نزل ابن رشيد [...][١] جيشه، وكان ابن سعود في (البصر) قرية من قرى بريدة ثم شدّ منها، ونزل البكيرية وعبىء جيشه ثلاثة أقسام، قلب وجناحان، فكان هو ومن معه في غزو الجنوب جميعهم وبعض البادية الجناح الأيمن. وكان الجناح الأيسر أهل بريدة وأهل القصيم ومعهم بعض البادية، وكان القلب أهل عنيزة وتوابعها ومعهم بعض من عتيبة.

أقبل ابن رشيد وجنوده على تعبئته؛ فوجّه معظم قوّاته على جناح ابن سعود الأيمن الذي هو فيه، وجعل قبالة أهل بريدة وأهل القصيم بعض

(١) سطر غير واضح في الأصل.

من الحضر وشمر، وقبالة أهل عنيزة مثل ذلك، اصطدم الجيشان في وسط النهار من ذاك اليوم والتحم القتال وحمي الوطيس، وبيعت الأرواح بيع السماح، وتزاحفوا حتى اختلط الفريقان وتجالدوا بالسيوف إلى وقت العصر، فانهزم جناح ابن سعود الأيمن، وانهزم هو فيمن انهزم، أما القلب والجناح الأيسر فقد ثبتوا على القتال وهزموا الجيش المقابل لهم قبل الليل، ثم أغاروا على شمر وأخذوهم وهم لم يعلموا بهزيمة ابن سعود، فظلوا يطاردون فلول ابن رشيد الذي قد انهزم هو وأهل حايل على جيشهم، وتركوا العسكر لرحمة الأقدار، فصارت الملحمة والقتل فيهم، فلما أمسى الليل رجع أهل القصيم إلى معسكرهم ظافرين، وصادفوا برجوعهم ثلث من العسكر، بأسلحتهم وأطوابهم منفردين، فقاتلوهم ثم تغلبوا عليهم وأسروهم وغنموا ما معهم من الأسلحة والأطواب والذخيرة.

فلما وصلوا إلى مخيمهم لم يجدوا فيه أحدًا، فبلغهم حقيقة الواقع، وكان معهم عبد العزيز بن جلوي، ومحمد بن صالح شلهوب، دخلوا في معسكر أهل القصيم بعدما التحم القتال وبقوا معهم إلى النهاية، وكان الخبر قد وصل إلى عنيزة بهزيمة ابن سعود، فظنّوا أنّ الهزيمة عامة، فلما كان الساعة السادسة ليلاً وصل رسولٌ من صالح الزامل السليم ومعه كتاب للأمير عبد العزيز العبد الله يخبره بهزيمة ابن رشيد ويقول: إنْ كان ابن سعود قد جنّب البلاد فأرسلوا إليه وردّوه، فأرسل الأمير عبد العزيز إلى ابن سعود كتابًا مع مجاهد الحبردي يخبره فيه عن حقيقة الواقع، وأرسل له الكتاب الوارد من صالح الزامل، وطلب منه أنْ يرجع، وأنهم مستعدون إلى جميع ما يلزم من المال والرجال، وجاء عبد الله بن قعدان يخبر الأمير

بعد أن صلى المغرب مع ابن سعود في كريع قصور مزارع مسافة ساعتين ونصف عن عيزة بالجنوب الغربي منها، وصل الحبردي إلى ابن سعود وسلمه كتاب ابن سليم، ولكنه لم يصدق الخبر، فاستمر في مسيره قاصدًا إلى الرياض.

وكان الأمير ابن سليم قد جمع أعيان أهل عنيزة وكتبوا إلى ابن سعود كتابًا أشد لهجة وأكثر حماسة، فطلبوا منه أنْ يرجع ولو وحده، وعاهدوه بالله أنْ يقدموا له أموالهم وأنفسهم، فإذا لم يرجع فهم معتمدون على حرب ابن رشيد بأنفسهم، وكان ابن جلوي وابن شلهوب قد وصلا عنيزة، فسار الرسول الثاني معهما، فلما وصل رسول أهل عنيزة الثاني سُئل ابن سعود من ابن جلوي وشلهوب وكانا حاضران مع أهل القصيم فأخبراه، وصدّقا جواب أهل عنيزة، فرجع إليها.

أما غزو القصيم الذي بالبكيرية فقد اعتزموا المبيت في البكيرية، وفي الصباح يرجعون إلى بلدانهم بمن عندهم من الأسراء والأطواب؛ وكان هذا رأي صالح الحسن المهنا، وأما صالح الزامل فقد كان يرى الرجوع حالاً في ليلتهم قبل أنْ يختبر ابن رشيد أنهم في قلة، فيرجع إليهم فلم يوافق ابن مهنا، فركن ابن سليم إلى راية إلاّ أنْ الجند الذين معهم تخوفوا وأخذوا يتسللون في جنح الليل، فلما كان نصف الليل لم يبق من الجند إلاّ قليل، فاضطروا إلى الرجوع بليلتهم وتركوا ما معهم من الأسرى والغنائم، فرجع أناس من أهل البكيرية وأخبروا ابن رشيد، فأرسل قوة استولت على ما تركه أهل القصيم من العسكر والذخيرة، وكان عدد القتلى في هذه المعركة ينوف على الألفين وخمسمائة من ذلك نحو ستمائة وخمسين من أهل الرياض.

قنبلة في يده اليسرى[1]

وقتل من أهل القصيم عمومًا نحو أربعمائة وخمسين، وقتل من عسكر الترك نحو ألف، وفيهم ثلاثة ضباط، وقتل من أهل حائل ونواحيها نحو أربعمائة، وفيهم ماجد بن حمود العبيد، وعبد [. . .][2] لا يقل عن الثلاثة الآلاف[3].

رجوع ابن سعود إلى عنيزة

رجع ابن سعود بعد أنْ وصله كتاب أهل عنيزة الأخير، وهو على المربع، فدخل عنيزة في اليوم الأول من شهر جمادى الأولى فاستقبله أهل عنيزة كبيرهم وصغيرهم خارج البلد استقبالاً حماسيًا، فاصطفّوا صفّين من باب البلد إلى مسافة بعيدة بأسلحتهم، والخيل تجول بين الصفوف ترحيبًا بقدومه، فدخل البلد ولم يكن معه يومئذ أكثر من خمسين هجّانًا، فجهّز بيومه سرية وأرسلها إلى البكيرية، ولكن ابن الرشيد قد سبقه إليها، فرجعت السرية إلى عنيزة، وكان ابن رشيد بعد هزيمته قد نزل الشيحية، فتلاحق عليه فلول جيشه، فجمع قوته وتماسك بمن بقي عنده من العسكر، وبلغه رجوع أهل القصيم عن البكيرية فنزلها.

وأرسل ابن سعود إلى القبائل التي حوله من عتيبة ومطير فأجابوه، فلما تكامل ورودهم واجتمع عنده أهل القصيم، خرج في السادس من شهر جمادى الأولى يريد ابن رشيد، فبلغه أنه نزل الخُبرا

(١) هذه العبارة ليس لها تعلّق بما قبلها ولا بما بعدها.

(٢) التكملة ناقصة في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، والظاهر أنه سقط بمقدار صفحة.

(بلد من بلدان القصيم) وحاصرها، وكان قد وضع على أهل البكيرية غرامة طعام نحو خمسة عشر ألف صاع، وأمرهم أنْ يطحنوه، وجعل عندهم سرية يقبضونه منهم فتعقبه ابن سعود ونزل البكيرية، وطرد سرية ابن رشيد واستولى على ما كان فيها لابن رشيد من الطعام.

أقام ابن رشيد على حرب الخُبرا عدة أيام، ولكنّ أهل البلد صمدوا لحربه ودافعوا عنها دفاعًا شديدًا على أنه قد ساعده عليهم من الداخل تفشّي الهواء الأصفر فيهم مرض (الكوليرا) الذي لم يعرف بنجد قبل ذلك، وكان قد سرى إليهم من جيش ابن رشيد بعد أنْ تفشّى فيه من اختلاطه بعسكر الترك، فكانوا بين قبضة مرض داخلي وعدو خارجي، ولكن ذلك لم يفل عزمهم، فقد دافعوا دفاع الأبطال أحَدَ عشرة يومًا، كانت المدافع تشتغل عليهم ليلاً ونهارًا، [. . .][1]، فحاصرهم فامتنعوا عليه، ثم دعاهم للتسليم وعليهم أمان الله فاستوثقوا منه ونزلوا بعد أنْ أمنهم فقتلهم عن آخرهم، وسار ونزل الشنانة في ١٦ جمادى الأولى فقطع جميع نخيلها، وهدم بيوتها وتركها قاعًا صفصفًا، وحاصر الرَّسَّ ونصب عليها المدافع وضربها، فدافعوا عنها وقتل أميرها أثناء الحصار، ثم رحل ابن سعود ونزل الرسّ فانقطع ابن رشيد عن مهاجمتهم، فأخذت المناوشات بينهم يوميًا ستين يوميًّا دون أنْ يكون فيها وقعة حاسمة، فتذمّر أهل نجد وسئموا هذه الحالة التي لا هي حالة حرب ولا حالة سلم، فتفرقت بادية ابن سعود عنه طالبة المرعى لمواشيها، ولم يبق معه غير الحضر ثمانمائة وثلاثمائة من رؤساء البوادي.

---

(١) سطر غير واضح في الأصل.

ولم تكن حالة ابن رشيد بأحسن من حالة ابن سعود، فقد قامت عليه البوادي فطلبوا منه أن يتوسع، فقد هلكت مواشيهم في هذا المناخ، وكان ابن سعود قد ملك عليهم الطرق فلا يصل إليهم من القوافل التي يستمدونها من العراق إلاّ القليل، فضاقت عليهم معيشتهم، فأجبروه إما أن يناجز ابن سعود أو يرتحل من موضعه هذا، وكان ابن سعود عندما ترك البادية أرسل فهد الرشودي من كبار أهل بريدة يعرض عليه أمر الصلح على بقاء ما تحت يد كل منهما له، ولكن لم يشأ غرور ابن رشيد أنْ يسمع مثل هذا الكلام، فأساء الردّ، وقال لا صلح قبل أنْ أضرب القصيم والرياض ضربة لا ينسوها مدى الدهر، رجع فهد الرشودي يحمل هذا الكلام إلى ابن سعود فألقاه في مجلسه، وختمه بقوله: والله يا أهل نجد إني رأيت رجلاً إن وَلِيَكم وتمكّن منكم ليجعلنكم كأمس الدابر، ولا أزيدكم تعريفًا بعبد العزيز بن متعب، فكلكم تعرفوه بحوادث الصريف، لا والله لا يرضيه فيكم مثل عمله في الصريف، وكان الرشودي رجلاً حصيفًا رصينًا فأثرت كلماته في الناس تأثيرًا شديدًا.

وقعة الحجناوي، أو القوعي

شدّ ابن رشيد في الشنانة في ١٧ رجب تحت ضغط البادية، وكان البادية قد ارتحلوا قبله، وعندما شد ابن رشيد ومشى هجم عليه ابن سعود، فتصادموا وتقارعوا من طلوع الشمس إلى غروبها، وكان قصد ابن سعود بهذا الهجوم أن يحول دون ابن رشيد اللحاق بشمر، فشاغله إلى الليل، نصب ابن رشيد خيامه للمبيت ليوهم ابن سعود أنه سيبيت في مكانه، فانخدع ابن سعود بذلك ورجع إلى مخيمه وأقام حراسًا يراقبون حركات ابن رشيد.

عندما علم ابن رشيد برجوع ابن سعود شرع يتأهّب للرحيل، فانطلق أحد الحراس وأخبر ابن سعود أنّ ابن رشيد قد رحل، وسارعوا إلى الخيل يتعقبون ابن رشيد، فلما قربوا منه رأوا سوادًا فأغاروا عليها، فإذا هي عسكر الترك فنازلوهم ساعة، فصمد لهم الترك وردوهم، فرجع ابن سعود إلى مخيمه دون نتيجة، ولكنه ترك حراسًا وكشافة في مكان قريب من منزل ابن رشيد، وقال لهم: إذا رحل إن كان صار طريقه على الحنف، وهو درب بين جبلي أبانات، فاتبعوه لتكونوا عالمين بمسيره، وأرسلوا لي واحدًا منكم يخبرني.

أما إن مشى إلى قصر ابن عقيل فعليكم أنْ تسبقوه إليه لتشجعوا أهله، وتخبروهم أني على أثركم ليشتد ساعدهم.

رحل ابن رشيد من القوعي ونزل على القصر، ونصب في الحال مدافعه وشرع يضرب القصر، وكان الكشافة قد سبقوه ودخلوا القصر وأرسلوا يخبرون ابن سعود فخف بمن معه في الساعة الأخيرة من نهار ذلك اليوم، فوصلوا إلى القصر منتصف الليل ودخلوه واستراحوا بقية تلك الليلة، وفي صباح اليوم التالي ١٩ رجب شدّ ابن رشيد فتركه ابن سعود يحمل أطوابه ويرحل إبله، وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك، خرجت عليه خيل ابن سعود ومشى الجند من ورائها فأدركوه في الحجناوي، أناخ ابن رشيد وجمع جيوشه ونصب مدافعه، وبنى بيوت الحرب فتصادم الفريقان وتقارعا إلى نصف النهار فتقهقر الجناح الأيمن من جيش ابن سعود، فهجم ابن سعود وبقية جنده هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب التي نصبها ابن رشيد، فحمي وطيس القتال فانهزمت عساكر الترك، ثم تبعهم ابن رشيد وقومه وفرّوا هاربين، وأراد ابن سعود أنْ

يتعقّبهم ولكن الحملات والأموال التي تركها ابن رشيد حالت دون ذلك، فشغلوا عنهم بها فاستولى ابن سعود وجنوده على تلك الأموال التي لا تُقَدَّر، فقد أخذوا أكثر من أربعة أيام ينقلون من هذه الغنائم من الأمتعة والذخائر والأسلحة والفرش والأثاث والثياب، حتى ضاقت أسواق عنيزة وبريدة من هذه الأشياء حتى صارت تُباع بأبخس الأثمان، ناهيك بالإبل والغنم.

وقيل: إنهم وجدوا بين تلك الأحمال صناديق من الذهب حملوها إلى ابن سعود، فلم يستأثر بها بل فرّقها على الجند، ولسنا مبالغين في وصف هذه الغنائم، فقد أخذت نقلها من مصادر عديدة واخترت أقلّها مبالغة إلاّ الذهب فلم أسمعه إلاّ نقل من كتاب الريحاني، وقد طبقت هذه الروايات على ما اتفقوا عليه، وتركت ما شذّ عنها إذْ لا خير في المبالغة البعيدة عن الحقيقة.

انهزم ابن رشيد في قلّة من الخيل والجيش، فبات تلك الليلة في النبهانية القرية المعروف بسفح إبان الأسود من الشرق، ولم يكن معه شيء من الطعام وتلافي عليه بتلك الليلة بعض فلول المنهزمين من قومه فمشى منها ونزل الكهفة، وتلاحق عليه بقية فلوله. وشرائد العسكر الذين سلموا وأقاموا فيها ثلاثة أشهر.

أما ابن سعود فقد أقام بموضعه حتى استكمل قومه حمل الغنائم فرجع إلى عنيزة، وأقام فيها بضعة أيام، ثم رجع إلى الرياض في آخر رجب، وأرخص لجنوده يرجعون لأوطانهم، ودخل الرياض في الخامس من شهر شعبان، فخشي أنَّ حكومة الترك تستأنف مساعدة ابن رشيد إذا

بلغها هلاك عسكرها في هذه الوقائع، فأخذ يخابرها ويستعطفها ويتدخل عليها، ويبدي خضوعه، وأنه بالسمع والطاعة، ويرجوها أنْ لا تسمع كلام الأعداء والمغرضين والذين يصورونه عاصي على الدولة، وخارج عن طاعتها لعله على الأقل يكتفي شرها، وقد استنجد بالشيخ قاسم ابن ثاني أمير قطر أن يساعده برفع البرقيات، ويزيل ما علق بذهن السلطات عن ابن سعود، لأن كلامه مقبول عند الدولة، ولها ثقة فيه، وأجابه ابن ثاني وأرسل عريضة خطية لوالي ولاية البصرة، وأخرى تلغرافية إلى السلطان عبد الحميد من أربع نسخ أحدها بواسطة الوالي المذكور، والثانية بواسطة مجلس الوكلاء الخاص، والثالثة بواسطة الكاتب الأول في المابين، والرابعة بواسطة أبي الهدى الصيادي.

وأرسل ابن سعود تلغرافين إلى السلطان عبد الحميد على أربع نسخ الأولى نسخة من كل واحد من التلغرافين باسم السلطان بلا واسطة، ونسخة من التلغرافين بواسطة الكاتب الأول في المابين، ونسخة بواسطة مجلس الوكلاء الخاص، ونسخة بواسطة أبي الهدى أفندي، وإليك مضمون تلغرافات ابن سعود.

التلغراف الأول

من ابن سعود إلى السلطان عبد الحميد

إلى أعتاب سيدي وولي نعمتي سلطان البرين وخاقان البحرين، خليفة رسول الله السلطان المعظم، السلطان عبد الحميد خان الثاني، أدام الله عرش سلطنته إلى آخر الدوران أمين.

أقدم عبوديتي وطاعتي ودخالتي إلى الأعتاب السامية المقدسة

ممتثلاً كل إرادة وفرمان لست بعاصي ولا خارج عن دائرة الأمر، بل أن العبد الصادق في خدمة دولتي وجلالة متبوعي الأعظم، أريد الإصلاح ما استطعت قد ابتلاني سبحانه وتعالى بشرذمة يحسدون ويفسدون ولا يصلحون، قاموا يشوشون أفكار دولة جلالة ولي النعم، ويدخلون على فكرة الشريف الأوهام الواهية، يريدون تفريق الكلمة الإسلامية وتقسيم الجامعة المقدسة العثمانية، وإلجائي إلى الاحتماء بالدول الأجانب، فحاشا ثم حاشا عبد جلالتكم عثماني صرف، أفدى السدّة العثمانية بعزيز روحي، أجمع كلمة بادية الخطة النجدية بما أتاني الله، ومنحتني دولتي العلية من النفوذ تحت راية مولانا أمير المؤمنين سلطان الإسلام والمسلمين السلطان عبد الحميد نصره الله، لكن هؤلاء الذين يريدون تفريق الجامعة العثمانية لا يألون جهدًا في إلقاء الدسائس حتى تمكنوا من جعل الأمر في غير قالبه واستجلبوا لي انحرف الرضاء العالي، فساقوا عليّ العساكر الشاهانية أولاً، واسترحمت وقدمت طاعتي فلم أوفّق لإزالة الشبهة التي أدخلها المفسدون، والآن بلغني أنّ الحكومة السنية ساقت عليّ عساكر غير الأولى، فأنا أضرع إلي مرحمة وشفقة وضأن وحماية وديانة مولانا أمير المؤمنين أن لا يؤاخذني بدسيسة ألقاها المفسدون، ولا شبهة احتج بها الحاسدون المزورون، فينظر إليّ حفظه الله بعين العدالة والشفقة المرحمة، ويحقن دماء ألوفٍ من المسلمين الطائعين الداعين بدوام عرش جلالته.

وعلى كل فليس لي إرادة أو قول أو فعل يخالف الرضاء العالي، وتظهر الحقيقة بالاختبار، كما أني استرحم من حكمة جلالة مولانا ومتبوعنا الأعظم، وفطنته السامية أنْ لا يروج مقاصد أرباب الفساد أعداء

الدين والدولة، الذين يريدون إشغال دولتنا العلية وتشتيت عساكرها المظفرة يمينًا وشمالاً، وإضعاف ماليتها فإن لهم بذلك مقاصد لا تخفى على سموّ حكمة جلالة مولانا أمير المؤمنين، وأنا عبد صادق خادم مطيع ملتجيء لمرحمة وشفقة جلالتكم.

١ رمضان سنة ١٣٢٢هـ عبد الدولة العثمانية عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود.

التلغراف الثاني

من ابن سعود إلى السلطان عبد الحميد

إلى أعتاب سيدي... إلخ.

إنّ مرحمة جلالتكم وشفقة عظمتكم وعفو سلطتكم أجلُّ وأعظم من أن يمنعوا (كذا) عن عبد صادق في عبوديته لسدة أعتابكم مثلي، قدمتُ جملة دخالات على أعتاب خلافتكم السامية الإسلامية معلنًا إذعاني وانقيادي وطاعتي لإرضاء ولي نعمتي، متبوعي الأعظم، ومع هذا فلم تصدر إرادة المرحمة والشفقة بإيقاف الحركة العسكرية الموجهة ضدي، مولاي أمير المؤمنين عبد جلالتكم هذا يعلم علم اليقين ما يكلف سوق العساكر الشاهانية إلى قطعة نجد من المشاق والأضرار على الملة الإسلامية والجامعة العثمانية، ويعلم أن السبب لهذه المشاق والأضرار دسيسة من أعداء السلطنة السنية، يريدون تفريق الجامعة المقدسة العثمانية ليدركوا مطالبهم.

وأما عبد جلالتكم هذا فسامعٌ مطيعٌ مسترحم عفو جلالتكم، وإن لم أذنب دخيل على شفقتكم ومراحمكم في عفوي (كذا) إن كان صدر مني

ذنب، وحقن دماء ألوف من المسلمين من عبيدكم الطائعين الداعين بدوام عرش السلطنة الحميدية، وحاشا حكمة جلالتكم أنْ تصغوا بعد ذلك لزخارف دسائس أرباب المقاصد المفسدين، هذا عرضي واسترحامي والفرمان العلي الشأن لحضرة جلالة أمير المؤمنين ٥ رمضان سنة ١٣٢٢هـ.

عبد الدولة العثمانية عبد العزيز عبد الرحمن بن سعود أرسل هذه التلغرافات على الشيخ قاسم ابن ثاني أمير قطر، وطلب منه أنْ يرسلها بواسطته إلى المراجع التي قدمنا ذكرها، ورجي منه أنْ يكتب معها إلى السلطان ومن يرى من مأموريّ الدولة ما يناسب ذلك، فأرسلها الشيخ قاسم وكتب كتابًا إلى مخلص باشا والي ولاية البصرة وتلغرافًا إلى السلطان عبد الحميد أرسله بواسطة الوالي المذكور، وبواسطة مجلس الوكلاء الخاص، وهذا نص كتابه إلى والي ولاية البصرة.

كتاب الشيخ قاسم ابن ثاني
إلى والي ولاية البصرة

لجانب والي البصرة الجليلة صاحب الدولة مخلص باشا الأفخم يقتضي على كل عبد صادق صاحب وجدان وغيرة، وحمية لدينه ودولته وسلطانه عند حدوث كل مشكلة سياسية في داخل الممالك المحروسة أنْ يعرض فكره ونصيحته لأولياء الأمور عساه أنْ يصادف قبولاً، ويوفق لأداء واجب الخدمة بالنصيحة، فإنه لا يخفى على دولتكم حدوث القلاقل والمشاكل في قطعة نجد بين الأمير ابن رشيد والمترئس في وطن آبائه وأجداده عبد العزيز بن سعود، حتى تحول نظر أرباب الحل والعقد من

أمراء ومأموري الدولة العلية إلى هذه المسألة، فلبست غير قالبها الحقيقي، فجعلوها محوجة التدخل العسكري، ويقينًا أن ذلك غير موافق للرضاء العالي، فإن رضاء أمير المؤمنين حفظه الله ونصره في حل كل مشكلة حلًا لا يخالطه وجود غائلة، ولا يلجىء الدولة لتكبد المشاق والخسائر وإهراق دماء ألوف من المسلمين، فإن كل حادث لا يحوج إلى التدخل العسكري، إذا صارت فيه المداخلة بادىء بدء كانت نتائجه غير محمودة، وموجب للتلف وتكبد الخسائر والمشاق وإهراق دماء المسلمين، وفي النهاية لا تأتي بفائدة، ولا تنتج نتيجة حسنة، وما ذلك إلاّ الخطأ السياسي يتبع.

ونحن جماعة المسلمين لنا شريعة إلـٰهية تنهانا عن تفريق الكلمة وتأمرنا بتوحيدها والطاعة الكاملة بجميع معناها لخليفة رسوله أمير المؤمنين بنص ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦]، نعم إنّ مَنْ دأبُه بذر حب الشقاق والتفرقة بين جماعات المسلمين، يجدون لهم عند حدوث كل حادث بابًا واسعًا من الأوهام، يدخلون فيه على متبوعيهم الأعظم، ليجروا الأمور على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزًا وثروة.

وليس على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزًا وثروة.

وليس قصدي من هذه بيان مساوىء بعض الأمراء والمأمورين، بل قصدي أداء ما يجب عليّ ذمّة وحميّة وديانة من أداء النصيحة ببيان لزوم حل هذه المسألة حلًا يوافق للمصلحة بدون إحداث مشاكل أصعب ما هي فيه الآن، وذلك امتثالاً للشريعة الإلـٰهية ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، فيلزم على من هو مثل دولتكم حائزًا

هذا المقام متصفًا بالصفات الحميدة، أنْ يجعل اجتهاده في حل هذه المشكلة حلاً يوافق للمصلحة الحاضرة، وذلك بطريق الإصلاح بين الفئتين المتشاجرتين بدون مساعدة أحد الطرفين على الآخر حتى لا يوجب له المروق عن الطاعة حقيقةً وفعلاً، وذلك بأنْ يكفّ الفريقان كفًّا قطعيًا عن إحداث القلاقل وإلزام كل منهما الراحة والسكون وإن كان ثمة اشتباه من ابن سعود وأمره أعطي التعليمات اللازمة وأنذر الإنذارات المقتضية، فإنْ أذعنوا وأطاعوا فلا تبغوا عليهم سبيلاً، وإن عتوا وعصوا فسَوْقُ العساكر آخر علاج تستعمله الدولة لإخضاع الرعايا.

على أن ابن سعود طلب هذا الأمر مرارًا. وبحجة التوهب أدخل أرباب الأغراض على الحكومة السنية الأوهام ومنعوها من استعمال الرفق الذي هو أوفق للمصلحة.

ومع هذا فإني متقدم للأعتاب الملوكانية ولمجلس الوكلاء الخاص تلغرافًا هذه صورته أقدمها لفًا لتعرض أيضًا بواسطة دولتكم عساه أنْ يصادف قبولاً فأفوز بخدمتي لديني ودولتي ومتبوعي الأعظم خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده، وعلى كل حال الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر ٨ رمضان سنة ١٣٢٢هـ العبد الصادق المخلص: قائمقام قضاء قطر ورئيس عشائرها وقبائلها قاسم الثاني:

التلغراف الصادر

من الشيخ قاسم بن ثاني

إلى السلطان إلى الأعتاب المقدسة والركاب المحروسة السلطانية أثير الله سرير سلطنته بالعزّ والنصر أمين.

إنّ عبوديتي وصدقي وإخلاصي وصداقتي وغيرتي وحميّتي لا يدعوني أنْ أترك النصح لديني ودولتي وسلطاني سواء صادف قبولاً أم لا، فقد سبق من هذا العبد الصادق العرض بعدم تنسيب سَوْق العساكر الشاهانية على ابن سعود وأن الأمر دون ذلك، حيث أن المشهور والمعروف عن سياسة وحكمة مولانا أمير المؤمنين خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده، المرحمة والشفقة لعموم التبعية السلطانية، وأنْ ليس في طبعه الشريف اتّباع آراء أرباب المقاصد والأغراض الذين لا يقدرون عواقب الأمور حق قدرها، والذين لا يهمهم إلاّ منافعهم الشخصية على أنه ليس هناك سبب يستوجب سَوْق العساكر المنصورة على ابن سعود سِوى العداوة السابقة الثابتة بحكم الطبيعة بينه وبين الأمير ابن رشيد، وأن الأمير ابن رشيد وجد من يساعده على مقاصده من أرباب الأطماع ببذل النقدين حبًا للانتقام.

وقد أعرضت بلسان الصدق والصداقة واسترحمت عدم سَوْق العساكر الشاهانية على ابن سعود، وإن كل مطلب ومقصد يحصل بدون أنْ تطلقوا على نجد وأهلها اسم العصيان الذي يكلف الحكومة السنية من المشاق والمصاريف والخسائر ما هي غنية عنها بدون فائدة، على أن ابن سعود ليس بعاصي ولا خارج عن رسم الطاعة.

نعم إنّ الذين أدخلوا في أفكار مولانا أمير المؤمنين سوء قصد ابن سعود وأنّ منه الخطر على نجد وما يليها، هم أعداء الدولة والملّة الذين يريدون تفريق الكلمة، حيث إن أمثال هؤلاء لا يستفيدون نقدًا وجاهًا وموقعًا إلاّ بإحداث مثل هذه المشاكل والقلاقل، كما فعلوا في غير هذه القضية، وكما فعلوا في مبادىء مسألة الكويت، وقد أعرضت أفكاري عند

حدوث كل حادثة، والآن قد بلغني أنّ الدولة العلية صانها رب البرية قد عزمت على إظهار عساكر مرة ثانية لنجد وحيث إنّ هذا القصد مبنيٌّ على أوهام لا وجود لها، أتيتُ أعرض ما يجب عليَّ ذمةً ودينًا من أداء النصيحة، بأنَّ سَوْق العساكر على نجد وأهليها ليس فيه صلاح ولا منه فائدة، وأجلُّ الفائدة وأعظم الفوز بجمع الكلمة الإسلامية العثمانية، وأهل نجد بالتحقيق وما خرجوا عن هذه الدائرة ولا صدر منهم سوى احتلالهم وطنهم بحكم المشيخة والرياسة حسب القواعد العربية، وحيث أن الذي كان مترئسًا فيها ابن رشيد، قام هو ومَنْ هو مساعد له، وعلى شاكلته يدخلون الأوهام على الحكومة السنية وليس عندهم إلاَّ حب الانتقام بدون مصلحة ولا فائدة.

والأولى والأصلح أن ينذر ابن سعود وكبار نجد وعلمائه بالنذر ويبلغوا البلاغات المقتضية سياسة ويوعظوا بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن أذعنوا وأطاعوا لإرادة سلطانهم.

[. . .][(١)] آخر علاج، على أنه قد بلغني أن ابن سعود قد استرحم مرادًا بأن الحكومة تشكل لجنة لتحقيق أحواله وأحوال ابن رشيد، وكفّ الطرفين، وذلك أولى وأصلح وأحقن لدماء المسلمين، وأفود للدولة العلية، وعلى كل حال أسترحم باسم العدالة والصداقة والحمية أنْ يصرف النظر عن سَوْق العساكر، وتنظر الدولة العلية في الأمر بجعل مشايخ نجد مأمورين رسميين لا فرق بين ابن سعود وبين ابن رشيد، كما أني أسترحم أنْ لا تُجعل نصيحتي في زوايا الإهمال والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر.

---

(١) سطر غير واضح في الأصل.

٨ رمضان سنة ١٣٢٢هـ

العبد الصادق قائمقام قضاء قطر

ورئيس عشائرها وقبائلها: جاسم الثاني

وكانت الصحف العربية يومئذ تتابع سياسة الحكومة العثمانية كما هو شأن الصحف التي تعيش في الحكومات الاستبدادية، ولم يكن لها من حرية الكلام ما يخولها تمحيص الحقائق، بل إنها ترى وتعتبر ابن سعود عاصٍ وخارج عن طاعة الحكومة، ويطعنون عليه أشد الطعن إرضاءً للباب العالي أو مدفوعين بدافع المصلحة من خصوم ابن سعود الكثيرين، ولم يكن لابن سعود يومئذ اتصال بالصحف، ولا يأبه لما يقال فيها، ولم يدرك فائدة الدعاية معتمدًا على قوة حقه.

ولكن بمناسبة رفع هذه التلغرافات وظهور أثرها بإصغاء الحكومة إليها، واعتبار ما جاء فيها كتب بعض الكتاب مقالة نشرت في إحدى الصحف بتاريخ ٢٢ ذي القعدة بإيعاز من الشيخ قاسم، ولمناسبتها للموضوع أوردناها إتمامًا للفائدة، وهذا مضمونها تحت عنوان:

حقيقة الحال في الحالة النجدية

إنّ الفتنة التي حدثت في هذه السنين الأخيرة في القطعة النجدية قد نظر إليها الرأي العام من عقلاء المسلمين وحكمائهم، نظر الاهتمام كأنّها الداء العضال العادي الذي يهدد صحة الأعضاء الرئيسية من الجسد الإسلامي، حيث إنّهم قد أدركوا بثاقب أفهامهم المنورة بنور الأعيان، أنها إذا لم تتداركها حكمة ضلالة خليفة المسلمين بالحل السلمي السديد

لا تنتهي إلاّ بمداخلة الأغيار الشتت لجموعها أولاً وآخرًا، وهذا ما عنينا به من قولنا كأنها الداء العضّال العادي. . . إلخ.

وحقيقةً إذا نظرنا نظرهم هذا أخذت بنا الدهشة كل مأخذ واستولت علينا الحيرة من كل جانب، حتى إذ ما تثبّتنا بعد الدهشة واهتدينا غب الحيرة، ورجعنا لتلافي الأمرلا وليس لنا من الأمر شيء سوى استلفات واستعطاف أصحاب أهل الحل والعقد من أمراء الدولة العلية، الذين هم لا يهميم سوى الإصلاح لتلافي هذا الأمر، وإخماد ثورة هذه الحادثة وإطفاء نار هذه الفتنة بالإصلاح والتوفيق السديد، لا ببرق السيوف ورعد المدافع وتحشيد العساكر والضغط الموجب للانفجار وتخريب الدار وتدمير الديار وتداخل يد الأغيار، ولو بدون أهليته واستحقاقه كما نعلم وتعلمون.

نعم قد ولي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بلاد أبيه وجده بقاعدة الرياسة المعروفة بالمشيخة في البلاد العربية، متغلّبًا على الأمير عبد العزيز بن رشيد وكما تدين تدان. وتلك الأيام نداولها بين الناس، لكن نظرًا لما جُبل عليه الأمير ابن رشيد من إباية الغبن، ولما هو متصف به من العناد، ولما له من نفوذ الكلمة وقبول القول لدى أمراء الدولة العلية، اغترارًا بما يرون منه من بهارج القول، وطمعًا بما ينالونه من ثمين الهدايا، استمالهم لمساعدته فساعدوه غير ناظرين لما يؤل إليه أمر مساعدته من [. . .][1] ومن [. . .][2] ومن [. . .][3] وإذا لم يفكروا إلاّ

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بياض في الأصل.

في أن في نفس مساعدته وتقويته ذهاب قسم عظيم من ملك الدولة العلية العثمانية، فضلاً عمّا يكلف الدولة العلية من المشاق والخسائر وإضعاف النفوذ وتلف مئات ألوف من المسلمين، والتدخل الأجنبي إلى غير ذلك من أنواع المضرّات التي لا ثمرة لها غير التفريق والتشتيت، لوجب أنْ يكون ذلك حاجزًا قويًا بين أرباب الحل والعقد، وبين الميل لمساعدة أحد الفريقين على الآخر، فضلاً عن المساعدة فعلاً، بل لوجب جمع فكرهم على اتخاذ الأسباب والوسائل لإصلاح ذات بين الفريقين وجمع كلمتهم تحت الراية المقدسة العثمانية، على أنّ الأمل الوطيد والحق الحقيق هو أن عبد العزيز بن سعود هو أطوع من غيره لإرادة جلالة متبوعة، مع أنه لم ينظر إليه بعين الرضا كغيره، ولو نظر إليه بعين الرضا ورأى المساواة بينه وبين غيره، لرأت الدولة العلية من خدماته الصادقة ما يجعله أقرب إليها، ولا تظن إلاّ أنّ الذي أغمض عنه هذه العين الجليلة هو مداخل الأوهام من خرافات المموهين. بأن الخطر على الحرمين الشريفين وأطرافهما من عبد العزيز بن سعود محقق، لأنه وهّابي، والحال أنّ التوهّب الذي يرمون به ابن سعود وعشائره أهل نجد هو اعتقاد السلف الصحيح في توحيد الذات الإلهية وتقديس صفات الربوبية، وهذا شيء لا دخل له بالملك والسياسة، لكن المقاصد تغلب الحقائق.

وأما محافظة ابن سعود على الحرمين وطريقهما وقصادهما وفود الحجاج وكسر شوكة الذين كانوا يتعرّضونهم من ثوار العشائر البادية، فهذا محسوس ومشاهد بالعيان حتى رأى الحجاج منذ عامين في طريقهم كل تسهيل موفرين ومقتصدين، لما كانوا يعطونه من الرسوم المقررة

لرؤساء العشائر عن يدٍ وهم صاغرون، فكفّت أيدي البادية، ورأى الحجاج من العزّة والاحترام ما لم يروه قبلُ.

وهذه قضية مسلّمة يقرُّ ويعترف بها حتى الخصم نفسه، فنسألُ اللّٰهَ جلَّ جلاله أنْ ينصرَ دولتنا العلية ورجاله الصادقين، ويلهمهم السلوك في طريق الرشاد، فيصلحوا ذات بين الفريقين وتحفظ الدولة العلية لنفسها حقوق سيادتها المقدسة في الجانبين، كذي قبل، وإذا اختلف أحد منهم عن إرادتها وخالف رضاءها العالي إذْ ذاك، فلها أنْ تؤنّب وتعنّف وتؤدب بما شاءت وكيفما شاءت وهي ذات السلطة المطلقة في جميع ممالكها المحروسة. انتهى باختصار.

أرسل ابن سعود هذه التلغرافات فأثمرت الثمرة المطلوبة، لأن الحكومة قبِلَتها وأصغت لما فيها، وأثر في سياستها نحو ابن سعود، ففي شهر شوّال، أي بعد شهر من إرسال التلغرافات، بعثت إلي عبد العزيز بن سعود بواسطة الشيخ مبارك الصباح تقول: إنها تريد أن تفاوض أباه عبد الرحمن الفيصل، وطلبت أنْ يوافي واليَ البصرة بالقرب من الزبير، فأجابها الإمام عبد الرحمن إلى ذلك، وسيأتي ذكر المفاوضات بموضعه من هذا الكتاب إنشاء الله.

خرج ابن سعود من الرياض في ١٣ رمضان غازيًا وليس معه إلا أهل الرياض، وقليل من البادية، فأغار على برغش بن طوالة من شمر، وهو نازل في (لينة) الماء المعروف، وأخذ عليه إبلاً كثيرة، وعاد إلى الرياض ودخلها في ٢ شوال.

أما ابن رشيد فقد قلنا إنه نزل الكيفة بعد وقعة الحجناوي وتلافى عليه فلول جيشه ومن بقي من عسكر الدولة، وأقام فيها ثلاثة أشهر ورُسُلَه وتلغرافاته متواترة بواسطة بعض معتمديه في البصرة، وقد بالغ في استنجاد الدولة وجسَّم لها الأخطار التي تهدد الجزيرة من ابن سعود وحلفائه، وزعم أنّ ابن سعود لم ينقلب عليه إلاّ بنجدات وعتادات حربية، ترد إليه من البحر بواسطة مبارك الصباح.

كانت هذه التلغرافات والشكاوى من ابن رشيد ترد بالوقت الذي ترد فيه استرحامات ابن سعود وتدخله على الدولة، فحارت الدولة بالأمر ورابها عمل ابن رشيد، والتزمت جانب الحيطة والتروي، فأرادت التثبت بالأمور وتحقيق الحالة، فطلبت عبد العزيز المتعب [1] لما فشلت محاولاته مع الدولة، استأنف العمل بنفسه، فأرسل بعض رجاله يبتاعون إبلاً للرحلة عوضًا عما فقده في وقعة الحجناوي، فاشتُري له فرحلها وغزى عليها، وأغار على هتيم وهم من قبائل الشمال، ولكنهم لم يذعنوا لطاعته فوجدهم قد انتذروا واحتموا عنه، فلم يدرك منهم طائل، فرجع عنهم وصار طريقه على حماعة البشرى من حرب، وكان من أتباعه مخفرة وأخذ منه إبلاً ومالاً فساقها معه، ونزل الكيفة كأنه لما خاب من عدوه أراد أن ينتقم من صديقه، وكان ذلك في أواخر شهر القعدة سنة ١٣٢٢هـ.

وفي أواخر شهر ذي القعدة خرج الإمام عبد الرحمن الفيصل من الرياض قاصدًا مواجهة والي البصرة، إجابة لطلب الحكومة العثمانية،

---

(١) التكملة ناقصة في الأصل.

فوصل الكويت وسار معه الشيخ مبارك الصباح، فنزلا بموضع يبعد ساعتين عن الزبير، فاجتمعا هناك بالوالي، وبعد المفاوضات في أمور نجد طلب الوالي أنْ يكون القصيم على الحياد، أي أنْ يتكون من منطقة حياد مستقلة تقوم حاجزًا بين ابن سعود وابن رشيد، وأنْ يكون للدولة فيها مركزٌ عسكري ومستشارون، فلم يوافق الإمام عبد الرحمن، وصار مباحث في شؤون أخرى اتضح فيها للوالي كثيرًا مما يجهل من أمور نجد، ولم يتّفقا على شيء، إلاّ أنهما جعلا فصل الأمور مرتبط بمواجهة المشير أحمد فيضي، لأنه قد تعيّن للنظر في أحوال نجد وإصلاحاته، فرجع الإمام عبد الرحمن إلى الرياض.

حوادث الحجاز

حصل في هذه السنة والذي قبلها والذي بعدها حوادث أثارت الرأي العام الإسلامي، وخاضت الجرائد في هذه الحوادث، وتركنا شرحها لموضعه من الكتاب عند كلامنا على الحجاز.

حوادث سنة ١٣٢٣هـ

وفي أول هذه السنة، بلغ ابن سعود أنّ المشير أحمد فيضي باشا على وشك المسير من العراق، ومعه قوة، وأنّ صدقي باشا سيخرج من المدينة ومعه عسكر، وكان يعلم أنّ فيضي باشا قد تعيّن للنظر في أمور نجد وإصلاحاته، ولكن رابه الأمر في سَوْق العساكر من العراق ومن المدينة، فظن أنهم إنما جاؤوا لتنفيذ إرادتهم بالقوة، وخشي من التفاف ابن رشيد معهم، فاحتاط للأمر، وكان يتّهم آل بسام في أنهم هم الساعون في إخراج العساكر إلى نجد مساعدة لابن رشيد بما لهم من المقدرة

والنفوذ في دوائر الحكومة، وقد ذكرنا في حوادث السنة الماضية قبضه على رؤسائهم وإرسالهم إلى الرياض.

وفي ٣ محرم سنة ١٣٢٣هـ: أرسل ابن سعود حمود البراك أحد خدّامه، فقبض على فهد بن عبد الله العبد الرحمن، وفهد العبد الله المحمد، وصالح المحمد آل محمد وابنه عبد العزيز، وفهد الحميد، ومحمد البراهيم، وعبد العزيز العبد الله المحمد، ومحمد العبد المحسن، وسار بهم إلى الرياض، فلما وصلوها أرخص ابن سعود لفهد العبد الله المحمد، ومحمد العبد المحسن فرجعا إلى عنيزة.

وفي شهر محرم في هذه السنة سار ابن رشيد من الكهفة غازيًا، وأغار على الحميد من ابن مطير، وهو نازل بأطراف الأسياح، وأخذه ورجع، وفي رجوعه صادف جماميل من أهل بريدة يحشون، أي يقطعون الكلأ (العشب)، منهم أناس مستأجرون ومنهم من يعمل لنفسه ويبيع ما يحصّل من العشب ليقتات بثمنه هو وعائلته، وهم نحو أربعين؛ فقبض عليهم وجعلهم صفًا واحدًا، وأخذ يقتلهم، وفيهم شيخ كبير وابن له مراهق بعينه، فقال لابن رشيد: أنا داخل على الله ثم على الأمير أنْ تترك ابني ليعول ثمانية نسوة ليس لهن عائل غيري وغيره، فما كان منه إزاء هذا الاسترحام إلاّ أنْ قتل الابن بين يدي أبيه وألحقه به، فشاء الله أنْ يكون مصرعه في مكان هؤلاء الشهداء على دور السنة فانظر عاقبة الظلم.

ذكرنا في حوادث السنة الماضية مواجهة الإمام عبد الرحمن إلى والي البصرة ومفاوضتهما، وقلنا إنه توقف الفصل في الأمور لمواجهة المشير فيضي باشا، لأنه قد تعين للنظر في أحوال نجد وإصلاحهم، وقد

اهتمت الحكومة التركية للأمر الواقع في نجد، ولكنها راغبة في السلم، وقد علمت بعد مفاوضة الإمام عبد الرحمن كثيرًا مما كانت تجهل، فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا ومعه ثلاثة طوابير من العسكر وخمسة مدافع من بغداد، وأرسلت صدقي باشا ومعه طابورين خرج الأول من العراق وخرج الثاني من المدينة.

ولم ترسل الحكومة هذه القوة رغبة في الحرب، وإنما أرادت تعزيز جانبها عند المفاوضات السلمية، ولكن ابن رشيد ظنّ أنّ هذه العساكر لم تخرج إلاّ لمساعدته، فشدّ رجاله وقابل فيضي باشا بمنتصف الطريق الطريق على خضرا ولينة الماءان المعروفان، فتفاوضا واختلفا، فكانت خطة ابن رشيد مخالفة للخطة التي جاء فيضي لأجلها، فرجع ابن رشيد وزمّ مطاياه نحو صدقي باشا، فقابله وفاوضه فلم يجد عنده ما يحب، فرجع ساخطًا عليهما، وتحقق لدى فيضي صدق ما قال الإمام عبد الرحمن في مقاصد ابن رشيد، وثبت عنده أنْ ليس لابن رشيد قصد إلاّ الانتقام والبطش بأهل القصيم خاصة وبأهل نجد عامة، فنبذه وتقدم المشير إلى القصيم، وكان عبد العزيز بن سعود قد خرج من الرياض عندما سمع بخروج فيضي باشا، ونزل العمار القرية المعروفة في ناحية السر.

فكتب إليه المشير كتابًا يوضّح له خطته، ويقول: إنه ما جاء محاربًا بل مسالمًا ولست محققًا مقاصد ابن رشيد، وطلب منه أنْ يلزم مكانه ولا يتقدم، ويرسل أباه عبد الرحمن ليوافيه إلى عنيزة للمفاوضة، فأجابه عبد العزيز إلى ذلك.

وكتب أهل القصيم إلى ابن سعود يخبرونه بقرب وصول المشير ويستفهمون منه عما يجب أن يعملوه، فأجابهم أنْ يخلدوا إلى السكينة فلا يأتون عملاً عدائيًا أثناء المفاوضات.

وكتب المشير كتابًا إلى أهل بريدة، وآخر مع فهد بك الهذال لأهل عنيزة يطلب مواجهتهما، فأرسل صالح الحسن أبو الخيل الشيخ عبد الله بن عمرو، ومحمد العلي أبو الخيل مندوبين من قبله، وأرسل أهل عنيزة عبد الله بن محمد العبد الكريم القاضي مندوبًا من قبلهم ليروا ما عنده، فأراد مفاوضتهم في مسألة القصيم، ورغبة الدولة بفصله عن ابن رشيد وابن سعود، وإبقائه على الحياد، فقالوا: إننا لا نملك المفاوضة بهذا الخصوص، فإن ذلك راجع إلى ابن سعود، فرجعوا من عنده بدون نتيجة.

قدوم الإمام عبد الرحمن إلى عنيزة
وقدوم المشير أحمد فيضي باشا إلى عنيزة

رحل المشير ونزل قرب بريدة، وخرج إليه صالح الحسن ووجهاء أهل بريدة وخاطبهم في مهمته ومقاصد الدولة الإصلاحية، فأجابوه إن كان الأمر بيننا وبين الدولة، ولا لابن رشيد مدخلٌ في شيء من الأمور، فنحن سامعين ومطيعين، وإنْ كان دولتكم، إنما أتيتم لتأييد سلطة ابن رشيد، فهذا مما لا نقبله ولا نرضاه، فطمأن خواطرهم أنه لا يقصد شيئًا من ذلك، ثم شدّ ونزل قرب عنيزة بين الوادي والديرة ٤ صفر، فخرج إليه الأمير عبد العزيز آل سليم، وأعيان جماعته وخاطبهم بمثل ما خاطب به أهل بريدة، وأجابوه بمثل جوابهم، وكان الإمام عبد الرحمن قد أقبل

ونزل قرب عنيزة، ونزل جنوبًا عن البلد، وقد تواجه والمشير في البلد، فطلب المشير أنْ يكون للدولة مركزان عسكريان، إحداهما في بريدة، والثاني في عنيزة، وذلك مؤقتًا إلى أنْ يتم الصلح بين ابن سعود وابن رشيد.

فرفض أهل القصيم هذا الطلب، فاستمرت المفاوضات على هذا النحو لم تتقدم، فبينما هم في أخذ ورد، إذ ورد الأمر إلى فيضي باشا بالتوجّه إلى اليمن بوجه السرعة، فقد كان الإمام يحيى، قد شدَّد نطاق الحصار على صنعاء، وفيها ستون ألف من الترك العسكريين والمدنيين، وليس عند الدولة قريبًا من اليمن أقدر من فيضي باشا توكل إليه إنجاد عسكرها المشرف على الموت، لذلك صدر الأمر إلى أحمد فيضي بالإسراع إلى اليمن، فاكتفي من أهل القصيم أن يتبلوا نقطتان عسكريتان أحدهما في عنيزة، والثانية في بريدة، تحتفان تبعيتهما للدولة، فأرادوا رفض ذلك أيضًا. ولكن الإمام عبد الرحمن طلب منهم قبول ذلك مؤقتًا، فقبلوا فجعل في بريدة نحو مائة نفر رفعوا على محلهم العلم العثماني، وجعل في عنيزة ستون رجلاً ورفعوا العلم العثماني عند دخولهم في مأذنة الجامع، ثم كانت ترفع في يوم الجمعة من كل أسبوع، استمر ذلك نحو سنة، ثم تركوا ذلك بعد أن رحل العسكر بأجمعهم من نجد، كما سيأتي بيانه في حوادث السنة الآتية.

رحل فيضي باشا وترك القصيم ومشاكله لصدقي باشا يحلّها بالتي هي أحسن، وترك عنده العسكر، ثم رحل صدقي ونزل الشيحية ورجع الإمام عبد الرحمن إلى الرياض في أواسط شهر صفر.

إطلاق سراح آل بسام

في أواخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة أطلق الإمام سراح آل بسام إجابةً لطلب ووساطة الشيخ قاسم بن ثاني، فأرسل عبد الله العبد الرحمن البسام وصالح الحمد، وحمد المحمد العبد العزيز، وحمد المحمد العبد الرحمن، وعبد العزيز العبد الله المحمد، ومحمد العبد الله البراهيم مع رسول خاص حتى أوصلهم عند الشيخ قاسم في قطر وبقيتهم رجع إلى عنيزة من الرياض.

المساعي التي بذلت

قد ذكرنا في حوادث أول السنة الماضية وحوادث أول هذه السنة، ما كان من القبض على آل بسام وأسبابه في الرياض. وكان مقامهم ومركزهم في البيئة الاجتماعية، يعتبر بالدرجة الأولى في وطنهم فقط، بل في عموم نجد وكان لهم محلات تجارية في العراق والهند والحجاز والشام لها مقامها الممتاز بتلك الأقطار، وكان لهم صلات وثيقة مع بيت آل النقيب في العراق والأشراف في الحجاز علاوة على ما كان لهم من النفوذ في نجد بواسطة علاقاتهم الوثيقة مع ابن رشيد، وكان ابن سعود يتهمهم بأنهم هم الذين حرّكوا هذه الأمور وسعوا لدى الدولة وموظفيها بالعراق والحجاز والشام بإيعاز من ابن رشيد، وأنهم بذلوا معظم ثروتهم للسعي في هذا السبيل، وهذه التهمة تتجه بالأكثر على بيت آل عبد الله العبد الرحمن البسام خاصة، وأما الباقون فليسوا في هذا السبيل، وإنما عمهم الأمر.

كل هذه المعلومات تتصل لابن سعود من مبارك الصباح الذي له

شبه دائرة استخبارات في العراق بل في نفس دوائر الحكومة، فكان هو العامل الأول على حمل ابن سعود على شيلهم من عنيزة وإبعادهم عنها.

سعى محلهم في الحجاز لدى عون الرفيق شريف مكة، يومئذٍ ورجوا منه أن يبذل نفوذه، ويسعى في سبيل إطلاقهم فأجابهم الشريف، وكتب لابن سعود كتابًا أرسله مع رسول خاص يتشفّع فيهم، ويرجوا إطلاق سراحهم، فكتب إليه ابن سعود كتابًا رقيقًا، وأوعده أنهم سيرجعون إلى وطنهم بعد انتهاء الحوادث الجارية بيننا وبين ابن رشيد.

فلما فشلت مساعيهم من هذه الجهة سعى محابهم بالبصرة لدى نقيب البصرة، ورجاهُ أنْ يتوسط لدى ابن سعود، فأجابهم وهو لا يعلم أنّ الشريف قد سبقه إلى ذلك، فكتب إلى ابن سعود، بهذا الخصوص وأرسله مع رسول خاص، فأمله ابن سعود ولم يعده على أن جعل الأمر إلى غيره، وقال أن أمرهم إلى جماعتهم أهل عنيزة، وسنراجعهم، فكتب إلى أمير عنيزة وجماعته، يبلّغهم بوساطة النقيب وطلب أن يبدوا رأيهم في ذلكد فجاءه الجواب منهم مفوّضين فيه الأمر لما يراه، ولا يسعهم غير ذلك.

دفع النقيب بحجة المراجعة، وتغافل بعد ذلك لأنه خرج غازيًا في ١٣ رمضان بعد وصول الجواب بيوم، فشلت وساطة النقيب كما فشلت وساطة الشريف، ولكن ذلك لم يثن عزمهم، فكتبوا إلى الشيخ عبد العزيز ابن علي بن إبراهيم يرجونه أن يكتب إلى الشيخ قاسم بن ثاني أن يتوسط لدى ابن سعود، وكان بينهم وبين ابن إبراهيم روابط وثيقة من جهة ابن رشيد، وبين ابن إبراهيم والشيخ قاسم بن ثاني روابط تجارية، قديمة،

فأجابهم إلى طلبهم، وكتب إلى الشيخ قاسم يرجوه أن يبذل نفوذه لدى ابن سعود، ويسعى في إطلاقهم، فلبّى الشيخ قاسم طلب الشيخ ابن إبراهيم، وسعى في هذا السبيل، وبالغ حتى أدرك مقصوده بعد مراجعات عديدة، وبما أن لدينا بعض الوثائق أحبّبنا إثباتها هنا إتمامًا للفائدة:

وساطة الشيخ قاسم بن ثاني

كتب الشيخ قاسم إلى الإمام عبد الرحمن يرجوه أن يشفعه فيهم، وأن يهبهم له، وأن يكرمه بشرف القبول وإطلاق سراحهم، ولكن الإمام عبد الرحمن لم يقدر أن يجاوبه قبل أنْ يراجع مبارك بن صباح، لأن له بعض التداخل في أمرهم، فكتب الإمام عبد الرحمن إلى مبارك يخبره أن الشيخ قاسم بن ثاني قد توسّط في أمر البسام، وهو عزيزٌ عندنا، وله معنا متقدمات حميدة، ولا يسعنا العذر في عدم إجابته وأخذِنا جواب كتابه إلى أنْ نعرف رأيكم في هذا الأمر.

ولا نعرف بماذا جاوبه الشيخ مبارك، ولكن الذي أعلم أنَّ مقبل بن عبد الرحمن الذكير كتب إلى الشيخ مبارك الصباح يرجوه أنْ يكتب إلى الإمام عبد الرحمن كلمة طيبة بحق آل بسام، لأن مقبلاً يعلم أنَّ مباركًا هو السبب المباشر لحبسهم بموجب الملحاق الذي أرسله مبارك إلى مقبل مؤرخ ١٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ، يقول: إننا كتبنا إلى ابن سعود يشيل البسام إلى الرياض لأن ما في بقائهم في عنيزة صلاح، ومن المعلوم أنَّ البسام لم يقبض عليهم إلاَّ في السادس من شهر صفر.

جاء الجواب إلى مقبل من مبارك مؤرخ ٢٥ رمضان سنة ١٣٢٢هـ يقول: من طرف جماعتنا آل بسام نحن من مدة ثلاثين يومًا كتبنا إلى

عبد الرحمن الفيصل وابنه عبد العزيز أن رخصونهم يرجعون إلى وطنهم أيضًا بتاريخه كتبنا عن هذا الخصوص.

أما الإمام عبد الرحمن فقد كتب إلى الشيخ قاسم كتابًا مؤرَّخًا ١٥ شوال يقول: إنه راجَعَ الشيخ مبارك ولم يصله الجواب بعدُ.

وهذا مضمون الكتاب:

كتاب الإمام عبد الرحمن
إلى الشيخ قاسم بن ثاني

قال: أدام الله وجودك ما عرف جنابك، كان لدى مجينك معلوم مخصوص من قبل أخبار الدولة وحركاتهم، وأنتم كتبتوا عرض حال لوالي البصرة، وقيل إلى المابين، واجتهادكم على ما يصلح أحوال المسلمين ويكافي عنهم، نرجوا أن الله يديم لنا وجودكم ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه.

وتعرف طوَّل الله عمرك أنّ اليوم الدين والحمية ضاعت عند العرب؛ وأنا والله ما أخبر اليوم من يطفي هالأسباب، ويجتهد في إطفائها إلاّ أسباب الله ثم أسبابكم، وهي إنشاء الله كل عمل لغير الله باطل، وأنت أدام الله وجودك ما يحتاج من يوصيك من قبل هالمراد، لأنك أحرص على المسلمين من أنفسهم وقومتك إنشاء الله لِلّه.

كذلك عرف جنابك من قبل آل بسام وتعرف أدام الله وجودك لو أنهم محبوسين في ديرة بعيدة ما نطولها إلاّ بأمر كايد اهفينا، أرقابنا وأموالنا في الأمر اللي يليق لجنابكم، وتطلبه أنفسكم، ونقول حلّة البركة

وعرفتنا أن جنابكم عرف الشيخ مبارك، وتعرف أدام الله وجودك أن الأمر فيه بعض تداخل للشيخ ما هو خافي جنابك، وهنا حال وصول الخط وهنا مركبين للشيخ طارش، ومعرفينه أن جنابكم اعترض وتوجه، وإن حنا ما نقدر إلاّ أنتم لجنابكم، ومعرفته أن لو أنتم طالبين أحد عيالنا أرسلناهم، وهو إنشاء الله ما يقصر وأنت أجزم، واعتقد أنّ الأمر الذي تجي فيه إنشاء الله يتم وحنا أملنا البسام موجب وجاهتكم وأنتم بعد إنشاء الله اكتبو لهم وأملوهم، وحنا حال ما يصلنا خط الشيخ وحنا معرفين جنابكم بالذي بخواطرنا سوى أنهم يروحون من عندنا، أو يصير مجيئهم إليكم. وحنا قد توجهوا علينا النقباء، وتوجهوا الأشراف بشيء ما هو خافي جنابكم، ولا والله أملناهم لكن أنتم ما نقدر، لأن الأمر الذي تبونه منّا إنشاء الله يتم والسلام ١٥ شوال ١٣٢٢.

فهذه الرسالة الأولى وبالرغم من هذه التأكيدات فقد مضى ستة أشهر كاملة بعد هذا الكتاب لم يطلق سراحهم لاشتغال الإمام عبد الرحمن بمواجهة والي البصرة، في أواخر شهر ذي القعدة، وبمواجهة المشير فيضي باشا في القصيم، وبعد أن تفرغ من هذه المهمات والشيخ قاسم لم يزل يستحثه في إنجاز وعده، فلما كان في النصف من شهر ربيع الثاني جهّز الإمام عبد الرحمن، عبد الله العبد الرحمن، وصالح الحمد، وحمد المحمد العبد العزيز، وحمد المحمد العبد الرحمن، وعبد العزيز العبد الله المحمد العبد الرحمن، ومحمد العبد الله إبراهيم، وأرسلهم إلى الشيخ قاسم في قطر لأنهم اختاروا التوجه إلى العراق، وأرسل الإمام معهم خدامًا من قبله، وأما الباقون فقد اختاروا التوجه إلى عنيزة فرجعوا إليها.

وكتب الإمام معهم كتابًا للشيخ قاسم هذا مضمونه:

كتاب الإمام عبد الرحمن الفيصل
إلى الشيخ قاسم بن ثاني

قال: كتابكم المكرم الذي على يد الابن عبد العزيز وصل، وصلكم الله إلى ما يرضيه، وأسرنا طيبكم وسلامتكم أدام الله تعالى ذلك لكم، وحنا سلمك الله قصرنا في تأخير جوابه، والمانع لنا عن ذلك ما أحبينا نكتب لكم حتى تنقضي مادتنا حنا وطوارف الدولة، ونذكر لكم المواد على حقائقها، أما مادة والي البصرة فقد بيّناها لكم يوم حنا بأطراف الكويت، وصار انفصال الأمر مرتبط بمواجهة المشير، لأنه قد تعين للنظر في أحوال نجد وإصلاحاته، وتواجهنا حنا والمشير في عنيزة وسهل الله الأمور وهوّنها بلطف منه ورحمة للمسلمين، وصار الخير فيما اختاره الله، صارت ظهرتهم إلى نجد هي عين الخيرة، أشرفوا على نجد وأحوالها وأصابهم مشاق عظيمة كلفتهم غاية الكلافة، وتحقق عندهم تشبيبات وتزوير ابن رشيد وغيره من المفسدين.

ومن أعظم ما تبين في هالأمر وقام واجتهد فيه شريف مكة؛ والحامل له على ذلك آل بسام وما ساقوه من الفلوس له أكثر من اثني عشر ألف ليرة، ولا أحد قام في هالأمر، واجتهد وفتح لهم بيان حتى أمر هالرتب في القصيم الأطوار منهم في الشام والحجاز والعراق، كل ما يقدرون عليه من الشّين والفساد ما ذخروه، ومع هذا فلا والله لهم طارىء عند والي البصرة، ولا عند المشير إلاّ أنهم يمقتونهم بأفعالهم، وشريف مكة ما زاد شرّه إلاّ لأن حنا ما وجهناه فيهم، وجميع ما ذكرنا

لكم من طرفهم مهرب ظن، لأن من طوارف الدولة الذي حنا واجهنا، وهم يلحقون العلم، ولكن من فضل الله عكس الله أمل كل مفسد، وأظهر الله نوره ولطف بالمسلمين ورحمهم، وصار اليوم جميع الناس شبهوا على الدولة صاروا عندهم أهل كذب وافتراء، ولا صاروا عندهم على محل.

وأنت الله يسلمك ويبقيك عرضت وجهك علينا من طرف آل بسام، وتدري أنك بمنزلة الوالد، ولا يمكن الأولاد إلاّ طاعة والدهم، على كل حال آل بسام موجب أمركم نجيزهم ونعمد معهم خدام، إلى ما ياصلون بهم إلى جنابكم إنشاء الله، وهم وارد عليهم لنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أني يوم ألغيت عنيزة جوني أهل القصيم كلهم، وتدخلوا عليّ صغارهم وكبارهم حتى يزورهم نساءهم مخصوص أهل عنيزة أن حنا ما نبلاهم بآل بسام، وإن كان المشير مطريهم لك ظهرنا للمشير حتى نساءنا نسوقهم عليهم نتدخل فيه عنهم ما يبلانا بهم.

الأمر الثاني: إنّ المسلمين تحملوا خسارة قوية، وحنا في بدتنا خسرنا خسارة قوية، والحقيقة الله يسلمك أنّ آل بسام هم الذين مستحقين لشيل هالحمل الثقيل، لأنهم أوجد أهل نجد وأقدرهم، وهم الذين حركوا أسباب هالشر الذي ضرّ المسلمين.

والأمر الثالث: أنّ هذي أمور كلها استكفينا بالله ثم بك فيها، وحنا والمسلمين داخلين على الله ثم عليك، وفي ذمتك، وأنت إنشاء الله أشفق منا على ما يصلح للإسلام وأهله، وهم ياصلونك إنشاء الله، والأمر للّه ثم لك.

وعن المواد الذي صارت بيننا وبين المشير أمّرنا على جميع بلداننا وعربانا، إلاَّ أن يبقى في القصيم قدر ستين نفر لأجل الرسمي، وتحقيق تبعية نجد للدولة عند الدول والمشير أحمد فيضي مشى إلى اليمن لأنه جايه أمر من اصطنبول أنه ياصله وريقي الغريق معه باقي العسكريين يرحلهم أحد للعراق، وأحد للمدينة لكن مخل بهم قل الرحلة، وهو مجتهد في تجميع رحله، وما حصل له مشاه منهم نرجو أن الله سبحانه يرزقنا وإياكم شكر نعمته على ما منّ به على المسلمين من دفع الشر، ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه، ويوفّقنا وإياكم لما يحب ويرضى، ودمتم محروسين، أول ربيع الثاني سنة ١٣٢٣هـ.

كتاب الشيخ قاسم بن ثاني
إلى مقبل الذكير

قال بعد الاسم والسلام كتابكم العزيز وصل خصوصًا عن الجماعة آل بسام الحمد لله، والله ياخي إن هذي نعمة ما نحصي شكرها لله، والله أن يهوّن علي لو نصف حلالي في ما منّ الله علينا بسبب فكهم، وإلاَّ ما فكهم بهيّن علي، جميع من له مدخل فيهم، ولكن مثل نزع الروح من الجسد، وآخر الأمر جا عبد العزيز مني كتب أوجب فكهم برضى الراضي وزعل الزاعل، ذكرته في ملحاق للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في ثلاثة طباق (أي ست صفحات)، مقامنا وفعلنا معهم من خمسين سنة، ويوم جاه الذي هو خابره، والذي خابره غيره ما بلا بالذي زعل، وراضي، فما قصّر جزاه الله خيرًا على كل حال، والله يلحقنا جزاه، وإلاَّ ما قصروا عنه العدوان وأهل الاعتراض، واصلك ملحاقين، واحد من الشيخ مبارك اتلي

ما جاهم منه[١]، والثاني من عبد الرحمن الفيصل جاي منه في أيام[٢]، الملاحيق ما أحيبت أحد يطلع بهم وأرسلتهم تنقلهم وترسلهم للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم والحظ لأجل أني تكلفت بكتبه، ما ودّي أحد يدري به غيرك وغير الشيخ، والملاحيق إذا أخذت نقلهم أرجعهم علينا مع يد صفيه.

والجماعة طيبين كلهم ولا لحقتهم تعب وتلقيناهم في المرضية مزرعة للولد خليفة، أحبينا لهم الراحة يومين هناك، وبعد ركبنا معهم للوسيل وهم ودّهم بالسفر (حداكم)[٣]، وهنا ودّنا لهم بالراحة لوستة سبعة أيام والحمد لله الذي أطلقهم وسلمهم.

والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ما قصّر فأحل فيهم على شاننا، وعلمه طيب وغانم معهم من كثر ما أشرف عليه من حرصنا والسلام، ٢ سلخ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣هـ.

وصول البسام إلى البحرين
وسفرهم إلى البصرة

وصلّ آل بسام من قطر إلى البحرين، ونزلوا بضيافة فيصل بن عبد الرحمن الذكير، وأكرمهم بما هم أهله، ودعاهم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وكان يومئذٍ بمصَيِّفِه في قلعة الديوان بالمنامة، وأقاموا بضعة أيام كانوا فيها محل حفاوة وإكرام، ثم سافروا بالمركب إلى البصرة،

---

(١) لم أقف على مضمون خط الشيخ مبارك.

(٢) هو الكتاب المشروح أعلاه.

(٣) يعني إلى طرفكم.

وأقاموا فيها إلاَّ عبد الله العبد الرحمن، فإن سافر إلى الحجاز وأقام فيه إلى أنْ توفي رحمه الله.

رجع الكلام إلى تتمة حوادث هذه السنة

من بعد المفاوضات التي جرت بين الإمام عبد الرحمن الفيصل والمشير أحمد فيضي، حصل اختلاف بين أهل القصيم بالنظريات، فمنهم من يميل إلى طلب الدولة بفصل القصيم واستقلاله تحت سيادة الترك ومنهم من يميل إلى الصلح مع ابن رشيد، ومنهم من يميل إلى ابن سعود، وأنْ يبقون على ما هم عليه، وقيل إن الأمير صالح الحسن يميل إلى الرأي الأول ويؤيد أهله، ولم ينكر على أهل الرأي الثاني.

وقد كثر الكلام بين أهل بريدة في هذا الخصوص، وتظاهروا به ولم يستقر أمرهم على رأي واحد، ولم تكن حالتهم متفقة، وقيل: إن صدقي باشا على اتصال بإحدى هذه الأحزاب، ويشجعه على عمله سرًا، وكان ابن سعود على علم بما يجري ولا يجهل شيء من أمورهم، ولكنه كعادته لا يحب التعجّل بالأمور، ويترك كل شيء للوقت المناسب، فتجاهل الأمر ظاهرًا، ولكنه نفض يده منهم، ورجع إلى بلاده وفي نفسه ما فيها عليهم، وترك الميدان خاليًا لأهل القصيم وابن رشيد ووكل إليهم أمر الدفاع عن أنفسهم، وكان قد حدث فتنة بين الشيخ قاسم بن ثاني وأخاه أحمد فاستنجده الشيخ قاسم فرأى الفرصة سانحة له للابتعاد عن القصيم، وأهله، فصار لنجدة الشيخ قاسم وقضى على خصوم الشيخ قاسم وهرب أحمد بن ثاني إلى البحرين.

أما ابن رشيد عندما علم أن ابن سعود رجع إلى بلاده لخلاف بينه

وبين أهل القصيم، أو بالأحرى بينه وبين ابن مهنا جهّز سرية يقودها حسين ابن عساف وصالح بن عذل فدخلا بلد الرس واستولوا عليها، وأخرج أمير ابن مهنا منها فاشتد ساعد أنصار ابن سعود من أهل بريدة على خصمائهم، وبان عجز ابن مهنا عن الدفاع عن بلدان القصيم، فأرسل جماعة من الموالين لابن سعود كتابًا إلى الشيخ مبارك يرجونه أن يصلح حالهم مع ابن سعود، فكتب ابن صباح إلى عبد العزيز بن سعود يرجوه أن يسمح عن أهل القصيم وأن لا يؤاخذهم، وكرر الرجاء أن يمدهم بالمساعدة قبل أن يتمكن ابن رشيد من القصيم فتخسروه معًا.

فوصل كتاب مبارك وابن سعود في أطراف الحسا راجعًا من قطر، فرجع إلى الرياض.

أما صالح الحسن بن مهنا فقد جهّز سرية عدد رجالها نحو المائتين، يرأسهم أحد إخوانه وأرسل إلى أهل عنيزة يرجوهم أن يمدوه، فأرسلوا له سرية يقودها صالح العلي السليم، وعدد رجالها نحو المائة، فانضموا إلى سرية ابن مهنا، ونزلوا بوسط القصيم لحماية بلدانه، ومعهم من البوادي قبيلة عتيبة ضابطين أمواه القصيم شرقيهم ابن ربيعان على الدويجرة، وجنوبهم ابن حميد على البراكية والبدائع، ومعهم الحميداني من مطير، ولكن البادية لا يعتمد عليها في الدفاع، فقد شد ابن حميد والحميداني ونزلوا الشقيقة خوفًا من ابن رشيد، أن يهجم عليهم، وقد بلغهم أنه نزل الثوارة.

وفي الحقيقة أنه لم يقصد البادية وإنما جُلُّ قصده أن يحول على السرية ويقتلهم أجمعين.

جاء صالح بن سليم أمير سرية عنيزة إلى ابن مهنا كبير سرية بريدة، وقال: إن البادية ابتعدت عنا وصرنا الآن شجرة شفا، ولا نأمن هجوم ابن رشيد علينا، فالأولى أن نرتحل وننزل أحد القرى المجاورة لنا نتحصن فيها، ونكون مراقبين لما يجري حولنا، قال ابن مهنا: نحن ما خرجنا إلاّ لحماية أطراف البلدان، ولا يمكن أن نرتحل من موضعنا.

قال ابن سليم: أما أنا وجماعتي حالاً ماشين إلى أقرب قرية توالينا، ولا يمكن أن نكون لقمة سائغة إلى ابن رشيد ارتحل ابن سليم من موضعه ونزل الشقة قرية تبعد عن بريدة نحو ساعتين، وأقاموا خارج البلد في مزارع مسورة على قدر القامة وباتوا ليلتهم.

أما ابن مهنا فقد قام عليه جماعته وأجبروه أن يرتحل ويتبع أهل عنيزة، فرحل في أول الليل وأسري في ليلته، ومن الصدف أن ابن رشيد كان على أثرهم لأنه بات قريبًا منهم، ولم يشأ أن يهجم عليهم ليلاً لئلا يفوته منهم أحد، فأخّر الهجوم إلى الصبح ليستحوذ عليهم، ثم بلغه رحيلهم، فرحل في أثرهم ولم يدركهم إلاّ بعد أن أقبلوا على الشقة، فأخذوا يقاتلون وهم سائرون كل ما قرب منهم أبعدوه إلى أن وصلوا البلد، فانضموا إلى أهل عنيزة، وكانوا على غير تعبئة، فمنهم من دخل القرية وتحصّن فيها، ومنهم من نزل في المزارع التي خارج البلد.

فأحاط بهم ابن رشيد من كل جانب، وفصل أهل القرية عن السرية التي في المزارع إذ جعل قوة تحول دون اتصال بعضهم ببعض، فأيقن الجميع بالهلاك، ولكن اليأس يحدثُ قوة وشجاعة، فأبدت هذه السرية من الشجاعة والاستبسال، ما يقصر دونه الوصف، وساعدهم أهل القرية

فأشغلوا قسمًا ليس بالقليل من قوات ابن رشيد، واستمر القتال من طلوع الشمس إلى بعد الظهر، وهو على أشد ما يكون، ولم ينل منهم منالاً، فلما كان بعد الظهر ما راع ابن رشيد إلاّ وقد طلعت عليه الخيل، ثم تبعهم أهل الجيش ومن بعدهم الرجالة، وكان قد انطلق أحد خيّالة السرية إلى بريدة يستنجدهم، فصاح بوسط البلد بأعلا صوته: النجدة النجدة، فإن ابن رشيد قد أحاط بالسرية على الشقة وما أراكم تدركونهم، وكان أكثرهم قد دخل مسجد الجامع لصلاة الجمعة، فخرجوا منه سراعًا إلى بيوتهم وأخذوا سلاحهم، وركبوا ما وجدوا من الخيل والجيش، ومن لم يجد سار ماشيًا ولم يستغرق مسيرهم أكثر من ساعة.

فوصلوا والسرية لم تزل محافظة على مراكزها، إلاّ أنهم قد نهكهم التعب والعطش، ولو تأخرت النجدة قليلاً لهلكوا، ولكن لطف الله بهم بوصول النجدة إليهم.

أما ابن رشيد لما رأى النجدة قد أقبلت إليهم انسحب ورجع من حيث أتى بعد أن تكبّد خسائر فادحة، ولم يقتل من السرية إلاّ قليل.

أخبرني بهذا الخبر رئيس سرية عنيزة صالح العلي السليم بعد هذه الوقعة بأقل من سنة، لأني يومئذٍ في البحرين، ووصلت عنيزة في أثناء هذه السنة ووقفت على هذا الخبر منه تفصيلاً وهو يتفق مع ما رويته من مصادر أخرى، ولكني رجّحت رواية صالح لأنه هو أمير السرية، وشاهد عيان، فدوّنتها عندي ولم أعلم أني سأحتاج إليها فوجدتها بين أوراق قديمة.

بعد هذه الحوادث اضطر صالح بن حسن المهنا فأرسل أخاه مهنا

إلى عبد العزيز العبد الله بن سليم أمير عنيزة يرجوه أن يرسل معه أحد أولادهم وبعض أعيان أهل عنيزة ليساعدوه على استرضاء ابن سعود، فأجابه إلى ذلك وأرسل معه وفدًا من وجهاء أهل عنيزة، فوصلوا الرياض وعبد العزيز لم يزل في قطر، وبعد أيام قليلة وصل عبد العزيز بن سعود واستقبلهم وأكرمهم وأجاب ملتمسهم وعفى عن ابن مهنا، وأوعدهم بالمسير إلى القصيم على أثرهم، وفي أواخر شهر رجب خرج محمد بن عبد الرحمن على رأس سرية، فأغار على فريق حرب الموالين إلى ابن رشيد وأخذهم، وعاد فنزل السر ثم رحل ونزل بريدة في أول شعبان.

وفي عاشر شعبان وصل الإمام عبد العزيز ونزل عنيزة، فلما بلغ ابن رشيد وصول ابن سعود القصيم خرج من الكينهة غازيًا يريد قبائل القصيم، فلم يدرك مرامًا، ورجع خائبًا وجعل طريقه على بريدة فخفيا، وأغارت خياله على أطراف البلاد فخرج إليه محمد بن عبد الرحمن ومعه أهل بريدة، فحصل بينهم مناوشة بين أهل الخيل وطردوه، فبلغ الإمام عبد العزيز الخبر وهو في عنيزة، فخرج فازعًا ومعه أهل عنيزة، فوجدوا ابن رشيد قد انهزم فنزل عبد العزيز بريدة، ورجع أهل عنيزة إلى بلادهم، فأرسل ابن سعود إلى بلدان الجنوب، وأمر على غزوانهم أن يوافوه إلى القصيم، فلما أقبل غزوهم خرج الإمام من بريدة بمن عنده وانضم إليه غزو الجنوب، وسار قاصدًا قبيلة عتيبة الموالين لابن رشيد، وأغار عليهم في عالية نجد وأخذهم، فبلغ ابن رشيد أن ابن سعود غزى في قله، فسار على أثره يريد أن يهاجمه بالوقت الذي هو يهاجم عتيبة ليضربه من خلفه، ولكن ابن سعود سبقه إلى مهاجمة عتيبة، ولما بلغ ابن رشيد ذلك تهيّب مصادمة ابن سعود، ورجع عنه، ورجع ابن سعود إلى بريدة.

وفاة الشيخ يوسف بن عبد الله بن إبراهيم

وفي شهر شوّال من هذه السنة، توفي المرحوم الشيخ يوسف بن عبد الله بن إبراهيم المشهور والخصم الألدُّ للشيخ مبارك الصباح.

١٣٢٤هـ

وقعة روضة مهنا وقتل ابن رشيد

ذكرنا في آخر حوادث السنة الماضية وفاة الشيخ يوسف بن إبراهيم، وأحدثت وفاته تغيرًا كبيرًا في سياسة ابن صباح لأنّ ابن إبراهيم هو أصل، وسبب العداوة بين ابن رشيد وابن صباح، ولم يقم ابن صباح لحرب ابن رشيد إلاَّ بعد أن نزل ابن إبراهيم بساحة ابن رشيد وإنجاده على خصمه، حينئذٍ بدأت مساعدة ابن صباح لابن سعود، لا محبّةً فيه ولا رغبة منه في استرجاع ملك ابن سعود، وإنما جعله وسيلة للانتقام به من ابن رشيد، ومن ابن إبراهيم.

أما وقد مات خصمه اللدود فقد قلب ظهر المجن لصديقه الودود، وأخذ ينظر إليه نظر العداء، وأخذ يحسب لعواقب امتداد نفوذ ابن سعود ألف حساب، فانقلب ظهرًا لبطن وعكس خطته السياسية عكسًا تامًا، فأظهر الجفاء لابن سعود، وأخذ يتودد إلى ابن رشيد ويستميله، وكان ابن رشيد في أشد الحاجة إلى مثل هذا الصديق الجديد حين انقطع أمله من حكومة الترك، ففي انضمام ابن صباح لجانبه يكتسب قوة جديدة كانت الركن الأقوى سابقًا لخصمه، جرت المراجعات وتم الصلح بينهما، ولم يكتفِ ابن صباح بهذا العمل، بل أراد أن يسعى في فصل ابن مهنا عن ابن سعود، وإدخاله في حِلْفه مع ابن رشيد، فكاتب ابن مهنا

بهذا الخصوص، ولكن شاء ربك أن يحبط عمله فكشف عن سوء نيه.

كان ابن صباح يجري هذه المناوضات وهو على عادته مع ابن سعود لم تتغير لهجته ولم يدر بخلد ابن سعود أن مبارك الصباح بعد هذا العداء مع ابن رشيد يتقلب بهذه السرعة، فلنترك ابن صباح وأعماله ونرجع قليلاً لنلحق ما سبق هذا الانقلاب من الحوادث.

ففي ٢٥ من شهر الحجة سنة ١٣٢٣هـ: خرج ابن سعود من الرياض ومعه غزو الرياض ونواحيها، ونزل الأسياح وانضم إليه غزو القصيم أميره صالح الحسن بن مهنا، وغزو عنيزة أميره صالح الزامل السليم، فأقام فيها عشرين يومًا، ثم بلغه أن ابن رشيد سار غازيًا نحو الجنوب، فخشي أن يحصل من اعتداء على بعض القرى، فسار في أثره فلما وصل الزلفى بلغه أن ابن رشيد نزل المجمعة، التي لم تزل موالية له، فتموّن منها، ورجع شمالاً فرحل ابن سعود ونزل مجمع البطنان، فاستأذن صالح الحسن بن مهنا بالرجوع إلى بريدة فأذن له، فرجع بنفسه وبقي أخوه مهنا أميرًا على الغزو مع ابن سعود، وكان نايف ابن هذال بن بصيص رئيس بريه من مطير نازلاً بموضع قريب من ابن سعود. وكان مواليًا لابن رشيد، فأراد أن يأخذه على غرة، فسار إليه وأغار عليه، وكان قد سبقه النذير، فانهزم وتبعه ابن سعود، وأخذ عليه بعض من الحلال، وتزبن ابن رشيد وانضم إليه كما انضم إليه قسم من قبيلة حرب كان قد استدعاهم.

أما ابن سعود فرجع ونزل النبقية بالمستوى، وانضم إليه قبيلة مطير يرأسها فيصل الدويش، فجاءه نجاب من الشيخ مبارك يحمل كتابًا كان عنوانه لابن سعود، والكتاب باسم عبد العزيز بن رشيد ويتضمن إمضاء

الصلح بينهما، ويقول فيه أنه كتب لابن مهنا يدعوه ليدخل في صلحهما، وكان كتاب ابن صباح لابن مهنا مع رسول مبارك، فأخذه منه وأشرف على ما فيه، فعلم حينئذٍ حقيقة الأمر، فكتم هذا الخبر.

وفي اليوم الثاني علم أن ابن رشيد أغار على ابن عشوان ومسمار، وهوامل معهم الجميع من مطير، وأخذهم على أم جريف موضع قريب من جراب جنوبًا عنه، وقد علم ابن رشيد أن قافلة مقبلة من الكويت لأهل القصيم، فأخذ يرصد لها، ولكنه أخطأها وأغار على العرب وأخذهم، ورجع وجاء الصريخ لابن سعود من القبيلة التي أخذها ابن رشيد يستنجدونه، وصادف أن قافلة إلى أهل القصيم نزلت عند بن سعود لاجئةً إليه خوفًا من ابن رشيد، فأخذ منهم بعض لزاد وبعض الجيش، وأخذ من رجال القافلة عددًا غير قليل، واستغنى من رجاله أهل ألف ذلول وأربعمائة خيال، وسار على أثر ابن رشيد ومعه مطير، فأسرى تلك الليلة واليوم الثاني.

وفي ليلة اليوم الثالثة ١٧ صفر سنة ١٣٢٤هـ: جاءت كشافية تخبره أن ابن رشيد نازل في روضة مهنا شمالي المستوى، ولم يكن بينهما إلاَّ مسافة أربع ساعات، فنزل في موضعه وترك الجيش والخيل، وأبقى عندها بعض رجاله، ومشى في بقية الجند مشاة، ومعهم بعض الخيل، فلما كان الساعة السابعة ليلاً، وإذا هم يطالعون مخيم ابن رشيد وقد أخذ خبرهم، فتهيأ للقتال وعبّي جنده وأرسل أولاده متعبًا ومشعلاً إلى موضع بعيد عن محل القتال، ومعهم بعض خدامهم، وقال: راقبوا الأمور من بعيد، فإن كانت لنا أرسلنا لكم وإلاَّ فانجوا بأنفسكم.

فلما كانت الساعة الثامنة ليلاً ليلة ١٨ من شهر صفر سنة ١٣٢٤هـ: هجم ابن سعود على ابن رشيد فتصادم الجيشان والتحم الفريقان واشتد وطيس القتال فتأخر جيش ابن رشيد واحتل جند ابن سعود مراكزه، وزحف بعضهم إلى بعض واختلط الفريقان، وصار القتال بالسلاح الأبيض، فتجالدوا بالسيوف مدة ثم انهزم جيش ابن رشيد، وكان ابن رشيد راكبًا حصانه يدور في معسكره يحرضهم ويشجعهم، فجاء إلى موضع جيشه وكان قد احتله جيش ابن سعود ولم يعلم، فأخذ يحرضهم فعرفوه وصاح بعضهم على بعض ابن رشيد رأس الحيّة صوبت إليه البنادق فخرّ قتيلاً لوقته، وتمّت هزيمة جنده.

فأصبح ابن سعود في معسكر ابن رشيد واستولى على ما فيه وأرسل إلى جيشه وخيله التي تركها بموضع قريب منه، فجاءه ولم يتبع المنهزمين بل تركهم، وقد أسر من جند ابن رشيد نحو ستين رجلاً فأحسن إليهم وأطلقهم وجهزهم إلى بلادهم، وكان عدد القتلى في هذه الوقعة نحو الثلاثمئة من الطرفين.

متعب ابن عبد العزيز ابن رشيد

دخل متعب بن عبد العزيز الرشيد بلاده، ولم يحضر الوقعة وتلافى عليه فلول جنده، وبايعه أهله وشكر عمل ابن سعود في الأسرى، فقابله بالمثل وأطلق سراح من عنده من المسجونين من آل سعود، ومن آل سليم أهل عنيزة وهم عبد الله ومحمد أبناء زامل، وأما عبد الرحمن بن زامل فقد توفي في السجن قبل عام، وإبرهيم وسليمان ابني حمد البراهيم السليم، ومن عنده من عائلات آل سعود.

ابن سعود

أما ابن سعود فقد أرسل إلى مخيمه الذي تركه في مجمع البطنان فجاءه ثم رحل ونزل بريدة.

وفي اليوم الثاني من ربيع الأول خرج من بريدة غازيًا وأغار على ناهس الذويبي من حرب وأخذه عند أبانات الجيلان المعروفان في التصيم، وقتل في هذه الوقعة يحيى الخالد السليم، وكان خرج مع ابن سعود رأسه، فقتله ابن ربيف من حرب صبرا رجع ابن سعود، ونزل قصر ابن عقيل فأرسل إلى حسين ابن عساف أمير الرس يدعوه إلى الطاعة، فاستأمنه فأمنه، وخرج إليه هو وصالح ابن عذل فبايعاه، وأراد إرجاعهما إلى موضعيهما، فاختارا الإقامة بخدمته، ثم عيّن صالح بن عبد العزيز أميرها السابق أميرًا في الرس، ورجع ونزل بريدة في ١٥ ربيع الأول ثم غزا وأغار على قبائل من حرب ومعهم بني عبد الله من مطير، وأخذهم على أبي منير، وفي غزوته هذه مر السبعان من قرى حائل ونهبوه ورجع إلى بريدة.

القبض على صالح الحسن ابن مهنا

كان ابن سعود ناقمًا على صالح بن حسن أمورًا كثيرة نجهل أسبابها. وسنورد جميع ما وقفنا عليه من المصادر التي استقينا منها، وكنت أنا يومئذٍ في عنيزة، ولكني صغير السن، ولا أقف على بواطن الأمور. وأما الإشاعات التي راجت يومئذٍ فلا يعتمد عليها، وإنما على طول الزمن أخذنا نبحث عن أسباب ذلك، فلم يقف على شيء يصح ترجيحه، وإنما أذكره كما تلقية على اختلاف في الرواية قليل.

أما كيفية القبض فإليك بيانه:

ففي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني رتّب ابن سعود بعض الجنود بقيادة أحد آل سعود وأعطاهم التعليمات اللازمة، وأظهر أنه يريد أن يرسل عمالاً يستحصلون الزكاة من البوادي، فلم يسترب صالح الحسن في أمره، فأرسل بعض الجند إلى القصر بحجة تجهيز العمال، ثم تبعهم هو ومعه ثلة من الجند، فدخلوا القصر وأغلقوا أبوابه، وتفرّق الجند بالمواقع التي عيّنها لهم، وكان صالح بن مهنا وإخوته في القصر عدى سليمان الحسن، فإنه خارج القصر، ثم تقدم إلى صالح الحسن وإخوته فقبض عليهم وأرسل إلى ابن عمه محمد بن عبد الله المهنا، وأرسل إلى أعيان أهل بريدة، وأخبرهم بأعمال صالح وقبضه عليه، وأمرهم أن يبايعوا ابن عمه محمد العبد الله فبايعوه، وقد اضطرب عامة أهل بريدة لهذه المفاجأة، وكاد يحدث فتنة لولا أن أعيانهم نبطوهم، وقالوا: الأمر بين آل مهنا فيما بينهم فما هو مدخلكم في الأمر، ولم يقنعهم ذلك لأن صالحًا كان محبوبًا لديهم، ولكنهم لم يجدوا لهم رئيسًا يقودهم، وكان سليمان الحسن قد هرب إلى صدقي باشا في الشيحية.

فأرسل ابن سعود صالحًا الحسن وإخوته ليلاً إلى الرياض وحبسهم هناك، ووقع الأمر على أمراء عنيزة وقوع الصاعقة لأنهم خشوا على أنفسهم، واستغربوا هذا الأمر من ابن سعود بعد تلك العهود التي كانت بين ابن مهنا وابن سعود، وبين ابن سعود وآل سليم على يد الشيخ مبارك الصباح.

وفيما يظهر من حالة أهل عنيزة أمران: إما أنهم يجهلون أعمال ابن

مهنا التي اطلع عليها ابن سعود ولم يخبرهم عنها، أو أن الأمر حقيقة جرى باتفاق بين محمد المهنا وابن سعود، وهذه الإشاعات ضد صالح إنما هي تشويه لسمعته ليهون على الناس أمر القبض عليه.

أما أمراء عنيزة فقد تمكّنت من قلوبهم الوحشة خوفًا من أنْ يكون مصيرهم مصير ابن مهنا. بعد أن رتب ابن سعود أمور القصيم وإجلاء آل حسن من بريدة عاد إلى الرياض وكتب لأمير عنيزة عبد العزيز العبد الله وصالح الزامل يدعوهما لمواجهته خارج البلد، فازدادت ريبتهما من ابن سعود ولماذا لم يدخل البلد كعادته، ويفضي إليهما بما يريد، فترددا في إجابته ولكنهما أخيرًا أجابا طلبه وخرجا لمواجهته، ولكن أهل البلد لم يطمئنوا عليهما فخرج منهم جمع غفير متسللين مستعدين بسلاحهم فتفرقوا في أماكن متعددة قريبة من محل الاجتماع دون أنْ يظهروا للعيان.

فجاء ابن سعود في قلة من خدامه لأنه لم يدر بخلدة شيء مما ظنوا إنما جاء ليشرح لهم الأسباب التي أوجبت هذه الإجراءات مع صالح الحسن، لأنه يعلم صدقهم وإخلاصهم له، فسلموا عليه وجلسوا يتحدثون، فرأى الناس زمرًا هنا وهناك، وكان الوقت ليلاً، فقال ابن سعود من هؤلاء الناس المجتمعين، هل داخلكم الريب مني، قالا: نعم يا طويل العمر إنَّ دعوتك لنا في مثل هذا الوقت من الليل خارج البلد وبعد عملكم في صالح الحسن مع ما بينكم وبينه وبيننا على يد ابن صباح من العهود والمواثيق، جعلنا نرتاب، قال: أخطأتم في ظنكم فطريقتكم غير طريق ابن مهنا، لأنكم وفّيتم بما بيني وبينكم وزيادة، وأما صالح الحسن فأنا ما جئت هنا إلاَّ لأبين لكم أعماله التي تعلمونها والتي خفيت عليكم، ثم أخذ يفيض بأعمال صالح ويشرح لهم موقفه مع المشير ومع

صدقي بعده، ثم موقفه مع ابن صباح في توسطه للتصالح بينه وبين ابن رشيد، وعرض عليهم جميع ما قام به صالح من الأعمال ضده بمستنداتها.

ثم قال أيضًا: قد احتملت كل هذا من صالح ولم أفكر في شيله، ولكن جاءني وجهاء أهل بريدة وأعيانهم ومحمد العبد الله المهنا وشكوا إليّ أعمال صالح فيهم وجراءته على أموالهم لسد نفقاته، وتدخلوا علي إما تشيل صالح عنّا فحنا نترك بريدة له، وأنتم تعلمون أني في حاجة إليهم اليوم، وخشيت إذا لم أوافقهم ينتقضون، وأنتم تعرفون أحوال أهل بريدة، فأنا ما أقدمت على ما أقدمت عليه إلاّ مراعاة للمصلحة العامة، لأننا غير آمنين منه بوجود هذا العسكر مع ما تقدم بينه وبينهم، فالآن هذا ما جئت لأبيّنه لكم، وها أنا راجع إلى الرياض، وقبل ذلك يجب أن نزيل هذه الوحشة بعهد جديد فقاموا فعاهدوه عهدًا وثيقًا أنهم لا يحولون عما بينهم وبينه من العهود السابقة، وأكد ذلك هو لهم وركب راجعًا إلى الرياض.

الأسباب التي غيّرت خاطر ابن سعود على ابن مهنا وأوجبت القبض عليه

حرصتُ كل الحرص لتحقيق الأسباب، وأكثرت من سؤالات الرجال الذين أظن فيهم الاطّلاع على مثل هذه الأمور، فلم أجد في التقسيم كله من يؤيد التهم الموجهة إلى ابن مهنا كموالاته العسكر أو الميل إلى الصلح مع ابن رشيد، وينفون ذلك نفيًا باتًا، ويقولون لو كان عمل شيء من ذلك لأخذ حذره من ابن سعود واحتاط لنفسه ولو سرًّا، ولكن غفلته وانقياده وجعله القصر بما فيه تحت تصرف ابن سعود ورجاله أي

وقت شاءوا ليلاً أو نهارًا يدل على أن ضميره مرتاح، ونفسه مطمئنة لما بينه وبين ابن سعود من العهود، وأنه لم يأتِ ما ينقضها، هذا عذرهم ودفاعهم عن ابن مينا.

سامي باشا الفاروقي

كانت حكومة الترك ناقمة على صدقي باشا وخطته، ولا حرب ولا سلم ولا مفاوضات، فأرسلت سامي باشا الفاروقي الذي كان يومئذٍ في المدينة إلى حائل للمفاوضة مع ابن رشيد، فاجتمع ومتعب في سميراء الماء المعروف قرب حائل، فاتفق وإياه أن يكون القصيم في حوزة الدولة، فوافق على ذلك، ثم رحل الفاروقي إلى القصيم ليفاوض الفريق الثاني الذي قد ظن أنه كالفريق الأول، فلما وصل الشيحية في أواخر جمادى الأولى عزل صدقي باشا، وتولى قيادة الجيش، وأرسل إلى ابن سعود يطلب مقابلته للمفاوضة، فوافاه إلى البكيرية القرية المعروفة في ناحية القصيم، فكان الاجتماع بين مخيم أهل عنيزة والبلد بالركن الجنوبي الغربي منها في خيمة أعدت خصيصًا لذلك، فاستمرت المفاوضة نحو ساعتين، فلم يحصل نتيجة لأن سامي باشا ذو نزعة عسكرية، وكأنه أراد أن يملي إرادته على ابن سعود وأهل القصيم، ويجبرهم على قبولها معتزًا بقوته جاهلاً مركزه، فلو تأمل حالته التي هو فيها ومركزه، وأنه في وسط صحراء بعيد عن العمران، وفي وسط بلاد معادية وهو في قلة من الجند، لو تأمل ذلك لما غالى في مطالبه.

وقد أخطأ من قال أنه من أكبر رجال الدولة وساستها، فلو كان كذلك لجرى في مفاوضته غير مجراه، أما طلبه أنْ يكون القصيم تابعًا

للدولة فهذا قد قاله من قبله في جميع المفاوضات التي تقدمته ولكن سامي باشا قال غير ذلك، قال: بأن الأوامر التي لديه تخوله أن يبني قصرين في عنيزة وبريدة، ويجعل في كل منهما طابور عسكر ولما اعترض ابن سعود وأهل القصيم على ذلك قال: إنكم تجهلون صالحكم، وتتوهمون حقوقًا ليست لكم وما جئنا لنسترضيكم، أو نأخذ رأيكم، وإنما جئنا لنعلمكم الطاعة والإخلاص للدولة العلية.

عندئذٍ احتدم ابن سعود غيظًا وقال: إني آسف أن الدولة توكل أمورها إلى مثلك ما كان العرب يا سامي ليطيعون صاغرين، وأقسم بالله لولا أنك ضيف عندنا لما تركتك تقوم من مكانك، فانفض الاجتماع، وقام ابن سعود وخرج وهو لا يكاد يميز طريقه من الغضب، وخرج سامي باشا ومعه أربعة من ضباط العسكر ورجعوا إلى معسكرهم في الشيحية على مسافة ساعتين من البكيرية.

ركب ابن سعود ومن معه من إخوته وأبناء عمه على خيلهم واستعرضوا الجند، فبدأ بمخيم أهل عنيزة وهو الذي يليه غربي البلد، فاصطفوا صفين وأخذ ابن سعود ومن معه يقبلون ويدبرون على خيلهم بين صفي الجند يستحثونهم ويحرضونهم والجند يجاوبه بالتلبية بحماسة شديدة، وكنت أنا يومئذٍ مع من خرج من الغزو وأخذ على هذا الحال نحو نصف ساعة، ثم قصد مخيم أهل بريدة شمالي البلد وفعل مثل ذلك ولم يكن معه يومئذٍ غير أهل القصيم.

وفي الحال أرسل إلى بريدة وعنيزة يطلب زيادة رجال وأكد عليهم بالسرعة، وأرسل سامي باشا بعد وصوله إلى الشيحية ذياب أبو بكر إلى

ابن سعود يعرض عليه على لسان سامي باشا أن يقبل عشرين ألف ليرة تدفعها لك الدولة مقابل اعترافك بسيادتها على القصيم، فجنَّ جنون ابن سعود، وأراد أن يفتك بذياب، وقال: أتتجاسر يا خبيث أن تنقل إلي مثل هذا الكلام، فطار صواب ذياب ولُبّه، فركب ذلوله هاربًا وهو لا يصدق بالنجاة، عندئذٍ أرسل ابن سعود ثلاثة من رجاله إلى سامي باشا ينبئه أنه هاجم عليه في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر، وما كان جادًا فيما يقول، ولكنها كما يقول الريحاني تهويلة أتت بالفائدة.

وما أظن ابن سعود يحاول الهجوم على العسكر لأن عددهم يفوق عدد من معه ثلاثة أضعاف، وعندهم من الاستعداد الحربي ما ليس عنده، ثم إنهم بمدة إقامتهم الطويلة قد حصّنوا قصور الشيحية وأحكموها وسكنوها فهم داخل قصور حصينة، وفيها من العدد والعُدَّة ما يصدّ عنها أكبر قوة، ولكن سامي باشا أدرك ما كان يجهل، وبدأ ينظر الأمور بعقله فرأى أنه في منقطع من العمران وبعيد عن المصادر التي يستمد منها قواته وأقواته، فأدرك خطأه في ما بدا منه من المطالب.

فأرسل إلى ابن سعود ثلاثة من ضباطه يسترضونه، ويقولون: إن سامي باشا ومن معه من العسكر ضيوف عليكم، وكان ابن سعود قد رحل من البكيرية فنزل طرف المليدا من الغرب، فوافته الرسل هناك فأجابهم وطمّن خواطرهم ورجع إلى بريدة، ثم رحل منها وعاد إلى الرياض، وكان ذلك في شهر جمادى الثاني.

وأخلد سامي باشا إلى السكوت الظاهري ولكنه بدأ يدسّ الدسائس ويحرك سليمان الحسن المهنا الذي كان عندهم منذ أن قبض ابن سعود

على أخيه صالح، فارتبط مع سامي باشا على أن يهجم على محمد العبد الله المهنا أمير بريدة ويقبض القصر على أن يرتحل سامي باشا وينزل البصر، قرية تبعد عن بريدة ساعتين ليؤيده ويشد أزره، فيما لو قام أهل البلد ضده، فكتب سليمان إلى بعض أشخاص في بريدة يثق بهم، وفيهم عمه عبد الرحمن بن مهنا فأجابوه إلى مساعدته، وأمروه أن يتقدم إليهم.

وفعلاً دخل سليمان إلى البلد سرًّا واجتمع بحزبه، وتقرر عزم هذه العصبة على أنَّ عبد الرحمن المهنا يستدعي ابن أخيه محمد الأمير على القهوة كجاري العادة، ثم يفتكون به فنمي الخبر إلى الأمير محمد بن عبد الله بهذه المؤامرة وأسماء المؤتمرين فأخذ حذره واعتذر عن إجابة دعوة عمه، ولم يبد لهم أنه عالم بما أرادوا، فلما أصبح أمر على أهل البلاد أن يعرضوا ليستعرض قواتهم، وهي عادةً في نجد يعملها أهل البلد عند توقع أي حادث، فلما تكاملوا أخذ الأمير يقبض على أفراد المؤتمرين وسجنهم ما عدى عبد الرحمن المهنا وسليمان الحسن، فإنهما أحسّا بالأمر وانهزما إلى المعسكر قبل أن يتمكن من القبض عليهما.

استجوب المسجونين فأنكروا وكان فيهم أحد أولاد الربدي من أعيان أهل بريدة فجاءه وجهاء البلد يتشفعون بالعفو عن المسجونين، وكان قد رفع الأمر إلى ابن سعود وأخبره بعملهم فأجابهم: إني قد رفعت الأمر إلى ابن سعود والأمر إليه فركب وفد من الأعيان إلى ابن سعود وطلبوا منه العفو عن المسجونين فأجاب طلبهم، وكتب إلى محمد بن عبد الله يأمره بإطلاق سراحهم فأطلقهم.

مقاطعة أهل القصيم العسكر

بعدما جرت هذه الحادثة علم أهل القصيم أنَّ سامي باشا هو المحرك لها، فكتب أمير بريدة بالتضامن مع ابن سليم أمير عنيزة إلى سامي باشا يلقون عليه بقصة ما حدث، فكتب إليهم يقول: إنه لا علم له بهذه الحركة، فكتبوا إليه ثانيًا إنْ كان الأمر كما تقول فانفي من عندك من آل مهنا وأبعدهم، وإلاَّ فنحن نلقي تبعة ما يحدث عليك، لأن وجودهم عندك موجب للريبة، فكبر على سامي باشا أن يخاطبوه بمثل هذا الجواب ولم يجاوبهم، فقويت الشبهة عليه عند أهل القصيم، فقرروا مقاطعته ومنعه من الامتيار من القصيم، وكتبوا إلى ابن سعود يقولون: إن بقاء العسكر بهذا الموضع مما يلي ابن رشيد أمر ما هو صلاح، ولا ترتاح نفوسنا إليه، لأننا غير آمنين من دسائسهم، فهم الآن صائرون مركزًا للدسائس، فهذا سليمان الحسن وعبد الرحمن المهنا بعد عملهما في بريدة رجعا إلى سامي باشا.

متعب بن عبد العزيز الرشيد

تقدم الكلام أنه دخل حايل بعد الوقعة وبايعه أهل حايل وشمر بعد أبيه، وأطلق سراح المسجونين في حايل من آل سعود، وآل سليم كما تقدم، وكان راغبًا في السلم لأنه خشي أنْ يعاجله ابن سعود فيقضي عليه قبل أن يلم شعثه، ولكن ابن سعود لديه من المشاكل ما يصده عن ذلك.

أرسل متعب إلى ابن سعود يطلب الصلح فأجابه إلى ذلك على أن شمر وحايل وتوابعها لابن رشيد، وما عدى ذلك فهو لابن سعود فقبله وتم الصلح بينهما، فبقي مرعيًا مدة حكم متعب.

رجوعًا إلى تتمة الحوادث:

ذكرنا مقاطعة أهل القصيم إلى العسكر، وكان أحد تجار عنيزة قد التزم إحضار ما يلزمهم من الطعام شهريًا بقيمة معلومة، وكانوا يأتون على رأس كل شهر ويقبضون ذلك ويسلمون ثمنه، ولكن إمارة عنيزة منعت هذا التاجر من معاملتهم بعد الحوادث التي جرت، فتوسل سامي باشا بكل وسيلة فلم ينجح، لأن الشبهة قد تمكنت من نفوسهم وساءت ظنونهم بنواياه، فصاروا يراقبون حركاته وأحاطوه بجواسيس يحصون عليه أعماله على الخصوص! ابن مهنا أمير بريدة، لأن الخوف عليه أكثر بسبب وجود سليمان الحسن عند العسكر الذي هو خصمه.

أرسل سامي باشا بعض الضباط ومعهم خدام إلى عنيزة في أول شهر رجب يريد الامتيار للعسكر من بريدة ومن عنيزة، ولكنهم ردوه محتجين أنَّ البلاد خالية من الطعام وليس فيها ما يكفي أهلها، فتضايق سامي باشا وخشي أنْ يهلك وعسكره جوعًا بوسط هذه الصحراء القاحلة، فكرر محاولته وأرسل ضابطًا من ضباطه إلى عنيزة ومعه خمسمائة ليرة ومائة وخمسين جندي، فدخل الضابط عنيزة بعد الظهر وترك الجند بموضع يبعد عن البلد نحو نصف ساعة.

بلاغ كاذب

واجه الأمير وطلب منه السماح لهم بأن يمتاروا من البلد فأجابه الأمير أني لم أمنعكم إلاَّ لأن البلد خالية من الطعام والسعر الموجود أكبر شاهد على ما أقول، قال الضابط: نحن لا نبالي بالزيادة، أجابه الأمير إذا لم تبالي فنحن الذي نبالي فلسنا في العراق، فهذي نجد زراعتها لا تقوم

بحاجة أهلها، وهذا المبلغ الذي أتيت لتشتري به هو مقابل لنصف قيمة حاصلات زراعتنا السنوية، فكيف تكون الحالة بعد أنْ تقضوا لازمكم وتتركوا البلد خالية وموسم الزراعة بعيد.

فبينما هم في هذه المحاورة إذْ ورد كتاب من محمد العبد الله بن مهنا أمير بريدة يقول: إنه قد جاءه إحدى خدامه الذين قد جعلهم في الشيحية يخبره أنّ العسكر عندهم حركة استعداد، وأنه أخذ خبر أنهم قد قرروا الهجوم ليلة النصف من رجب.

إما على بريدة وإلا على عنيزة فأنتم كونوا على حذر وموعدهم الليلة، فإن صار الهجوم عليكم أرسلوا لنا نمدكم، وإن صار الهجوم علينا أرسلنا لكم تمدوننا؛ وكان هذا البلاغ كاذبًا، ولكن صادف وصول هذا الخبر بالوقت الذي كان فيه الضابط يطلب من الأمير الإذن لدخول العسكر إلى البلاد لأجل الميرة، فتقويت الريبة في نفس أهل البلاد وزادها قوة، أن القوة التي مع الضابط بهذه الدفعة مضاعفة ثلاثة أضعاف عما هي عليه بالدفعات التي قبلها، فإذا أضفنا هذه القوة إلى القوة التي في البلاد التي قد تضاعفت هي أيضًا صار المجموع قوة لا يستهان بها.

أوجدت رسالة ابن مهنا إرجافات وشوائع أكبر من الحقيقة، فخرج خفيف الناس الذين لا يتقيدون بأمر حاكم، ولا أمير وتبعهم سواقط من أهل البادية التي لا معاش لديهم إلاّ من السلب والنهب، وذلك بدون علم من الأمير.

فأخذوا يشاغبون على العسكر فيأخذون ما وصلت إليه أيديهم من السلاح بدون قتال، إذ لا سلاح مع المشاغبين، وإنما يستغفلونهم، بحيث

صاروا قسمين، قسم يشاغب العسكر ليشغلهم، وقسم يغير فيأخذ ما تصل إليه أيديهم، فلما كان بعد العصر رأى العسكر أنَّ اللصوص تكاثر عليهم، ولم يستطيعوا أن يستعملوا السلاح خوفًا من العواقب، فسار العسكر قاصدًا البلاد ليحتمي بها.

هذا والأمير وأهل البلد لم يعلموا بما حدث فما راعهم إلّا والعسكر مندفع نحو البلد بسرعة، فرابهم الأمر؛ سيما وقد تكهرب الجو من الإشاعات السالف ذكرها، فجاء المستصرخ يقول: إن العسكر أقبلوا وسيهاجمون البلد فظهر أهل البلد والأمير بسلاحهم خارج البلد يستكشفون الخبر، وأرسل الأمير إلى رئيس القوة العسكرية التي داخل البلد فأمره بمخابرة العسكر فخابرهم بواسطة البرزان فجاوبوه أنهم إنما جاؤوا مستأمنين، فأوقفهم بمكانهم، وأرسل لهم قوة تحوطهم وتدافع عنهم، فدخل أهل البلد ودخل العسكر بعدهم، وانضموا إلى العسكر الذي في البلد فكساهم الأمير وأخذ يتتبع ما فقد من سلاحهم، فأرجع إليهم ما وجده.

وباليوم التالي أمرهم بالرجوع إلى الشيحية، فلما وصلوا إليها قام سامي باشا يرغي ويزبد ويتهدد ويتوعد أهل عنيزة وأميرها، فكتب أهل القصيم إلى ابن سعود بخبر العسكر وما كاد أنْ يحدث من الفتنة من جراء أعمالهم، وأنهم لا راحة لهم والعسكر بهذا الموضع.

أما سامي باشا فإنه قد تأثّر مما حدث، وتوتَّرت العلائق بينه وبين أهل القصيم، فأخذ يفاوض متعب بن رشيد نكاية بأهل القصيم من جهة، واضطرارًا للأطعمة من جهة ثانية، لأن القصيم أوصدت أبوابها دونه،

فتقرر الأمر بينه وبين ابن رشيد أنْ يرسل له رحلة يرحل عليها العسكر إلى بلاد ابن رشيد إلى أنْ تأتيه الأوامر من الدولة، إما بتعزيز قوته أو الانسحاب من نجد، وقدّم تقريرًا عن حالة القصيم وحوادثه، والحالة الراهنة التي هو فيها، وأرسل البريد من طريق المدينة فصادفه غزو من عتيبة وأخذوه، فعلم ابن سعود وأرسل من يسترجعه ممن أخذه، فجاؤوا به على ختمه، فأرسله ابن سعود إلى سامي باشا، فصار له أحسن وقع في نفسه وشكر ابن سعود عمله.

ترحيل العسكر من نجد إلى المدينة وإلى العراق

بلغ ابن سعود مفاوضة سامي باشا ابن رشيد، فخشي من انضمام العسكر إلى ابن رشيد، فخرج من بلاده ومعه غزو إلى الرياض وأهل الجنوب، وأغار على مطير وأخذهم على الأسياح، ونزل عنيزة في العاشر من شعبان، وكان ابن رشيد قد خرج من بلاده غازيًا، وأغار على هتيم فسبقه النذير إليهم فامتنعوا عليه، ورجع عنهم ونزل سميرًا، وأرسل إلى سامي باشا ستمائة جمل لأجل ترحيل العسكر، فلما قاربوا الوصول إليه بلغهم أن ابن سعود وأهل القصيم نزلوا البكيرية يريدون العسكر، ولم يكن الخبر صحيحًا، ولكنهم تخوّفوا ورجعوا قبل أن يصلوا العسكر.

ركب ابن سعود إلى بريدة وجمع وجهاء وأعيان بريدة وأميرها وأمير عنيزة وجماعته، وراجعهم في خصوص العسكر وما يجب عمله معهم، فقرروا وجوب إبعادهم عن نجد إما بطريق المفاوضة أو بالقوة إن أحوج الأمر إلى ذلك.

فلما كان في آخر يوم من شعبان خرج أهل القصيم ومعهم ابن سعود وحاشيته فقط، وأما جنوده فقد رجعوا إلى الرياض، فنزل البكيرية، القرية التي صار فيها المؤتمر الأول في جمادى الثاني، فأرسل حرّاسًا أحاطوا بمنزل العسكر بحيث لا يشعرون بهم، وأمرهم أن يمنعو أي اتصال يكون بين العسكر وغيرهم، وأرسل إلى سامي باشا يخبره بين أمرين، إما أن يرتحل من موضعه هذا وينزل السر جنوبي القصيم ليقطع الصلة بينه وبين ابن رشيد، وإما أن يرحل ابن سعود العساكر من نجد فيرسل الجنود العراقية إلى العراق والجنود الشامية إلى المدينة. وإذا رفض كلا الأمرين فهو يلقي عليه تبعة ما سيحدث، وكان الجنود والضبّاط قد سئموا الحالة، فأجبروا سامي باشا على قبول ترحيل العساكر، وقيل إنهم تهددوه فيما لو رفض، فأذعن سامي باشا مكرهًا، ووافق على الشرط الثاني على أن يضمن ابن سعود سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق.

فأجابهم إلى ذلك على شرط اشترطه هو أيضًا، وهو أن يحتفظ بالجنواد العراقية إلى أن يصل خبر سامي باشا ومن معه إلى المدينة خوفًا من أن ينضم إلى ابن رشيد لما يعلمه من ميوله ونواياه، وقد صارحه ابن سعود بذلك، ثم دعا ابن سعود شيوخ حرب وقال: أنتم الذين حملتم العسكر من المدينة إلى نجد، فعليكم أن ترجعوهم إلى المكان الذي أتيتم بهم منه.

رحل سامي باشا (١٥) رمضان ومن معه من عسكر الشام إلى المدينة بعد أن امتاروا من البكيرية واستبقى شيوخ حرب عنده رهينة إلى أن يصل العسكر إلى المدينة، وبعد أسبوعين جاء الخبر بوصول سامي باشا إلى الحناكية، فأطلق مشايخ حرب.

وأما عسكر العراق فقد رحلهم من موضعهم ونزلوا الشماس قرية قرب بريدة، فلما وصل سامي باشا إلى المدينة أمر بتجهيز عسكر العراق الذي تحت رئاسة ميرالاي بسيم بك، فرحلوا إلى العراق في الثالث عشر من شوال من هذه السنة، وفارقوا نجد إلى الأبد إنشاء الله، ولم يبق منهم حتى الذين في البلدان أخرجوهم وسيَّروهم مع عسكر العراق، ثم رجع ابن سعود إلى الرياض وكتب إلى والي ولاية البصرة وقومندان العسكر يخبرهم بإجراءاته بترحيل العسكر، وما بذله من الوسائل لتأمينهم وتأمين راحتهم، والظاهر أنَّ سامي باشا قد كتب بحق ابن سعود كلام جميل.

شكر الحكومة العثمانية لابن سعود

وفي شهر الحج ورد تلغراف من المابين موجب إرادة شاهانية للأمير ابن سعود، يتضمن شكر الحكومة عمله مع العسكر وتأمين راحتهم؛ وتحثّه على تأمين الطرق وإصلاح العشائر، وتطلب أن يرسل ابن سعود أحد إخوانه أو من يعتمد عليه على نفقة الحكومة إلى دار الخلافة العظمى ليحظى بالمثول لدى أمير المؤمنين وتعطّفاته؛ والتلغراف مطوّل لم نقف على كامل عبارته، ورد التلغراف عن يد أحمد عزو باشا وهذا سلمه إلى يوسف باشا المنديل معتمد ابن سعود، فأرسله إليه مع ولد الأحيدب في ٦ محرم سنة ١٣٢٥هـ، وفي ١٢ محرم ورد تلغراف ثاني من المقامات العالية في الآستانة إلى أمير الأمراء وشيخ مشايخ عشائر الأقطار النجدية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، تشكره على خدماته التي قدمها للعساكر الشاهانية، وإخلاصه لسدة الخلافة العظمى، ويطلبون منه أن يقدم مطالبه ويستحثونه على سرعة إرسال وفد يمثله لدى أمير المؤمنين ليحظى بتعطّفاته.

فأسل هذا التلغراف إلى يوسف باشا المنديل، وهذا أرسله إلى ابن سعود، وكذلك صدر كتبًا من والي ولاية البصرة، ومن الفريق عزو باشا وصدقي باشا إلى ابن سعود يهنّؤونه بتعطّفات أمير المؤمنين، ويشيرون عليه بالحضور شخصيًا إلى نواحي البصرة لعرض مطلبه ورفع واجب الإخلاص للذات الشاهانية لقطع ألسنة المفترين والمفسدين، وكذلك مبارك الصباح وسعدون حسّنا له الحضور إلى أطراف البصرة والاجتماع بوالي البصرة.

أما ابن سعود فلم يعد يبالي في الدولة بعد ذهاب ابن رشيد وتشتيت أمره، سيّما بعد قتل أولاد عبد العزيز واختلاف الرشيد، وإنما لا يرى بأسًا من المجاملة، جاوب على تلغرافات المابين بما يقتضيه الواجب، وكتب إلى الوالي وعزة باشا وصدقي باشا بما يقتضيه المقام وشكرهم، وأرسل وفدًا يمثله إلى دار الخلافة رئيسه صالح بن عذل، فنال من عطف الحكومة فوق المأمول ومنحتهم الألقاب والنياشين، فرجع صالح بن عذل يحمل وسام الباشوية، فصار يُدعى صالح باشا العذل.

أما سبب تغيُّر سياسة الحكومة مع ابن سعود فلم يكن خدماته للعسكر وتأمينهم فقط وإنما كثرة الجرايم في بيت آل الرشيد جعلها تنفض يدها منهم، وتتقرّب من ابن سعود.

قتل أولاد عبد العزيز المتعب

تقدّم الكلام على ولاية متعب ابن رشيد بعد أبيه، وذكرنا ما كان من ركونه إلى السلم وانعقاد الصلح بينه وبين ابن سعود، وسكنت الأمور وجرت المواصلة التجارية بين رعايا ابن سعود، وسكنت الأمور وجرت المواصلة التجارية بين رعايا ابن سعود ورعايا ابن رشيد.

ولكن أولاد حمّود العبيد الرشيد أخذوا يطمحون بأنظارهم إلى الحكم ويرون أنفسهم أحق فيه، وكبر عليهم أن يذعنوا إلى متعب، ولكنهم لم يتظاهروا وكأن متعب أحسَّ بما في نفوسهم، فأخذ يعمل للتضييق عليهم سرًّا.

ضاق ذرع كبيرهم سلطان بن حمود العبيد، فذهب إلى الآستانة يتقرَّب إلى السلطان، ولكن الأمير متعبًا كتب يخبر الدولة عن أعمال سلطان ومفاسده، فأعرضت عن سماع كلامه فرجع إلى الشام، وبلغ متعبًا رجوعه إلى الشام، فالتمس من الدولة اعتقاله، فصدر الأمر لناظم باشا واليها يومئذٍ بالقبض عليه، فجاء من أنذر سلطانًا في الحال ففرَّ من دمشق إلى جبل الدروز، وأول قرية وصل إليها الصورة الكبرى قرية ابن ظهير الدين من مشايخ الدروز، وهي من وادي اللوخي على مسافة سبع ساعات من دمشق، فأسرع ناظم باشا بإرسال خيل في أثر سلطان فلم تدركه إلاّ في الصورة في منزل ابن ظهير الدين، وكان هذا لا يعرف أنّ ضيفه سلطان بن رشيد، فلما علم بذلك طرد خيالة الدولة، واجتمع الدروز حول سلطان وساروا به إلى قرية شهبا، فنزل عند شيخها أبي طلال العامري، ومن هناك ذهبوا به إلى المقرف القبلي عند مصطفى باشا الأطرش شيخ ذلك المقرف، فأقام بضيافة مصطفى باشا نحو شهر، ثم رغب أن يعود إلى نجد فزوّدوه بما يلزمه، وأرسل معه رفاقًا يرأسهم الشيخ العبسي رتعات بن ماضي حتى وصلوا به إلى نجد.

رجع إلى حايل دون أن يظهر عليه أنه عالم بما كتب عنه متعب إلى الدولة، فأسرّها في نفسه وحقدها عليه، واختمرت رأسه فكرة الانتقام وحب الاستئثار، فأقر وأخويه على قتل أولاد عبد العزيز والقيام مقامهم،

فراق لهم الأمر ووافقوه وأخذوا يدبرون أمرهم ويعملون الوسائل، فأخذوا يتملقون الأمير ويتودّدون إليه ويتقرّبون منه ليزيلوا عنه أثر الوحشة منهم، فركن إليهم.

وفي يوم من أيام الربيع اقترحوا على الأمير متعب الخروج إلى الصيد للأنس والانشراح، فخرجوا في اليوم العشرين من شهر ذي القعدة من هذه السنة أولاد عبد العزيز: متعب، ومشعل، ومحمد. وأولاد حمود ثلاثة: سلطان، وفيصل، وسعود. وأتباع كل منهم، ساروا يطلبون الصيد فكان في طريقهم جبل من الجبال، فأشار أولاد حمود على الأمير متعب أن يتركوا المسير مع الحملة والخدام، ويسيروا على حدتهم من الجانب الثاني لئلا ينفروا الصيد، عطف الأمير وإخوته وأولاد حمود من يسار الجبل وتركوا الجملة تسير من الجانب الثاني ليلتقوا بها عند نهايته، وحال الجبل بينهم وبين خوياهم فتأخر أولاد حمود قليلاً وصار كل واحد منهم يمشي خلف واحد من أولاد عبد العزيز، ثم حمل كل واحد منهم على واحد من أولاد عبد العزيز وقتلوهم، أما متعب ومشعل فقد ماتا في الحال، وأما محمد فكان صوابه غير مميت ولكنه تظاهر بالموت خوفاً أن يجيزوا عليه، وكان معهم طلال بن نايف فقتلوه، وبالحال رجعوا إلى خوياهم وأخبروهم بالأمر، وقالوا: من أراد العافية يلزم السكوت فلم يعترضهم أحد وسلموا الأمر، رجعوا بالحال إلى حايل واستولوا على القصر بما فيه وعلى جميع ما كان لآل عبد الله.

أما ولد عبد العزيز محمد الذي قلنا أنه لم يمت فقد حمله أحد خدامهم وأدخله عند جده حمود العبيد، فعلم أولاد حمود بذلك فدخلوا عليه وهو عند أمه التي هي أختهم وأرادوا أخذه منها، فتدخلت عليهم

وحالت بينهم وبينه وهي تناشدهم الله والأخوة أن يتركوه لها بعد أن فجعوها بإخوته، فلم تجد الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً ولم يلتفتوا إلى توسُّلاتها، فسحبوه من بين يديها وقتلوه على مرأى منها، ومن والدهم، فكان مشهدًا مريعًا مخيفًا تمثّلت فيه القسوة والوحشية بكامل معانيها. وأجلى مظاهرها نسأل الله الحماية من موجبات سخطه.

أما ولد عبد العزيز الرابع سعود بن عبد العزيز، فقد كان عند أخواله السبهان فمنعوه، وقالوا: هذا طفل لم يبلغ العاشرة من عمره، ولا محاذرة عليكم منه ونحن نكفله أي وقت تريدونه نسلمه لكم، فتركوه خوفًا من شقاق يحدث بينهم وبين السبهان.

سكنت الزوبعة واستقر الأمر إلى سلطان الحمود، كتب إلى ابن سعود يخبره بالأمر ويطلب منه تقرير الصلح، ولم يكن راغبًا فيه إنما يريد اكتساب الوقت يدل على ذلك ما كتبه في الوقت نفسه إلى أمراء القصيم، وإلى رؤساء البوادي يخطب ودّهم ويستنصرهم، فأرسل الأمراء والرؤساء الكتب التي جاءتهم من سلطان إلى ابن سعود فاستشاط غضبًا وهمّ بطرد رسول سلطان لأنه رأى في الكتب التي كتبها لغيره ما ينافي رغبته، ولكن والده الإمام عبد الرحمن أشار عليه بقبول ما جاء من أجله، فجاوبه ابن سعود وأعطاه ما أعطى سلفه على حايل وتوابعها وشمر ولم يقبل سلطانًا بذلك لأنه آنس ميل من بعض أهل القصيم إلى مخالفته، وبلغه مساعي فيصل الدويش ونايف بن بصيص وإغراؤهما ابن مهنا على الخروج عن طاعة ابن سعود، وأوعدوه بمساعدتهما وشدهما أزره، ولكن ابن مهنا بقي متذبذبًا ولم يتظاهر بشيء ضد ابن سعود على أنّ ذلك أبقى أثرًا في نفسه وأذكاه وزيّنه محمد العوني الشاعر المشهور.

خرج ابن رشيد ونزل مع شمر في أول شهر الحج، ثم سار غازيًا وأغار على العواجي من عنزة وأخذه، فلما بلغ الأمر ابن سعود خرج من الرياض ونزل (المعز) غدير قرب الشقة في القصيم، ثم رحل وقصد شمر فانتذروا به وشردوا، فرجع ابن سعود ونزل مع مطير في الأسياح ودخل هو بنفسه بريدة.

عدى ابن رشيد وقصد مطير في الأسياح فقبضوا على بعض عيونه ورجع الآخرون وأبلغوا سلطانًا أن ابن سعود مع مطير، فرجع عنهم إلى بلاده.

أمّر ابن سعود على أهل القصيم فخرجوا معه، وشدّ فنزل العاقلي، الموضع المعروف في القصيم، فما كان من ابن رشيد إلاّ أنْ أغار على أطراف القصيم من الشمال، وأخذ بعض أدباش لأهل الشيحية، فأطلبه ابن سعود ولكنه فاته، فأرسل ابن سعود إلى أهل الوشم وأهل سدير يطلب غزوهم فجاؤوه، ثم رحل قاصدًا أطراف ابن رشيد، فلما وصل العمون بلغه أن ابن رشيد نزل العدوة وشمر انتذروا وزيّنوا (سلمى) أحد الجبلين المشهورين.

وفاة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم
قاضي القصيم

وفي هذه السنة توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، قاضي القصيم في بريدة، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة رحمه الله.

وفي شهر شوّال من هذه السنة استعفى الشيخ إبراهيم بن جاسر عن قضاء عنيزة، فأُعفي وبقت البلد نحو شهرين ليس فيها قاضي، ثم ألزموا

الشيخ صالح بن عثمان القاضي في منصب القضاء بعد أن كاد لا يجيب، وعيّن الإمام عبد العزيز الشيخ صالح القرناس قاضيًا في بريدة.

١٣٢٥هـ

بوادر الخلاف بين أهل بريدة وابن سعود

تقدمت الإشارة إلى مساعي فيصل الدويش ونايف بن بصيص وإغرائهما ابن مهنا بمساعدتهما له إذا هو خرج عن طاعة ابن سعود، وقلنا: إنه لم يبت في الأمر بالرغم من لحاح وزيره محمد العوني، الشاعر المعروف، وكان أهل بريدة أو أكثرهم ناقمين على ابن سعود عمله في صالح الحسن وجارحة خواطرهم جدًا، فلما حصلت المساعي المذكورة ضد ابن سعود انقسم أهل بريدة قسمين:

الأول: الذين يفضّلون بقاء الحالة الحاضرة على ما هي عليه محتجّين أنَّ خروجهم على ابن سعود غير مشروع وأنه يثير فتنًا ليست من مصالحهم.

والفريق الثاني: يؤيد محمد العبد الله ويرى رأيه في الخروج على ابن سعود ومحالفة ابن رشيد والاتفاق معه.

وحجة هؤلاء أنَّ مصالحهم مرتبطة مع ابن رشيد وشمر وباديته، لأن ليس لهم تجارة إلا ما يصدّرونه إلى سوريا من الإبل والغنم والسمن، وليس لهم طريق إلا من بلاد ابن رشيد وعشائره.

الوجه الثاني: أنَّ لهم مع شمر خاصة روابط ومنافع متبادلة مع أهل بريدة وقراها عامة، وأنه قد انقطعت مصالحهم وتوقفت تجارتهم وحصل لهم أضرار من ذلك جسيمة بسبب وقوف التجارة مدة الأربع السنوات

الماضية، وذهبت رؤوس أموالهم من كثرة الضرائب التي توضع عليهم أثناء الحرب التي استمرت نحو أربع سنين، وكان ابن مهنا الأمير ضعيف الإرادة وليس هو على شيء من الدهاء وقوة الإرادة، فتغلّب عليه أهل هذا الرأي وحملوه على مفاوضة ابن رشيد، فكتب له بهذا الخصوص بالوقت الذي كان ابن سعود غازيًا على شمر الذي قدمنا ذكره، وفي رجوعه صادف رسول ابن مهنا إلى ابن رشيد فقبض عليه، وبعدما عرف مضمون الكتب قتل الرسول وأقبل راجعًا.

وكان خبر أهل بريدة قد بلغ أمير عنيزة، فركب صالح الزامل إلى ابن سعود فوافاه، وقد وصل الشقة فسأل ابن سعود صالحًا عن سبب قدومه، قال: جئت أسألك عما عزمت على عمله، قال: لم أفهم المقصود من هذا السؤال، قال: المقصود أن أهل بريدة وأميرهم علومهم ما هي طيبة، وبلغنا أنهم كتبوا إلى ابن رشيد يفاوضونه بالصلح ويستجذبونه، وجئت أخبرك خوفًا أن ترجع إلى بريدة، فأخرج ابن سعود الكتب التي وجدها مع رسول ابن مهنا لابن رشيد منه ومن جماعة، وعرضها على صالح.

فلما قرأها أرجعها لابن سعود قال ابن سليم والآن ماذا تريد أن تعمل؟ قال الإمام: لم أقرر شيئًا بعد وقصدي أواجه ابن مهنا لأرى ما عنده، أرخص ابن سعود لمن معه من البوادي يرجعون إلى أهلهم وأظهر أنه يريد الرجوع إلى الرياض، وأسر لمحمد بن هندي رئيس برقا من عتيبة أن ينزل وجماعة الجعلة، وأما مطير فقد رجعوا إلى أهلهم معلنين أن ابن سعود انكفأ إلى الرياض، وكان ابن سعود يريد إبعاد مطير عنه خوفًا أن ينذروا به، لأنه يريد غزوا الدويش.

ركب ابن سعود وقصد بريدة ودخلها وليس معه إلاَّ بعض حاشية فوجد القصر مقفلاً، قرع الباب فسأل من أنت؟ قال: أنا ابن سعود، فلم يسعهم إلاَّ أن يفتحوا له لأنهم حتى الآن لم يتظاهروا بالعداء، وكان معه صالح الزامل، فقال ابن سعود لابن مهنا: ما هذا الأمر الذي سمعته وما هو الأمر الذي أوجب ذلك، قال ابن مهنا وأي أمر تعني، فإني لم أفهم معنى ذلك قال بل فهمت ولكنك تتجاهل ولكن اصدقني الخبر قال ليس عندي علم بشيء ولا شك أن الذي بلغك كله افتراء من الأعداء.

وكان ابن سعود يرغب في لغة الأمور ولا يريد إخراجهم خوفًا من انتقاص عام، ولم يبد عليه ما يدل على أنه واقف على ما دار بينهم وبين ابن رشيد، وظنوا أنه إنما بلغه إشاعات بادروا إلى تكذيبها، فتظاهر ابن سعود بتصديقهم، وقال لابن مهنا: إذا كان الأمر كما تقول فقم جدد العهد وعاهدني، فعاهده ابن مهنا على السمع والطاعة، وأنه عدو لعدوه وصديق لصديقه، وزيادة للتأكيد أخذ ابن مهنا السيف وجعله على عنق نفسه، وقال: إذا خنتك فأرجو أن تقتلني بسيفي هذا، فقبل منه ابن سعود وخرج من بريدة والتحق بمعسكره، وانضم إليه قبيلة برقا والروق.

وقعة المجمعة

سار ابن سعود بقصد رأس الفتنة فيصل الدويش، وكان نازلاً في سدير فانتذر به ورحل، ونزل المجمعة وكانت لم تزل على ولائها مع ابن رشيد، ولكن ابن سعود لم يقصد الدويش لأجل الطمع، وإنما أراد الانتقام فيه لخيانته مع ابن مهنا وابن رشيد، لهذا صمّم على مطاردته ولم يكن معه يومئذٍ من البادية إلاَّ قبيلة عتيبة، وأحبَّ أن يختبرهم قبل أن يقدم

على مهاجمة العدو، فأرسل إلى محمد بن هندي وأخبره أن الدويش انتذر بنا ونزل المجمعة، وأنه ربما يتحصّن فيها قال ابن حميد: امشِ وتوكل على الله.

وكان مع الدويش جميع علوي وبعض من بريه اشتد ساعد ابن سعود، ولما أصبح أغار على الدويش ومن معه وحصل بينهم قتال شديد، أبلى فيها الطرفان بلاءً حسنًا، فساعد أهل المجمعة الدويش وأمدوه، استمر القتال على أشده إلى الظهر ثم انهزم الدويش ومن معه، وقتل منهم عدد كثير منهم سبعة من الدوشان، أصيب فيصل الدويش إصابة بليغة، أصابه فاخر بن شليويح الروقي، طعنه عدة طعنات في الرمح في مجاولة الخيل وطرده حتى دخل بيته.

واستولى ابن سعود على جميع حلالهم وبيوتهم بما فيها، ولم يتسلم لهم إلاّ النزر اليسير جدًّا، وقتل من أهل المجمعة عدة قتلى، فخرج أهل المجمعة إلى ابن سعود ورجوا منه أن يتوسع عن البلاد لئلا تضر الجنود بأهل البلاد فأجابهم وانتزح عنهم قليلاً، وأرجع إلى أهل البلاد ما كان قد أخذ منهم ثم جاء الدويش إلى ابن سعود واسترضاه فرضي وعفى عنه وأعطى الدوشان على أربع وخمس من الإبل يرتحلون عليها، ثم رحل عبد العزيز ونزل شقرا، ثم رجع إلى الرياض في أواخر ربيع الثاني.

انتفاض أهل بريدة

تقدم الكلام على ظهور بوادر الخلاف من أهل بريدة وذكرنا ما كان من اجتماع ابن سعود وابن مهنا، وإنكار هذا ما نسب إليه ومعاهدته إياه من جديد تأكيدًا لابن سعود بعدم صحة ما نسب إليه، ولكن الحقيقة غير

هذا فقد كانوا مصممين على الانتفاض، ولكنهم أرادوا اكتساب الوقت إلى أن يكمل استعدادهم، فأخذت الرسل تردد بينهم فأحكموا الرابطة مع ابن رشيد وأرسلوا قافلة بإسم التجارة إلى الكويت، فتزودوا من الكويت ما ينقصهم من السلاح والذخيرة تحت سمع ابن صباح وبصره، ويقال إنه هو الذي أحكم الأمر بينهم وبين ابن رشيد لأنه قد أصلح هو الآخر مع ابن رشيد، فخرجت القافلة من الكويت ليس معها غير أحمال السلاح والذخيرة، فوصلت بريدة في أواخر شهر ربيع الثاني حينئذٍ أعلنوا انضمامهم واتفاقهم مع ابن رشيد ضد ابن سعود وكتبوا إلى ابن رشيد يستدعونه ليشتد به ساعدهم على انضمام أهل القصيم إليهم.

بلغ الخبر عبد العزيز بن سليم أمير عنيزة فأرسل يحيى العلي السليم وبعض أعيان أهل عنيزة ليتحققوا صحة الخبر فلما وصلوا بريدة ثبت عندهم ذلك، وأراد يحيى مفاوضتهم وإقناعهم بخطأ رأيهم فوجدهم مصممين على الحرب فرجع وأخبر الأمير بذلك معه.

محاولة أهـل بريدة جـذب
أهل عنيزة لجانبهم وفشلهم

وبعد ثلاثة أيام أرسل ابن مهنا ابن عمه محمد العلي ومعه ابن جربوع لمفاوضة ابن سليم أمير عنيزة للدخول فيما دخلوا فيه، وأن تكون يدهم واحدة، فتفاوضوا مع الأمير بهذا الخصوص.

فقال لهم: أولاً أخبرونا بالأمر الذي حملكم على هذا قالوا: الأسباب التي حملتنا كثيرة.

منها أننا صايرين طعمة للحكام من تولانا منهم وطأنا واذهبونا بكثر

الخساير وسوق الرجال للحرب، فالغرم علينا والغنم لهم وإذا اتحدنا على حال أنفسنا ومنعنا أنفسنا عن الطرفين أعز لنا عند الجميع، وكل ياقف على حدة وتشفق الذين منا.

قال ابن سليم: لكن أنتم الآن ما اتحدتوا على أنفسكم إنما صرتوا تبعًا لابن رشيد قالوا: لسنا تبعًا لأحد وإنما أصلحنا مع ابن رشيد على شروط منها: أنه ليس له مدخل في أمورنا وبلداننا، وإنما له علينا المساعدة ولنا عليه مثل ذلك فيما لو اعتدى ابن سعود على أحد الطرفين، ولهذا جئنا نعرض عليكم أمرين:

إما أن تدخلوا معنا فيما اتفقنا عليه نحن وابن رشيد، والأمر الثاني إذا ما ترغبون الاتفاق مع ابن رشيد فيكون الاتفاق بيننا وبينكم ونتقي ابن رشيد وابن سعود ولا يكون لأحد منهما سلطة علينا، فإن نفوسنا قد سئمت أعمالهم فينا.

قال ابن سليم: متى تكونت هذه الفكرة عندكم؟ وابن سعود مش رايح من عندكم بعد أن أعطيتوه عهود الله ومواثيقه على السمع والطاعة؛ وإن عدوه عدوكم وصديقه صديقكم، ولم يمض علي ذلك إلاّ مدة قليلة، فهل جاءكم من بعد هذه المعاهدة أمر يوجب نقض البيعة؟ فإن كان قد جاءكم منه شيء فبينوه حتى نعذركم.

قالوا: ما جاءنا فيه شيء لكن من قبضه على صالح الحسن وإخوانه والوحشة واقعة بيننا وبينه.

قال ابن سليم مسألة صالح الحسن أنتم الذي حملتوه عليه وقد صارحكم بذلك، قالوا: ما حملناه ولا رضينا بذلك لكن ما نقدر نكذبه.

قال ابن سليم إذا فرضنا أنكم ما رضيتوا، ألستم تعلمون أن صالحًا قد حاول الاتفاق مع المشير ضد ابن سعود وضدنا، وأراد أن يحتمي بالدولة ولما لم يفلح اتفق وابن رشيد بواسطة ابن صباح وأراد أن يطعن ابن سعود من ظهره بأشد الأوقات حرجًا لولا أن الله لطف بالمسلمين بذهاب ابن رشيد.

قال أبا الخيل: كل هذه الأقوال غير صحيحة ولكنهم أرادوا تشويه سمعة صالح لتبرير أعمالهم، نعم لا ننكر أنه يوجد من أراد أن يحمل صالحًا على مصالحة ابن رشيد ولكنه رفض ذلك رفضًا باتًا، وقال: إن بيننا وبين ابن سعود عهود ومواثيق على يد ابن صباح، ولا يمكن أن نحيد عنها ما استقام عليها.

قال ابن سليم: إذا سلمنا بما تقولون من هذه الناحية يبقى علينا أن ننظر إلى المصلحة ونقارن بين أعمال ابن سعود وأعمال ابن رشيد إزاء أهل القصيم بالماضي والمستقبل، فهل نسيتم أعمال ابن رشيد بعد وقعة الصريف التي لا زالت ماثلة أمام أعينكم من قتل الرجال صبرًا وسبي الأموال واستذلال الأشراف.

فهل عمل معكم ابن سعود شيء من ذلك فاتقوا الله يا محمد العلي وارجعوا إلى صوابكم لا تكونوا سببًا لإشعال نار الفتنة بين المسلمين بعد أن أطفأها الله واستراحوا منها تردونها جذعة بدون مبرر.

قال أبا الخيل: وأي مبرر أكبر من هذا، فإذا كان ابن رشيد أجرى ما ذكرتم فقد أجرى ابن سعود أكبر من ذلك فابن رشيد من سنة المليدا إلى اليوم لم يخرج معه منا غير غزو العادة السنوي.

وأما ابن سعود فقد حارب بأموالنا ورجالنا أكثر من ثلاث سنوات ولم يكفه ذلك منا بل الضريبة تلو الضريبة، بحيث لا يمر ثلاثة أشهر إلاَّ ويطلب منا ما لا نستطيع، كأنه يقول: إنما أحارب ابن رشيد دفاعًا عنكم فإذا لم تسلموا فأنا لا أستطيع أحارب ابن رشيد، وشأنكم وأنفسكم، وشواهد ذلك ما هي بعيدة حتى نذكركم إياها، بل هي قريبة تعرفونها.

وتعرفون أيضًا أنه مدة الحرب الذي وقع بينه وبين ابن رشيد كل نفقات الحرب والتجنيد كله من القصيم،، وقد تحملنا ذلك على حسب أنه يدافع عنا ويساعدنا على عدونا وعدوه، ولكن لما قتل ابن رشيد وظن أن نجدًا قد صفت له لم يمض شهر واحد حتى ظهرت نواياه فينا، وقبض على صالح الحسن وإخوته وسجنهم في الرياض ولا بعد ذلك إلاَّ يقبض على الباقين ويضم القصيم ويجعل عندنا عبد من عبيده يتحكم بنا.

قال ابن سليم: وهل تؤملون أن ابن رشيد يحارب ابن سعود لأجلكم لوجه الله ويترك لكم القصيم؟ قالوا: لا، ولكنه سيكون أخف علينا وطأة من ابن سعود ويرضى منا بالمحالفة والمساعدة عند اللزوم.

قال ابن سليم: يا محمد العلي هذه كلها تصورات وأوهام فلا يغركم بهرجة ابن رشيد وأوعاده، فهو الآن ضعيف يبي يعطيكم على ما تريدون ليستعين بكم وبأموالكم على ابن سعود، فإن فشل وإذا هو ما خسر شيء. وإن نجح لا قدر الله ذلك فسترون منه ما لا يخطر لكم على بال، انظر إلى أعمالهم معكم من مبادىء الأمور إلى نهايتها، وانظروا الأعمال والمساعدات التي قدمها حسن المهنا إلى محمد بن رشيد حينما تحالف وإياه وساعده على تقويض أركان حكومة آل سعود فماذا كانت النتيجة؟

كانت نهايتها الحرب الذي تعلمونها والقبض على حسن وأولاده وزجّهم في السجن حتى مات فيه.

وأما قولكم نقف معكم ضد ابن رشيد وابن سعود، فهذا أمر غير معقول فهل في استطاعة أهل القصيم أن يقفوا موقف العداء للإمارتين المجاورتين، ابن سعود من الجنوب، وابن رشيد من الشمال، وكل واحدة منهما أقوى من القصيم بما لديها من القوات وما يتبعها من العشائر.

فلا ابن سعود يتركهم ولا ابن رشيد يتركهم هذه أمور لم تتدبروا عواقبها، ولكن حب النصيحة والمحبة نبدي لكم رأينا.

وهو أن لا تتعجلوا الأمور قبل أن تتدبروا عواقبها، ولا تفتحوا باب الشر على أنفسكم وعلى ضعفاء أهل القصيم، فإن ابن رشيد قد أيس منكم، ولكن أنتم الذين أطمعتوه بأنفسكم، وابن سعود الآن ما عنده لكم إلاّ الزين، فإن كان قصدكم الوحشة التي وقعت بينكم فأنا أتعهد لكم بإزالتها من خاطره، وإن كان في خواطركم مطالب فأنا أعرضها عليه نيابة عنكم، وأؤمل أن يجيبكم إلى ما تريدون بشرط أن تعطوني عهود بالله أن تنفون ابن رشيد وتقطعون ما بينكم وبينه، وإن أجبتم أن يكون الأمر بينكم وبين ابن سعود فترسلون وفد من قبلكم لعرض مطاليبكم وأتعهد لكم أن اركب معه أنا بابن سليم وأساعده على حصول كل أمر يوافق لكم من ابن سعود، فإن وافقتم على ذلك فأنا مستعد لمساعدتكم بكل ما تريدون وإن أبيتم إلاّ المضي فيما اعتزمتوا عليه فنحن لا نوافقكم عليه.

هذا آخر ما عندنا لكم من النصيحة، ولكم أن تختاروا إحدى الحالتين وتخبرونا إلى مدة ثلاثة أيام، فإذا لم يأت منكم خبر بهذه المدة

فنحن نضطر إلى رفع الأمر إلى ابن سعود ونخبره بحقيقة الواقع.

قال محمد العلي: نحن نعرض الأمر على الأمير والجماعة، ونخبركم بما يقتضي نظرهم، فرجع وفد أهل بريدة ومضت الأيام ولم يجاوبوا، فكتب ابن سليم إلى الإمام عبد العزيز يخبره بما وقع بينهم وشرح له حقيقة الأمر وبين له مطالب أهل بريدة، وكان الإمام راغب في تلافي الأمور وتسكين بوادر الفتنة، فكتب إلى ابن سليم يقول: إن ابن مهنا وأهل بريدة مشتهين الفتنة شهوة وإلاَّ ما جاءهم منا أمر يوجب ذلك، بالحاضر الأمر الذي تبونه منا لهم نحن مفوضينكم فيه وأعطيكم عهد الله وميثاقه أن أتمم لهم الأمر الذي تعطونهم عليه.

فلما وصل كتاب ابن سعود لابن سليم كتب إلى ابن مهنا وجماعته وأرسل لهم خط ابن سعود وقال لهم: هذا جواب ابن سعود وفيه قبول مطالبكم التي تزعمون أنها هي التي حملتكم على هذا الأمر، فإن كان هي الطلب فقد أدركتموها وإن كان المقصد أمور ثانية وشهوة للحرب فهذا آخر عذرنا معكم، ولكن أهل بريدة قد صمموا وجرت المراجعات بينهم وبين ابن رشيد ثانية، وتم الاتفاق بينهم على أن ينزل القصيم، وأخبروه أن أهل القصيم كلهم وافقونا ما عدى أهل عنيزة، فهم لم يزالوا مترددين، ونؤمل أن ندركهم إذا أنت رحلت ونزلت القصيم.

فكتب لهم ابن رشيد يؤملهم وأرسل حملة إلى العراق لجلب أطعمة فتعلقهم خلق كثير من الحضر والبدو فبلغ عدد الحملة نحو ألفين وخمسمائة جمل، فلما خرجوا من العراق عارضهم ابن ضويحي ومعه أربعمائة هجان من الظفير، فلما أقبل عليهم هالهُ كثرتهم فنكص عنهم

وسبقهم، ورصد لهم على الشبكة الماء المعروف بطريق العراق من حائل، ولما قربت الحملة من الماء رأوا أنه لا يكفيهم مجتمعين، فانقسموا قسمين: الحضر على حدتهم، والبدو على حدتهم.

فتقدم البدو إلى الماء حتى إذا فرغوا منه تبعهم الحضر، فلما وردوا الماء وجدوا ابن ضويحي نازلاً عليه،، فأغار عليهم وأخذهم، فاقبل الحضر الذين تخلفوا ولم يعلموا بما صار على من قبلهم، فتلقاهم ابن ضويحي فقاتلوه ودافعوا دفاعًا شديدًا، ولكنه تمكن منهم وأخذ ما يقارب من نصف الحملة.

ومن أعجب الأمور وأغربها أن يقوم ابن صباح مقام المحامي عن حقوق ابن رشيد فقد كتب إلى ابن سعود إذا لم تردوا أموال ابن رشيد التي نهبها ابن ضويحي فإني سأعلن الحرب عليك.

كثيرة هي غرائب مبارك ولكن لا أظن أن فيها على كثرتها أشد غرابة من هذه فابن رشيد، لما وصل إليه فلول حملته خرج غازيًا وأغار على عتيبة وهم على سبحا وعفيف الماءان المعروفان بطريق الحجاز، وأخذ عليهم بعض الحلال، وفي رجوعه أراد أن ينزل الشعب الماء المعروف في عالية نجد ليشرب منه، وكان على ضما فوجد فيه فريقًا من عتيبة، فأغارت عليهم خيل ابن رشيد وهزموها، ثم هجم عليهم بخيله وجيشه فصمدوا له واقتتلوا قتالاً شديدًا قتل فيه رجال من الطرفين وصدوه عن الماء، فانسحب ونزل ماء قريبًا من الشعب، ثم رحل منه ونزل الكبينة.

أما أهل بريدة فقد استبطأوا قدوم ابن رشيد، وخافوا أن يصل ابن سعود إلى القصيم قبل مجيء ابن رشيد، فأرسلوا سليمان بن عيسى

الطمل أحد وجهائهم إلى ابن سليم أمير عنيزة يطلبون منه أن يتوسط بينهم وبين ابن سعود بالصلح، وما كاد رسولهم يصل عنيزة حتى أرسلوا إليه يأمرونه بالرجوع عن ذلك، لأنه بلغهم وصول ابن رشيد الكهفة قادمًا إليهم.

فأرسل أمير عنيزة ابن سليم محمد المرزوقي إلى ابن سعود يخبره بإقبال ابن رشيد، وأنه على وشك الوصول، ويستحثونه على المجيء قبل أن يتمكن ابن رشيد في القصيم، ويتابعه أهل القرى. ولكن ابن سعود تباطأ في المجيء.

وصل ابن رشيد في ٨ رجب ونزل أغفى، موضع معروف بوسط القصيم، وأقام فيه أيامًا، ثم رحل ونزل الشقة، قرية تبعد عن بريدة نحو ساعتين شمالاً، وأقام فيها خمسة عشر يومًا، ثم رحل ونزل الهلالية، إحدى قرى القصيم، وأقام فيها نحو خمسة عشر يومًا، فركب إليه وفود أهل الخبرا وأهل البدايع وأصلحوه.

أما أهل البكيرية فقد كانوا قسمين: ابن عمير، والرواجح وأتباعهما.

أما ابن عمير، فقد ركب لابن رشيد وأصلح معه؛ وأما الرواجح، فقد أبوا وحصَّنوا محلَّتهم.

فأرسل لهم ابن مهنا سرية هاجمت الرواجح بمساعدة ابن عمير وجماعته، فتغلَّبوا عليهم وقتلوا بعض الرواجح، وانهزم باقيهم إلى عنيزة. وتابعه ابن رشيد بقية بلدان القصيم وقراه الشمالية.

وهذا الذي تخوَّف منه أهل عنيزة عندما كتبوا إلى ابن سعود

ويستحثُّونه على المجيء، ولكن ابن سعود تأخَّر أكثر من شهر ونصف بعد وصول ابن رشيد إلى القصيم، فاضطروا إلى متابعته، ولم يبق إلاَّ أهل عنيزة أخذوا يستعدون خوفًا من مفاجأة ابن رشيد قبل وصول ابن سعود، ولكن ابن رشيد لم يقطع الأمل منهم وأراد أن يستميلهم، فأمر ابن مهنا أن يرسل وفدًا من جماعته يرأسهم أحد رجال ابن رشيد لمفاوضة أهل عنيزة لعلهم يدخلون فيما دخل فيه أهل القصيم.

سار الوفد إلى عنيزة بدون علم من الأمير ابن سليم، فلما دخل الوفد من باب السور الشرقي الخارجي (باب الغرفانية) الذي يبعد عن البلد نحو نصف ساعة، سبقهم رسول حارس الباب للأمير فأخبره بقدوم أهل بريدة ومعهم رجال ابن رشيد، فأمر بالحال بعض من خدّامه أن يستقبلوهم ويرجعونهم من المحل الذي يجدونهم فيه، ولا يرجعون عنهم إلاّ من بعد أن يجتازوا الوادي، فإن مانعوا فأرجعوهم في القوة ولو باستعمال السلاح، فراحوا ينفذون الأمر فوافقوهم وقد أقبلوا على البلد، فأمروهم بالرجوع فمانعوا وأرادوا إقناع الخدام بوجوب مواجهتهم للأمير، فأبوا إلاّ أن يرجعوهم، فطلبوا أن يسمح لواحد منهم بمواجهة الأمير فرفضوا، فأخذ الخدام يسوقون ركائبهم بالرغم منهم، وقد اجتمع عليهم غوغاء من أهل البلد ومن الصبيان فأخذوا يرجمونهم بالحجارة، وأصيب بعضهم بإصابات مختلفة ودعوهم الخونة، ولولا أنّ الخدام حالوا دونهم ودون الوفد، وفرقوهم لأثخنوهم، امتنعوا عن رمي الحجارة، ولكنهم لم يمتنعوا من رمي قوارص الكلام الذي هو أشد من الحجارة، رجع الوفد بأسوأ الحالات عندئذٍ يئس ابن رشيد من أهل عنيزة.

وكذلك أهل عنيزة عقدوا النية على الحرب والدفاع، فأرسلوا رسولاً

إلى ابن سعود يبلغونه بما وصلت إليه الحالة، وأنهم يتوقعون هجوم ابن رشيد وأهل بريدة في كل لحظة، خرج عبد العزيز من الرياض ومعه غزوا الجنوب ونزل عريف بيان، وأرسل أخاه محمد إلى عتيبة، فأقبل بهم ونزل الدواومي، القرية المعروفة بعالية نجد.

وفي هذه الأثناء وصل عبد العزيز الحسن راعي طريف رسول من ابن صباح ظاهر أمره الصلح بين أهل بريدة وابن سعود، وباطن أمره أنه واسطة لعقد الروابط بين ابن رشيد وأهل بريدة، لأن ابن صباح هو أول من سعى باتفاق أهل بريدة وابن رشيد بعد أن أصلح هو مع ابن رشيد، لأنه خشي من عواقب امتداد نفوذ ابن سعود، وأخذ يسعى لإضعافه والتأليب عليه ليجعله دائمًا في حاجة إليه، وهذه هي سياسته منذ أن مات الشيخ يوسف بن إبراهيم عدوه اللدود الذي استخدم ابن سعود القضاء عليه، وعلى من ساعده، فلما قضى إربه انقلب ظهرًا لبطن يظن أنه بمجرد رفع يده عن ابن سعود ومساعدة خصومه يبلغ إربه في إضعاف ابن سعود.

رجع عبد العزيز الحسن من بعد قضاء مهمته في بريدة إلى عنيزة، فسأله صالح الزامل عن نتيجة مسعاه عند ابن مهنا، فغمّى عنه الحقيقة، وقال: ما وجدت عندهم جواب ثابت ولم يستقر أمرهم على شيء، ثم رجع إلى الكويت. تقدم ابن سعود إلى القصيم ونزل السر وانضم إليه أخوه محمد ومعه عتيبة، ولما بلغ ابن رشيد نزول ابن سعود السرّ رحل ونزل الشيحية، ثم رحل منها ونزل المتنيات، قرب بريدة تبعد عنها ساعة واحدة، وأرسل إلى فيصل الدويش ونايف بن بصيص فأتوه ونزل الطرفية.

وقعة الطرفية

رحل ابن سعود ونزل عنيزة في ١٥ شعبان وأقام فيها يومًا واحدًا، ثم رحل منها قاصدًا ابن رشيد على المتنيات وانضم إليه من أهل عنيزة نحو الثمانمائة على أربعمائة ذلول، أميرهم صالح الزامل، وكان ابن رشيد قد رحل ونزل بريدة أورسل إلى فيصل الدويش ونايف بن هذال بن بصيص يستدعيهما، فأقبلا في جريدة خيل وجيش.

فأغارت خيل ابن سعود على أطراف بريدة ولما لم يظهر له أحد منهم عدل عنهم وقصد الدويش على الطرفية، فصادفه بالطريق آتيًا لنجدة ابن رشيد وابن مهنا، فأغار عليه وأخذه وانهزم فلولهم إلى الطرفية، فتبعهم ابن سعود وأغار على الحي في نزلهم وأخذهم، ونزل بالطرفية فانهزم فلول مطير ودخلوا بريدة، جرى ذلك وابن رشيد قابع في بريدة.

عقد العزم ابن رشيد وأهل بريدة أن يأتوا ابن سعود على غرة ويهاجموه ليلاً، لأن جنود ابن سعود قد أصابهم التعب والإعياء من بعد طول مسيرهم ذلك اليوم ومطاردتهم الدويش.

وكان ابن سعود قد كبت به فرسه ذلك اليوم فكسر عظم من كتفه اليسرى وأُغمي عليه، رأى ابن رشيد أنّ هذه الأسباب مشجعة له على الهجوم فرتّب أمره استعدادًا لذلك.

فلما كان أول الليل رتّب ابن سعود الحرس خوفًا من الهجوم، ولكن الحرس قد أصابه ما أصاب الجنود من التعب، فناموا، خرج ابن رشيد وأهل بريدة في أول الليل قاصدين الهجوم على ابن سعود وسلكوا غير الطريق المعروف ليأتوا من طريق مخالف لما يظن أنهم يسلكونه، وفي

الساعة الثامنة من الليل عندما قاربوا منزل ابن سعود عبّى ابن رشيد جنوده فجعل البادية على حده، والحضر على حده، ورتب لكل منهما خطة.

تقدموا هادئين ليباغتوا ابن سعود وجنوده وهم نيام، فهجمت البادية من ناحية وهجم ابن رشيد وأهل بريدة من الناحية الأخرى، أطلقت البنادق فانتبه عسكر ابن سعود مذعورًا لهذه المفاجأة ولكنهم صمدوا لهم، والتحم القتال واستمر إلى الفجر فانهزمت بادية ابن سعود في أول الأمر، وثبت الحضر من جيش ابن سعود، واشتد القتال واختلط الفريقان وصار القتال بالسلاح الأبيض، فلما أسفر الفجر انهزم أهل بريدة وابن رشيد فتبعهم ابن سعود حتى دخلوا البلد وبلغ القتلى من الفريقين نحو المائتين أو يزيدون.

رحل ابن سعود ونزل الزرقا وأرخص لجنوده من أطراف بريدة فعاثوا في القرى التي ساعدت ابن رشيد ونهبوا ثمار النخيل التي كانت قد أينعت، فركب أهل القرى وطاحوا على ابن سعود، وطلبوا العفو فعفى عنهم ومنع جنوده التعرض لهم.

أما ابن رشيد فقد انهزم ومعه قسم قليل من أهل حايل، ولم يدخل بريدة، وأما أخوه فيصل فقد دخل بريدة ليشجع أهلها، وأما سلطان قصد حايل، ولكنه وَجَدَ برغش ابن طوالة في العيون، إحدى قرى القصيم الشمالية، ونزل عنده، واستشاره فيماذا يفعل. قال ابن طوالة: ما يليق بك أن تترك أهل حايل في بريدة تحت رحمة ابن سعود، قال: إني تركت عندهم أخي فيصل وسأذهب إلى حايل لأستعد وأرجع إليهم.

قال ابن طوالة: هذا ما هو رأي. الرأي أن ترسل من يكشف خبر ابن

سعود إن كان هو رجع إلى بريدة، فنحن نرجع إليهم ونمدهم، وإن كان ابن سعود رحل عنها فنحن نرحل إلى بلادنا نحتمي بها، فأرسلوا من يكشف لهم الخبر، وكان ابن سعود يومئذ بأطراف بريدة فأخبرهم الرسول بذلك، فرجعوا ودخلوا بريدة ليلاً فتشجَّع أهل البلد بمجيئهم، فلما بلغ ابن سعود خبر دخول ابن رشيد إلى بريدة رحل ونزل بموضع يبعد عن البلد نحو ساعة فخرج إليه ابن رشيد وأهل بريدة، وحصل بينهم قتال قتل فيه من أهل بريدة نحو عشرين رجلاً، ثم انهزموا ودخلوا البلد واحتصروا فيها.

ثم رحل ابن سعود آخر يوم من شعبان ونزل عنيزة، وأقام فيها يومًا واحدًا، ثم رحل ونزل البكيرية وأقام فيها خمسة عشر يومًا يترصَّد إلى سلطان بن رشيد لعله يخرج من بريدة فلم يخرج.

فرحل ابن سعود من البكيرية ونزل الرس، فخرج ابن رشيد من بريدة وقد ترك فيها أخاه فيصلاً ومعه أهل ثلاثين ذلولاً وعشرين خيّالاً ليكون عونًا لابن مهنا إلى أن يستعد ويرجع إليهم.

ولكن ابن رشيد بقي في حايل ولم يرجع إلى بريدة، واختلف فيصل وابن مهنا فعاد إلى الجبل واجتمع بأخيه فأغضبه رجوعه، فأرسله إلى الجوف بمهمة وما قصده إلا إبعاده رضي فيصل بمنصبه الجديد وأقام في الجوف.

أما ابن سعود فقد رحل من الرس ونزل قرب سواج، الجبل المعروف بطريق الحجاز، وأرسل من يستكشف له منازل مطير، فرجع الرسول وأخبره أن الدويش نزل القرعا، ماء بمنتصف الطريق بين القصيم

والكويت. وأما بريه فهم نازلين قية الماء المعروف بفسح عروق الأسياح من الشرق، فقصدهم ابن سعود فانتذروا به وارتحلوا من موضعهم قاصدين بلاد ابن رشيد، ونزلوا قصبًا فتبعهم ابن سعود فرحلوا ونزلوا الكهفة، وهو على أثرهم فارتحلوا ونزلوا سلمى، أحد جبلي طيء، فرجع ابن سعود ولم يدرك منهم مرامًا، فنزل ستف ماء من أمواه الجبل، وكان قريبًا منه قبائل من حرب، فأغار عليهم وملأ يديه من أموالهم، ثم رجع ودخل الرياض في أوائل شهر شوال.

دخل ابن رشيد بلاده ودخل ابن سعود بلاده وحالة أهل القصيم على ما هي عليه، فاشتبك القتال بين أهل عنيزة وأهل بريدة فبدأ أهل بريدة يشنون الغارات على الوادي وأطراف عنيزة، فقابلهم أهل عنيزة بالدفاع، ولم يحدث بينهم وقائع مهمة إلآ ما كان من الإغارات المتقطِّعة، فلما استحكم الأمر أرسل ابن سليم لابن مهنا يقول: رجع الأمر بيننا وبينكم ولا زلنا متَّخذين خطة الدفاع، ومانعين أتباعنا من الاعتداء على أطرافكم خوفًا من أضرار تقع على ضعفاء القصيم فيكونوا ضحية طيش الجهال من الطرفين، فإمّا أن تمنعوا أتباعكم، وإلا سنضطر إلى مقابلتكم بالمثل فلم يرعو ابن مهنا، بل سار على خطته العدائية، وجهَّز سرية من أهل بريدة ومن بعض القرى التابعة لها، وهاجموا البكيرية وكان ابن سعود قد نصب فيها عبد الله الراجحي وقتلوه واثنين من حمولته، وهرب الباقون وزين بعضهم عنيزة، وبعضهم سار إلى ابن سعود، وبما أن البكيرية تبع إمارة بريدة، فقد استرجعها ابن مهنا في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢٥هـ.

حوادث سنة ١٣٢٨هـ

بأواخر سنة ١٣٢٨هـ كانت حذرة قافلة، لأهل عنيزة خارجة من الكويت، مشدودها ـ أي حمول البضايع التي معهم ـ قريب خمسماية حمل، وعدد رجالها ماية وأربعون رجلاً، منهم ٤٥ رجلاً فقط مسلّحين بالبنادق، وكبار رجال هذه القافلة صالح العبد العزيز السحيمي، وعبد الله الحمد القاضي، وسليمان العلي الغماس، وغيرهم من الجماعة، فالتقوا بغزو من شمر عدد رجالهم قريب ماية وخمسون رجلاً، عقيدهم عمش الفرير، ومعهم غزو من قبيلة مطير على عقيرين: أحدهما الحميداني، والآخر الشور، ومطير آنذاك مُعادين لابن سعود ورعاياه التقوا بهم بمقطاع الدهناء من الغرب، قرب الأرطاوية قبل أن تُسكن، أي يوم كانت موردًا للبادية والقوافل.

وكان مع أهل عنيزة رفق عن شمر هو راشد بن فبيد العديم شمري، فلما تراءت الفئتان أناخ كل منهما بمكانه، وخرج الرفق الشمري وقصد الغزو وقتها، منهم قال: هذول ـ أي هؤلاء ـ أهل عنيزة، وهم في وجهي، فلم يلتفتوا له ولم يعبؤوا به طامعين بأموال القافلة، فرجع إلى رجال القافلة وأخبرهم بما ردّ عليه رجال الغزو، وصاح يستحثّهم على الدفاع والمقاومة، فأمروه أن يرجع ثانية ويقول لعقيد القوم عَمَشْ الفريد أن أهل عنيزة مستعدين أن يعطوهم عشرة حمول رز، أي عشرون كيسًا، وكيسين سكر، وكيسين قهوة، وربطة عبي، وربطة خام، فرجع إليهم وعرض عليهم ذلك، فصاروا يستهزؤون به، ويقول عمش: والله يا مقطباتهم هذه ـ أي حمولتهم ـ أن يخرج عليها لسوق حايل فلما تبين للجماعة أنّ شمر طامعين فيهم، وأنهم لم يعبؤوا بوجه الرفق حسبما هو

جار بقوانين البدو أنّ الرفق يرفق ــ أي يحمي ــ خوياه عن جميع قبيلته لما تبين لهم ذلك استعانوا بالله ورفعوا راية الحرب، حملها حمد القطعي وصاروا يغنُّون غناء الحماس.

أما المطران فقد أرسلوا إلى الجماعة أهل عنيزة وبلغوهم أنهم سيعتزلون عن شمر، وقالوا: كونوا آمنين منا، وشجَّعوهم على مقاومة شمر، فجاؤوا الشمامرة مغيرين هاجمين، وكان الجماعة قد استعدوا لمقابلتهم وجعلوا حمولهم متاريس لهم، فلما قرب منهم المهاجمون أطلق عليهم نيران بنادقهم فقتلوا من رجالهم ومن ركائبهم، فرجع المهاجمون متشتتين، ثم أعادوا الكرّة وهجموا ثانية فقابلوهم أهل عنيزة بنار حامية من بنادقهم وحمي وطيس المعركة، إلاّ أنّ البدو لم يثبتوا لما رأوا كثرة القتل فيهم، وفي ركائبهم، ففرّوا هاربين لا يلوون على شيء وقد أعذروا وعلموا أنْ لا طمع لهم بهذه القافلة، وكانت المعركة بعد الظهر، وكان السماء متلبدة بالغيوم وبتلك الساعة هطل عليهم مطر غزير، حجب رؤية بعضهم البعض، وبعد أن أقلعت السماء ووقف المطر، وإذا هم لا يرون للبدو أثرًا، حيث إنهم استمرّوا بهزيمتهم طامعين بالسلامة، بقوا الجماعة منتصرين ومأنوسين، وبقوا ليلتهم يغنّون أغاني النصر وخشية من أن يعود البدو لمهاجمتهم ليلاً، وقد ذبحوا من ركائب البدو التي وجودها محل المعركة، ويقدرون قتل البدو قريب ثلاثين رجلاً، ومثلهم جرحًا ومن ركائبهم التي ذبحت والتي أصيبت بالكسور قدر خمسين ذلولاً، أما المطران فقد أتوا إلى الجماعة في صباح اليوم الثاني فشكروا لهم الجماعة حيادهم وأكرموهم بشيء أعطوه لهم ولم يفقد من الجماعة أحد ولله الحمد.

حُرِّرت هذه عن إملاء صالح السحيمي أحد رجال القافلة مع بعض التصرف.

١٣٢٦هـ

غدر ابن رشيد في أهل بريدة

دخلت هذه السنة والحالة كما أسلفنا ذكره، ابن سعود وابن رشيد في بلدانهم، وأهل بريدة لم يزالوا موالين لابن رشيد، والحالة بينهم وبين أهل عنيزة على ما هي عليه والمناوشات بينهم يوميًا، ولم يزل أهل بريدة معلقين آمالهم برجوع ابن رشيد، ولكن ابن رشيد كافأهم مكافأة جميلة.

فقد كان تجّار الإبل الذين يجلبون على الشام من أهل بريدة قد وضعوا إبلهم في ديار ابن رشيد مع بواديه، لكن إذا جاء أوان السفر إلى الشام تجهزوا من بريدة وأخذوا إبلهم وساروا بها.

ولكن ابن رشيد قد مدَّ يده إليها وأخذها في أول هذه السنة وأرسلها إلى المشهد لجلب الطعام منها.

فركب أصحاب الإبل لابن رشيد يطلبون أداءها لكونهم حلفاءه، أو بالحري من رعيته، فقال لهم: إننا أخذناها ظنًّا منا أنها لأهل عنيزة، وأرسلناها للمشهد، قالوا: نحن ننتظر رجوعها، قال لهم: الأمر مضى ولا سبيل إليها، فرجعوا من عنده خائبين، والظاهر أن هذه الحادثة غيّرت فكر كثير من أهل بريدة، وانضموا إلى أنصار ابن سعود، ولم يبق في بريدة من يميل إلى ابن رشيد إلا ابن مهنا وأنصاره القليلين.

فتعجل بعض أنصار ابن سعود عندما رأى كثرة الناقمين على ابن رشيد وابن مهنا، وكتب إلى ابن سعود يخبره بالحالة ويقول: إنَّ أهل البلد

إجمالاً ناقمين على ابن مهنا، وأظن أنهم [. . .][1].

غزو ابن رشيد بوادي العراق

قلنا: إن ابن رشيد أرسل حملة تمتار من العراق وتعلقهم كثير من البوادي بلغ عدد الحملة نحو خمسة آلاف جمل، ثم تبعهم غازيًا وأغار على الزيّاد قبيلة من بوادي العراق، وأخذ الغنم والبيوت بما فيها، وسلمت الإبل «قرب السماوة» ولكن الزياد انتقموا منه وترصدوا للحملة التي في المشهد، ولما أقبلت من النشيد أغاروا عليها وأخذوها، ولم يسلم منها إلاّ القليل.

لما وصلت كتب أهل بريدة إلى ابن سعود خرج من الرياض ومعه غزو أهل الجنوب في أوائل ربيع الأول، فلما وصل المستوى موضع يبعد عن بريدة مسافة يوم جاءه رسول من أهل بريدة يستقدمونه؛ فواصل سيره ونزل عنيزة، فجاءه، رسول آخر من أهل بريدة يقولون: إنهم لم يتمكنوا بعد من تبيئة الأمور فهم يستمهلونه أيامًا أخر.

أما أهل القرى فقد أرسلوا وفودهم إلى ابن سعود يطلبون الصلح فأجابهم وأمنّهم.

سار ابن سعود من عنيزة وخرج معه غزو من أهلها ثم نزل الخضر على مسافة ساعة ونصف عن بريدة، فلم يخرج إليه أحد من أهل بريدة لا محاربين ولا مصالحين، فعاث الجند في زروع أهل الصباخ، ثم سار ونزل الشقة إحدى قرى بريدة الشمالية تبعد عنها مسافة ساعتين.

---

(١) بياض في الأصل.

بلغه أن سلطان ابن رشيد قد أقبل من حائل لنجدة أهل بريدة، فرحل من الشقة قاصدًا ابن رشيد ليصده عن نجدة أهل بريدة، فلما وصل الكهفة بلغه أنّ الخبر مختلق، وأن ابن رشيد لم يخرج من بلده، وأن شمرًا انتذروا وساروا شمالاً ولم يبق إلاّ برغش بن طوالة نازلاً «فيه» القرية المعروفة قرب سلمى أحد جبلي طيء، فقصده ابن سعود فوجده قد تحصن في القرية فنزل قبالته، ولما طلع الفجر أركب ابن طوالة نساءه وبناته في الهوادج يستعطفن ابن سعود، وكانت هذه عادة عند القبائل وهي آخر ما يلجأ إليه المستعطف، وليس بعد ذلك شيء من الخضوع وقل [. . .][1] وأن يكون من رعاياه المخلصين.

فأراد ابن طوالة يتوسط الأمر بين ابن سعود وابن رشيد فأجابه إلى ذلك وأعطاه الشروط التي يريدها من سلطان وهي لا تخرج عن معنى ما تقدم. وهي أن حائل وتوابعها وشمر إلى ابن رشيد، وبقية نجد وقبائلها إلى ابن سعود وما كان سلطانًا يطمح بذلك من ابن سعود، ولكن هذا تساهل معه لقطع الصلة بينه وبين أهل بريدة.

فقال ابن طوالة: إن قبل ابن رشيد بهذه الشروط وإلاّ سأقطع كل صلة بيني وبينه، رجع ابن سعود إلى القصيم ونزل البكيرية، ومضى ابن طوالة إلى ابن رشيد وعرض عليه شروط ابن سعود فقبلها، وتم الصلح، وأرسل رسولاً إلى ابن سعود يؤيّد قبوله ما تم على يد ابن طوالة.

أما ابن سعود فقد نزل البكيرية وأخرج منها سرية ابن مهنا بالأمان وسيرهم إلى بريدة، وسار هو وبعض حاشيته ودخل عنيزة، فجاءه رسول

---

(١) بياض في الأصل.

من أهل بريدة يستدعونه وقرروا له وقتًا معلومًا، فرجع إلى معسكره بالبكيرية، وسار منها قاصدًا بريدة، فلما قرب منها خرج إليه رسول من أهلها سرًا وقرروا أن يكون عند الباب الشمالي الساعة الثانية من الليل، فانتخب ثلاثمائة من رجاله جعلهم بالمحل المعين، وأمرهم أن يقصدوا البيوت المجاورة للقصر ويحتلوها توًا، وأن لا يتعرضوا لأهل البلاد ما لم يروا منهم مقاومة.

فلما كان الوقت المقرر فتح الباب ودخل ابن سعود ورجاله الذين عينهم وعارضهم أعوان ابن مهنا وقاوموهم في الأسواق، ورئيسهم محمد العلي أبا الخيل، ولم يساعدهم أحد من أهل بريدة، فتغلب عليهم رجال ابن سعود وتحصّن ابن مهنا ورجاله في القصر واستولى ابن سعود على البلد وبايعه أهلها، وباليوم الثاني طلب ابن مهنا الأمان على نفسه ومن معه وما معهم، فأجابهم ابن سعود وأمنه ومن معه وما معهم إلاَّ السلاح، فسلموا له القصر بما فيه من السلاح والذخيره فاستولى عليه، وبالتالي استولى على القصيم وأمر أحمد بن محمد السديري على القصيم، ونزل القصر ابن رشيد ومعه إثبات الصلح فجهز ابن مهنا وخدامه وأتباعه وسيرهم إلى العراق يصحبهم عبد العزيز الرباعي أحد خدام ابن سعود.

وكان التسليم في العشرين من ربيع الآخر من هذه السنة، فسكنت الفتنة، واستراح الناس، رتب ابن سعود أمور القصيم وسار من بريدة ونزل قصر ابن عُقَيْل «بالتصغير» وأرسل عماله إلى قبائل مطير وعتيبة وبنو عبد الله وحرب وغيرهم من قبائل نجد عدى شمّر لجبيّ الزكاة، وقد جاءه رؤساء شمر يطلبون منه أن يرسل لهم عمالاً فأبى، وقال: إني قد تنازلت عنكم لصاحبكم وأنتم في أمان مني.

ولكن محسن العزم أحد رؤساء حرب لم تكن زكاته مرضية حيث قد أخفوا كثيرًا من إبلهم ولم يؤدّوا عنها الزكاة، فغزاهم ابن سعود وأخذهم في العشر الأخير من جمادى الأولى، ثم ركب إليه العزم فطلب منه العفو فعفى عنه، وأصلحوا معه فرجع إلى القصيم، ثم رجع إلى الرياض في أولى جمادى الثانية.

قتل سلطان الحمود وقيام أخيه مقامه

بعدما أصلح سلطان بن رشيد وابن سعود وانهزم آل السبهان وتوابعهم، ومعهم سعود بن عبد العزيز بن رشيد إلى المدينة، وهو الوحيد الذي نجا من أولاد عبد العزيز بن متعب لصغر سنه ولحماية أخواله آل السبهان له.

كذلك حمود العبيد استرخص من أولاده في سكن المدينة محتجًا بكبر السن، وأنه قد ضعف عن الأمور ومحتاج إلى الراحة في آخر عمره، والتفرغ للعبادة، فأذنوا له، فسار إلى المدينة وأقام فيها مدة قليلة وتوفي فيها في آخر هذه السنة، وقد تجاوز عمره الثمانين سنة، الله يعفوا عنا وعنه.

أما سبب رواحه إلى المدينة فهو كراهة لعمل أولاده في أولاد عبد العزيز الذين هم أولاد ابنته، وقد جزع عليهم جزعًا شديدًا لازمه حتى وفاته.

وقد قال في ذلك أشعارًا فلم يأبهوا به وجفوه، مما زاد عليه ألم المصيبة فاضطر إلى فراقهم ولكنه لم يمت حتى نكب أولاده.

أما أهل حايل فقد كرهوا إمارة آل عبيد واستثقلوها، فالتحق كثير من

وجهاء البلد بابن سعود، وقسم آخر التحق بالسبهان في المدينة، ولم يبق في حايل أحد يشار إليه لأن أساطينها قد فارقوها.

أسباب قتل سلطان

اختلفت الروايات في أسباب قتل سلطان، فمنهم من يقول: إنه تنازل عن الإمارة لأخيه سعود، ومنهم من يقول: إنه لم يتنازل وإنما قتله سعود الحمود ليحل محله.

أما الحقيقة فإن سلطانًا بعدما انهزم آل السبهان من سعود ابن عبد العزيز إلى المدينة ورأى كثرة من هاجر إليهم وإلى ابن سعود من أعيان أهل حايل، ولم يبق عنده من فيه خير، تجسمت الأخطار في عينيه، وعلم أنه محاط بالأعداء بالداخل وفي الخارج، واضطرب فكره فاقتضى نظره أن يأخذ ما يتمكن عليه من النقود والجيش وينهزم، وفعلاً نفذ الأمر وخرج وابنه علي ومعه خمسون هجّانًا، وقصد الجيش وأخذ منه خمسين لولاً من خيار ما عندهم، وانهزم عليها هو وأتباعه، وفي اليوم التالي علم اخاه سعودًا بما عمل فركب ومعه ثلة من أهل حايل، وأدركهم فقبض على سلطان وابنه، ورجع بهما إلى حايل وحبسهما، ثم قتلها في آخر جمادى الأولى، وتولى الإمارة أخوه سعود بن حمود العبيد فكانت مدة ولاية سلطان سنة وستة أشهر وأيامًا.

قتل سعود بن حمود آل عبيد
وتولي حمود السبهان بالنيابة عن سعود الرشيد

أرسل سعود الحمود إلى ابن سعود يخبره بالأمر الواقع وطلب منه

عقد الصلح على ما كان بينه وبين سلطان فأجابه ابن سعود إلى ذلك، وانعقد الصلح على ما كانوا عليه قبل ذلك.

أما سعود الحمود فلم يطل أمره فقد كان عرشه مزعزعًا وولايته ممقوتة، بل ضاق ذرع أهل حائل وشمر في ولاية آل عبيد. رأى آل السبهان الفرصة سانحة لهم باسترجاع الإمارة إلى بيت آل عبد الله وطرد آل عبيد عنها، فكاتبوا أهل حائل فشجعوهم على القدوم إليهم لإنقاذ البلاد من هذه الفوضى، فتكررت المراجعات وتقرر وقت معين لقدوم آل سبهان، فجاء الوقت المذكور واستعد أهل البلاد لمساعدتهم.

فلما كان في شهر رمضان من هذه السنة خرج آل سبهان وأتباعهم من المدينة وخرج معهم من هناك من المهاجرين من أهل حايل، فلما قاربوا البلد أرسلوا رسولاً لأهلها يخبرونهم بقدومهم ويستنجزونهم وعدهم بالمساعدة فأجابوهم فدخلوا البلد وقام أهلها معهم واحتصر سعود في القصر، ثم تمكنوا من الاستيلاء على القصر بواسطة طوارف آل عبد الله، فقبضوا على سعود وقتلوه وقتلوا معه تسعة من آل عبيد، ولم ينجُ من آل عبيد إلاَّ عبد الله ولد عبيد الحمود الذي قتل في عنيزة، وأولاد مهنا بن حمود آل عبيد.

وفيصل الحمود الذي كان نصبه سلطان في جوف أميرًا فيها على ما قد منا، وكأنه قنع في ولايته وبقي فيها ولم يشارك أخويه في الحكم ولم يسترك في الخلاف الذي وقع بينهما.

ولكن لما تولى آل السبهان أمر حايل خاف على نفسه وخرج من الجوف وسار ورمى نفسه على ابن سعود وبقي عنده إلى أن مات سنة ١٣٤٢هـ في الرياض.

ثم استيلاء آل السبهان على حايل وتوابعها، وتولى أمر الإمارة حمود بن سبهان السلامة بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز القاصر، فأرسل إلى ابن سعود يخبره بالأمر وولايته بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز، ويطلب منه تقرير الصلح بينهما على ما كان عليه سلفه، فلم يوافقه بل اشترط عليه شروطًا لم يقبلها.

خرج ابن سبهان من حايل وقصد القصيم، وأغار على الحميداني من مطير شمالي بريدة وأخذه.

وفاة حمود السبهان

وتولي زامل بن سالم السبهان بالنيابة

ولم يلبث بعد رجوعه إلى حائل حتى مرض وتوفي في شهر الحج سنة ١٣٢٦، فكانت إمارته أقل من أربعة أشهر، وتولى بعده أمر الإمارة في حايل زامل بن سالم السبهان بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز.

سنة ١٣٢٧هـ: بلغ ابن سعود غزوة ابن رشيد على مطير فخرج من الرياض في أواخر شهر الحج، وقصد قبائل ابن رشيد، فلما وصل الأجفر علم أن شمر انتذروا به وانهزموا قاصدين الشمال فرجع ابن سعود إلى القصيم ونزل بريدة.

وفي أواخر شهر صفر بلغه أن ابن رشيد خرج من حايل غازيًا ومعه شمر وأنه قصد عتيبة فسار ابن سعود من بريدة إلى أطراف ابن رشيد، وأغار على قبائل مجتمعه من قبائل ابن رشيد، وأخذ الجنفاوي والوجفان والمذعور والعطاعطة، والنفعان والشميلي الجميع من شمر، وابن مضيان والمذهوب وابن صميم وابن عيان، وولد سويلم، وابن ربيق الجميع من حرب، وملأ يديه من أموالهم.

أما ابن رشيد فقد بلغه وهو بمنتصف الطريق أنه ابن سعود خالفه على قبائله، فأجبره من كان معه من شمر وحرب على الرجوع فرجع وعلم أن ابن سعود بعدما أخذ هذه البوادي ونزل الشعيبة فأراد أن يهاجمه ليلاً، وكان ابن سعود قد رحل ونزل الأشعلي موضع في النفود، يبعد عن الشعيبة مرحلة جنوبًا، فتبعه ابن رشيد.

وبلغ ابن سعود أن ابن رشيد سيهاجمه في هذه الليلة فأخذ يتأهب وأبعد البدو عن المعسكر، وأخرج الحضر إلى رأس النفود وترك الخيام خالية، وأمر أن لا تقتل الإبل التي قد غنموها من شمر وحرب، أراد بذلك أن يغري البوادي الذين مع ابن رشيد بالطمع فيتفرقوا عن ابن رشيد، لأن الإبل متى سمعت طلق البنادق تفر هاربة إذا كانت غير معقلة فيشتغل بها جند العدو، فلما كان منتصف الليل هجم ابن سبهان وأهل حايل على مخيم ابن سعود الفارغ، فنفرت الإبل عندما سمعت طلق البنادق فلحقتها بادية ابن رشيد، وهذا ما أراده ابن سعود، وكذلك فرت بادية ابن سعود تحت ظلام الليل محتفظين ببعض غنائمهم؛ فلم يبق غير الحضر في الجيشين، فأرسل ابن سعود قسمًا قليلاً لصدّ هجوم ابن رشيد وأمرهم أن يطمعوه بأنفسهم وينسحبوا انسحابًا تدريجًا، وكمن هو وبقية الجند في أماكنهم، فلما التحم القتال فعل جند ابن سعود ما أمروا به، فطمع بهم ابن رشيد وظن أن هذه هي قوة ابن سعود أنه معهم.

فلما اجتازهم ابن رشيد متعقبًا جند ابن سعود المنهزم أطبق عليه ابن سعود وقطع عليه خط الرجعة وصدمه صدمة شديدة، فانهزم ابن رشيد بعد أن فقد عددًا غير قليل من رجاله، وعادا إلى الشعيبة هو ومن سلم من جنده. أقام ابن سعود في موضعه ذلك اليوم ثم رحل عائدًا إلى القصيم،

ونزل قبة ـ الماء المعروف بسطح عروق الأسياح من الشرق ـ ، ثم رجع إلى الرياض ودخلها في ربيع الأول من هذه السنة.

قتل أولاد آل مهنا الصغار في الربيعية

عندما قبض ابن سعود على صالح الحسن وإخوته ترك إخوته وأبناء عمومته الصغار، ولم يتعرض لأحد منهم، وأقام بعضهم في بريدة والبعض الآخر في الربيعية، وهي قرية صغيره فيها نخل لآل مهنا، وكان [. . .][1] مقيم في الربيعية، وقد تزوج والدة بعضهم، وكأنه رأى منهم تطاول عليه ومعاكسة له، فأراد أن يغض منهم فوشى بهم إلى ابن سعود أنهم يكاتبون ابن رشيد، قصده بذلك أن ابن سعود يقبض عليهم ويبعدهم عنه، ولم يعلم أن الأمر يؤول إلى ما آل إليه.

أرسل ابن سعود فهد الزبيري ومعه سرية فقبض على أولاد آل مهنا الذين في الربيعية، وهم سبعة أولاد أكبرهم لا يتجاوز الخمسة وعشرين من عمره، فسار بهم ولما وصل الشماسية قتلهم، فذهبوا ضحية وشاية سافلة دون أن يتحققوا صحة ما نسب إليهم، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، والحقيقة أن الإمام حفظه الله قد تعجّل في هذا الأمر مع هؤلاء الأطفال خلافًا لما عُرف عنه واتصف به من الحلم والأناة، والله المستعان، وكان ذلك لشهر جماد الأول سنة ١٣٢٧هـ.

خرج ابن سعود من الرياض ونزل التصيم ثم سار منه غازيًا وأبقى

---

(١) بياض في الأصل.

رحلته في نفى القرية المعروفة من العالية، وأغار على فرقان من عتيبة وبني عبد الله وحرب، وأخذهم على الصلاة موضع معروف في عالية نجد، وعاد إلى نفى.

أما ابن سبهان فلم يخرج من حايل، وفي شهر رجب أمر ابن سعود على بعض أشخاص من أهل بريدة أن يغادروا بريدة إلى أي محل يريدونه، وهم صالح الدحيم الربدي وعلى الحميدة، وسليمان بن عيسى الطمل، وفهد الرشودي، وصالح الدخيل، لأنهم من أركان الفتنة التي أشعلها محمد العبد الله المهنا على ابن سعود، وخشي أنهم يحدثون مثلها فأمرهم بالجلاء.

أما صالح الدخيل فقد نزل عنيزة وركب الباقون ومعهم بعض أعيان بريدة، وقصدوا الرياض يسترضون ابن سعود فأكرمهم ورضي وعفى عنهم، فرجعوا إلى بلدهم مكرمين.

رحل ابن سعود من نفى وعاد إلى القصيم وعزل أحمد السديري عن إمارة القصيم، واستعمل عليها عبد الله بن جلوي بن تركي، ثم رجع إلى الرياض.

❊ ❊ ❊

وكان ابن سعود يفكر دائمًا باحتلال الأحساء، ولكنه ينتظر الظروف الملائمة: وليس في هذا الوقت ما يشجع عبد العزيز لمثل هذا الأمر، لوجود حركة العرائف، وحركات الشريف الحسين، ولكن جواب جمال باشا عجل بوقوع الأمر، فصمم عبد العزيز على المغامرة كعادته، وكانت مغامرة موفقة.

خرج من الرياض في شهر ربيع الأول، ونزل الخفس ـ الماء المعروف ـ حتى آخر الشهر. ثم رحل من موضعه غازيًا آل مرة، وقد حدث منهم مخالفات أوجبت تأديبهم. فأغار عليهم وأخذهم، ونزل بالقرب من الأحساء بحجة الامتيار، وغرضه الحقيقي تمهيد الأمور، وجس نبض أهل البلاد. فأرسلت حكومة الأحساء التركية تستطلع خبره ونواياه، فقال: إنما قصدي الامتيار ثم ابتاع ما كان في حاجة إليه، وعاد إلى الرياض بعد أن علم ما يريد، وترك حملته على الخفس.

ولما هم بالهجوم على الأحساء، أخذ يعمل لإبعاد قبيلة العجمان، خوفًا من انضمامها لحكومة الترك، لما هو معروف من عداء العجمان لآل السعود قديمًا وحديثًا، فهم يفضلون بقاء حكومة الترك في الأحساء على أن يستولي عليها ابن سعود، فضلاً عن ما هو مشهور عن مطامعهم في الأحساء. ولكن ابن سعود جعلهم أمام أمر واقع، فدبر إبعادهم عن منطقة الأحساء، وانقض عليها انقضاض العقاب على فريسته رحل من الخفس، ولم يعلم أحد أين يقصد. ولم يكن معه إلاّ أربعمائة من جنوده اختارهم، ونزل بالقرب من الأحساء يوم الأحد ٢٦ جمادى الأولى.

وأرسل سرًا إلى إبراهيم القصيبي، ويوسف بن عبد العزيز بن

سويلم، وإبراهيم بالغنيم، يخبرهم بمكانه، وأنه هاجم على البلد في هذه الليلة، ويأمرهم أن يجهزوا له الأسباب ما يمكنهم من تسلق السور، وأن يختاروا له المكان المناسب للهجوم. فأعلموه وأحضروا له ما يلزم له وجعلوه بالقرب من المحل المقصود خارج البلد.

فلما كان في الساعة السادسة من ليلة الاثنين ٢٨ جمادي الأولى، تسلقوا السلالم المعدة لهم، فتكامل عددهم نحو مائتين وخمسين، فسار كل فرقة منهم إلى موضعها الذي عينه لها عبد العزيز، وكان الحراس قد أحسوا بشيء من الضوضاء، ولكنهم لم يجسروا على تخطي أماكنهم، فصاروا يسألون: من أنتم ولم يجبهم أحد فأخذوا يرمون على غير هدي، ولم يجاوبهم أحد. فانتبه العسكر، فقاوموا مقاومة ضعيفة، فأخذهم الرعب عندما علموا أن المهاجم لهم ابن سعود.

أما عبد العزيز، فلم يستطع الصعود على السلم لعلو السور، ففتحوا له كوة في أسفل السور، فدخل منها وذهب توًّا إلى بيت الشيخ عبد اللطيف الملا، وطلب مواجهته، فنبهوه وجاء، فسلم على عبد العزيز، وبقي عنده ومعه بعض أتباعه، وفي ذلك الوقت، كانت جنود عبد العزيز قد احتلت بعض الحصون من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية، وبقية الحصون التي على أبواب المدينة والقصور: قصر إبراهيم، وقصر العبيد، لم تزل في يد الترك، وعدد العسكر نحو ألف ومائتي جندي، وعندهم من الأسلحة والذخيرة والمؤن والأطعمة ما يكفيهم مدة طويلة فيما لو حاصرهم ابن سعود ومع ذلك فقد أخذهم الرعب، واستسلموا المائتين وخمسين جنديًا، لا يملكون غير بنادقهم، وبضعًا من الخرطوش مع كل جندي.

تحصن العسكر والمتصرف وموظفيه في قصر إبراهيم، وبقي الحرس الذي في الحصون التي على أبواب المدينة محافظين على مراكزهم فأصبحت مدينة الكوت في حصار، وابن سعود في نفس البلد، وليس معه قوة تدفع عنه فيما لو هاجمه الترك وأنى لهم ذلك، وقد ملؤا رعبًا، ولم يكن عبد العزيز في كل مغامرته بأشد خطرًا مما هو فيه الآن إنها لجرأة غريبة خطرة، تفوق الروايات الخيالية.

مضت تلك الليلة واليوم الذي بعدها وعبد العزيز في المدينة، والمدينة مغلقة الأبواب والحصون التي على الأبواب لم تزل بيد الترك، والعسكر والمتصرف داخل قصر إبراهيم، ولم يحركوا ساكنًا ولم يمدوا أهل الحصون، ومع ذلك، فلم يتمكن عبد العزيز من التغلب عليهم، فكيف لو تحرك العسكر؟ لكانت العاقبة وخيمة، ولكن الله لطف.

أما أهل البلد وأهل القرى، فلم يتحرك منهم أحد، لا مع ابن سعود ولا ضده، أرسل عبد العزيز إلى أعيان البلد وأعيان أهل القبائل والرفعة يدعوهم للحضور فجاؤوا مع الفتحة التي أحدثت في السور، التي دخل منها عبد العزيز في السور، لأن الأبواب الشرقي والشمالي لم تزل بيد الترك فاجتمعوا في بيت الشيخ عبد اللطيف الملا، وطلب منهم أن يبايعوه، فبايعوه، ثم جاء محمد أفندي أحد موظفي الترك، وكان أمينًا للصندوق في حكومة الترك، فبايع ابن سعود، وسلم له المفاتيح، وكان بعد ذلك وكيلاً لابن سعود إلى أن توفي.

تفاوض الإمام عبد العزيز مع الشيخ عبد اللطيف الملا والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل مبارك، فاقتضى نظرهم أن يكتبوا كتابًا إلى

المتصرف، وقومندان العسكر، يدعوانهما إلى التسليم، ويبينا لهما عدم جدوى مقاومتهما لأن ابن سعود استولى على البلد وبايعه أهلها، وأرسلا الكتاب مع محمد أفندي، الآنف الذكر وسلم لهما الكتاب، وأخبرهم أن أعيان البلد قد بايعوا ابن سعود، ولم يبق فائدة للمقاومة بعد هذا. فجاء منهما القبول بالتسليم على شرطين:

أولاً: أن يكتب المشائخ وأعيان البلد أنهم لا يرغبون في بقاء العسكر، وأنهم يفضلون ولاية ابن سعود على ولاية الدولة.

ثانيًا: أن يبذل لهما ولمن معهما الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، وجميع ما لديهم من الأسلحة والذخائر والمؤن الحربية التي للحكومة.

فتقبل ابن سعود الشرط الأول، وعدل الشرط الثاني بأن يبذل لهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، وأن يترك للعسكر، لكل نفر بندقية وما يتبعها، أما الأسلحة التي للحكومة من المدافع والذخائر وغيرها، فهي له فقبلا بذلك وسلموا، فاستلم الإمام دوائر الحكومة أولاً.

ثم أحضر بعض الجند ليستلم القصر بما فيه، فوقفوا عند بابه وأخذ العسكر يخرجون واحدًا واحدًا، كل منهم يحمل سلاحه. فلما تكامل خروجهم، احتل الجند القصر، وكان عدد العسكر ألف ومائتي جندي، فجهزهم وسيرهم إلى العقير، يخفرهم أحد رجال ابن سعود، حتى وصلوا العقير. وجهزهم بالسفن إلى البحرين. ولم يرجع أحمد بن ثنيان، حتى فارقت سفنهم العقير بطريقها إلى البحرين.

ولما فرغ من ترتيب شؤون الحساء، استعمل عليه عبد الله بن جلوي

أميرًا، وأرسل سرية إلى القطيف بقيادة عبد الرحمن بن عبد الله بن سويلم، فلم يجد له مقاومة؛ لأن الحامية التركية التي فيه هربت إلى البحرين، عندما علمت باستيلاء ابن سعود على الأحساء. واستعمل عبد الرحمن بن سويلم أميرًا في القطيف.

محاولة الترك استرجاع الأحساء

ذكرنا عبور العسكر الذين أجلاهم ابن سعود من الأحساء. وعندما وصلوا البحرين، كان قد وصلها قوماندانًا جديدًا آتيًا من البصرة، فاتفقت بهم في البحرين. وكان فيه نزعة عسكرية، فحاول الهجوم على الأحساء واسترجاعها من ابن سعود. وكان في ميناء البحرين باخرة تجارية لآل عبد الله البسام، قاصدًا العقير لتحميل تمور منها، فاستأجرها القوماندان الجديد، وعاد فيها إلى العقير. فنزل وعسكره من الجانب الجنوبي الغربي من ميناء العقير وكان بينهم وبين قصر العقير برج مبني لحماية الماء وهو الوحيد في العقير، وفيه حامية قليلة، أما قصر العقير فلا تزيد حاميته عن ثلاثين رجلاً. مشى العسكر يريدون العقير، واستولوا على الحصن الذي على الماء، وأقبلوا على القصر، فانضم إلى حاميته الموجودة فيه من أهل نجد، المقيمين والمسافرين، وكان أمير الحامية قد طير الخبر إلى ابن سعود في الأحساء، فركب ومعه بعض الجند، وقدم قبله كوكبة من الفرسان لتشجيع الحامية على الدفاع إلى أن يصلهم المدد، فوجدوا الحامية قد صدت هجوم مقدمة الترك، وأسرت منهم نحو ثلاثين جنديًا.

وفي تلك الساعة، وصل مقدم الخيل فما كان من الترك، إلاَّ أن

انهزموا ليغتنموا السلامة قبل أن يحول ابن سعود بينهم وبين البحر فركبوا السفن، ورجعوا من حيث أتوا وألحقهم ابن سعود من أسر منهم، بعد أن أخذ منهم سلاحهم، وقد ظن ابن سعود أن العسكر لم يرجع إلاَّ بتشجيع من أناس في البحرين فكتب إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين وإلى الوكيل السياسي فيها لحكومة الإنكليز، يقول: إنه لا يليق بكم أن تحرضوا علينا، ونحن أصدقاءكم فجاءه الجواب من كل منهما: على أن العسكر ركبوا في الباخرة على أنهم سائرون إلى البصرة، ولا علم لنا برجوعهم إلى العقير.

رجع ابن سعود إلى الأحساء وبعد أن رتب الأمور توجه إلى القطيف لتنظيم أموره، ولأجل النظر في قضايا كانت بين الأهالي، وبين بني خالد بخصوص أملاكهم، الذين يزعمون أن الأهالي تغلبوا عليها بواسطة حكومة الترك، فأقام فيها مدة، نظر في خلالها الدعاوى المرفوعة إليه من بني خالد، وحسمها، وطلب منه أهل القطيف النظر في رسوم الزكاة المفروضة على النخيل فأجابهم وخفض لهم خمس بارات عن كل نخلة واحدة من الرسوم التي كان الترك يتقاضونها.

أما عبد الحسين بن جمعة، فقد خص بتخفيض خاص، حيث جعل له عشر بارات عن كل نخلة، وكان في دفاتر حكومة الترك على عبد الحسين ألفا ليرة، ومائتي ليرة، وأربعون ليرة متأخرة عليه من الزكاة فطلبها منه، فتضرر من ذلك، وادعى أنه قد سدد الكثير منها. فطلب الإثبات لما يدعيه، فلم يأت بما يثبت دعواه فطلب من الإمام النظر في أمره، فوضع عنه سبعماية وأربعين ليرة، وطلب منه تسديد الباقي فادعى أن ليس لديه شيء الآن، وطلب إنظاره، فأجابه.

ولما فرغ من شؤون القطيف وترتيبه، رجع إلى الأحساء، ولم يلبث عبد الحسين بعد رجوع ابن سعود، حتى هرب إلى البحرين، ولم يسلم ما عليه من متخلفات الزكاة وقبل هربه، نظم مضبطة تحت إمضائه هو وأخذ إمضاءات عن بعض الأهالي، قدمها إلى حكومة البصرة، طعن فيها طعنًا مرًا في ابن سعود ويحث الحكومة التركية على استرجاع الأحساء والقطيف من أيدي هؤلاء الخوارج وقال: إنه مجرد وصول طابور واحد من الجنود المظفرة، يتعهد لهم بثورة الأهالي ضد ابن سعود، ويسلمها إلى مأموري الدولة العلية.

ولكن لحسن الحظ أن السيد طالب النقيب قد أخذ علمًا عن هذه المضبطة من كتب جاءته من القطيف فاقتنصها قبل أن تصل إلى المراجع المختصة وأرجعها إلى ابن سعود في شهر شوال. فعدها ابن سعود مع فراره من القطيف، مؤيدة لما قيل فيه، فأسر الأمر في نفسه.

وكان مقبل بن عبد الرحمن الذكير قد أراد أن يتوسط في أمر ابن جمعة لدى الإمام عبد العزيز، ويستعطفه ليأذن برجوع ابن جمعة وليسمع له، وكان ذلك قبل أن يعلموا بمساعيه لدى حكومة التركي وفعلاً كتب مقبل للإمام بهذا الخصوص، فجاءه الجواب مؤرخ ١٣ شعبان سنة ١٣٣١هـ، قال فيه: كتابكم وصل خصوصًا من طرف ابن جمعة، أخي حنا يوم ألفينا القطيف، وإذا الناس أهل غرض فيه، وأهنّا أنفسنا، ونزلنا عنده، وأجرينا معه من الإكرام والحشمة شيئًا ما يخفى على أحد. قصدنا كف الناس، إذا شافوا فعلنا به وصار لنا عليه ألفان ومئتان وأربعون ليرة بقايا، وألف وخمسماية ريال عليها سند من طرف الباج، وقام يعتذر أنه،

مظلوم وأن الناس أهل غرض فيه، وسامحناه، ما خلينا إلاَّ ألف وخمسماية ليرة ويوم طلبناها منه، فر إلى البحرين.

والحقيقة أنه لئيم وإلاَّ كيف هذا فعلنا معه، وهذي مجازاته لنا؟ عاد أخي حنا ما لنا غرض في الناس إلاَّ دورة الراحة والسكون وحنا كتبنا له خط، لا بد تشرف عليه عرفناه بما يلزم أن قبله، فالحمد لله، وهو آخر ما عندنا فإن أبى، فلا يتأسف إلا فاعل السوء إن شاء منه هذا أما لزم. انتهى.

أما كتاب ابن سعود، فلم أطلع عليه، ولا أعرف مضمونه ولكن الذي نستنتج من عبارة ابن سعود أنه اشترط للإذن له بالرجوع أن يسلم ما عليه من متخلفات الزكاة والباج كاملاً، وألني السماح الذي كان منحه إياه. ولم يمتنع ابن جمعة من الرجوع خوفًا من تسليم ما عليه، وإنما امتنع انتظارًا لنتيجة المضبطة التي قدمنا إلى حكومة العراق، ولم يعلم أن السيد طالب حال دون وصولها، ولما يئس من حكومة العراق بعد انتظار طويل، رأى أن إقامته في البحرين وتركه أملاكه وأعماله في القطيف غير مجدية. ولكن كيف السبيل، وقد أغضب ابن سعود بعدم قبول ما عرضه عليه.

وكان ابن سعود قد رجع إلى الرياض في أواخر شهر رمضان، لهذا لم يجسر أن يتوجه إلى القطيف إلاَّ بإذن من ابن سعود، فاقتضى رأيه أن يتوجه إلى الأحساء ويراجع الإمام عبد العزيز، وفعلاً سافر، ونزل بضيافة الأمير عبد الله بن جلوي، وأنزله بيتًا من بيوت الحكومة، وراجع الإمام بشأنه وكان السيد طالب قد أرسل للإمام عبد العزيز المضبطة التي أرسلها

عبد الحسين لحكومة التركي في العراق، فأصدر أمره للأمير عبد الله بن جلوي باعتقاله، فزجه بالسجن وصادر أملاكه في القطيف من النخيل والبيوت والسفن، وأدخلها بيت المال.

تابعنا حوادث القطيف ذكر هنا قطعيا، وحالت دون حوادث كانت قبلها.

وفي شهر شعبان، خرج العرايف بأمر من الشريف حسين، وأغاروا على بني عبد الله، وابن سعيان، وابن ضمته من يطردهم على نقى ــ القرية المعروفة في عالية نجد ــ وأخذوهم، ورجع العرايف إلى وادي سبيع.

الصلح بين ابن سعود والشريف حسين

وفي شهر شوال من هذه السنة، صار مفاوضة بين الإمام عبد العزيز وأمير مكة الشريف حسين، وانعقد الصلح بينهما على أن لا يتعدى أحد منهما على حدود الآخر، ولا على رعاياه فتوقف الحركات العدائية من الطرفين.

قتل آل عبيد وآل رخيص

وفي ٢٨ شعبان من هذه السنة، قتل ابن سبهان سبعة من أولاد آل عبيد بن رشيد، وأربعة من آل رخيص أخوال آل عبيد بحجة أنهم يريدون الفرار، وحبسوا جماعة من آل رخيص الذين وقعت عليهم التهمة أن لهم يدافع المقتولين، ونهبوا أكثر من ثلاثين بيتًا من بيوتهم، وبيوت أتباعهم نسأل الله الحماية من موجبات غضبه.

فتنة شقراء:

وفي أواخر هذه السنة، وصل عبد اللطيف المندبل، مندوبًا من قبل حكومة التركي من العراق، للتوسط في أمر الصلح بينها وبين ابن سعود. فقبل عبد العزيز الوساطة وأجل النظر في المسألة إلى الربيع، وسنذكر نتيجة ذلك في حوادث سنة ١٣٣٢هـ.

وفي ١٤ من شهر شعبان: توفي المرحوم الشيخ قاسم بن ثاني، شيخ قطر.

دخلت هذه السنة، والحالة بين ابن رشيد والشريف من جهة، وبين ابن سعود من جهة ثانية صالحة، وفي شهر[. . .][1] خرج الإمام عبد العزيز من الرياض إلى الحسا، لمقابلة الوكيل السياسي لحكومة بريطانيا في البحرين، فقابله في العقير فلم تسفر هذه المقابلة عن نتيجة. ثم عاد إلى الرياض فبلغه خبر دسيسه في القطيف وقد أسلفنا الكلام على خبر المضابط التي أرسلت إلى حكومة التركي في البصرة من أهل القطيف وأنها أرجعت إلى ابن سعود فخشي أن الأهالي استأنفوا عملهم، فخرج من الرياض في النصف من ربيع الثاني، ومعه أهل الرياض وغزوا أهل القصيم وغيرهم، فنزل لجبيل.

وكانت حكومة التركي بعد أن تولى ابن سعود الحسا والقطيف تفكر في أمر استرداد هذه البلاد، ولو أدى الأمر إلى الحرب، ولكن في هذا الوقت الذي نحن بصدده، قد تولى نظارة الحربية العثمانية أنور باشا.

---

(١) بياض في الأصل.

وكان برنامج سياسته اتحاد المسلمين تجاه الأخطار المحدقة بهم جميعًا، وليس عنده كما يقال عنه، روح النفاسة لقوة العرب ولهذا أخذ يرسل الأسلحة والعدد الحربية إلى ابن رشيد والإمام يحيى، قصد تقويتهما للدفاع عن أنفسهما، فيما لو وقعت حرب بين تركيا وإحدى الدول تحول دون إمدادهما.

فلهذا وجه نظره إلى ابن سعود، فأرسل وفدًا برأسه بياور من ياوريته، ومن أعضائه: السيد طالب النقيب فقابلهم ابن سعود في الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت فطلب الوفد أن يكون للدولة معتمدون في الأحساء والقطيف، فأبى ابن سعود وانتهى الأمر بالاتفاق على الاعتراف بإمارة ابن سعود على الأحساء والقطيف وسائر لواء نجد، والاعتراف بإمارته على ما كان في يده من قبل، وما دخل فيها من بعد على شرط أن يعترف هو بسيادة السلطان.

ثم جاءت برقية فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية، مقرونًا بالشكر (ابن سعود والإنعام عليه برتبة المشرية ولكنها قبل مفاوضة لابن سعود والإنعام عليه برتبة المشرية، والاتفاق معه بشبرين قد اتفق سليمان كمالي باشا والي البصرة يومئذٍ وزامل السبهان بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز الرشيد. وتم الاتفاق بينهما على أمور، لم نقف على فحواها. ولكنها قدمت إلى ابن رشيد عشرة آلاف بندقية، وكثيرًا من الذخائر، ومبلغًا من المال، ولم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق، والمساعدات التي قدمتها إلى ابن رشيد إلاَّ بعد رجوعه إلى الرياض، وفيما يقال: إن الحكومة التركية قد أمدت ابن رشيد بهذه القوات للغرض الذي أسلفنا ذكره، وهو أن يتمكن من الدفاع عن نفسه.

ولكن ابن رشيد قد جعله وسيلة للقضاء على ابن سعود، واسترجاع ما فقده من البلاد، كما ستقف عليه في حوادث السنة التالية.

قتل زامل السبهان الوصي على الإمارة

كان زامل السبهان قائمًا بشؤون الإمارة بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز، القاصر عن الاضطلاع بمهامها. فقام بها زامل خير قيام، واستردت الإمارة شيئًا من قوتها وهيبتها. وكان عاقلاً حكيمًا رأى أن الإمارة قد تخلخلت أركانها بتوالي الفتن والحروب ممن تولى شؤونها قبله فرأى أن الحكمة تقضي عليه بمسالمة ابن سعود، والاقتصار على إصلاح ما بقي بيده من إمارة حائل وما يتبعها من القرى والقبائل التي اعترف له ابن سعود فيها، ليتفرغ لتنظيم شؤونها، وتثبيت قواعد مركز الإمارة، وقد اتفق مع ابن سعود على ما يحفظ حقوقها، التي كانت قديمًا لآبائهم وأجدادهم. ولكن الجهل لا يدع المصلح يسير في طريقه، بل يقف حجر عثرة في سبيله. ولكن سعود الرشيد ــ كما قلنا ــ لم يزل قاصرًا عن درجة بلوغ الرشد، فاستولى على مشاعره أناس من طرازه بالعقل، لا بالسن، فما زالوا به حتى أوغروا صدره على من كان له الفضل عليه في تماسك أركان الإمارة، وحفظها له، فلما قفل راجعًا بعد مقابلة والي البصرة سليمان شفيق كمالي، واتفاقه معه، كان سعود قد صمم على الفتك بزامل.

ففي نهاية المرحلة الثانية بعد رجوعهم، رتب أمره بمساعدة سعود الصالح السبهان، الذي له اليد الطولى في حبك خيوط هذه الجريمة، وقتلوا زاملاً، وأخاه عبد الكريم، وعمهما سبهان العلي، وولد

عبيد الحمود الذي أخواله السبهان، وبعض من خدام زامل المقربين.

قتل زامل السبهان

الوصي على إمارة آل الرشيد

فلما دخل البلد قتل إبراهيم السبهان أخا زاملٍ، وعبد من عبيده، وولد الضعيفي من أتباع زامل المقربين منه ونهب ما في بيوتهم، ثم استقل سعود في شؤون الإمارة، وجعل سعود الصالح مستشارًا، فكتب إلى ابن سعود يخبره بالواقع، ويطلب منه تأييد ما بينهما من الاتفاق السابق.

وكان ابن سعود قد علم بالاتفاق مع حكومة الترك، وما أمدته به من الأسلحة والذخائر والنقود، فظن أن هذه الاتفاقية ضده، فكتب إليه ابن سعود على أي أساس يكون الاتفاق بيننا وبينك، وما بينك وبين الترك من الاتفاقية، فكتب إليه ابن رشيد: إني من رجال الدولة، والمصالحة بيننا وبينكم لا تكون إلاَّ إذا وافقت عليه الحكومة العثمانية، فكتب إليه ابن سعود إذا كان الأمر كما تقول، فلا سبيل إلى الصلح، وفي هذه الأثناء، أخذ كل منهما حرية العمل ضد الآخر.

الأسباب التي دعت إلى قتل زامل السبهان

تضاربت الآراء في الأسباب التي دعت سعود ابن رشيد إلى الفتك بالسبهان أخواله، وأهل الفضل عليه في إرجاعه إلى الإمارة، حينما تغلب عليه آل عبيد، وطردوه، وشردوه إلى الحجاز.

ففريق من الناس: عزو هذه النكبة إلى دسائس سعود الصالح السبهان، الذي لا يزيد عمره عن عمر سعود بن عبد العزيز أكثر من خمس سنوات، فقد داخل سعود بن رشيد لتقاربهما بالسن، واستولى على

مشاعره. وكلاهما صنوان في الجهل، والغرور، وعدم إدراك عواقب الأمور، وإن الساعي قد أخذ مقابلة زامل لوالي البصرة ذريعة لتحكيم عقدة الوشا به، زاعمًا أن زاملاً قد استأثر بالحكم دونك. فهو الذي يعقد، ويبرم، وينقض بدون علمك، وأخذ يدلل على صحة ذلك بمقابلته مع شقيق كمالي، واتفاقه معه دون أن يرجع إليك في الأمر.

أما الفريق الثاني: فيزعمون أن شفيق كمالي باشا بعد مقابلته إياه حذَّره من آل سبهان، وأوضح له ممالئتهم مع الإنكليز، وميلهم إليهم ويستدلون على صحة ذلك أن ابن رشيد فتك بهم بعد يومين من هذه المقابلة فقط.

أما من يعرف حالة الأمير ابن رشيد بتلك الوقت، لا يستغرب وقوع هذا الأمر بسبب أو بدون سبب، فضلاً عما اشتهر به أهل هذا البيت من القطيعة، والسفك، والفتك في بعضهم، ونظرة بسيطة في تاريخ هذه العائلة، تؤيد ما ذكرنا.

العرايف

لما انعقد الصلح بين ابن سعود والشريف حسين على ما تقدم ذكره، كان العرايف في وادي سبيع يوالون الغارات على قبائل ابن سعود قبل الاتفاق، فلما تم الاتفاق، منعهم الشريف منه ذلك. فلم يلبثوا إلاَّ مدة قليلة، حتى بلغهم الاختلاف بين ابن سعود وابن رشيد، التحق سعود بن عبد العزيز بن سعود الفيصل ــ أحد العرايف ــ بابن رشيد، فأكرم وفادته، وفي هذه الأثناء قدم الذويبي ــ أحد رؤساء قبيلة حرب ــ إلى ابن رشيد، فأمره ابن رشيد أن ينضم تحت قيادة سعود العرافة، سار العرافة ومعه

الذويبي، فجهز معه قوة من حرب، وانضم إليهم آخرون. فقصدوا بعض القبائل الموالية لبني سعود، فأغاروا على ابن زريبة، وابن جبرين وأخلاط معهم، فانتذروا بهم، وصمدوا لحربهم، فصدوهم وانسحب سعود العرافة ومن معه من قبيلة حرب. فتسبقهم عتيبة، وأخذوا يعيثون فيهم طيلة يومهم، حتى حال بينهم الليل، فرجعوا عنهم.

وبعد مدة قليلة، رحل سعود العرافة من عند الذويبي قاصدًا عتيبة، ملتجئًا إليهم، فلم يقبلوه، فرجع إلى ابن رشيد، وانضم إليه، وكانت العداوة قد استحكمت بين ابن سعود وابن رشيد على ما تقدم، إلَّا أنه لم يكن بينهما شيء حتى الآن، غير قطع العلاقات وعدم المواصلات بين الطرفين.

غير أن ابن سعود أغار على البيضان والنيادين من قبيلة حرب الموالية لابن رشيد، وأخذهم وهم نازلون على غول الماء المعروف في عالية نجد ورجع إلى بلاده في أواخر شهر ذي القعدة.

أما ابن رشيد، فقد خرج في أواخر هذه السنة من بلده، ونزل مع شمر، وأخذ بالاستعداد والتجهيز، فبلغ ابن سعود خبر تجهيز ابن رشيد، فقابله بالمثل، وأخذ بالتجهيز والاستعداد، وأمر القبائل أن يوافوه على الخفس ــ الماء المعروف قرب سدير ــ وسيأتي تكميل هذه الحوادث بأخبار السنة الجديدة.

أخبار وحوادث عامة

في أواخر رمضان من هذه السنة، ثار الحرب بين النمسا وألمانيا من جهة، وبين الإنكليز وفرنسا وروسيا من جهة ثانية. وفي شهر الحجة من

هذه السنة، دخلت تركيا الحرب منضمة إلى جانب ألمانيا، وتتابعت الدول بالانضمام إلى أحد الجانبين بالتدريج. وهذه مقدمة الحرب العظمى التي استمرت إلى صفر سنة ١٣٣٧هـ، وهذه أسماء الدول المحاربة، ومن انضم إليها:

الفريق الأول: ألمانيا، النمسا، تركيا، بلغاريا.

الفريق الثاني: إنكلترا، الصرب، فرنسا، روسيا، ثم انضم إليها: إيطاليا، وأميركا، واليونان، ورومانيا، والبلجيكا. وثار الشريف الحسين على تركيا، وانضم إليهم.

وبالرغم من تفوق هؤلاء على خصمائهم بالعدد والعدد، فإن الحرب استمرت من رمضان سنة ١٣٣٢هـ إلى صفر سنة ١٣٣٧هـ. وانتهى الأمر بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وانهيار دولة النمسا وتقسيمها، وتقسيم تركيا التي فقدت القسم الأكبر من أملاكها. ولولا أن قيض الله لها مصطفى كمال ورفاقه الذين استرجعوا بعض بلدانهم، لما بقي لها أثر في الوجود.

دخلت تركيا الحرب في شهر الحجة من هذه السنة، وأرسلت حكومة الترك في العراق السيد طالب النقيب، والسيد محمود إلى ابن سعود الآلوسي، فاجتمعا به في القصيم فردهما ردًا حسنًا، وقال لهما: إنه لا يمكنني مقاومة الإنكليز، بعد احتلالهم البصرة، فرجعا دون نتيجة. أما الوفد التركي الذي خرج من المدينة ومعه ١٠٠٠٠، فقد رجع منه قبله.

وكان ابن سعود قد أرسل للشريف كتابًا على أثر نشوب الحرب العظمى، كما أرسل إلى غيره من أمراء العرب، يطلب الاجتماع للمذاكرة، للنظر في ما يقتضي لنا عمله إزاء الحالة الحاظرة، لصون

حقوقنا، وتعزيز مصالحنا فأرسل الشريف ولده عبد الله للنظر في هذه المسألة، فاجتمع بوفد ابن سعود على الحدود، وافترقا دون أن يتفقا على شيء. وذلك أن الشريف كان قد عقد النية على ما أقدم عليه، مما ستراه بحوادث سنة ١٣٣٤هـ.

حوادث سنة ١٣٣٤هـ

دخلت هذه السنة والعالم في أتون من نار، لوقوع الحرب بين الدول الكبرى. وذكرنا ما كان من دخول حكومة التركي في هذا الحرب بجانب ألمانيا. وفي شهر محرم من هذه السنة، استولى الإنكليز على البصرة.

وفي شهر صفر، نزل ابن هديب ومن معه من قبيلة حرب في غميس عنيزة في مراعي أدباشهم، فأرسل إليه الأمير عبد العزيز العبد الله بن سليم، يأمره أن يرتحل عن مراعي البلاد، فلم يأبه لذلك، فكرر عليه الإنذار، وقال: إن لك متسعًا عن مضايقة أهل البلاد في مراعي سوانيهم فلم يقبل، بل أقام مراغمة واستخفافًا، فخرج إليه الأمير بقوة من أهل البلد، ونزلوا حياله وأرسلوا إليه يناشدونه أن يرتحل، ولا يحوجهم إلى استعمال القوة.

فما كان منه إلاّ أن قابلهم بالسلاح، فلم يسعهم إلاّ مقابلته، فاشتبك القتال بينهم. فانهزمت حرب بعد أن قتل رئيسهم علي بن هديب وأربعة من جماعته، وقتل من أهل عنيزة إبراهيم بن سعد الحماد، وصوب منهم خمسة. واستولى أهل عنيزة على كثير من الإبل والغنم، ورجعوا إلى بلادهم، فجاء وفد من حرب للأمير عبد العزيز يستعطفونه لرد ما أخذ

منهم قبل أن يرتحلوا، فأرجع عليهم ما كان لهم، وارتحلوا عن حمى البلد.

وقعة جراب

ذكرنا في حوادث السنة الماضية انتقاض الصلح بين ابن سعود وبين ابن رشيد، وذلك أن ابن رشيد بعدما أمدته الحكومة العثمانية بالسلاح والذخيرة، التي قدمنا ذكره، اشتد ساعده ورأى أن يستعمل هذه القوة لخضن شوكة ابن سعود، فأخذ يستعد ويجهز. وفي أول هذه السنة، استلحق قبائله من حرب وهتيم، والضنوا إلى شمر. أما ابن سعود لما بلغه استعداد ابن رشيد، أمر على أهل القصيم والوشم وسدير وأهل الجنوب أن يجهزوا غزوهم، ويوافوه في الخفس ـ الماء المعروف في القرب من سدير ـ وأرسل إلى القبائل الموالية، فوافاه منهم بعض من سبيع والسهول وقحطان، وبعض من قبيلة حرب والعجمان، وبلغه أن ابن رشيد قد نزل قبة ـ الماء المعروف بسفح عروق الأسياح من الشرق ـ فأقبل ابن سعود بجنوده، وأقبل ابن رشيد بجنوده.

فالتقى الفريقان بين شعيب الأرطاوي وبين جراب ـ الماء المعروف ـ في اليوم الثامن من ربيع الأول، فالتحم القتال بين الفريقين، وكان ابن رشيد على تعبئة تامة، فجعل معظم قوته تجاه راية ابن سعود وأهل الرياض. فلما اشتد القتال، وحمي وطيسه، أغاروا شمر على جيش ابن سعود، وأخذوا قسمًا منه. وأغاروا العجمان وبعض من حرب ممن كان مع ابن سعود، وأخذوا البقية، أما مطير، فلم يصلوا إلاَّ بعد اشتباك القتال، فأغاروا على جيش ابن رشيد، وأخذوه فصارت الغنيمة للبادية من الطرفين.

جرت هذه الأمور والحضر في ساحة القتال، إلاَّ أن شمرًا بعد أن غنمت جيش ابن سعود، رجعت إلى ساحة القتال، فأسندت ابن رشيد بعد أن بدأ التضعضع في صفوفه. أما قبائل ابن سعود الخائنة، فإنها انهزمت بغنيمتها. وصارت الأمور فوضى في جيش ابن سعود، فأخذت القبائل الموالية والمعادية، كل منهما ينهب من قبله. فعمت الهزيمة جيش ابن سعود، وانسحب ابن رشيد متماسكًا، ونزل قبة.

أما ابن سعود، فقد نزل الأرطاوية، وتلاحق عليه فلول جيشه. أما القتلى من الطرفين، فيقدر بين الثلاثمائة والأربعمائة، المشهور منهم: محمد بن عبد الله بن جلوي، وصالح الزامل السليم ـ أمير غزو عنيزة، وولي عهد الإمارة ـ ومحمد بن شريد من وجهاء أهل بريدة، ورجالهم المشهورين رحمهم الله تعالى.

أما ابن رشيد، فقد رحل من قبة، ونزل الأسياح بطرف القصيم من الشمال الشرقي، وكان قصده ينزل القصيم، حيث بلغه أن ابن سعود رجع إلى الرياض. ولكن ابن سعود قد سبقه، ونزل بريدة. فرحل ابن رشيد قاصدًا الشمال، ثم كر راجعًا، وأغار على فريق من العبيّات من مطير، ولكنهم صدوه، فرجع من حيث أتى.

وقد فاتنا أن نذكر من بين القتلى: شكسبير الإنكليزي، الذي كان وقتئذٍ عند ابن سعود موفدًا من قبل حكومته، فنصحه الإمام عبد العزيز أن يعتزل ساحة القتال، ويذهب إلى القصيم، ينتظره هناك، إلى أن يفرغ من أمر ابن رشيد، فأبى، فقال له الإمام: إني لا أتحمل مسؤولية بقائك في ساحة القتال، فأعطاه شكسبير ورقة بخطه وإمضاءه أن بقاءه رغبة منه، وأن

يسقط كل حق له، أو لورثته، أو لحكومته في إلقاء المسؤولية على ابن سعود.

فلما وقع القتال، جلس برابية مرتفعة خلف صفوف القتال، وبيده آلة التصوير ليأخذ بها مشاهد القتال من البداية إلى النهاية. ولكن جاءته رصاصة عاثرة، كان فيها حتفه.

أما ابن سعود بعد أن نزل بريدة أمر على أهل القصيم أن يجهزوا غزوهم، وأرسل إلى قبائل عتيبة وبني عبد الله من مطير، أمرهم أن يوافوه بالقصيم. وكان قد فقد كل ما معه من الجيش والراحلة، والأمتعة تقريبًا في وقعة جراب. ويحتاج لمبلغ من المال ليستعيد به ما فقد منه، وهذا المال لا يمكن حصوله إلاّ بوضع ضريبة جديدة على أهل القصيم، كان يتحاشاها، لما أصابهم أيضًا من الخسائر.

وفي هذه الأثناء، قدم صالح بن عذل من المدينة، ومعه عشرة آلاف ليرة تركية من الحكومة العثمانية، لتستميل بها ابن سعود أو على الأقل تأمن جانبه. وكانت قد دخلت الحرب مع الألمان، كما قدمنا، فاستعاد بها ما كان ينقصه من المعدات. فرحل من القصيم في النصف من ربيع الثاني قاصدًا قبائل ابن رشيد، وأغار على ابن صميعر والفريان من حرب، وابن سعيد من شمر، وهم على الكهف ـ قرية على حدود ابن رشيد ـ فزينوا كثيرًا من حلالهم، وأخذ ما بقي منها، ورجع إلى بريدة.

رجوع العرايف إلى ابن عمهم

تقدم الكلام عن خروج العرايف من الحجاز، والتحاقهم بابن رشيد، فلم يزالوا معه إلى هذا الوقت. ولكنهم لم يجدوا من ابن رشيد

المعاملة التي ترضيهم، فلم يروا أجدى من الالتحاق بابن عمهم، فركب فيصل بن سعد، وقدم على الإمام عبد العزيز بالقصيم، فأكرمه، وعفى عنه، فطلب منه العفو عن سعود بن عبد العزيز السعود، فأجابه لذلك، فأرسل ابنه تركي بن عبد العزيز إلى سعود، وهو عند عتيبة، فأتى به، وأكرمه الإمام. أما فهد بن سعد، فقد التحق بالعجمان.

وأما سلمان بن محمد، فقد التحق بعمان، وقصد آل زايد، وغيرهم من أمراء عمان فاجتمع لديه مبلغ من المال والسلاح، ثم قصد سلطان الحمادي حاكم لنجد، فأعطاه نحو أربعة آلاف ربية، ومائة بندقية، ثم جاء إلى البحرين، ونزل عند الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فأكرم وفادته، وأقام عنده، وأعطاه نحو اثني عشر ألف ربية، ومائة بندقية. وذلك في أواخر حرب العجمان في الأحساء الآتي ذكره.

وعبر سلمان بن محمد جهة قطر، وأرسل ما تحصل معه من الدراهم والسلاح مع ثلاثة من خدامة من العجمان، وأوعدهم بمكان معلوم بين قطر والأحساء، يوافيهم إليه، فعبروا من البحرين، وكان عبد الرحمن بن سويلم أمير القطيف قد وضع لهم الأرصاد، فلما فارقوا حدود البحرين، ودخلوا حدود ابن سعود، هجمت عليهم السفينة المشحونة بالجنود من ابن سويلم، فحجزوها، وأخذوا ما فيها، وأسروا خدام سلمان، وأرسلوا الجميع إلى ابن سعود في الأحساء. وذلك أثناء هزيمة العجمان الآتي بيانها. ولكنا كرهنا قطع سياق الكلام.

مقدمات حرب العجمان في الأحساء

تقدم الكلام على خيانة العجمان، ونهبهم جيش ابن سعود أثناء

وقعة جراب، المتقدم ذكرها، فهربوا بغنيمتهم، وعلموا أن ابن سعود لا يغتفر لهم هذا العمل، وأبطنوا العداء، ونزلوا في أمواه التربية والنعبرية، وملج، ونطاع، وكثرت اعتداءاتهم على رعية ابن صباح، وابن سعود على السواء، فقد أغارت سرية منهم على محمد العبد المحسن الشملان من أهل عنيزة، ومعه خيل للتجارة قاصدًا بها الكويت، وقتلوا منهم رجلاً، وركب الباقون ظهور خيلهم، فنجوا بأنفسهم، وأخذ العجمان رحلهم وأمتعتهم. وبعدها بأيام، أغارت سرية منهم وأخذت ثمانين بعيرًا، لسليمان ابن غملاس من أهل الزبير، وكثر اعتداء هم على أطراف الكويت، حتى كاد يقف الطريق لعدم الأمنية.

محاصرة العجمان للأحساء

جهز ابن صباح سرية يرأسها علي بن خليفة الصباح، ونزل بأطراف الكويت للمحافظة على أموال رعايا الكويت، ولتأمين الطريق عن اعتداءات القبائل. وأرسل ابن صباح إلى ضيدان بن خالد بن حثلين – رئيس قبيلة العجمان – يطلب إرجاع المنهوبات التي أخذوها، فلم يجيبوه إلى ذلك فكتب إلى ابن سعود يقول: إن العجمان قد كثرت اعتداءاتهم، ونهبهم أموال أهل الكويت، وهم من رعيتك، فيجب أن تأمرهم بتأدية أموال أهل الكويت فكتب إليه ابن سعود: أن العجمان قد عملوا معي ما قد علمتم، وضربوني من ظهري أثناء وقعة جراب، ونهبوا جيشي أثناء القتال، فصبرت وتحملت خيانتهم. ونحن الآن في وقت القيظ، ولا نتمكن من شدته أن نسير إلى ديرة العجمان، والأولى تأخير المسألة إلى فصل الربيع.

وفي شهر جمادى، خرج ابن سعود من بريدة، ونزل بالقرب من الزلفى. ثم أرسل إلى القبائل فجاءه بعض من عتيبة، وبني عبد الله، وبريه من مطير، وسار إلى الشمال، قاصدًا ابن رشيد وشمر. فبينما هو في الطريق، بلغه أن ابن رشيد دخل بلاده، وأن شمرًا قصدوا إلى العراق، فرجع ودخل بلاده في العشرين من جمادى الأول. وبعد وصوله الرياض، قدم إليه وفد من ابن رشيد يطلب الصلح، فتم بينهما. وجددت المعاهدة السابقة، وتوقفت الغزوات بين الطرفين.

ويقال: إن حكومة التركي هي التي أوحت إليه بمسالمة ابن سعود، ، وأنه ليس من صالحه مقاومة ابن سعود، لتعده للأمر الذي هي تريد. وجعلت عنده بعد ذلك البكباشي عزيز بك الكردي معتمدًا، ثم أرسلت الشيخ صالح التونسي بمأمورية، ثم جعلت عبد الحميد بك بن إبراهيم باشا سعيد المصري، فبقي عند ابن رشيد أكثر سني الحرب، ليمنع الدسائس الأجنبية من التأثير على ابن رشيد، لا سيما وقد اشتهر عندهم ممالأة السبهان للإنكليز باطنًا. فبقي سعود متمسكًا بحبل حكومة التركي وشد أزرها حتى دارت الدائرة عليها، ففقد النصير.

رجوعًا إلى ابن صباح والعجمان

ألحّ ابن صباح على ابن سعود بوجوب استرجاع المنهوبات من العجمان ولو بالقوة، وتعهد بمساعدة ابن سعود ماديًا وعسكريًا. ولكن ابن سعود لم يكن على ثقة من مبارك، لكثرة تقلُّباته. وبالرغم من ذلك، فقد أجابه بعد أن أضاف شرطًا ثالثًا، فهو فضلاً عن مساعدته المادية والعسكرية، يجب أن لا يسلك بسياسته نحوهم سياسة غير سياسة ابن

سعود، وأن لا يستقبلهم إذا لجأوا إليه، ولا يتوسط بالصلح بينه وبينهم. فأجابه لذلك، وعاهده عليه.

أما العجمان، فلم يعملوا مع ابن سعود ما عملوا، إلا وهم مصممون على تنفيذ خطة، طالما منوا أنفسهم بها، منذ أن تولى ابن سعود الأحساء والقطيف. ورأوا أن الفرصة سانحة لتنفيذها، فأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على ذلك. ولم يتخلف منهم أحد. وساروا إلى الأحساء، ونزلوا بالقرب منه، وأخذوا يشنّون الغارات على أطراف البلاد، وبما أنه ليس في الأحساء قوة كافية لصدّهم، أخذوا يعيثون في القرى.

ثم رحلوا، ونزلوا بالشمال الشرقي من النخيل هم وأدباشهم. وكان الوقت قيض، وقد أينع أول الثمار، فحصل منهم أضرار جسيمة على البساتين والثمار. وحصروا أهل البلاد، وحالوا بينهم وبين بساتينهم. طير الخبر الأمير عبد الله بن جلوي إلى الإمام عبد العزيز على أول إقبالهم، فخف الإمام عبد العزيز بقوة ضئيلة من الحضر، وقليل من البادية. وانضم إليه بنو هاجر. وأبقى أخيه محمدًا في الرياض ليتبعه بغزوان أهل نجد، وكان قد أمر عليهم بالتجهيز.

ولكن العجمان قد تغلغلوا في قرى الأحساء، وتحصنوا في البساتين، وكثرت اعتداءاتهم على الأهالي. فلم ينتظر عبد العزيز وصول النجدات من نجد، فجهّز جيشًا من أهل البلاد، وزحف بهم على العجمان. وكانوا بموضع يسمى كنزان، بالشمال الشرقي من النخيل.

وبما أن الوقت قيظًا، والبلاد شديدة الحر في النهار، فقد اختار أن يكون الهجوم ليلًا، فأسرى بهم. فبلغ العجمان خبرهم، وارتفعوا عن

منازلهم، وتركوها خالية. فلما قارب الجيش الأحسائي ـ الموضع المذكور ـ ، رأوا كثرة الأشجار، فظنوها القوم. وأخذوا يطلقون الرصاص على غير هدى، وأسرفوا في ذلك، وليس عندهم أحد. فتركهم العجمان يستنفدون ذخيرتهم، ثم خرجوا عليهم من مكامنهم، وهاجموهم، فالتحم القتال بقية تلك الليلة. ثم انهزم أهل الأحساء، وتبعهم بقية جنود ابن سعود. وأسر من أهل الحسا خلق كثير، افتدوا أنفسهم بمبالغ من الدراهم، تزيد وتنقص تبعًا لحالة الأسير ومركزه. وكان العجمان يعرفونهم تمام المعرفة، لكثرة اختلاطهم معهم.

أما القتلى فعددهم غير قليل. وقد قتل في تلك الليلة سعد بن عبد الرحمن الفيصل، جاءه سهم عائر، فأصابه، وجرح الإمام عبد العزيز.

رحل العجمان بعد هذه الوقعة، ونزلوا بالبساتين، وكثر عيثهم، وصاروا يتجولون في النخيل، ويخربون الأثمار، ويعلنون أدباشهم من الثمار. ولم يزل ذلك دأبهم ثلاثة أشهر القيظ.

جاء محمد بن عبد الرحمن الفيصل بعد هذه الوقعة، ومعه قوة من أهل نجد. وجاء فيصل الدويش، ومعه غزو أهل الأرطاوية. وكذلك جاءت غذوان بعض الهجر الجديدة، التي كانت قد تأسست، واجتمع عند ابن سعود قوة لا بأس بها. وأخذ يبث السرايا لمهاجمة العجمان، وطردهم من النخيل. وأخذت المناوشات يوميًا، إلا أنهم لم يستطيعوا زحزحة العجمان من مراكزهم.

وكان الإمام عبد العزيز قد استنجد مبارك الصباح، حسب تعهُّده

بذلك. ولكن المذكور تباطأ في إرسال النجدة، فكتب إليه ابن سعود يستحثّه، فأرسل ابنه سالمًا ومعه مائة وخمسون من الحضر، ومثلهم من البدو. فجاءوا إلى الأحساء، وانضموا إلى جيش ابن سعود. وبالرغم من اجتماع هذه القوات، قد ظل الأمر على ما هو عليه في الأشهر الثلاثة: شعبان، ورمضان، وشوال، لتحصُّن العجمان في النخيل. فلما أينعت الثمرة، امتارت البوادي المعادية والموالية من الأثمار.

ثم رحلوا العجمان، ونزلوا صويدرة ــ الموضع المعروف قرب قرية الكلابية ــ، فخرج إليهم ابن سعود، وقسم جنوده فرقتين: فرقة يرأسها محمد بن عبد الرحمن، ومعه سالم ابن صباح. وزحف عبد العزيز بالفرقة الثانية، ومعه بضعة مدافع إلى القارة، إحدى قرى الأحساء الشرقية، ونصب المدفع فوق جبل القارة، وأمر أخاه محمدًا وسالمًا بمطاردة العجمان، فيما لو انهزموا. وشرع هو يضربهم بالمدفع. ولم يكن يظن أنه يفيد، وإنما قصده الإرهاب فقط. ولكن بواسطة ارتفاع الوضع الذي يوضع فيه المدفع أثّر فيهم أثرًا بليغًا واضطرهم إلى الرحيل من موضعهم.

فلما ارتحلوا، تبعهم محمد بن عبد الرحمن وابن صباح، وأراد مهاجمتهم، حسب التعليمات. ولكن ابن صباح أبى أن يساعده، زاعمًا أنه جاء مراقبًا لا مقاتلاً.

أرسل محمد يخبر أخاه بانقلاب سالم وميله إلى العجمان. فجاء الأمر بتركه وشأنه. أما العجمان، فقد رحلوا مطمئنين بصداقة ابن صباح، إذ كانوا قد علموا بخطته تجاههم من كتاب وقع بأيديهم من مبارك لابنه، يأمره أن لا يساعد ابن سعود على العجمان، ولعله عمل الأسباب لوقوع

هذا الكتاب بأيدي العجمان، فكتموا خبر هذا الكتاب، ورحلوا مسرورين ملتجئين إلى حماية صديقهم السري فجعلوا طريقهم إلى العقير ليمتاروا ما يلزمهم من العيش في العقير، بعد أن أخذوا ميرتهم من التمر.

ولكن الحامية التي في القصر ردتهم على أعقابهم، فانقلبوا قاصدين الكويت، لعلمهم أن ابن سعود لا يستطيع أن يتبعهم، لأنه قد أرسل جيشه إلى نجد لقلة المرعى في أطراف الأحساء. فواصلوا سيرهم، وكان معهم فهد بن سعود العرافة الذي أسلفنا ذكره، فأغاروا على بني خالد بأطراف الجبيل، فهزمهم الخوالد وطردوهم. وقتل في هذه الوقعة فهد ابن سعد العراف. ولم يبق من العرايف خارج من الطاعة إلا سلمان بن محمد في قطر، وعبر منها إلى أبو ظبي. وقد ذكرنا قصته في أول حوادث الحسا.

وقد تابعنا خبر حرب العجمان خوفًا من انقطاعه، ولم نراع سرد الحوادث على حسب وقوعها، كما يقتضيه سياق التاريخ. وإلا قد وقع حوادث في نجد أثناء هذه الحوادث، أخرناها. والآن قد آن لنا أن نلحقها.

تقدم الكلام عن الصلح الذي تمَّ بين ابن سعود وابن رشيد بعد وقعة جراب. ولكن ابن رشيد ليس من الذين يحترمون الاتفاقيات. فما كاد يبلغه خبر وقعة كنزان، واشتغال ابن سعود في قمع حركة العجمان، حتى كشف عن أنياب الغدر، وخرج غازيًا في أول شهر رمضان. وكان أهل القصيم مطمئنين للصلح الذي بينه وبين ابن سعود، فأغار على الصريف، القرية المعروفة بقرب بريدة، وأخذ اثنا عشر رعية من الإبل. ثم أغار على

الهدية، القرية المعروفة عند بريدة، وأخذ ستة رعايا من الإبل، وأربع فرق من الغنم. وأغار على الشوايا على الذويحرة، وأخذ منهم بعضًا من الإبل، وشيئًا من الأمتعة، والجميع لأهل بريدة. وكان أميرها يومئذٍ فهد بن معمر.

رجع ابن رشيد، ونزل الطرفية، قرية تبعد نصف رحلة عن بريدة، وأشاع أن ابن سعود قتل، وهزم العجمان جنوده. وكتب إلى أمير بريدة وأمير عنيزة بهذا الخبر، ويدعوهم إلى الطاعة، ويعدهم ويمنيهم. فجاءه الجواب بما لا يحب، فأخذ يعيث في أطراف بريدة وقراها. فكتب ابن معمر يخبر الإمام بعمل ابن رشيد، وكتب إلي أهل عنيزة يستنجدهم. ثم خرج ابن معمر بقوة من أهل بريدة، وانضم إليهم مئتا مقاتل من أهل عنيزة، رئيسهم عبد الله الخالد السليم، أمير عنيزة الحالي. فهاجموا ابن رشيد، وهزموه، حتى أبعدوه عن القرى. فرجع إلى الطرفية، وقتل من مشاهير قومه: ابن خشمان، وجرح سعود الصالح السبهان.

وفي هذه الأثناء، وصل سعود بن عبد العزيز العرافة في قوة من أهل الجنوب، ونزل عنيزة، فلما بلغ ابن رشيد قدوم سعود، رحل من الطرفية ونزل الجعلة، ثم رحل قاصدًا الشمال. أما سعود العرافة، فقد نزل بريدة. وفي ١٥ شوال، خرج من بريدة وقصد قبائل ابن رشيد وأغار على شمر وهتيم، وهم على الخضاصر، الماء المعروف، وأخذ منهم حتى ملأ يديه. وعاد إلى بريدة في آخر الشهر.

ثم خرج في الثامن من ذي القعدة، ومعه ثمانمائة هجان، وثلاثمائة من الخيل، قاصدًا شمر. ولكنهم انتذروا به، وانهزموا من وجهه، فرجع.

وصادف في رجوعه قافلة لشمر نحو مائة جمل، فأخذها، وعاد إلى بريدة. وأقام فيها إلى آخر ذي القعدة، ثم قفل إلى الرياض.

رجوعًا إلى العجمان

قد أسلفنا الكلام في مبتدىء الكلام على عصيان العجمان: أن ابن صباح طلب من ابن سعود تأديبهم، وتعهد له أن يمده ماديًا وعسكريًا، وعاهده أن لا يقبلهم إذا التجأوا إليه، ولا يتوسط في أمرهم بالصلح. أعدنا ذكر هذه التعهدات، لئلا يضطر القارىء إلى مراجعتها. فماذا كان؟ كتب ابن سعود إلى مبارك، يشكو إليه عمل سالم في عدم موافقته على القضاء على العجمان، فنسي حضرة الوالد تعهُّداته، وجاء منه الجواب، يقول: إني لم أقل لك حارب العجمان، وأبعدهم عن ديارهم.

حل العجمان ضيوفًا كرامًا عند ابن صباح، وفتح لهم قلبه وخزانته. وكان قبل ذلك قد أصلح مع ابن رشيد. ولكن لحسن الحظ أنه لم يبق بعد هذه الأعمال، إلا أيامًا يسيرة، حيث وافاه أجله المحتوم في ١٧ محرم سنة ١٣٣٤هـ، فطويت صحيفته.

الشريف الحسين

وفي شهر شوال، خرج الشريف حسين بن علي، أمير مكة المكرمة، ومعه الشلاوي والبقوم، واجتاز ديار عتيبة دون أن يعترضه أو يتبعه أحد. ثم أغار على الدياحين ذوي ميزان من مطير، وهم على الرشاوية، الماء المعروف في العالية، فملأ يديه غنائم من أموالهم، ونزل الشعرى. ثم قفل راجعًا إلى مكة.

وكان الشريف يزعم أن غزوته هذه مساعدة لابن سعود، عندما هجم

ابن رشيد على القصيم، بالوقت الذي كان ابن سعود مشغولاً بحربه مع العجمان. ولما بلغه رجوع ابن رشيد عن بريدة، قفل هو راجعًا.

حوادث عامّة

في شهر شوال من هذه السنة، وصل إلى قطر بارجتان إنكليزيتان، وأخرجتا الحامية التركية التي في قطر. وهربت الحامية، وضربت البوارج القلعة، وهدمتها، واستولت على ما فيها من السلاح والذخيرة، وعادت البوارج إلى البحرين.

وفاة الشيخ مبارك الصباح

في ٢٥ محرم سنة ١٣٣٤هـ: توفي مبارك ابن صباح حاكم الكويت، وتولى بعده ابنه جابر.

وسنأتي على ترجمة مبارك وأعماله وسياسته في ختام حوادث هذه السنة. وبما أنه أصبح في ذمة التاريخ، فسنوفيه حقه. وإن تغاضينا عن بعض سيئاته، فلا نتغاضى عنه ما نعلم من حسناته رحمه الله.

ذكر في حوادث السنة الماضية ما كان من الصلح بين مبارك الصباح، وبين سعود بن رشيد. وذكرنا التجاء العجمان إلى الكويت، وبسط مبارك حمايته عليهم، غير عابىء بما في ذلك من التحدي لابن سعود. أما ابن سعود، فقد خرج من الرياض قبل أن يبلغه خبر وفاة مبارك الصباح، قصده تعقُّب العجمان. فبلغه الخبر، وهو بمنتصف الطريق، فعدل عن ذلك، ليرى ما يكون من سياسة خلفه.

وفي هذه الأثناء جاءه رسول من السير برسي كوكس، ممثل دولة

بريطانيا في الخليج العربي، يرجوه أن يوافيه إلى القطيف للمفاوضة في أمور هامة. وكان هم بريطانيا يومئذ أن تخرج الدولة التركية من البلاد العربية، وتؤمّن لبواخرها وجنودها في الخليج العربي وفي البحر الأحمر، فاتفقت مع الإدرسي في ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٣هـ اتفاق مصالح، وهو: أن يعلن الحرب على تركيا، ويمده الإنكليز بالأموال والسلاح، دون أن يتقيد الإدرسي بما يخل باستقلاله، أو يمكّن الإنكليز من التدخل في بلاده، لا أثناء الحرب، ولا بعدها. بل إنها تعهّدت له أن تصد الاعتداء عليه من الخارج أثناء الحرب فقط. فكان في هذه الاتفاقية أبعد نظرًا وأشد تحرزًا، وأعلم بسياسات الدول وبواطنها من ابن سعود، في الاتفاقية الآتي ذكرها.

جاء ابن سعود إلى القطيف إجابة لدعوة السربرسي كوكس، فوافاه هذا في جزيرة دارين، وجرت المفاوضة بينهما، وتمّ الاتفاق، وأُمضيت المعاهدة، وهي التي تُعرف باتفاقية دارين. تحتوي على سبع مواد، كلها مجحفة بحقوق ابن سعود، ومن يخلفه. بل كل حرف منها قيد في عنق ابن سعود، فأدخل نفسه تحت الحماية البريطانية، وقيدته وورثاءه وخلفاءه عن أي تصرُّف دون علم بريطانيا وإذنها. حتى وليّ عهده يجب أن يكون من الموالين لإنكلترا. ومنعته من الاتصال بأي دولة أجنبية دون علمها، كما منعته أن لا يمنح ولا يعطي أي شبر، ولا يتفق مع أي شركة اقتصادية دون علم بريطانيا.

ولسنا بصدد تفنيد هذه المعاهدة، لأنها غل من الأغلال. ولكن ابن سعود بذلك الوقت لم يدرك ما فيها من الحيف، إلا بعدما فتح الحجاز، واحتك بالأجانب، وعلم دخائل سياسات الدول، علم خطأه الفاحش بعقد

هذه المعاهدة، التي يدرك ضررها أقل الناس إلمامًا بالسياسة. فكان أول عمل عمله إلغاء هذه المعاهدة، فأُلغيت بمعاهدة عُقدت سنة ١٣٤٤هـ، استكمل فيها حقوقه، وجعلها معاهدة الند للند.

بعد أن تمَّ الاتِّفاق على المعاهدة المشؤومة، رجع إلى الرياض في أول ربيع الأول، وكان قصده يتعقب العجمان لتأديبهم. ولكن السربرسي كوكس الذي كان يومئذ يتبع سياسة التفريب بين أمراء العرب تعهَّد له أن يتوسط لدى جابر المبارك، ويقنعه بوجوب إبعاد العجمان عن الكويت. وكذلك كان، فإن جابرًا أبعدهم إجابة لنصائح السربرسي كوكس، ورغبة في إرضاء ابن سعود.

العرايف

وفي هذه الأثناء، قدم سلمان بن محمد العرافة إلى الإمام عبد العزيز تائبًا، فقبله، وعفى عنه، وأكرمه. وهذا هو آخر من قدَّم خضوعه من العرايف. ولا يزالون حتى الآن عند الإمام عبد العزيز على بساط العز والكرامة، كبقية آل سعود. وقد غمرهم بإنعامه، ورتب لهم الرواتب الجزيلة، بعد معاهدة دارين، كتب الإمام عبد العزيز للشريف حسين يخبره باتفاقه والإنكليز، ولم يفك له صورة الاتفاقية. وعرض عليه المؤازرة في مساعدة الحلفاء، وأرسل الكتاب مع صالح بن عذل، وأرسل معه هدية من الخيل والجيش، فقبل الهدية.

وكان الشريف قد ابتدأ بمفاوضة الإنكليز، فعندما علم باتفاق ابن سعود والإنكليز، خشي أنه قد سبقه لطلب الزعامة التي كان الشريف يسعى لها، فبادر إلى الاتفاق مع الإنكليز، وقبل البنود الخمسة، التي دعاها فيما

بعد بقرارات النهضة، وتم هذا الاتفاق في شهر جماد، أي بعد اتفاق ابن سعود والإنكليز بشهرين فقط ولكن لم يعلن الثورة إلاّ بعد الاتفاق بأربعة أشهر، أي في ١٠ شعبان من هذه السنة.

ولكن الوالي في مكة غالب باشا قد أحس ببعض ما يبطنه الشريف، وعلم أن حكومته لا تستطيع أن تمده وهو بدون ذلك لا يستطيع المحافظة على ما بيده، ففضل أن يسلم البلاد إلى ابن سعود، نكاية بالشريف أو على الأقل إيجاد الخلاف بين ابن سعود، والشريف، ففاوض ابن سعود في الأمر، ولئلا يسيء الظن الشريف؛ جعل إرسال الرسول والكتاب والهدية بواسطة، مدعيًا أنه إنما يريد بهذه الهدية مهادنة ابن سعود خوفًا من تحريكاته على الحجاز.

ولكن الشريف أبقى الهدية عنده، وأرسل الكتاب إلى ابن سعود، وفيه يخبره بأعمال الشريف ومفاوضة الإنكليز لتسليمهم البلاد المقدسة، وجعلها تحت حمايتهم، ويدعوه إلى القدوم ليسلم إليه البلد الحرام، لحفظها وصيانتها من أعداء الإسلام. وقد فعل فخري باشا في المدينة مثل ذلك. ولكن ابن سعود رفض الدعوتين لأمرين:

الأول: أنه لا يريد مثل هذا الأمر بمثل هذه الطريقة، ويرى أن الوقت غير مناسب.

الثاني: أنه يعلم ما وراء ذلك من الصعوبات، أهمها: التحدي للإنكليز، الذي هو في أشد الحاجة إلى مصادقتهم.

أما الحكومة التركية، فقد أخذت تدرك ما يحاوله الشريف، وأرادت تعزيز قواتها في الحجاز، فأرسلت قوة لا تقل عن ثلاثة آلاف مقاتل،

بحجة إرسالها إلى اليمن، فبقيت في المدينة المنورة، وانضمت إلى القوة التي فيها تحت قيادة فخري باشا، وكان الشريف فيصل إذ ذاك في الشام عند جمال باشا السفاح ثم غادر فيصل الشام بحجة قيادة القوة، التي ألفها أبوه لمهاجمة القناة. فأرسل جمال باشا إلى المدينة فخري باشا قائدًا عسكريًا بقوات المدينة، زاعمًا أنه، يتوقع ثورة الشريف.

وكان الأمر كما ظن، فإنه ما كاد يصل الشريف فيصل إلى المدينة حتى انضم إلى أخيه علي، قائد القوات المرابطة في القرب من المدينة، وأعلنت الثورة، وقسم أولاد الشريف قواتهم التي تحت قيادة علي بن الشريف حسين إلى ثلاث كتائب أرسلها إلى جبهات مختلفة، إحداها هاجمت السكة الحديدية شمال المدينة، تحاول قطع المواصلات بين المدينة وسوريا.

أما الشريف الحسين، فقد أمضى الأربعة الأشهر التي تقدمت الثورة، والتي تلي اتفاقيته مع الإنكليز بالمفاوضة مع حكومة الترك، ليجد الوسيلة التي يتذرع بها لتبرير ثورته، فطلب من حكومة الأستانة الاعتراف باستقلاله في سائر الحجاز، وجعل إمارته وراثية في ذريته، وأن تعدل الحكومة عن محاكمة أحرار العرب المتهمين الذين قبض عليهم جمال باشا ــ جمال المشانق ــ ، وإعلان العفو العام في سورية والعراق، فلما لم تجر الحكومة التركية هذه المطالب أعلن ثورته في مكة يوم ٩ شعبان وهو اليوم الذي قرره لإشعال الثورة في أنحاء الحجاز، فاستولى على قوات الترك في مكة.

وبالتالي استولى على جدة، وحاصر ابنه عبد الله الطائف حتى

استسلمت يوم ٢٦ ذي القعدة، وأسر قائدها غالب باشا، وأركان حربه وجنوده، وسلم أبوه جنود الترك إلى الإنكليز كعربون للصداقة والإخلاص، وأسس حكومته في مكة في ٤ ذي الحجة من هذه السنة، وتقلد ابنه عبد الله وكالة الخارجية، فأرسل البلاغات الرسمية إلى الدول الأوروبية والشرقية بإنشاء الحكومة الهاشمية الجديدة في الحجاز، فسارعت حليفته بريطانيا وفرنسا بالاعتراف به ملكًا على الحجاز فقط. ذلك لأن ابن سعود قد اشترط على الإنكليز أن لا يتكلم الشريف حسين عن العرب، وقبل شرطه.

أما المدينة، فقد حاصرها ابناه علي وعبد الله، ولم يتمكّنا من الاستيلاء عليها إلاَّ في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، جاء الأمر لفخري باشا من حكومته بإخلائها فجاءه الأمر المشدد بوجوب إخلاءها، فسلمها إلى أولاد الشريف.

أما بقية حوادث الحجاز، فقد ضربنا عنها صفحًا لأنه خارج عن موضوعنا؛ ولأن له كتبه المختصة، إلاَّ ما يأتي عرضًا مما له مساس في حوادث نجد.

حوادث نجد

وفي شهر صفر من هذه السنة، خرج ابن رشيد من حايل قاصدًا عنيزة لخلاف بينه وبينهم، فصمدوا له فوقع بينهم مناوشات عديدة، واستمرَّ القتال مدة أيام دون أن يدرك منهم نتيجة فرحل عنهم، وقصد أطراف العراق، وأقام هناك إلى شهر شعبان. فأرسل الإمام عبد العزيز ابنه

تركي إلى القصيم ومعه قوة من الحضر والبادية لمراقبة بادية الشمال. فخرج من بريدة وأغار على شمر في الشعيبة وأخذهم وعاد إلى بريدة.

أما الإمام عبد العزيز، فقد خرج من الرياض، وقصد بادية النقرة وأغار على آل مرة مجتمعين: آل فهيدة ورئيسهم لاهوم بن شريم، وآل جابر على رئيسهم المرضف وابن هماج، وآل بحيج على رئيسهم متعب الصعاق، وآل عذبة على رئيسهم سعود بن نقادان، وآل غفران على رئيسهم صالح بوليلة، ومن التف معهم من العجمان الذين لم يلتحقوا بجماعتهم، وهم: ابن خرصان، والقريني، فأخذ الجميع، ورجع إلى الحسا. فوقف عليه رؤساء آل مرة، وطلبوا العفو، فاشترط عليهم أداء جميع المنهوبات، التي أخذوها من بني هاجر وغيرهم، فأجابوه لذلك فعفى عنهم، ودخل هو إلى الحسا، بعد أن أرخص لمن معه من البادية بالرجوع إلى أهليهم.

العجمان

قد ذكرنا أن العجمان ساروا إلى جهة الشمال، وتخلف عنهم فرق ضعيفة، دخلوا مع آل مرة. وتخلف عنهم الدامر أيضًا، أقام مع آل مرة، ثم بدا له أن يلتحق بنجران، ويلجأ إلى بني عمه من يام. وفي مسيره حصل منه تعديات على رعايا ابن سعود، فأرسل ابن سعود خلفه سرية، يرأسها عبد العزيز بن عبد الله بن تركي ــ أبو ذعار ــ . فلما وصل وادي الدواسر، فانضم إليه قوة منهم، وساروا يطلبون الدامر، فأدركوه على حدود نجران، ففتكوا به وبمن معه، وأخذوا ما معهم ورجعوا في ١٥ رمضان.

وفي شهر شعبان، رجع ابن رشيد إلى حايل، فبلغه أن حملة خارجة من المدينة لأهل القصيم، فاعترضها وأخذها. وكانت الأموال التي مع الحملة لأهل المدينة.

ثم عطف على[...][1]، وأخذ إبلاً لابن سعدي، وأخذها وقفل إلى حايل، ودخلها في النصف من رمضان.

استدراك

عندما ثار الشريف على حكومة الترك وتدفق عليه ذهب الإنكليز، أخذ ينثره يمينًا وشمالاً ليستميل به الأمراء والقبائل، فأرسل لابن سعود دفعتين مجموعها نحو من عشرين ألف جنيه دون أن يكتب له عنها. فاستراب من هذه الهدايا، ولم يعلم ما هو المقصود منها، وكان ابن سعود قد رخص لمن أراد أن يلتحق بالشريف من أهل نجد. فأراد أن يسبر غور الشريف، ويعلم ما يرمي إليه من هذه الهدايا فكتب إليه كتابًا رقيقًا، أوضح له أنه على استعداد لإرسال قوة لمساعدتهم تحت قيادة أحد إخوتي أو أولادي، وأنه مستعد لإزالة ما حصل سابقًا من سوء التفاهم، إذا حددت الحدود بيننا وبينكم.

ولكن حضرته وهو في زهوة الأمل، لم يستطع هضم هذه الجملة نعم إن ابن سعود إما أن يكون سكران، أو مجنون عندما كتب هذه الجملة كما نقله عنه الريحاني في كتابه ولولا أنه متصف بإحدى هذه الخلال، لما

---

(١) بياض في الأصل.

تجاسران بطلب تحديد الحدود، هي ضمن حدود قد اتفق عليها وحليفته العظمى.

أما أمين سعيد، فيقول في كتابه «ملوك المسلمين وأمراؤهم المعاصرون»: أن الشريف أجابه بقوله: كل ما أنت عليه، فهو لك. ونحن نرجح الجواب الأول، لأنه ينطبق على ما هو معروف عن الشريف، ولأن الريحاني قد نقل هذه العبارة من كتاب الشريف نفسه، فما كان ابن سعود ليسمح للريحاني أن ينقل عنه خلاف الحقيقة. ولكن ابن سعود بلعها، كما بلع غيرها منه، ومن زميله صاحب الكويت، عفى الله عنهما.

افتتحت هذه السنة، واختتمت بهدوء وسكون تامّين في نجد إلاَّ بعض حوادث تافهة، اتخذت لتأديب بعض المشاغبين من البادية. لأن الحرب الدولية العظمى شغلت الأعداء عن المشاغبات، فالشريف الحسين، شغلته ثورته على الترك، وانضمامه بجانب الحلفاء الذين ملؤا مخيلته من الآمال المذهّبة، وملؤا يديه من السلاح والذخائر والصناديق الذهبية، التي أخذ يبعثرها بغير حساب، ليستميل القبائل، ويجند بها الجنود لتأسيس إمبراطوريته المنتظرة.

أما ابن رشيد، فقد ركن إلى السكون، ولعل أن حكومة الأستانة أوحت إليه أن يحسن علاقاته مع ابن سعود، إما تقديرًا منها لعمله ووقوفه على الحياد إزاءها، وعدم انضمامه إلى حركة الشريف. أو أنها ترشح ابن رشيد للقضاء على حركة الشريف بمساعدة جنودها، أو على الأقل يعرقل حركاته. وهذا لا يتم إلاَّ إذا كان على صلح وابن سعود. وكان ابن رشيد لم يزل يتبع إرشاداتها، ويستمد معونتها الي لا زالت تفيض عليه بسخاء كبير.

وبينما العالم في الشرق والغرب في بركان ثائر كانت نجد في خفض من العيش رغبة، ونعمة من الأمن، لم تتمتع به منذ زمان بعيد، بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها الإمام عبد العزيز فانصرفت الرعية إلى أعمالهم الزراعية والتجارية، واتسع نطاق التجارة وتأسست الروابط التجارية بين أهل نجد والبلاد المجاورة، وعلى الخصوص مع أهل الكويت، وازدهرت الأعمال ازدهارًا لم يكن مثله فيما سبق ولا أظن أن يعود مثله فيما يأتي.

ذلك لأن خمسين في المائة من أهل نجد أخذ يتعاطى التجارة، ويجلبون الأموال من البلاد المجاورة، كالبحرين، والكويت، ويصدرونها إلى سوريا من طريق البادية، الذين فرضوا لأنفسهم ضرائب فادحة على الأموال، لقاء السماح لهم باجتياز بلادهم، وهكذا يفعل من يليهم إلى أن يصلوا حدود سوريا، فلا يصل التاجر إلاَّ وقد سلم على ماله ضعفي قيمة المال، أو ثلاثة أضعافه:

وبالرغم من هذه الضرائب الفادحة، فلا يكادون يصلون حدود سوريا، حتى يجدون عملاءهم ينتظرونهم، فيبتاعون منهم الإبل بأحمالها، فيسأل المشتري عن أصناف البضاعة التي معه، فيخبره، ثم يسألهم عن القيمة والمصاريف، فيقول: كان معي مثلاً ألف جنيه ذهبًا، اشتريت منها هذه البضاعة بجمالها، وأصرف البقية في طريقي فيتفق معه على ضعفي المبلغ أو ثلاثة أضعافه حسب أهمية البضاعة ورواجها، على أنها لا تقل عن ضعفي رأس المال بحال من الأحوال، فينقده الثمن، ويرجع كل منهما من حيث أتى فيتكرر هذا العمل بالسنة ثلاثة مرات، أو أكثر واستمر ذلك إلى أن سقطت سوريا بيد

الإنكليز، بالرغم من كل التدابير التي اتخذها الإنكليز لمنع ذلك في البنادر، أو في البادية.

أما الذين يجلبون على معسكرات أولاد الشريف، فهؤلاء غالبًا لا تزيد أرباحهم عن ٥٠ لقرب المسافة والأنية، وعدم وجود ضرايب وهذه أرباح لا تغري بمثل ذاك الوقت لأنها تعتبر أرباحًا عادية، قد يحصلون على مثلها أهل المدن.

كان السيربرسي كوكس ممثل دولة بريطانيا في الخليج الفارسي قد دعا الإمام عبد العزيز إلى زيارة البصرة على أثر اجتماع العقير، فأجابه.

وفي ٢٠ محرم من هذه السنة، وصل البحرين بطريقه إلى البصرة، ونزل بضيافة الشيخ عيسى ابن علي آل خليفة حاكم البحرين، وأقام عنده يومين، وغادرها على بارجة حربية إنكليزية، وعرج في طريقه على الكويت، لتعزية جابر المبارك بأبيه. ثم غادرها إلى البصرة، فلقي هناك حفاوة بالغة، وعناية زائدة من الشعب العراقي على الأخص ومن الحكومة. وأقام فيها أيامًا قليلة، طاف فيها على المعسكرات ومحلات المؤن والذخائر، وما يتعلق بذلك، ثم رجع إلى القطيف، وكان قد رمي عنده وكيل بيت المال يوسف بن عبد العزيز بن سويلم، فاعتقله واستأصل ما عنده وضبط ما لديه من الدفاتر والمكاتيب، وأخذ يتتبع ماله في الديون فاستحصلها، ثم أفرج عنه. وأضاف وكالة بيت المال إلى عهدة ضامني الجمارك علي بن منصور بن أخوان وعلي بن حسين بن فارس من أهل القطيف. وبيت المال هنا لا يعني بيت المال بالمعنى المفهوم، وإنما هي وكالة على أملاك بيت المال من النخيل المستغلات فقط.

وفاة جابر بن مبارك الصباح

وفي شهر ربيع الثاني توفي الشيخ جابر بن مبارك الصباح فكانت ولايته سنة وشهرين رحمه الله، وتجد ترجمته في آخر حوادث هذه السنة. وتولى بعده أخوه سالم بن مبارك الصباح.

لما رجع الإمام عبد العزيز إلى الرياض أرسل ابنه تركي إلى القصيم ليراقب شؤون القبائل الشمالية التي لا زالت تقلق راحة الرعايا كلما لاحت لها الفرصة. قام مدة قليلة ثم خرج من بريدة وأغار على ابن عجل من شمر، وابن نحيت والحنانبة من حرب ومخلط معهم وأخذهم على (الشرته) ماء من موارد جايل وقفل راجعًا إلى القصيم وعلى أثر هذا التحق قسم بن شمر بابن سعود، وطلبوا منه أن يعيّن لهم منازل يسكنونها أسوة بغيرهم من أهل الهجر فأجابهم وعين لهم بعض الأمواه ونزلوها وعمروها واستقروا بها ونزل بعضهم في الأرطاوية فبذلك القسم شمر شطرين بادية، وحاضرة فأما البادية فبقيت على ولائها لابن رشيد، وأما الذين دينوا وتحضروا فقد دخلوا برعوية ابن سعود.

حوادث عامة

وفي شهر رجب من هذه السنة تنازل الأمير عبد العزيز العبد الله السليم عن إمارة عنيزة لابن أخيه عبد الله الخالد السليم وذلك رغبة منه بالركون إلى الراحة مراعاة لصحته. والأمر الثاني أن يتمرن عبد الله معاناة منصبه تحت إشراف عمّه والحقيقة أنه وإن كان عبد الله هو الأمير فإن روح الإمارة لعمه لأنه هو العقل المفكر والقلب النابض، فلا يصدر أمر ويتم عمل إلا بإرشاده.

الحج في هذا العام

قد مضى سنوات ثلاث أو أربع لم يحج من نجد بسبب تعنت الشريف، وبعد مراجعات عديدة أذن لأهل نجد بالحج، ففي هذه السنة حج محمد بن عبد الرحمن الفيصل وحج معه خلق كثير من جميع نواحي نجد لا يقل عددهم عن خمسين ألفًا وقد أخبرني صالح المنصور أبا الخيل وكان قد حج في هذه السنة فقال: إن الشريف الحسين زار محمد بن عبد الرحمن ثلاث مرات في أيام منى وكان كثير المجاملة والملاطفة في محادثاته مع محمد ومما قاله في أحد أحاديثه أنه أدرك في إمارته ثلاثًا لم يدركهن أحد من الأشراف قبله.

الأولى: استقلال العرب وتوحيد كلمتهم.

«وكان ذلك بعد ثورته بسنة والحرب على أشده بين الدول وهو في زهوة الأمل شديد الثقة بوفاء حليفته. ولما يتذوق مرارة غدرهم ونكثهم بعهودهم له».

الثانية: أنه لم يحج أحد من أمراء العرب الكبار إلاَّ في زمنه هو «لعله يشير إلى محمد بن عبد الرحمن» وإلى الخديوي عباس حلمي الثاني.

الثالثة: قال صالح في خبره: لما كان يوم النزول من منى أرسل محمد بن عبد الرحمن إلى جميع أمراء حجاج أهل نجد وأمرهم أن يتقدموا أثقالهم وأمتعتهم ومن معهم من النساء إلى مكة وأن يحضروا أهل الجيش من كل بلد على بيرتهم «أي علمهم» فانضم إليه نحو من ستين لواء يبلغ هجانتهم عشرة آلاف تقريبًا فلما تكاملوا سار لوار محمد بن عبد الرحمن

بالمقدمة وحفت به ألوية أهل نجد ومشوا كردوسًا واحدًا، فكان لهم نظر بديع لفت إليه أنظار سائر الحجاج وأهل مكة على الخصوص فضاقت الطرق ونوافذ البيوت من المتفرجين على حسن منظر ونظام هذا الجمع الزاخر الذي لم يروا مثله فيما سبق.

وفاة الشيخ جابر المبارك الصباح أمير الكويت

دخلت هذه السنة والحرب الدولية على أشدها والفوز فيها حليف الألمان وحلفائهم في الميادين الغربية حيث تمزقت روسيا بثورة أهلية وقام فيها دولة بلشفية انفصلت عن الدول الحلفاء وأصلحت مع دول الوسط الألمان وحلفائها: ودالت دولة القياصرة بعبع الأتراك أما في الميدان الشرقي فقد اندحرت تركيا، وتقدم الإنكليز في العراق واحتلوه، ولا زالوا يتقدمون في الميادين الشمالية نحو سوريا بمساعدة الشريف وأبنائه.

أما حملتها على القتال فقد دحرها الإنكليز واشتد نشاط الإنكليز لحصار تركيا في سوريا من جهة البر كما أنها قد ضيقت عليها الخناق وحصرتها من البحر وعملت لهذا الغرض وسائل شتى فوضعوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت إلى الناصرة فلم يجد نفعًا فارتبطوا مع بعض رؤساء العشائر وبذلوا لهم أموالاً طائلة على أن يصادروا ما يجتازهم من الأموال فالتزموا لهم بذلك فلم يجد هذا العمل نفعًا أيضًا، لأن المهربين أخذوا يبذلون الأموال لرؤساء العشائر بسخاء عظيم فاضطر الإنكليز أن يحددوا وارد الكويت على مقدار ما كانت عليه قبل الحرب ولكنَّ هذا التدبير جاء متأخرًا حيث انتهت الحرب بعد ذلك بأشهر قليلة على أنه

بالرغم من ضابط الحصار الذي أقام في الكويت لمراقبة التهريب، فإن ذلك لم يمنع تسرب الأموال بل استمر على ما كان عليه إلى أن سقطت سوريا بيد فيصل الشريف والإنكليز.

وكانت الحكومة الإنكليزية قد أرسلت مستر فلبي، وأقام عند ابن سعود بمهمة من حكومته وهي مراقبة ما يحدث في نجد، وخوفًا من أن يتصل أحد من أعدائها في ابن سعود وحذرًا من أن ابن سعود يعرقل حركات الشريف كما أن حكومة الترك قد جعلت عند ابن رشيد عبد الحميد بك بن إبراهيم باشا سعيد المصري ليمنع الدسائس الأجنبية من التأثير على ابن رشيد، ولأنها ترشحه للقضاء على حركة الشريف. فلما رأت تقدم الشريف فيصل استدعت ابن رشيد وعهدت إليه مهاجمة أولاد الشريف فكانت ثقتها فيه بغير محلها لبى طلبها ولكن شمر لم يجيبوه للقيام بهذه المهمة، فرحل بقوة ضعيفة من أهل حايل وبعض من البادية، ونزل الحجر وأقام فيه ستة أشهر دون أن يعمل عملاً يذكر.

وفي هذه الأثناء خرج ابن سعود قاصدًا شمر فلما قارب أماكنهم وفد إليه رؤساؤهم مقدمين الطاعة فقبل منهم بعد أن تعهدوا له أنه إذ لم يتفق معك ابن رشيد بعد رجوعه أن يفارقوه ويلحقوا برعية ابن سعود فرجع عنهم وبلغ الخبر ابن رشيد من كتب أرسلها له رؤساء شمر ينصحونه إن اتفاقك مع ابن سعود أجدى عليك من عملك مع الترك وأحفظ لكيانك وكياننا. ولكن ابن رشيد رفض هذه النصيحة وأقام بموضعه إلى أن رأى مقدمات انهيار الدولة التركية فرجع في شهر القعدة أي قبل الهدنة بشهر لأن الترك سلموا قبل الألمان بنحو شهر.

ولما بلغ ابن سعود رجوع ابن رشيد من الحجر جهز عليه وخرج في أوائل شهر الحج من الرياض قاصدًا قبائل ابن رشيد، فلما وصل الأجفر الماء المعروف أرسل سريتان أحدهما رئيسها ابن معمر وأمره أن يكشف من ياطب إلى حايل والثانية رئيسها فيصل بن حشر رئيس قحطان وأمره أن يكشف ما بين السبعان إلى حائل فسار لمهمتهما وسار ابن سعود على أثرهما ونزل الصدر ماء معروف بأطراف حايل فجاء رسول من ابن حشر يقول: إن ابن شريم [. . .][1] ومعه خلط من شمر بالقرب من السبعان ثم جاءه رسول من ابن معمر على أن شمر حايلين دون حايل وأن منازلهم من ضبيع إلى عكاش إلى السفيلن أماكن كلها لا تبعد عن حايل أكثر من ثلاث ساعات فسار من الصدر وصل ياطب الساعة السابعة ليلاً ولما وصل عكاش صلّى صلاة الفجر وعبى جيشه.

واختار منهم ثلاثمائة فارس وأربعمائة هجان عليها ثمانمائة مقاتل وأمرهم أن يغيروا على بني يهرف وهم الذين معهم جيش ابن رشيد ويقي هو ومن معه من الجند ردأ لهم فأغارت السرية صباحًا وأخذوا ما عندهم من الحلال عدى جيش ابن رشيد لأنه لم يكن مع العرب يومئذٍ ثم أغاروا على العرب الذين على السفيلين، وأخذوهم، ورجع ابن سعود بالغنائم، ونزل الصدر الساعة الحادية عشر من النهار.

أما ابن رشيد لما بلغه الخبر خرج فازعًا بأهل حايل وبعض البادية الذين أخذوا وأمر أن يتبعه بعض المعدات التي لم يتمكن من أخذها معه

---

(١) بني شريم رئيس قبيلة في شمر.

من الذخيرة والفشك ولحق ابن سعود وهو على الصدر وكأنه تهيب مصادمة ابن سعود قبل أن يتلاحق عليه بقية جنده وذخيرته فسبقه ونزل أعيوج بقعا، ودخل بين الضلع والقصر وتحصن فيه وعقل جيشه، وتمركز في جبل أعيوج بقعا. وبلغ ابن سعود خبره، فأراد أن يهاجمه فرأى أنه لا سبيل إليه وهو في موضعه هذا، فعدل عن ذلك ورحل في الصدر وهو على جزر ونزل بين الصدر ورحيه، وأحاط الجيش بمراكز استكشافيه خوفًا من أن يهاجمهم ابن رشيد ليلاً، فلم يكن شيء من ذلك، لأن ابن رشيد رجع إلى بلاده، فرحل ابن سعود من وضعه ونزل الأجفر، ثم رحل منه ونزل قصيبًا، ثم رجع إلى بلاده في أواخر الحج من هذه السنة.

طرد ابن صباح تجار أهل نجد من الكويت

وفي هذه السنة طرد سالم الصباح تجار أهل نجد المقيمين في الكويت بحجة أن ابن سعود هو الذي أشار على الانكليز بتحديد وارد الكويت لما كان عليه قبل الحرب، ووضع ضابط الحصار، ولكنه تبين خطأ رأيه فسمح برجوعهم بعد مدة.

الخلاف بين الشريف خالد بن منصور لؤي وبين الشريف عبد الله بن الحسين!

وفي هذه السنة وقع خلاف بين الشريف عبد الله وخالد بن لؤي، وأسباب ذلك أنه وقع خصام بين خالد بن لؤي وبين فاجر بن شليويح من رؤساء الروقة من عتيبة وفارس من فرسانها المشهورين. فلطم هذا خالدًا فاعتقله الشريف عبد الله بضعة أيام، ثم أطلقه فلم يقنع خالدًا بهذه العقوبة على فاجر فأسرها في نفسه. فلما مضى أيام استأذن في الرحيل إلى بلدة،

فأجابه الشريف عبد الله بالرغم من تحذير بعض الأشراف له، فشرط عليه أن يمر بمكة ويزور الملك حسين بطريقه إلى بلدة.

وذلك أن الشريف عبد الله قد كتب إلى والده بمسألة خالد، وأبدى تخوّفه من انتفاضه، وأراد أن يكون لوالده ما يرى من التدبير ولكن خالدًا لم يغب عن باله ما يدبره له الشريف، فرجع توًا إلى بلدة الخرمة فجمع رجاله فيها، وأخبرهم بما كان بينه وبين الشريف، وأخبرهم بما عزم عليه من الخلاف للشريف، فوافقوه على ما أراد، وكاتب الإمام عبد العزيز وأخبره ما كان من أمره مع الشريف، وما اعتزم عليه وأنشأ معه علاقات ودية ثم وفد على ابن سعود في آخر هذه السنة فأكرم الإمام وفادته، واستقبله استقبالاً يليق بمقامه، وأغدق عليهما الانسامات الكبيرة. ذلك لأن خالدًا وآباءه وأجداده على صلة حسنة مع آل سعود قديمًا، وكان آل سعود يحفظون لهم هذا الولاء ويعرفونه لهم، فرجع إلى الخرمة مزودًا بالصلات ومشبعًا من الآمال.

وبعد رجوع خالد من الرياض خامرت الشكوك الملك حسين من نوايا خالد، فكتب إليه يأمره بالحضور لديه. فاعتذر بأسباب تقضي ببقائه فكرر الطلب، فكرر خالد الرفض فأصدر الملك حسين أمرًا بعزله، وعيّن أحد ابني عمه في مكانه، وهو شريف من أهل الخرمة فلم يعارض خالد بذلك، فوصل الأمير الجديد ولكن لم يبق له نفوذ ولا وجاهة، فلم يطق الأمير الجديد البقاء طويلاً، بل كتب إلى الملك حسين يستعفيه ويقول إن خالدًا لم يبق لي كلمة مسموعة، فعلم الملك حين لا يفيد من مثل هذه الأساليب، لجأ إلى القوة فجهز حملة بقيادة الشريف حمود بن زيد بن فواز، ومعها مدافع رشاشة ومدفع جبلي فبلغ خبرها خالدًا، فخرج بقوة

وكمن لهم في بطن نخل قرب الخرمة، فلما وصلت حملة الشريف وقعت في الكمين، فوضع السيف فيها وفتك برجالها، وغنم ما معهم من سلاح ومعدات، فكبر ذلك على الملك حسين، وجهز حملة ثانية ضعفي الحملة الأولى في عددها وعداها، فلما اقتربت هذه الحملة من الخرمة استعد لها خالد بمن عنده، واستنجد بعض البوادي التي حوله، فلما كان قبل الفجر هجدهم في منزلهم، فأبادهم وغنم ما معهم وأصيب قائد الحملة في فخذه، وكان لانتصارات خالد وقع عظيم في البادية، فالتف عليه كثير من البوادي التي حوله.

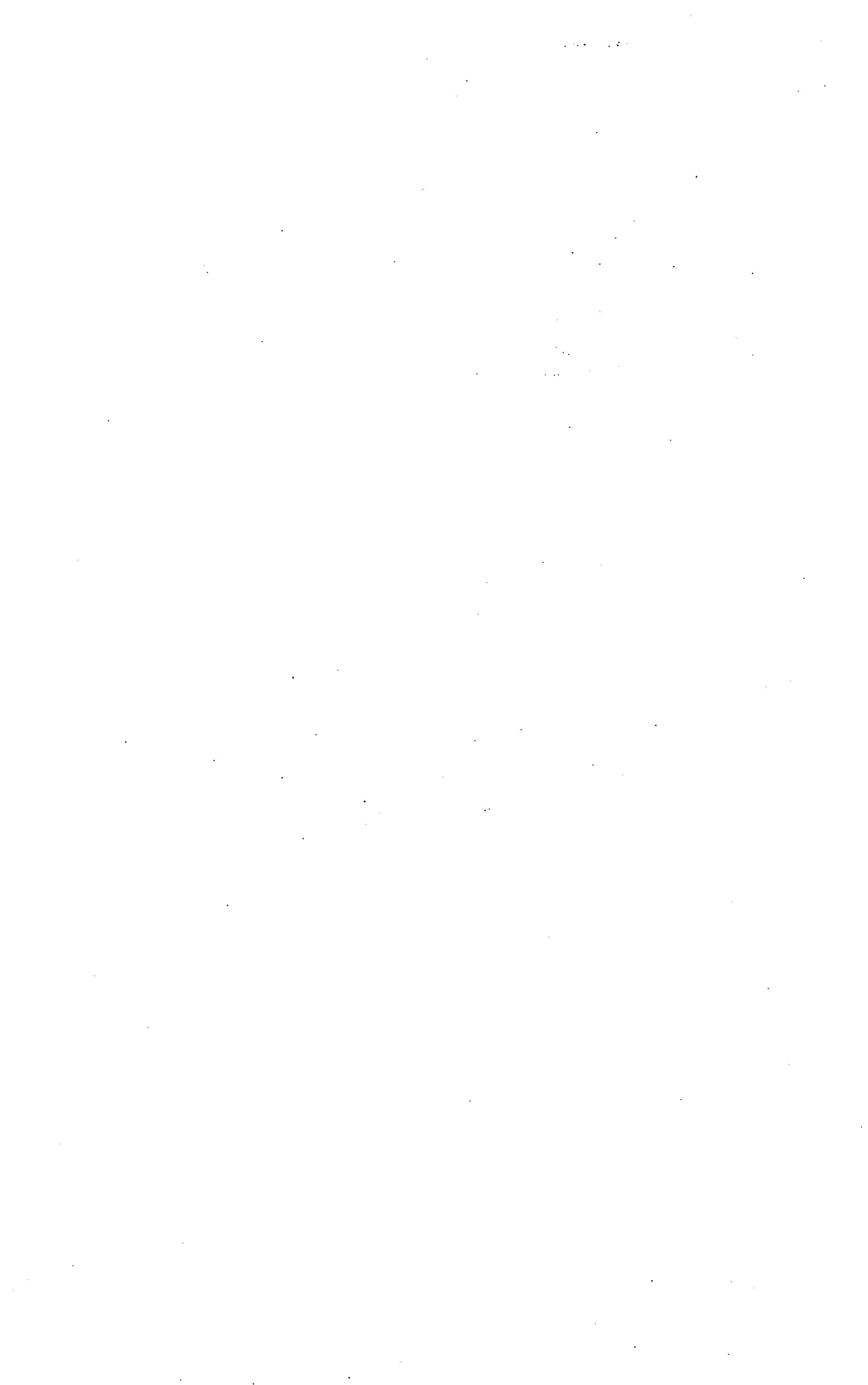
أما الملك حسين فقد اضطرب من هذا الخذلان الجديد الذي أصابه من هذه الشرذمة القليلة وساءه، وهو ملك العرب الأكران يتجاوز عن هذه الإهانات المتكررة فأمر بإعداد حملة ثالثة، عقد لواءها للشريف شاكر بن زيد، وعهد إليه بالتنكيل بهذه العصابة الخارجة عن الطاعة.

سافر الشريف شاكر بقوة يتفاوت عددها بين الثلاثة والأربعة آلاف، ومع قسم من قبيلة عتيبة، فبلغ خالدًا مسير هذه لحملة فلم يشأ أن يمهلها حتى تصل حدود بلاده، بل قصر الطريق عليها وهاجمها بعد مبارحتها وإن ما كادت المعركة تبدأ حتى انهزم جيش الشريف وتركوا ما معهم غنيمة لعدوهم، ورجعوا إلى مكة بعد أن ضاعوا جميع ما معهم، فأضاع الملك حسين صوابه وأراد معاندة الأقدار التي حالفت عدوه وأبى إلاَّ أن المضي في هوسه حتى ينتقم من خصمه أفظع انتقام فجهز على الأثر حملة رابعة جميها من بوادي الحجاز من بني سفيان، وهذيل وثقيف وبني سعود حرب الحجازية، وعسكر من أهل بيته، وكان عدد الجميع يتراوح بين الخمسة والستة آلاف وولى القيادة صهره الشريف عبد الله بن محمد الشريف

شاكر بن زيد، فسارت هذه الحملة، فلما وصلت (حصن) تلقت أمرًا من الملك حسين بالتزام موقفها وعدم إجراء حركة قبل وصول الشريف عبد الله بن الحسين الذي جعلت له القيادة العامة، فأقامت بموضعها نحو شهرين، فانتشرت الحمى بين رجالها، ومات منهم عدد كبير، وأصبح الباقون في حالة لا تساعد على الأعمال العسكرية.

هذا آخر ما وجدناه من مسودة تاريخ مقبل بن عبد العزيز الذكير بخطه بيده ويظهر أنه لم يكمل حيث إن حادثة تربه لم ينهها وقد استعرت الكتاب من الشيخ سليمان بن عبيد رئيس المحكمة الكبرى بمكة وقد جاء من محمد الحمد القاضي والمذكور وصل إليه من المؤلف نفسه وقد انتهى نسخه بأمري في سنة ١٣٨٤/٤/٢٢هـ بمكة المكرمة.

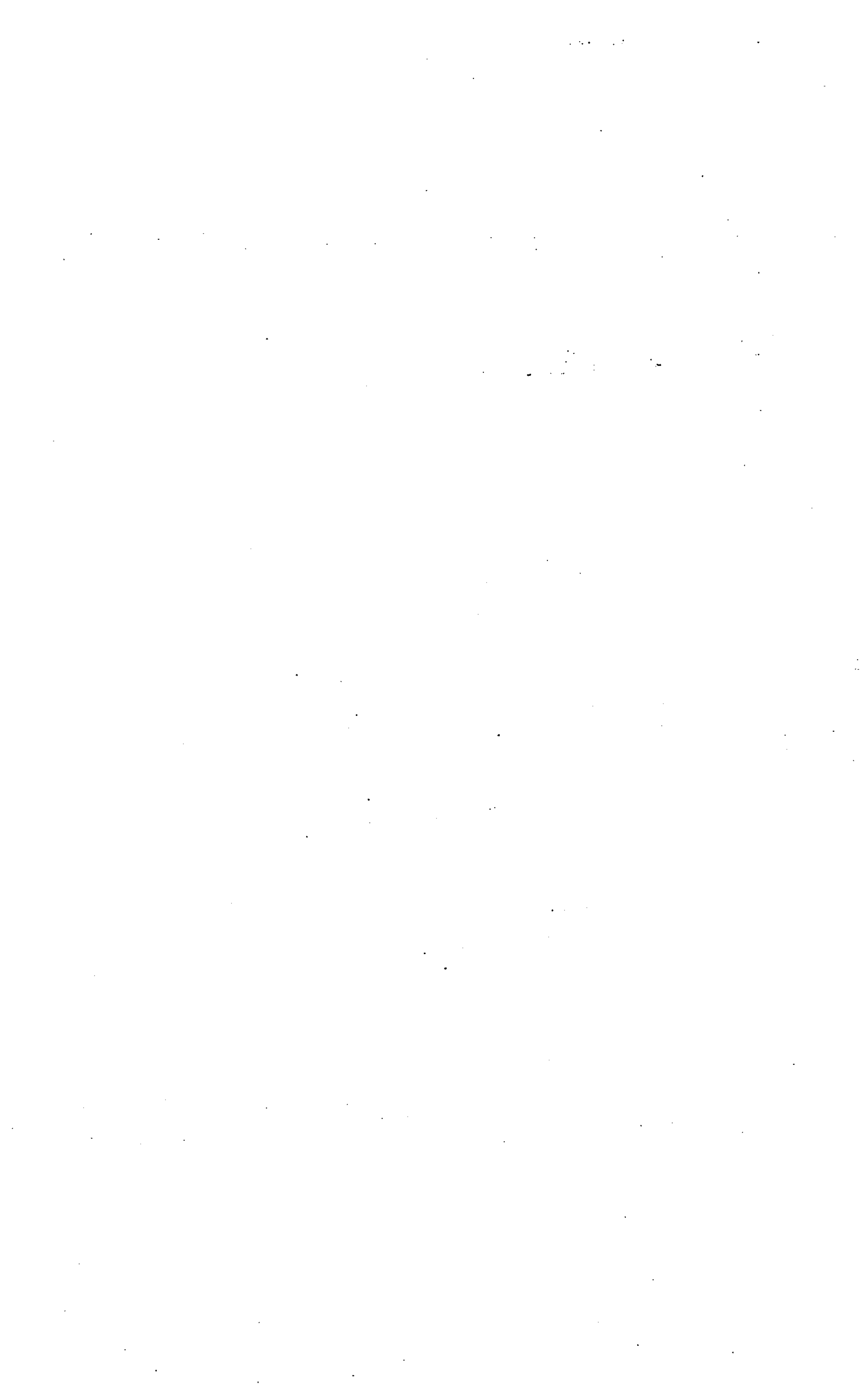
* * *



أوراق
تتعلق بالملك عبد العزيز والحكومة
أيام دخول الحكومة الحجاز

بقلم

مقبل بن عبد العزيز الذكير



بسم الله الرحمن الرحيم

في يوم الخميس ٢٣ محرم سنة ١٣٥٢هـ: جرت أول مكالمة تليفونية لاسلكية بين مكة والرياض حيث خاطب الملك ابنه سعودًا في الرياض مدة لا تقلُّ عن عشرين دقيقة.

اتفاقية استخراج البترول

وفي اليوم الرابع صفر سنة ١٣٥٢هـ ـ ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣م: وُقِّعت اتفاقية استخراج البترول، وقَّعها عن الحكومة العربية وزير المالية ووقَّعها عن شركة ستندرد أويل كاليفورنيا ل. ن. هاملتون ـ وهي لمدة ستين سنة، وتحتوي على ثلاثة وثلاثين مادة، وقد صادق عليها الملك في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ، وقد قال أحد أُدباء الأحساء في هذه المناسبة:

منذ العدو لنا من كيده شبكة حتى تميدنا في هذه الشركة

أضحى يعلمنا الدينار أن له سرًا يؤلِّف بين الضبِّ والسمكة

المعاهدة بين المملكة العربية السعودية وإمارة شرق الأردن

وفي ٥ ربيع الثاني من هذه السنة: عقدت معاهدة صداقة وحسن

جوار بين المملكة العربية السعودية وبين إمارة شرق الأردن حددت علاقات وحقوق كل منهما إزاء الآخر وأوضحت ما يتبع كل منهما من البوادي وهي تحتوي على أربعة عشر مادة، وبروتوكول تحكيم يتضمن تسعة مواد، وملحق يتضمن سبع مواد أيضًا في توضيح الشهادات لإعادة المنهوبات، والوساقة، والعرايق، والدية، والتعويض عن الخسائر والخدمة، وتعريف البدو، ويتبعها كتب متبادلة ستة.

وقد صدق عليها الملك في ١٢ رجب سنة ١٣٥٢هـ ـ ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٣م، ثم صدق عليها الأمير عبد الله وتبودلت النسخ المبرمة في مدينة القاهرة بواسطة معتمد الملك (فوزان السابق) وفؤاد باشا الخطيب عن إمارة شرق الأردن في ٤ رمضان [. . .].

حادثة قتل سليمان الدكماري

كان في مدينة تدمر امرأة فرنساوية اسمها (مدام داندبران) تدير فيها فندقًا، فتعرفت بسليمان الدكماري من عنيزة، وكان يتردد على فندقها فمالت إليه وفي أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٥١هـ، اعتنقت الإسلام في مدينة حيفا أمام [. . .] الإسلامية المسؤلة عن النظر في شؤون طالبي اعتناق الإسلام واستحصلت على رخصة من حاكم لواء حيفا بالانتقال من طائفتها الدينية الأصلية إلى الطائفة الإسلامية، وقد أتمّت الإجراءات اللازمة لذلك وتَسمَّت بزينب، ثم عقدت زواجها على سليمان الدكماري، وسافرت معه إلى جدة، فوصلا يوم ٩ ذي الحجة، ونظرًا للشروط في البلاد على الذين يعتنقون الإسلام حديثًا فإنه لم يسمح لها بالتوجه إلى مكة للحج مع زوجها بل بقيت في جدة تنتظر عودته، وبعد الحج شرع الرجل

وزوجته في اتخاذ التدابير المفروضة نظامًا على معتنقي الإسلام حديثًا بقصد الحصول على رخصة الحكومة للسفر في بلدة سليمان في نجد، وبينما كانت الإجراءات سائرة في مجراها المعتاد توفي الرجل على [. . .] علاج ادعى أنه تناوله من زوجته، وقد اتهمها الرجل ساعة الاحتضار بأنها هي التي أعطته العلاج، فأُلقي القبض عليها وأُودعت السجن رهن التحقيق والمحاكمة، وبعد ذلك جرت المحاكمة للمتَّهمة في جدة من ٢٣ صفر، واستغرق أخذ إفادة المتَّهمة وشهادات الشهود والإجراءات القضائية الأخرى بضع جلسات، دوَّن القاضي حكمه في [. . .]، ونظرًا لطوله اكتفينا بأخذ خلاصة فقرة الحكم وإليك نصها:

نظر القاضي في الدعوى الأصلية والدعاوى الفرعية المتولدة منها، وأصدر قراره في كل منها على حدة، وهي: أولاً: [. . .] صحة الزوجية بين المتَّهمة والمجني عليه بالوثائق الكتابية الصادرة من الجهات الاختصاصية في مكان [. . .].

حوادث سنة ١٣٥٢هـ

ثانيًا: لم يتمكن المدعي من إثبات التهمة على المذكورة، ولم يتمكن من إيراد أية قرينة إلاَّ أقوال نُسبت إلى المجني عليه، وهو في حالة النزع يلقي بها التبعة على زوجته، ونظرًا لعدم قيام الدليل على ذلك من جهة، ونظرًا لأخذ القاضي بنظر الاعتبار، الخصام الذي كان واقعًا بين الزوجين وخشية من أنْ يكون قصد المجني عليه الانتقام من زوجته وغير ذلك من الأسباب الشرعية الموضحة في الصك، فقد أصدر القاضي حكمه ببراءتها من جريمة تسمُّم زوجها وبعدم تعرُّض الورثة لها.

ثالثًا: أصدر القاضي حكمه في الإرث بعدم جواز إرث المتّهمة للمجني عليه.

رابعًا: وقد حكم على المتّهمة بالتعزيز لثبوت خلوتها بأجنبي عنها.

ونظرًا لأن المدة التي قضتها في السجن هي المدة التي حكم بتعزيزها فيها فقد أطلق سراح المذكورة من السجن.

وفاة عبد الله بن أحمد العجيري

«راوية الأدب في جزيرة العرب»

في شهر ربيع الأول من هذه السنة انتقل إلى دار البقاء راوية نجد وأخبار العرب ونوادرهم الشيخ عبد الله بن أحمد العجيري وقد وافاه أجله المحتوم في بلده حوطة بني تميم عن عمر يبلغ سبعة وستين سنة، فقد ولد في الحوطة سنة خمسة وثمانين ومائتين وألف هجرية، كان رحمه الله آية في الرواية، وقد ذكرنا شيئًا من حاله في مسيره مع الإمام عبد العزيز إلى الحجاز لأول مرة سنة ١٣٤٣هـ مما نقلناه عن الريحاني بروايته عن يوسف ياسين، نجد ذلك في ص، ٩٥، ٩٦ من هذا الكتاب مما لا حاجة إلى إعادته لأنه في متناول اليد.

وخلاصة القول إنه كان راوية حافظًا، حسن الصوت حسن الإلقاء، فاهمًا لما يحفظ، عالمًا بأسرار المعاني، خبيرًا بدقائق فنون البلاغة، وبدقائق النكت النحوية مما لا يفطن له إلّا العالم النحرير في ذلك.

ويروى أن جده كان من العلماء.

أما المترجَم فقد كان أكثر تحصيله كان من عكوفه على الدرس

والمطالعة بنفسه، ولقد آتاه الله من قوتي الحافظة والذاكرة ما ساعده على النبوغ في فنه الذي لم نر له ندًا فيه بين الذين عرفنا من الرواة والحفاظ، إذ يقال عنه: إنه إذا رغب في حفظ قطعة منظومة ومنثورة عمد إلى كتابتها على القرطاس، فتنطبع في ذهنه، بمجرد كتابتها مرة واحدة وكان يحفظ القرآن الكريم وبعض كتب الحديث، لا سيما مسند الإمام أحمد بالرواية، ويقال عنه، إن يحفظ من كتب الأدب «أدب الكاتب» جزء «والأمالي» ثلاثة أجزاء، ويحفظ قسمًا كبيرًا من «الأغاني» وهو واحد وعشرين جزءًا، «والبيان والتبيين» ثلاثة أجزاء، «وروضة المحبين» جزء، «والآداب الشرعية» ثلاثة أجزاء، ودواوين شعرية مختلفة كثيرة.

وهنالك كتب أخرى دينية تاريخية وأدبية يروي الشيء الكثير منها، وكان رحمه الله قد حج في موسم السنة الماضية وغادر مكة بصحبة الملك عبد العزيز وسافر، إلى الحوطة حيث وافاه أجله تغمده الله برحمته وعوض نجدًا عنه خيرًا، وأظهر فيها مَنْ يحيي آثار السلف الصالح باستظهار أخبارهم ونشر أخلاقهم العالية، فقد فقدتْ نجد بفقده نابغة من نوابغ أبنائها الذي يضنُّ الزمان بمثلهم.

الوفد الثالث إلى صنعاء

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة سافر وفد رئيسهُ خالد أبو الوليد القرقني إلى صنعاء لمفاوضة إمام اليمن بشأن الحدود، ولعقد معاهدة بين الحكومتين، وبينما الوفد في طريقه إلى صنعاء احتلت جنود الإمام اليمن نجران السعودية، وفتكوا بأهلها فتكًا ذريعًا، ولما وصل الوفدُ صنعاء حجز على حريته نحو أربعين يومًا، ولم يتقدم أحد لمفاوضته، وبعد مراجعات

عديدة بين ابن سعود وإمام اليمن، عيّن هذا مندوبين من قبله وجرت المفاوضة ولم يصلوا إلى نتيجة، فرجع الوفد السعودي في ربيع الثاني، وسافر إلى الرياض، وقدم تقريره إلى الملك، واشتدت المخاوف بعد ذلك، فأمر ابن سعود بحشد قوات على الحدود، وأمرهم يرابطون هناك إذ اتضح له سوء نية إمام اليمن وأخذت المراجعات تدور بينهما.

وفي شهر شعبان نشبت تجهيزة الإدريسي واتفاقة الثورة، مما أدى إلى مضاعفة التجنيد، فأرسل ابن سعود الجنود يُعزز قواته على الحدود.

وفي شهر رمضان يأمر جلالتكم إلى الولد عبد الله الوزير أن يشترك مع رجالكم لإكمال التحقيق للوصول إلى منبع، وأساس هذا العدوان الخبيث، ونرجو من جلالتكم الأمر بإنبائنا بنتايج البحث ونسأل الله حياطتكم وأسرتكم عن كل سوء ومكروه والسلام.

* * *

من ملك اليمن الإمام يحيى محمد حميد الدين إلى جلالة حضرة الأخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن إنه ليكاد القلب ينفطر لوصول جواب جلالتكم أمس السبت بصحبة رسولينا بتلك الرقة واللطافة الأخوية الصادقة، وما أخبر به الرسولان من حسن عواطف جلالتكم الوحيدة، وعواطف حضرة صاحب السمو ولي عهدكم حفظه الله، ولم يستقر لنا والله قرار لهذه المكيدة العظمى المدبرة بيد خاسرة، وزادنا أسفًا وكذا وصولها في الوقت الذي وصلنا فيه كتابكم المشار إليه.

ولا بد يجتهد الأعداء لنسبة تلك الحادثة إلينا بكل صورة، ونحن والله أبرياء براءة الذئب من دم يوسف، وإنّ ذلك مدبّر لإفساد

ذات البين، وبذر العداوة والبغضاء، وقد كتب الله، ولله الحمد السلامة، وأخزى الله الأعداء وكبتهم، وإننا نكتب هذا والقلب يتفطر كمدًا، والعين تذرف أسفًا، ونرجوا الله أن يكشف الحقيقة بإظهار جلية حال المعتدين، وأين كانوا قبل أنْ يحجوا ومن أي طريق سلكوا، ونسأل الله أن يوفقكم لمعرفة ذلك، وتفضلوا برفع ما ألم بنا من أنواع الأحزان ولكم النظر.

* * *

أما برقية وزير خارجية اليمن فقد أبدى فيها أعمق الأسف والتأثر، وصبّت اللعنات على المعتدين، ويقول إن الزلات غير ممكن لنا تسليم شخصية المتجاوزين يمينيون، ولكن إذا ثبت وتحقق نسبتهم إلى اليمن فلا شك ولا شبهة ذرة ماء إن صار اشتراوهم من جهة خارجة اليمن.

جواب الملك عبد العزيز على برقيات إمام اليمن.

حوادث سنة ١٣٥٢ هـ

احتلت جنود الزيود بعض المواقع في تهامة بقيادة عبد الله بن الوزير عبد الوهاب الإدريسي، وكادت الحرب تقع بين الحكومتين لولا أنّ إمام اليمن طلب عقد مؤتمر في أبها للنظر في الأمور المختلف عليها، فانعقد المؤتمر من أول شهر ذي القعدة إلى أواخره، ولم يتغير موقف إمام اليمن ومطالبه، ففشل المؤتمر إزاء تعنّت اليمن، كما فشل ما قبله من المؤتمرات، فرأى ابن سعود أنّ الأمر لا يحل إلاّ بالسيف فأعلن الحرب على اليمن في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٥٢هـ الذي انتهت بخذلان إمام اليمن واحتلال بلدانه، فانعقدت المعاهدة التي أرجعت جميع حقوق نجد،

وحددت الحدود وقد فصّلنا ذلك واستوفيناه في كلامنا على اليمن في أول هذا الكتاب فارجع إليه.

حوادث سنة ١٣٥٣هـ

وفي شهر محرّم وصل هيئة من رؤساء العرب البارزين للسعي بالصلح بين الملك عبد العزيز وإمام اليمن وهم الأمير شكيب أرسلان، والسيد أمين الحسيني، وهاشم بك الأتاسي، ومحمد علي علّوبه، وتوجهوا إلى الطائف وقابلوا الملك فتدخلوا في الرأي وتم الصلح، وتوقف القتال وحررت المعاهدة ورجعت إلى أفضل مما كانت عليه، وقد فصلنا ذلك في كلامنا على اليمن.

٢٣ ديسمبر ١٩٣٤م

نقابة التعدين

وفي ١٧ رمضان من هذه السنة عقدت اتفاقية بين حكومة الملك عبد العزيز وبين كارل سابن لوتشل بالنيابة عن نقابة التعدين لاستخراج المعادن، وهذه الاتفاقية تشمل ثمان مواد إلى مدّة ستين سنة شمسية، وصادق عليها الملك في اليوم الثامن من ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ، ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥م.

وصل طلعت باشا حرب إلى الحجاز بطيارة لبعض شؤونه فطلب من بعض أعيانه الحجاز الركوب بطيارته للتحليق بهم على جدة وما حولها، وممن حضر أحمد الغزاوي الشاعر، وقد طلب منه بعض أصدقائه الركوب. بالطيارة فتوقف وتهيب فسابقه أحد أصدقائه في مقالة يمازحه فيها، فرد

عليه بالشعر الآتي يدافع فيها عن نفسه ويؤول تردده ذلك وامتنانه بما يراه القارىء في هذه القصيدة التي نشره تحت العنوان الآتي:

دعابة جادة

يـؤنبني علـى خـوفي جـريئي ... تَقَحَّم فـامتطـى الجـو اختبـارا

قـدمت إلى المطار وفي فؤادي ... خـواطـر نقعهـا أمسـى مثـارًا

تـردد بيـن سَمعـي انتهـارا ... أصخت إليهـا كـرهًـا واختيـارًا

تمهـل وانظـر الخُمْـسَ ابتـداء ... إذا مـا النسـر خَـفَّ بهـم وطـارًا

وفـاجـأني الـرفـاق بكـل جـد ... أن أقـدِم قلـت لا أجـد اضطـرارًا

ولا أنـا بـالـذي فـي الجـو أبـدو ... كـأكثـر لا ولا أغـدوا كنـارًا

وأشجـانـي التـريث رغـم أنني ... قـد هـالنـي الأمـر افتكـارًا

فـرجحت التـوقف فعـاجلـوني ... نفثـت وعـدت أدراجـي فـرارًا

ولـو يـدري حقيقـة مـا بنفسـي ... لبـدل لـومـه منـي اعتـذارًا

تحلـق بـي إلـى الأفـلاك عـزمًا ... وتهبـط إلـى القـاع ادّكـارًا

ونـاجتني الهـواجس فـي هـدوء ... حـذار فمـا تـرى إلاَّ اغتـرارًا

ودأبُ العقـل تفكيـر وريـث ... ولا سيمـا إذا خشـي العثـارا

فلجـوا حيـث لا أدري النفـس ... دعـاء الـزهـد ويُطـلُّ أغـارًا

ولكـن جـولـة فيهـا جـديـد ... كيـوم غـد مـن الـرائـي تـدارًا

وجا عربي الخيال على التحايا ... وإن ألقـن مـا يـرمـع ابتكـارًا

ولسـت بـأول النـابتـي عنهـا ... فكمـا لاقيـت أمثـالـي جهـارًا

١٣٥١هـ

المراكز اللاسلكية

المدينة المنورة ــ أبها ــ جبران ــ صبيا ــ القنفذة ــ ينبع ــ رابغ ــ العلا ــ الوجه ــ الجوف.

التلفون في الرياض

أسست إدارة البرقق والبريد مركزًا عامًا للتلفون في بلدة الرياض، حيث تمّ ربط الدوائر الرسمية وغيرها بشبكة من الأسلاك التلفونية.

ثورة السيد حسن الإدريسي في عسير

وفي هذه السنة ثار السيد الحسن الإدريسي في عسير بإغراء الشريف عبد الله أمير شرق الأردن، وذلك بعد القضاء على حركة ابن رفادة الذي تقدم ذكرها، وقد هرب الإدريسي والتجأ إلى إمام اليمن يحيى حميد الدين وقد شرحنا منه هذه الثورة في كلامنا على عسير، فليرجع إليه وقد استغرق إخماد الثورة وإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه إلى أخر هذه السنة.

١٣٥٢هـ

المبايعة بولاية العهد للأمير سعود بن عبد العزيز

وفي شهر محرم من هذه السنة قرر مجلس الوكلاء والشورى مبايعة الأمير سعود بن عبد العزيز بولاية العهد، وقدموا إلى الملك عبد العزيز قرارهم بذلك للمصادقة عليه، فوافقهم وصدق عليه، وإليك نص القرار المذكور بعد المقدمة.

أما بعد فإن حضرة صاحب الجلالة ملكنا العادل الموفق ناصر السنة، قامع البدعة «عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود» ملك المملكة العربية السعودية أيد الله ملكه وأمد في عمره، وأدام تأييده ونصره، ووفقه إلى طاعته ومرضاته، لما رأى في حكمته الساهرة على راحة رعاياه، والعاملة على تثبيت دعائم هذا الملك العربي الوطيد، وتشييد أركانه وإدامة تسلسله أن يجيب طلب رعاياه ويوافق على تعيين شكل واضح ثابت لولاية العهد كما ورد في أمره الملكي الكريم الصادر في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢هـ، وأن يسير في ذلك على المنهاج الشرعي الذي سار عليه خلفاء المسلمين وملوكهم، وأن يعقد: البيعة بولاية العهد على ما كان مستجمعًا للشروط الشرعية المرعية.

هذا ولما كان حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة، قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توافرها فيمن يخلف ولي الأمر أمدَّ الله في عمره، وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع، فإننا عملاً بالمأثور في المبايعات نبايعه وليًا لعهد المملكة العربية السعودية نبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنَّة رسوله، ونسأل الله له الهداية والتوفيق، ونضرع إليه تعالى أنْ يمد في عمره وعمر والده العادل الموفق خلّد الله ملكه، وقد أخذنا هذه البيعة لسموه عند أنفسنا وعلقناها بأعناقنا، ونشهد الله على ذلك، والله خيرُ الشاهدين وما هو الواقع يوم الخميس المبارك ١٦ محرم سنة ١٣٥٢هـ من هجرة سيد المرسلين الموافق ١١ مايو سنة ١٩٣٣م.

رئيس الوكلاء ومجلس الشورى

فيصل

قاضي مكة المكرمة

أحمد قارى

عضو هيئة التدقيقات

محمد المرزوقي

رئيس القضاء

عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ

أعضاء مجلس الوكلاء ومجلس الشورى

يوسف ياسين، فؤاد حمزة، عبد الله السليمان الحمدان، عبد الله المحمد الفضل، صالح شطا، محمد شرف رضا، عبد الله الشيبي، عبد الوهاب، محمد مغيري، عبد الوهاب عطار، أحمد إبراهيم غزاوي، عبد الله الجفالي، حسين عبد الله باسلامه، نائب محرم.

بماذا أكتب هذه المبايعة

وقد تم نسخ هذا القرار على ورق من ورق الغزال الغامق، وتم التوقيع عليه يوم الخميس المذكور، وحمله أعضاء المجلسين وقدموه إلى الملك عبد العزيز في الساعة الثالثة من ذلك اليوم، فأصدر أمره السامي بالموافقة عليه، وقرر الاحتفال به يوم الإثنين.

المملكة العربية السعودية

كانت المفاوضات بإعطاء امتياز البترول جرت قبل هذا التاريخ، ولمّا تتم لأن من نظام الشركات أن لا تتعاقد إلاَّ مع دولة لها نظام توارث العرش يعني فيه ولي العهد للمملكة، وكان الملك عبد العزيز اعتزم تقرير هذا النظام وتعيين ولي العهد ليتم عقد الاتفاقية المشار إليها ولكن ثورة ابن رفادة أخرت ذلك، لما أخمدت لم يبق مانع يحول دون ذلك، فقرر أولاً تغيير اسم المملكة وأن يجعله اسمًا شاملاً لأجزاء المملكة، فأمر أن يكون الاسم الجديد «المملكة العربية السعودية» بدلاً من اسمها السابق مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ــ فأصدر أمرًا رسميًا بذلك هذا نصه:

أمر ملكي رقم ٢٧١٦

بعد الاعتماد على الله، وبناءً على ما رفع من البرقيات من كافة رعايانا في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، ونزولاً على رغبة الرأي العام في بلادنا وحبًا في توحيد أجزاء هذه المملكة العربية ـ أمرنا بما هو آتٍ:

المادة الأولى: يحوّل اسم المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها إلى ــ اسم ــ المملكة العربية السعودية، ويصبح لقبنا بعد الآن «ملك المملكة العربية السعودية».

المادة الثانية: يجري مفعول هذا التحويل اعتبارًا من تاريخ إعلانه.

المادة الثالثة: لا يكون لهذا التحويل أي تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات الدولية التي تبقى على قيمتها ومفعولها، وكذلك لا يكون له تأثير على المقاولات والعقود الأفرادية بل تظل نافذة.

المادة الرابعة: سائر النظامات والتعليمات والأوامر السابقة

والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعذ هذا التحويل.

المادة الخامسة: تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة مؤقتًا إلى أن يتم رفع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد.

المادة السادسة: على مجلس وكلائنا العالي الشروع حالاً في وضع نظام أساسي للمملكة، ونظام لتوارث العرش ونظام لتشكيلات الحكومة وعرضها علينا لاستصدار أوامرنا فيها.

المادة السابعة: لرئيس مجلس وكلائنا أن يضم إلى أعضاء مجلس الوكلاء أي فرد أو أفراد من ذوي الرأي حين وضع الأنظمة السالفة الذكر للاستفادة من آرائهم والاستنارة بمعلوماتهم.

المادة الثامنة: إننا نختار يوم الخميس الواقع في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ، الموافق لليوم الأول من الميزان، يومًا لإعلان توحيد هذه المملكة العربية ونسأل الله التوفيق، صدر في قصرنا في الرياض في هذا اليوم السابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ بأمر جلالة الملك نائب بجلالة فيصل..

التوقيع ـ عبد العزيز

شبكة المواصلات اللاسلكية
في أنحاء البلاد العربية السعودية

في هذه السنة اهتم الملك عبد العزيز في ربط أجزاء المملكة كلها بشبكة من الخطوط اللاسلكية، وكان آخرها مركز اللاسلكي الكبير الذي تم تركيبه في الرياض في أواسط شهر شوال في هذه السنة، وبهذا يصبح في المملكة ثمانية وعشرين مركزًا لاسلكيًا تُجرى عليها المخابرات لكافة

الأنحاء، ومن هذه المراكز تسعة عشر مركزًا برقيًا وتلفونيًا في آن واحد، أربعة منها نقّالة موضوعة على سيارات لاستخدامها في التنقُّلات، وهذا المشروع يعتبر الأول من نوعه في جزيرة العرب. وإليك جدول بأسماء المراكز اللاسلكية في كافة أنحاء المملكة:

المراكز اللاسلكية التلفونية

مكة ـ الرياض ـ جدة ـ بريدة ـ الأحسا ـ حائل ـ القريات ـ تبوك ـ القطيف ـ جيل ـ الطائف ـ الليث ـ الدرادمي ـ القتير؛ وهذا الأخير نقل فيما بعد إلى نجران.

وفي يوم الاثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٥١هـ ازدانت البلاد بالزينة؛ واجتمع جماهير الأهلين من كافة الطبقات بالمسجد الحرام واصطفت تلامذة المدارس الأميرية والأهلية على جانبي الطريق الممتدة من القصر الأميري في الغزة إلى جانبي مدرسة الفلاح ومن هناك اصطفت الجنود والشرطة حتى المسجد الحرام.

الأمير فيصل

وفي الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين وصل الأمير فيصل حيث المحل المخصص له عند المطاف، فافتتح رئيس المحكمة الشرعية الكبرى، وتلاه الشيخ محمد الشيبي صاحب مفتاح بيت الله الحرام، وقد كان واقفًا في مدخل الكعبة وكان رئيس الموقتين في مشرقة التوقيت يردد التأمين على الأدعية للملك وسمو ولي العهد والأمراء آل السعود وعند ذكر الملك أطلقت قلعة أجياد إحدى وعشرين مدفعًا.

المبايعة

ثم سار الأمير فيصل، ومعه مندوبو كافة الطبقات من موظفين وأعيان، وتجّار وصنّاع، وجماعير غفيرة إلى الرواق الواقع بباب الصفا، وأخذ المبايعون يتقدون إلى الأمير فيصل بالبيعة الشرعية، بولاية العهد بالنيابة عن الأمير سعود واستمر ذلك مدة تقرب من الساعة.

سفر وفد المبايعة إلى الرياض

وفي ليلة الخميس محرم سنة ١٣٥٢هـ غادر الوفد الذي يحمل صك البيعة لولاية العهد، وهذا الوفد يتألف من الأمراء المذكورة أسماؤهم تحت رئاسة الأمير فيصل، ومعه أعمامه أحمد ومساعد، وإخوته محمد وخالد، وأبناء عمه خالد بن محمد وفيصل بن سعد وفهد بن سعد وسعود بن سعد، وعبد الله بن الأمير فيصل، والأمراء تركي بن عبد الله وسعود بن عبد الله ومحمد بن سعود بن عبد الله.. وغيرهم.

وفد الحجاز إلى الرياض

وقد رافق الأمراء وفد من مجلس الشورى يتألف من الشيخ عبد الله الشيبي، والسيد عبد الوهاب نائب.

الاحتفال بالمبايعة في الرياض

وفي ٢٦ محرم وصل وفد البيعة إلى الرياض، وفي اليوم التالي الاثنين ٢٧ محرم أقيمت حفلة إعلان البيعة بولاية العهد [...] هذا اليوم اجتمع الأمراء من آل السعود والعلماء والأعيان في القصر

الملكي، وتصدر المجلس الأمير محمد بن عبد الرحمن ويليه الأمير سعود بن علي ثم سائر الأمراء من آل السعود الأكبر، فالأكبر ثم الأمراء من آل الرشيد وجلس على اليسار المشايخ والعلماء والأعيان ووفد الحجاز [. . .] المجلس تليت برقية الملك، وكتابه الذي أرسله مع وفد البيعة ولما انتهى من تلاوته وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف فتكلم ونصح وشكر للملك ما قام به من أمر البيعة وعدد خدمات الملك للإسلام والمسلمين، ثم تكلّم الشيخ عبد الله الشيبي عن الشورى وهنأ الأمير سعود بولاية العهد بالنيابة عن أهل الحجاز وتلاه أحمد إبراهيم غزاوي فألقى قصيدة هنأ بها الأمير سعود ولي العهد ثم وقف الأمير محمد بن عبد الرحمن الفيصل فتكلم بكلام مملوء بالعواطف النبيلة والروح السامية، وأثنى على أخيه الملك وعدد خدماته للبلاد ومآثره، ثم صافح الأمير سعود وبايعه بولاية العهد على كتاب الله وسنّة رسوله وعلى السمع والطاعة، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، وأعطى على ذلك عهد الله وميثاقه، ثم تلاه سعود بن عبد الرحمن وسعود بن عبد العزيز السعود ثم الشيخ محمد بن عبد الله وبقية المشايخ ثم الأمراء من ال السعود، ثم الأمير عبد الله المتعب وبقية آل الرشيد، ثم أعيان البلاد وكبار العائلات [. . .] البادية الموجودون في الرياض، ولما تمت المبايعة أدب الأمير محمد بن عبد الرحمن مأدبة كبرى حضرها الأمراء والمشايخ والأعيان [. . .].

وفي اليوم التالي أقام سعود بن عبد الرحمن مأدبة أخرى وبعده الأمير خالد بن عبد العزيز، وبعده خالد بن محمد آل مهنا أقام مأدبة كبرى.

تابع المقتطف من اعترافات

الجاسوس الذي قبض عليه في الحجاز سنة ١٣٥١ هـ

وكانت المحادثة تدور بين أيام الحسين وأيام آل سعود، وأفاضوا في ما عمله النجديون من تخريب الحجاز وقتل أبرارها بدعوى أن العالم كله كافر في عرفهم وهم المؤمنون، ثم أفهموني أنهم ألفوا رابطة حجازية لجمع الحجاز تحت لوائها والعمل على ردّ آل الحسين، وإخراج ابن سعود، ودعوني للارتباط بهذه الجمعية فرضيت، وصرتُ أدفع شهريًا عشرة قروش مصرية إلى الصندوق، ثم أوضح أسماء أعضاء هذه الرابطة من رئيس أو أمين صندوق أو عضو عامل، ثم قال إن لهم أعضاء يتبعونهم في العراق وفي الحجاز من القاطنين فيها ومن المتطوفين الرؤساء... وغيرهم...

ولم تذكر أسماءهم جريدة أم القرى، ثم ذكر الاصطلاحات التي يتخاطبون فيها مع من بالخارج، وهي رموز لا معنى لها إلاّ عند المصطلحين عليها، ولا يمكن أن يعرف المطلع على كتاباتهم شيء يدل على معنى، ولا نرى فائدة من شرحها.

ثم ذكر انتدابهم إياه لاستطلاع حالة البلاد الحجازية اقتصاديًا وسياسيًا، وحالة السكان وميولهم وقال: إن الأمير عبد الله أرسل إلى الرابطة بمصر على لسان الحزب يطلب فيه إرسال شخص إلى الحجاز ليوافي الرابطة عن ثلاثة أمور.

الأول: عن ما تكون عليه الحالة المالية من أزمة الحكومة الحالية.

والثاني: عن ما يكون فيها من حوادث أو تعزيز سيحدث أو يصير حدوثه.

الثالث: أن يوافيها بكل صغيرة وكبيرة حين جلوسه في الحجاز لقاء ثمانية وستون جنيهًا أقساطًا وعشرة جنيهات معاشًا شهريًا.

ثم ذكر تردده على الحجاز وأعماله فيها، ثم قال: وحيث إن هذا الأمر من الأمير عبيط نريد أن نشرح أنّ الأمير عبد الله أرسل إلى زيد أخيه، فأرسل إلى الرابطة يطلب منها أن ترسل إليه أسلحة. فردّت عليه الرابطة أنه في الإمكان، وقد عملت التدابير اللازمة لإرسالها، والمطلوب إرسال المبلغ المراد به الشراء.

ثم جاء الجواب من الأمير إلى الرابطة يفيد بإرسال فلان من القدس الشريف إلى مصر يحمل أوراقًا مصرية حيث إن الرابطة أبدت عدم رغبتها بالإرسال من طريق البريد أو حوالة حتى لا تحصل شبهات.

وعلمنا من إدارة الرابطة بإخراج أسلحة عن طريق عدد ٦ بالإسماعيلية باتفاق مع قومندان خفر السواحل وعن طريق القنطرة باتفاق مع مفتشها، والأسلحة هي عبارة عن بنادق ورصاص وخناجر ولم يكن فيها لا سيوف ولا مدافع ولا قنابل، وإن هذه الأسلحة قديمة ومستعملة شتريت بأمر الأمير عبد الله مباشرة، ثم خرجت عن طريق سيناء بحيث لا تصل العريش، إذ فيه القوة المصرية فتضبطها وخرجوا عن طريق الآبار المرة حيث تصل إلى العقبة برًا في صحراء نقرا.

* * *

هذا ما اخترنا نقله من التقرير المذكور وإننا نعلم أن ما أردنا

الاستدلال عليه أوضح من أن يحتاج إلى تدليل أما الجاسوس المذكور فقد نفّذ فيه حكم الإعدام يوم الجمعة ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ في مكة.

وفي اليوم نفسه نفّذ حكم الإعدام أمام سراي الحكومة في الرجل المدعو سعيد نوري والرجل المدعو محمد علي حمادة لارتكابهما جريمة القتل بإعطائهما فهد بن محمد الفهد الحمدان مسحوقًا مخدرًا لغاية سيئة، ووفاته من هذا المخدر ونظرًا لإقرارهما فقد حكم عليهما الشرع الشريف بالقتل فنفّذ فيهما بعد صدور الإرادة الملكية.

وفاة قائم مقام جدة ــ في الطايف

في مساء يوم الأربعاء ٢١ ربيع الثاني توفي إلى رحمة الله في بلدة الطائف علمٌ من أعلام الحجاز الشيخ عبد الله علي رضا قائمقام جدة على أثر أمراض اعترته في صيف هذا العام بعد وصوله إلى الطايف، وبقي مدة شهرين وهو يعاني ألم تلك الأمراض إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وقد شيّعت جنازته بكل وقار واحترام وصلي عليه في مسجد ابن عباس وقد حضر الصلاة الملك عبد العزيز وابنه فيصل، ولقد كان الحزن عليه عامًا في الحجاز لما يتمتع به من شهرة طيبة في أعمال الخير.

ونشرت جريدة هند جديد التي تصدر في كلكته بعددها الصادر في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٥١هـ مقالاً طويلاً نقتطف منه ما يأتي.

إخماد ثورة ابن رفادة

لا ريب أن آمال الإسلام كلها منوطة بأرض الحجاز المقدسة نظرًا لأن الأنوار الإسلامية لا تسطع إلاَّ من أرجاء الحجاز وأنحائه ولذا يتوقف نهوض الإسلام وتقدمه على تقدم الحجاز ونهوضه، وهذه الحقيقة هي

التي أقلقت بال الأعداء وحار من أجلها أولئك القوم فشرعوا في اتخاذ التدابير المقوية لقلب نظام الحكم الحالي وإبادة هذه الحكومة، حتى لا يتمكن الحجاز بعد ذلك من النهوض والقيام وهذه الدسائس العدوانية لا تزال مستمرة في أعمالها، فقد وجدوا من ابن رفادة الذي باع نفسه لقاء دراهم معدودة أن يكون أكثر بيد الأجانب ضد بلاده ووطنه ودينه.

وابن رفادة هذا كان من رؤساء قبيلة بلي، وقد كان ترك الحجاز بعائلته منذ سنوات ودخل في الأراضي التابعة لحكومة بريطانيا، ومن المعلوم أن شرق الأردن أصبح مركزًا منذ سنوات للدعايات الكاذبة والدسائس والمؤامرات التي تعمل ضد الملك ابن السعود، دفعوا ابن رفادة وهم يعتقدون أنه بمجرد دخوله حدود الحجاز تقوم معه قبيلة بلي التي هو كان أحد رؤسائها وتساعده في حركته، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث أملوا أن قبائل جرب وشمر والحويطات لا تتأخر عن النهوض وإعلان العصيان، وبذلك تنشب الفتة والاضطراب، وقد اختاروا هذه الظروف لتسيير علم البغاة لاعتقادهم أن الأزمة المالية حلّت بحكومة الحجاز، وكذلك الحجازيون متضجرون، فأيقنوا أن الأهالي يقومون من أجل النهب والسلب بسبب حالتها المالية لا تستطيع مقاومة الثوار.

ولكن هؤلاء المفسدين نسوا أو تناسوا عن حقيقة واحدة والتي هي في الدرجة الأولى من الأهمية والاعتبار ونحن قبل التصريح بها نرغب أن ينصت لها مسلموا الهند ويسمعوها بالتفات خاص، لئلا يغتروا بالدسائس التي تعمل في بعض الأحيان في الهند من جانب بعض الأشرار لإلحاق السوء والضرر بحكومة الحجاز، وتلك الحقيقة هي لا توجد على وجه الأرض حكومة مثل حكومة جلالة الملك ابن السعود تلك الحكومة التي

لا تحكم على أجسام رعاياها فحسب، بل تحكم على قلوبهم أيضًا، ولا يخفى أننا لا نعني بهذا قبائل نجد فقط بل إنَّ قبائل الحجاز أيضًا قد اشتركت في نهضة جلالته الدينية ولذلك لا يوجد فرق بين عقائد النجديين والحجازيين.

إلى إن قالت فمن هذا الإيضاح يتبين أن إزالة حكم جلالة الملك ابن السعود من الحجاز أمر صعب جدًا، ومحال تقريبًا لعلمنا بأن عموم القبائل أصبحت تدافع وتحامي عن كافة مشاريعه الدينية والسياسية والحربية بقلوبها وأرواحها، وهذه العقيدة التي رسخت في أذهانهم وتمكّنت من قلوبهم لا يمكن لأكبر قوة في العالم أن تزيلها.

ألا فليتنبّه المفسدون لهذه الحقيقة الناصعة وليطلع الأعداء والأشرار ودعاة السوء عن دسائسهم؛ فإنها بحول الله تعالى لن تضر حكومة الملك ابن السعود أبدا وإنما تكون سببًا لإراقة دماء بعض البدو المغفلين، ونعتقد أن حادث ابن رفادة يستفتح عيونهم ويكون مثالاً وعبرة لمن اعتبر به، ويسرّنا إعلان حكومة الحجاز بهلاك المفسدين ابن رفادة مع ولديه وتغلّبها على الفتنة.

* * *

هذا ما اخترنا نقله من أقوال الجرائد العربية والهندية كأنموذج لرأي العالم الإسلامي في هذه الحركة واستنكاره لمن قام بها أو دفعها، وقد ترى من شتى التعليقات أنهم مجمعون على أنّ هذه الشرذمة مدفوعة من يد أجنبية بواسطة بعض الآلات المسخّرة من صنائعها الذين قيّضهم الله لهدم شرف أمّتهم وأوطانهم، وإذا اقتصرنا في الكلام عن أعمال هذه الحشرات

السامة فما ذلك عن جهل منّا بأعمالهم ولكن خوفًا من أن نفهم بالتحيز، فأوردنا هذه التعليقات لتكون أبلغ في الدلالة على أنّ أمير شرق الأردن لم يتكتم في عمله هذا ولكن هل اعتبر بنتيجة عمله، كلا فإن فشله من هذه الناحية ضاعف قوته على العمل في الناحية الجنوبية، فأرسل هيئته[1].

حادثة الاعتداء على الملك عبد العزيز في الحرم
أثناء طواف الإفاضة

أصدرت الحكومة بلاغًا رسميًا في حادثة الاعتداء على الملك مختصرًا قبل التحقيق بعد الاعتداء مباشرة لأجل تطمين الناس على سلامة الملك وولي العهد، ثم أصدرت بعده بلاغًا رسميًا مستوفى نجد نصه أدناه:

بلاغ رسمي

في الساعة الواحدة عربية صباحًا يوم الجمعة الواقع في العشر من ذي الحجة شرع حضرة صاحب الجلالة الملك المعظّم وحضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد ورجال حاشيتهما وحرسهما الخاص وثلّة من الشرطة بقيادة مفوض شرطة الحرم في طواف الإفاضة، وكان الحرس والشرطة تواكب جلالة الملك وسمو ولي العهد من الأمام واليمين والخلف، وكان البيت على اليسار ولا يفصل بينه وبين جلالته وسموه أحد من الحاشية والحرس وبعد انتهاء الشوط الرابع اُلتزم جلالة الملك الحجر الأسود، وتقدم في سيره إلى أن حاذى باب الكعبة، وإذا برجل يخرج من

(١) بياض في الأصل.

فجوة حجر إسماعيل الشامية منتضبًا خنجره وهو يصيح بصوت مرتفع، وبكلام غير مفهوم تمامًا، فقابل لدى خروجه أفراد الشرطة الذين يسيرون في مقدمة الموكب الملكي فمسك به أحدهم قاصدًا ردّه، ولكن المجرم عاجله بطعنة من خنجره فوقع الشرطي الشجاع أحمد بن موسى العسيري على الأرض ودمه يقطر، فأمسك بالمجرم شرطي آخر مجدوع ابن شبابة ولكنه أصيب بطعنة من خنجر المجرم فمال إلى جانب رفيقه، وفي هذه اللحظة شوهد رفيق للمجرم الأول يتقدم من خلف الموكب والظاهر أنه خرج من الفجوة الأخرى لحجر إسماعيل وجاء من جهة الركن اليماني إلى قربة الحجر الأسود، فاستعد رجال الحرس الملكي ببنادقهم إلاَّ أن جلالة الملك أصدر أمره المطاع في تلك الساعة الرهيبة الحرجة بأن لا يستعمل الحرس البنادق والرصاص إلاَّ حين الضرورة القصوى، فلما تبين أن المجرم الأول قد طعن شرطيين باسلين، وأن المجرم الثاني على وشك أن يصل إلى سمو ولي العهد تقدم عبيد الله البرقاوي أحد الحارسين الشخصيين لجلالة لملك من المجرم الأول، وأطلق عليه بندقيته قبل أن يتمكن من ارتكاب جنايات أخرى فخرّ صريعًا عند مدخل حجر إسماعيل، وأما المجرم الثاني فإنه تقدم مشيرًا خنجره أيضًا وكاد أن يطعن سمو ولي العهد طعنة نجلاء إلاَّ أن خير الله الحارس الشخصي لسمّوه عاجله برمية من بندقيته، فأردته قتيلاً في الوقت الذي لامس خنجره أسفل الكتف اليسرى لسمو الأمير سعود، فلم تحدث الطعنة سوى خدش بسيط ولله الحمد والمنّة.

وحينما رأى المجرم الثالث ما حل برفيقيه وكان قد خرج على ما يظهر من حجر إسماعيل مع المجرم الثاني واتجه من جهة الركن اليماني

إلى جهة الحجر الأسود أطلق رجليه للريح قاصدًا النجاة بنفسه فصرعه رصاص بنادق الشرطة والحرس الملكي فسقط على الأرض وهو ينازع، وظل على قيد الحياة ما يقرب من ساعة تمكن المحققون في أثنائها من معرفة اسمه وهو علي.

ولم يمكن أن يعرف ساعة الحادث شيء يدل على هويتهم إلاَّ أن ملابسهم وخناجرهم تدل على أنهم من الزيود اليمانيين، وتتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والخامسة وأربعين.

وفي هذا الأثناء أخطر مدير الشرطة العام مهدي بك بالأمر في (منى) فحضر على رأس قوة كافية من الشرطة، وشرع في إجراء التحريات والتحقيقات لمعرفة شخصية الجناة والتحقيق عن الأسباب الدافعة لهم على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء، وسط بيت الله الحرام وبقرب الكعبة الشريفة، وفي ذلك اليوم المبارك.

وقد حصل هياج شديد بين حجاج بيت الله الحرام واشتدت نقمة الشعب والجند حينما عرف أن الجناة من أهل اليمن وكاد أن يحصل ما لا تحمد عقباه لولا أن تدارك جلالة الملك الأمر بحكمته وأصدر أمره الكريم المشدد إلى قواد جنده الموجودين في مكة وإلى مدير الشرطة العام بالاهتمام بصيانة أرواح الحجاج اليمانيين من الاعتداء، واتخاذ كافة التدابير التي تقضي على كل من تحدثه نفسه بتخديش حرمة الحرم وإقلاق حجاج بيته الحرام، وكان لهذه التدابير العاجلة حسن الأثر في منع وقوع أي حادث من حوادث الاعتداء فقضى الناس مناسكهم وأتموا حجتهم بكل راحة وطمأنينة ولله الحمد والمنّة، وقد بثّ مدير الشرطة العام عيونه

وارصاه بين حجج اليمن الذين ثبت أن الجناة منهم، فتوصل قبل كل شيء إلى معرفة أن ثلاثة من زيود اليمن كانوا يقيمون بخلاف سائر رفاقهم الزيود مع الشوافع من الحجاج اليمانيين عند امرأة في جبل أبـي قبيس، فلفت ذلك الأمر نظره فحقق معهم فوجد أنهم متغيبون عن منزلهم ولم يعودوا إليه منذ يوم الوقتة، وأرسل على الفور قوة إلى المكان وفتش الغرفة التي كانوا فيها فعثر على ملابسهم وفيها جوازات باسم ثلاثة أشخاص وهم:

١ ــ النقيب علي بن علي بن حزام الحاضري مستخدم في الجيش اليماني المتوكلي ونمرة جوازه (٩٨) تاريخ (١) شوال سنة ١٣٥٣هـ وهو صادر من مأمور الجوزات بصنعاء وصدّق عليه من عامل صنعاء.

٢ ــ صالح بن علي الحاضري شقيق الأول جوازه رقم (٣٤) بتاريخ شوال سنة ١٣٥٣هـ وحرفة المذكور مزارع والجواز صادر من مأمور الجوازات ومصدّق عليه من عامل صنعاء.

٣ ــ سعد بن علي سعد من حجر برقم (٦٣) تاريخ ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ والجواز صادر من أمير الحج اليماني السيد محمد غمضان وصاحبه عسكري في الجيش اليماني المتوكلي.

ولذا عرضت جثث القتلى على الامرأة التي كانوا في دارها عرفت أحدهم صالحًا وميّزت ملابس الاثنين الآخرين نظرًا لتغير منظر الوجه في الاثنين المذكورين، وذكرت أن أخت مطوف الشوافع أسكنهم عندها ولدى التحقيق مع هذه صادقت على أقوال الأولى.

وقد أجرى مدير الشرطة العام التحقيق من جهة أخرى مع شيخ

اليمانيين بجدة فاعترف بأنه أعطى ورقة التصريح للسفر من جده باسم مبخوت، وذلك بواسطة أخيه علي بن مبخوت الفرّان بجدة، وقد استجلب هذا وحقق معه وعرضت عليه جثث القتلى وصورهم الفوتوغرافية، فعرفهم واحدًا واحدًا وذكر أن أحدهم مبخوت بن مبخوت الحاضري هو شقيقه، بينما الاثنان الآخران هما صالح بن علي وعلي بن الحاضري وكلاهما شقيقان، وشهد هذا الفران بأنه اجتمع مع أخيه بجدة وبات أخوه عنده، ثم حضر معه إلى مكة ولم يحجوا ولم يجتمع بهم إلاَّ في يوم العيد في الطواف، وبعد الطواف ذهب هو إلى مقام إبراهيم بينما الثلاثة ذهبوا ومكثوا في داخل حجر إسماعيل ولم يعثر للآن على سعد العسكري المستخدم في الجيش المتوكلي كما أنه لم يعلم للآن السبب الذي حدى به إلى ترك جوازه مع المجرمين، وقد دفنت جثث المجرمين أمس بعد أن عرفت شخصياتهم وما يزال الفران في السجن ١٤ ذي الحجة ١٣٥٣هـ.

* * *

بعد انتهاء الحادث خرج الملك وابنه الأمير سعود ولي العهد إلى منى يوم الجمعة وتوافدت عليه الوفود إلى القصر في منى لتقديم واجبات التهنئة بنجاته ونجاة ولي العهد من محاولة الاعتداء الأثيم، ورفع آيات الشكر على ما لقيه الحجاج من العناية، فشكر لهم الملك عواطفهم النبيلة التي تجلّت بمناسبة هذا الحادث، وقال: إن الحجاج هم ضيوف الله وإخواننا فمن واجبنا أن نُعنى براحتهم ليتمكنوا من أداء مناسكهم، وقد منّ الله علينا بأن ساد الهدوء في جميع أنحاء المملكة، وقد لعب الشيطان في رؤوس بعض الناس، فحاولوا تعكير صفو الأمن وتعطيل شعائر الله في بيت الله، ولكن الله عزَّ وجلّ الحافظ لدينه قد رد كيدهم في نحرهم فأبطل

دسائسهم ووقى المسلمين فتنتهم وسيلقى المجرمون جزاء ما صنعت أيديهم إن شاء الله.

ثم قام الشيخ أبو السمح وألقى كلمة تناسب المقام [. . .] الشتى، ثم المحامي إبراهيم بك نور الدين، والشيخ عبد الفتاح عكاشة المحامي الشرعي ثم ألقى الشيخ محمد التفتازاني أبياتًا قوبلت بالاستحسان، ثم ألقى أحمد الغزاوي قصيدة، وتلاه عبد الله عمر بالخير فألقى قصيدة نقتطف منها الأبيات التالية:

ألا إنها من أعظم النعم الكبرى ... سلامة رب التاج والراية الخضرا
ألا إنها النصر المبينُ تبللت ... به جبهة التاريخ بحنتها ذخرا
ألا إنها البشرى لكل موحد ... وللشرق والإسلام أنعم بها بشرا
فقل لبني الإسلام في كل موطن ... لقد كتب الله العدى وقضى الأمرا
وأنقذ رب التاج من شرك العدى ... وسلّمه ممن أراد به غدرا
وأبقى لأهل الهناء حامي ذمارهم ... فقرّت عيون المخلصين به طرا

❊ ❊ ❊

إلى أن قال:

فقل للأولى قد دبروها مكيدة ... جرعها من بات ينسجها صبرا
أبى الله إلا أن يتمم نوره ... ويخذلكم موتوا بغيظكموا قبرا
وينصر حامي البيت نصرًا مؤزرًا ... ويثبت في أم الكتاب له النصرا
ويحفظ فخر العرب حارس مجدهم ... ورافع رياة السلام على الغبرا
ويبقى سعود الخير والي عهده ... ورمز المعالي في سجياته الزهرا
وفيصلنا المحبوب والأسرة التي ... هي الفخر للإسلام يسمو بها كبرا